المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



مجلة
الجامعة الإسلامية

مجلة علمية محكمة
تصدر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

العدد ١٤٥ - السنة ٤١ - ١٤٢٩هـ

رقم الإيداع ١٤/٠٠٩٢
تاريخه ٢٢/١/١٤١٤هـ

موقع الجامعة الإسلاميّة www.iu.edu.sa
بريد الإنترنت iu@iu.edu.ds

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد نشر البحوث العلميّة في مجلّة الجامعة

أ – أن تكون جديدة؛ لم يسبق نشرها .

ب– أن تكون خاصّة بالمجلّة .

ج– أن تكون أصيلة؛ من حيث الجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.

د – أن تُراعى فيها قواعد البحث العلميّ الأصيل ، ومنهجيّته.

هـ– أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة، قد تَمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلميّة في (الدّكتوراه) أو (الماجستير) .

و – أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة للإصدار الواحد، ولا يَقِلُّ عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلّة الاستثناء عند الضّرورة .

ز – أن تُصَدَّرَ بنبذة مختصرة - لا تزيد عن نصف صفحة - للتّعريف بها .

ح– أن يرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها ؛ تبيّن عمله، وعنوانه، وأهمّ أعماله العلميّة.

ط– أن يُقَدّم صاحبها خمس نسخ منها .

ي– أن تُقَدّم مطبوعة وفق المواصفات الفنّيّة التّالية:

١– البرنامج وورد XP أو ما يماثله .

٢– نوع الحرف Traditional Arabic

٣– نوع حرف الآية القرآنيّة decotype Naskh Special

٤– مقاس الصّفحة الكلي : ١٢سم × ٢٠سم (بالرّقم)

٥– حرف المتن: ١٦ أسود .

٦– حرف الهامش : ١٤ أبيض.

٧– رأس الصّفحة : ١٢ أسود .

٨– العنوان الرّئيسيّ : ٢٠ أسود.

٩– العنوان الجانبي : ١٨ أسود.

١٠– الأقراص تكون من النّوعيّة الجيّدة، ويكون حفظ الملفّات على نظام DOC.

ك – أن يُقَدّم البحث - في صورته النّهائيّة - في ثلاث نسخ؛ منها نسختان على قرصين مستقلّين ، ونسخة على ورق .

ل– لا تلتزم المجلّة بإعادة البحوث لأصحابها ؛ نشرت أم لم تنشر .

عنوان المراسلات : تكون المراسلات باسم رئيس التّحرير:
(ص ب ١٧٠ المدينة المنوّرة هاتف وفاكس ٨٤٧٢٤١٧
البريد الإلكتروني iu@iu.edu.sa)

مجلة

الجامعة الإسلامية

الموادّ المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء أصحابها

مُحْتَوَيَاتُ الْعَدَد

آيَاتُ الإِعْجَازِ

فِي آيَاتِ الإِعْجَازِ

لأَبِي الْفَتْحِ الْكَشْمِيرِيِّ

تَحْقِيقُ :

د. مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَوَاجِيِّ

الأُسْتَاذِ الْمُسَاعِدِ فِي كُلِّيَّةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْجَامِعَةِ

مقدّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وتسليماً كثيراً.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء ١]. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب ٧٠ – ٧١]..

أما بعد: فقد جرت سنة الله في ابتعاث رسله إلى خلقه، لتبصيرهم بعظمته وجمعهم على عبادته، أن يؤيدهم بأمور حسية تخالف السنن الكونية، وتخرج عن النواميس الطبيعية، وتكون من قبيل ما استحكم في زمانهم، وعظم في نفوس عامتهم، لتكون آية ومعجزة وبرهان الرسول المرسل إليهم، مفحمة لأعجب الأمور في أنظارهم، ومبطلة لأقوى الأشياء في حسبانهم، لئلا يجد المبطلون والمعاندون شيئاً يتشبثون به.

ولما أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس جميعاً، وجعله خاتم الأنبياء، أيده بمعجزات حسية كمعجزات من سبقه، كانشقاق القمر، ونبع الماء... وخصه بمعجزة خالدة وهي القرآن الكريم؛ الذي لو اجتمعت الإنس

والجن على أن يأتوا بمثله لن يستطيعوا ولن يقاربوا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

فتحداهم الله ﷻ بما كانوا يعتقدون في أنفسهم القدرة عليه، والتمكن منه، ولم يزل يقرعهم بعجزهم، ويكشف نقصهم، من خلال ما يترله على رسوله ﷺ من آيات هذا الكتاب العظيم؛ الذي يصرح بتحديهم به كما قال تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[سورة يونس ٣٨]. وقال: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[سورة البقرة ٢٣ –٢٤].

فتحداهم مراراً ثم توعدهم وخوفهم بمصيرهم إن لم يفعلوا.. فاستكانوا وذلوا أمامه، وصاروا حيال فصاحته في أمر مريج[1]، ولقد أدهش العرب جميعاً لمّا سمعوه، وحير ألباهم وعقولهم بسحر بيانه، وروعة معانيه، ودقة ائتلاف ألفاظه ومبانيه.

فمنهم من آمن، ومنهم من كفر فحقت عليه كلمة الوعيد، وافترقت كلمة الكافرين في وصفه، وتباينت في نعته:

فقال بعضهم: هو شعر !! وقال آخرون: إنه سحر !!.

وزعمت طائفة: بأنه أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه..!!

وقال قوم: إنه افتراه !!.. حتى قال المفترون: لو نشاء لقلنا مثل هذا !!، ولكنهم لم يقولوا، هم ولا غيرهم ما يقاربه...

وقد أقبل عليه علماء هذه الأمة بالتدبر والتفكر في آياته، وتفسيرها

(١) المريج: الملتوي الأعوج، ومرج الأمر: التبس واختلط. اللسان ٢/٣٦٥.

بإجلال واحترام، وعمل بالأوامر، واجتناب للزواجر...

وفي المقابل أقبل عليه أعداء الإسلام، فاتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة بتأويله، وتحريف الكلم عن مواضعه، حتى لقد نفى فريق منهم إعجازه، بل ووصفه –نعوذ بالله– بأنه فاسد النظم، متناقض المعنى!!.

ولما بدأت المطاعن في القرآن تسري، وأوشكت الشبهات على الظهور، نهض فريق من العلماء يدرؤون عنه وينافحون دونه بالأدلة القاطعة، والحجج النيرة الواضحة.

فكان إعجاز القرآن من أبرز العلوم التي تناولها العلماء بالبحث والتأليف جملة وتفصيلاً، مفردةً ومضمنة لعلوم أخرى كالعقيدة واللغة والبلاغة والتفسير.

وإن الناظر إلى ما كتب حول إعجاز القرآن الكريم يجد أن هناك مسائل اتفق الناس على طرحها ومناقشتها وأخرى اختلفوا في إيرادها وعدمه.

فمما اتفقوا على إيراده مسائل تعتبر هي أشهر مسائل ومباحث هذه المادة العلمية ومن أشهرها مسألتي: (وجه الإعجاز) و(القدر المعجز من القرآن):

ويريدون بـ (وجه الإعجاز): الوجه والجزء الذي يتحقق به الإعجاز، ولكن هل هو اللفظ فقط؟ أم المعنى فقط؟ أم جزء من أحدهما؟ أو مجموع ذلك؟ واختلفوا في ذلك إلى أقوال عديدة، ولعل لهم العذر في ذلك، فكل واحد رجّحَ شيئاً منها على غيره إنما هو لأجل تأمله وتدبره وتعقله به أكثر من غيره وغيره كذلك، فكل من أمعن النظر في واحد من هذه الأوجه المذكورة وتأمله رأى أن فيه العجب العجاب مما لا قبل للعرب والعجم به مع سهولته ويسره فهو ليس محالاً عليهم، ولكنهم مهما عملوا فلا يصلون إلى درجته ومنتهاه مهما اجتمعوا

أو حاولوا ذلك.

والمسألة الثانية وهي (القدر المعجز من القرآن) ويريدون به أقل ما يمكن التحدي به تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2] وهذا بلا شك معنى جديرٌ بالوقوف عنده للتأمل.

وكانت رسالة الشيخ العالم الجليل: أبي الفتح عبد الرشيد بن محمد شاه الشويباني الكشميري من علماء أواخر القرن الثالث عشر الهجري المتوفى رحمه الله في ١٢٩٨/٢/٨هـ، والتي سماها "آيات الإعجاز في آيات الإعجاز" شاهداً على عناية المسلمين في كل أزمانهم وعصورهم وبلادهم وقومياتهم وأجناسهم بشأن القرآن الكريم ودراسة ما يتعلق به إثباتاً للمعاند والشاك، وتثبيتاً ويقيناً للمسلم والمؤمن، وجديرة بأن تربط لنا هذا المبدأ بالمبادئ التي تكلم عنها أول من ألف في الإعجاز كالجاحظ والواسطي والرماني والخطابي والباقلاني، ومن جاء بعدهم إلى يومنا الحاضر، مؤكداً على أهمية دراسة القرآن الكريم وما يتعلق به من علوم ووسائل تربط الأمة به، وتؤصل لدراسة الإعجاز الشمولي بوجوهه المتنوعة والمختلفة لا من وجه يولع به الناس في عصر دون عصر، أو وجه يختص ببعض آياته، أو وجه يخرج عن قواعد وأصول التفسير الذي جاء عن السلف الصالح أهل القرون الفاضلة ومن تبعهم على تلك الأصول.

فرغبت في إخراجها، تحقيقا لهذه الأهداف، وبياناً وتأصيلاً لهذه المسألة، وخدمة لهذا العلم المبارك.

---

(١) سورة الطور ٣٤.

(٢) سورة الإسراء ٨٨.

أسباب اختيار الموضوع:

لعل من أهم الأسباب التي دعتني للاهتمام بهذه الرسالة ونشرها ما يلي:

- الرغبة الشديدة في دراسة إعجاز القرآن الكريم لتعلقه بأشرف كتاب ألا وهو كتاب الله ﷻ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
- شدة حاجة الطلاب إلى عرض مثل هذه المسألة في هذا الموضوع وتحقيق الحق فيها، لشرف متعلقها وأهميته، ولكثرة من غلط فيها أو جانب الصواب من الطوائف أو الأفراد.
- إنّ إظهار مثل هذا العلم ونشره فيه بيان لعظمة كتاب الله عزّ وجلّ وإيجاد الصلة بينه وبين قلوب المسلمين – الغافلة عنه إلا ما شاء ربك– وإيضاح لغير المسلمين ممن رام الحق.
- تنمية ملكة الفهم والاختيار والبناء الجيد مما نحتاجه، ونرغب فيه لنا ولطلابنا.

أسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه.

منهج عملي في الرسالة:

- نسخت الرسالة وفق الأصول العلمية المعروفة في مناهج البحث وتحقيق المخطوطات، مع الحرص التام على بقاء نص المؤلف كما سطره بيده، ورسم الكلمات وفق المنهج الإملائي، واتباع علامات الترقيم، حسب فهمي للنص، وأثبت بداية رقم وجه الورقة في موضعه كالتالي(٢/أ) للوجه الأيمن و(٢/ب) للوجه الأيسر من الورقة المخطوطة.
- دعم ما قرره المؤلف من مسائل: بالمراجع، والعزو.
- حاولت فهم ما نص عليه أو أشار إليه المؤلف خلال رسالته، وإفهامها للقارئ.

- بيان ما رأيته يحتاج إلى مزيد إيضاح، أو تعليق، أو تحرير.
- عزوت الآيات، وخرجت الأحاديث والآثار، ونسبت الأقوال والنقول.
- بيان الغريب والمشكل والغامض من الألفاظ.
- التعريف بالأعلام والأماكن والمصطلحات والكتب المذكورة في ثنايا الرسالة.
- إشارة موجزة–حسب ما توفر لي– عن مؤلف الرسالة رحمه الله تعالى.
- تحليل الرسالة ودراستها بشيء من الإيجاز، وجعلته على هيئة نقاط: تسهيلاً على المبتدئ، وتنبيهاً للمذكور فيها من الفوائد.
- إبداء رأيي في الرسالة ومحتوياتها في الأسلوب والمعلومات.

خطة البحث:

يتألف البحث من: مقدمة، وقسمين، وفهارس:

المقدمة وتتضمن: التقديم وأسباب اختيار الموضوع وعملي في الرسالة وخطة البحث

القسم الأول: ويشتمل على ترجمة المؤلف ودراسة الرسالة

القسم الثاني: ويحتوي على تحقيق النص

الفهارس: وتشمل قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

أسأل الله العلي القدير العون والتوفيق، والسداد والرشاد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

القسم الأول: الدراسة

ويشتمل على:

أولاً:ترجمة المؤلف.

ثانياً: وصف المخطوطة ونسبتها.

ثالثاً: دراسة الرسالة.

أولاً: ترجمة المؤلف :

هو الشيخ الفاضل عبد الرشيد بن محمد شاه الشويباني الكشميري. أحد العلماء المبرزين في النحو واللغة.

ولد ونشأ بـ"شويپان"(١) – بضم الشين المعجمة وفتح الباء الفارسية المثلثة من أسفل– وهي بلدة من أعمال كشمير، بينها وبين قاعدة البلدة أربعة فراسخ.

قدم "بهوبال"(٢) فاستخدمه نواب صديق حسن القنوجي، وولاه نيابة الإفتاء فأقام بها مدة من الزمن، ثم سخط عليه القنوجي لأمر صدر منه، فأمر بجلائه، فسار إلى "هوسنك آباد"(٣) وأقام بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى.

وكان بارعاً في المعارف الأدبية، شاعراً، حسن المحاضرة.له "القطر الصيب في مدح الإمام أبي الطيب" و"نزل من اتقى في أخبار المنتقى" و"رسالة على ترجمة

---

(١) منطقة شويپان: مديرية في ولاية كشمير بالهند، تقع جهة الشمال الغربي للعاصمة (سرينغر).

(٢) مدينة بهوبال: وتنطق اليوم (بوفال) عاصمة ولاية (مدهيابرديش) المنطقة الوسطى في الهند.

(٣) هوسنك آباد: محافظة من مديرية بهوبال (بوفال) تقع إلى الجنوب منها.

الدارمي وأحوال كتابه رتبها على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة"[١] "وله غير ذلك من الرسائل. مات لثمان خلون من صفر سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف للهجرة، بمدينة "جبل بور"[٢] [٣].

ثانياً:وصف المخطوطة ونسبتها:

وصفها: المخطوطة عبارة عن رسالة صغيرة كتبها المؤلف رحمه الله بخط يده مبيضة لأسباب نص عليها–فيما ظهر لي من تعبيره، والله أعلم–.

عدد ورقاها = ٧ ورقات من وجهين أ– ب مع العنوان،وهو المعتمد عند نسخي للرسالة. و(٦) ورقات بدون الغلاف.

عدد صفحاها = ١١ صفحة، وبالعنوان ١٢ صفحة.

مسطرها: ١٦ سطراً في المتوسط، ومتوسط كلمات السطر ١١ كلمة.

الخط والرسم: كتبت الرسالة بخط فارسي واضح منقوط ومقروء بشكل جيد.

مقاس الصفحة: ٢٨,٥٠ × ١٩سم.

زمن كتابتها: شهر شعبان المعظم سنة ١٢٩٥هـ.

حفظها: مكتبة ندوة العلماء بلكناو – الهند رقم ١٠٤٨٢/٣٩٣، ومنها مصورة بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية رقم (٣٥)

---

(١) معجم المطبوعات: ٨٥٨/١ مطبوعة ضمن سنن الدارمي طبعة في كانبور ١٢٩٣هـ.

(٢) جبل بور: مديرية في ولاية مدهيا برديش، إلى جهة الشرق من بهوبال (بوفال).

ملاحظة: المصدر لهذه المناطق: بعض طلاب تلك الناحية من الهند في الجامعة الإسلامية سألتهم كتابة في عام ١٤٢٧هـ.

(٣) نزهة الخواطر وبهجة السامع والنواظر ٢٩١/٧–٢٩٢.

وميكروفلم رقم (٨٨١).

ونسبتها: نسبها المؤلف لنفسه في المقدمة والختام، وهي بخط يده، ومما يدل لصحة ذلك: الأعلام المذكورين، والمكان الذي كتبت فيه، والإهداء، فهي شواهد مع اليقين المترتب على أنها بخط يده، ومتوافقة مع ما ذكر في ترجمته من: ولعه باللغة العربية وآدابها، وعلم الحديث الشريف، وقيامه بالإفتاء والتعليم، والبيئة التي عاش فيها، من استقرار سياسي وأمن اجتماعي، وانتشار للعلم، ومعزة لأهله في تلك البقعة وذلك التاريخ.

قيمتها العلمية: مع قصرها إلاّ أنها حوت فوائد علمية جيدة للمبتدئ، ومذكرة للعالم والمفتي والداعية إلى الله تعالى، ومتعلقها عظيم الشأن فهي ذات هدفين أساسين: الإيمان بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، فالقرآن شاهده وآيته وبرهانه جملة وتفصيلاً.

ربط المسلمين وتنبيههم على عظمة شأن القرآن وحاجتهم إليه واستهدافه لحاجاتهم.

ولذا فإن دراسة هذه المسائل ضرورية جداً لطلاب العلم الراغبين في تأصيل مسائله ومعرفة دقائق الفوارق بين أقواله ومعرفة تحقيق مسائله بالدليل الشرعي والنقلي المرتبط بالمثال ليتضح المقال.

ثالثاً: دراسة الرسالة :

- طبيعة الرسالة:

هذه الرسالة سطرها مؤلفها – رحمه الله تعالى – للرد على من يقول بأن ما هو أقل من سورة قصيرة كسورة الكوثر ونحوها يقع به الإعجاز، وللجواب عن هذه المسألة احتاج أن يبسط مقدمة مهمة تبين وتوضح الفرق بين القولين في

المسألة: القول المختار عنده والقول المختار عند من خاصموه وجادلوه، وأنكروا عليه القول المرجوح أو المردود عنده.

ومعلوم أن معرفة طبيعة هذه الرسالة جزء مهم في نقدها ومعرفة ما لها وما عليها.

والحاصل أن المؤلف رحمه الله أجاد في الجواب وبيان القول المختار عنده، وسبب اختياره لذلك القول، وبسط الكلام في مقدمة عن وجه الإعجاز وإن لم يُظهر بصراحة القول الذي يختاره ولكنه فيما يظهر لي يختار ما ختم به تلك الأقوال مما يجمع أغلب الأقوال وهو قول الزركشي ووضحه بكلام القاضي عياض رحمهما الله تعالى.

● محور الرسالة:

تدور هذه الرسالة حول موضوع إعجاز القرآن الكريم بشيء من العجالة والإيجاز، ولذا فهي في علم من علوم القرآن، وهذا العلم يختص بالكلام مباشرة في القرآن من ناحيته ودلالته على صدق متحمله سواء دلالة تحدي وإعجاز للمعارض المعاند الجاحد، أو الجاهل الذي يستسلم ويقر بهذه الرسالة الخاتمة للشرائع.

أو دلالة يقين وإعجاز للمسلم المؤمن الذي يرغب في زيادة الإيمان ورفعة الشأن والقرب من دلالة برهان هذه الرسالة الخاتمة، ويعرف الحكمة البالغة من جعل هذا القرآن هو عمود الرسالة والإتباع لقوله صلى الله عليه وسلم (وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)[1] ليعمر قلبه وحياته بنور وحياة هذه الروح قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ

(١) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل (٤٩٨١).

أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا ﴾ [١]ويزداد شفاء منه قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[٢].

فالكلام في مسألة الإعجاز لا يخلو من أحد هذين الهدفين الأساسين للكلام حول القرآن [إقامة حجة وجدال بالتي هي أحسن] أو [تعليم وبناء للقوة الإيمانية] ومنها تتولد بقية الأهداف لدراسة هذا العلم والإحاطة بهذا الشأن ومسائله على اختلاف أنواعها.

● مسائل الرسالة:

تحتوى هذه الرسالة حسب تصنيف مؤلفها على ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: معنى الإعجاز ووجوهه، وقد ذكر فيها المصنف رحمه الله تعالى ابتداءً القول بأن البشر لا يحيطون بوجوه إعجازه، وإنما يتبين لكل قوم بحسب ما هم عليه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له"[٣] ولذا لا إشكال في أن يذكر ما قاله العلماء من وجوه دون حصر للإعجاز فيها فقط، فهي جزء – بلا شك– في إعجازه، وأن إعجازه قام عليه الدليل الإجمالي والتفصيلي على حدٍ سواء[٤].

(١) سورة الشورى٥٢.

(٢) سورة الاسراء٨٢.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح(٥/٤٢٢).

(٤) وفي هذا يقول الخطابي"ولو كان ذلك في وسعهم وتحت أقدارهم لم يتكلفوا هذه الأمور الخطيرة. و لم يركبوا تلك الفواقر المبيرة، و لم يكونوا تركوا السهل الدمث من القول إلى الحزن الوعر من الفعل، هذا ما لا يفعله عاقل ولا يختاره ذو لب.وقد كان قومه قريش خاصة موصوفين برزانة الأحلام، ووفارة العقول والألباب. وقد كان فيهم الخطباء المصاقع والشعراء المفلقون. وقد وصفهم الله تعالى في كتابه بالجدل واللدد".. "وهذا بيّنٌ =

ولكن ينبغي التفطن إلى مسألة أشار إليها الباقلاني وشيخ الإسلام وغيرهما وهي أن هذه المسألة نوعان:

منها ما يستقل بنفسه فيصلح أن يكون وجهاً في كل آية وفي كل سورة دون النظر إلى بروز وجهة ذلك أو دقة مسلكه.

ومنها ما لا يستقل بنفسه فلا يصلح أن يكون وجهاً في كل آية وفي كل

= واضح لا يشكل على عاقل. قلت: وهذا – من وجوه ما قيل فيه – أبينها دلالة وأيسرها مؤونة وهو مقنع لمن لم تنازعه نفسه مطالعة كيفية وجه الإعجاز فيه."...الخ. بيان إعجاز القرآن ص١٩–٢٠.

ويقول شيخ الإسلام "ومن تدبر ما صنفه جميع العقلاء في العلوم الإلهية، والخُلقية، والسياسية وجد بينه وبين ما جاء في الكتب الإلهية: التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء، تفاوتاً عظيماً ووجد بين ذلك وبين القرآن من التفاوت أعظم مما بين لفظه ونظمه، وبين سائر ألفاظ العرب ونظمهم. فالإعجاز في معناه، أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه، أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه. وما في التوراة والإنجيل، لو قدر أنه مثل القرآن، لا يقدح في المقصود فإن تلك كتب الله –أيضا–، ولا يمتنع أن يأتي نبي بنظير آية نبي، كما أتى المسيح بإحياء الموتى، وقد وقع إحياء الموتى على يد غيره، فكيف وليس ما في التوراة والإنجيل مماثلاً لمعاني القرآن، لا في الحقيقة، ولا في الكيفية، ولا في الكمية؟ بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن، وتدبر الكتب وهذه الأمور من ظهرت له من أهل العلم والمعرفة ظهر له إعجازه من هذا الوجه، ومن لم يظهر له ذلك، اكتفى بالأمر الظاهر الذي يظهر له ولأمثاله، كعجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله مع تحدي النبي ﷺ وإخباره بعجزهم، فإن هذا أمر ظاهر لكل أحد".أ.هـ الجواب الصحيح ٤/٧٨–٧٩ ومفاد كلام الشيخ أن وجه الإعجاز نوعان عام مشترك ظاهر لكل أحد وهو عدم المعارضة، والآخر: يظهر بالتدبر والتفكر والتأمل في ألفاظ القرآن ومعانيه. كما أشار المصنف رحمه الله تعالى.

سورة، وإنما يوجد في بعضها دون بعض، فهذا يُتَطَلَّب جملة لا منفرداً.

ومثال الأول: الفصاحة، وأمية النبي صلى الله عليه وسلم، والنظم، جودة السبك، الروعة والهيبة، الأثر في النفس..إلخ.

ومثال الثاني: علم الغيوب الماضية، أو المستقبلية، والعلل العقلية، أنواع البديع...إلخ.

المسألة الثانية: ما أنزل من القرآن وفق ما قاله بعض الصحابة: وهذا وإن لم يكن من علم الإعجاز كفن وبحث له مسائله، إلا أن المؤلف - رحمه الله - أراد به بيان أهمية القرآن للوفاء بحاجات البشر ومتطلباتهم الطبيعية من غير تكلف ولا عناء، وشموله لكل مناحي حياتهم ومسائلهم، وصلاحه لكل زمان ومكان، وأنه جاء ليقيم العدل والحق بين الناس وفي الأرض عامة.وهذا المقصود هو جزء من إعجازه في المعنى وقد سلك هذا المسلك ابن تيمية رحمه الله[1].

ولعله أراد أيضاً الاستناد إلى ما ذكره من نصوص في هذه المسألة عن موافقات القرآن لما جاء به بعض الصحابة لبيان أن ما كان أقل من سورة لا يعد معجزاً، وأن ماجاء به الصحابة موافقةً دون ثلاث آيات. وهو ما كتب الرسالة لإبانته وترجيحه رحمه الله.

المسألة الثالثة: وهي لب الرسالة والهدف الذي يريد المؤلف رحمه الله الوصول إليه - القدر المعجز من القرآن- وذكر فيها أقوالاً للمعتزلة والأشاعرة وغيرهم وحاول أن يستبعد القول الرابع وهو: أن الإعجاز واقع بكل ما أطلق عليه قرآن (قليل القرآن وكثيره).

وحاول أن يقنع المخالف باختياره أن ما كان أقل من سورة قصيرة لا يقع

(١) وللاستزادة يراجع رسالة (إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية).

به الإعجاز، وذلك من خلال احتجاج عقلي وترتيب منطقي[(١)]، وللأسف يمكن لمعارضه الإجابة عنه بنفس الأسلوب.

ولو سلك مسلك الإمام الباقلاني في الترجيح لكان أولى وأجود وأقوى من الجهة العلمية، والمنطقية وهي حمل آية ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾ [(٢)] على القبيل لا التفصيل، فهي – بهذا المعنى كقوله تعالى: ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[(٣)] [(٤)]وهذا من وجهة نظري أقوى وأحق بالوقوف عنده للتأمل[(٥)].

---

(١) هذا اختيار المؤلف رحمه الله، ووجهة نظر القائلين بأنه لا يقع بأقل من السورة، وهذا ينقضه من يخالفهم الرأي بالواقع والتاريخ فلم يدع مدع أنه جاء بما هو أقل من سورة لأن الفرق بين كلام الخلق والخالق بيّنٌ ظاهرٌ في الشكل والمعنى فلا معنى لافتراضهم وقول المؤلف: [وإن تعجب فعجب قولهم: إنا نمشي مسلك السلف ولا نتخلف عما عليه الخلف! ألم يعلموا أن ذلك مما يطفئ نور الله! ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ ﴾، وينكي عين الإسلام مع جلاء بهائه وظهوره، ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾، إذ جعلوا الإعجاز في أقل من ثلاث آيات فأتى بعض عباده بآية أو آيتين..].أهـ

لاسيما وقد دلّ لفظ الآية الأخرى مفهوم ما ألزموه "بحديث مثله " ولا نسلم لهم أن الحديث لا يتأتى بأقل من ثلاث آيات.. وهذا من جهة الاحتجاج والاستدلال، وإلاّ فقوله اختيار الجمهور رحمهم الله تعالى. وانظر "ابن تيمية ومنهجه في التفسير" د.ناصر بن محمد الحميد دكتوراه جامعة الإمام ج١ ص٢٢٧. وانظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٣/١٢-١٣-١٤، ومجموع الفتاوى ٢٠/٤٨١-٤٨٢، و١٦/٥٣٦.

(٢) سورة الطور ٣٤.

(٣) سورة الإسراء ٨٨.

(٤) انظر إعجاز القرآن للباقلاني ٢٥٤ إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ص٣٩٨-٤٠٠

(٥) وإلا فإن الراجح والله أعلم ما ذهب إليه شيخ الإسلام وغيره من أنّ كل ما أطلق عليه =

• المستهدفون بالرسالة:

يتضح من مقدمة المؤلف رحمه الله أن المستهدفين بهذه الرسالة هم:

طلاب العلم الراغبون في دراسة مسائله ومعرفة دقائق الفوارق بين أقواله ومعرفة تحقيق مسائله بالدليل الشرعي، والنقلي المرتبط بالمثال ليتضح المقال.

إهداء لشيخ فاضل جليل القدر غزير العلم إمام ذلك الوقت ولا سيما في بلاد الهند وما جاورها وهو الشيخ العالم حسن صديق خان رحمه الله.

• الأسلوب:

يغلب على الرسالة الأسلوب الأدبي الرفيع الذي جمع بين قوة الألفاظ وحسن اختيارها، ودقة ترتيبها، مع العناية بشيء من التكلف بالسجع وغريب الألفاظ، وإن كان الغالب عليها هو النقول إلا أنها لم تكن نقولاً صماء بل تصرف المؤلف رحمه الله بتلك النقول، وتصرفه على مستويات:

مستوى اختصارها: بما يتلاءم مع مراده من تلك النقول في رسالته فأورد مضمون ما يتطلبه من التقرير للمسألة التي يتكلم عنها وترك ما لا يعنيه من سائر الكلام في المقطع المنقول منه.

مستوى ترتيبها: حيث لم يلتزم الترتيب الزمني أو غيره بل قدم وأخر بحذف ما يحتاجه من بيان للمسألة التي يتكلم عنها مع محاولة دمج تلك النقول في سبيكة مقطع متلائم ومرتب للمسائل من دون اختلاط أقوال ببعضها أو تبعثر الأفكار.

مستوى الاختصار: فقد اختصر في المسائل بما يتلاءم مع الجواب على

= قرآن فهو معجز ولو كان أقل من سورة الكوثر، وانظر إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ص٤٠٠.

المسألة سبب التأليف واكتفى بالإشارة إلى بعضها لعلها بشهرتها عند طلاب العلم في زمنه أو اكتفاء بما أورده – واللبيب بالإشارة يفهم.

ويلاحظ على الأسلوب أمران: الأول: المبالغة في السجع واستعمال الألفاظ الغريبة بل والمهجورة الاستعمال أحياناً.

الثاني: الهجوم في الرد والتعنيف على المخالف وهي ردة فعل لصفة ردهم عليه بالهجوم فقط،ولكن الحقيقة أنهم لم ينفردوا بذلك بل هم تابعون لغيرهم مقلدون لسابقيهم وإن كانوا مخالفين للأشهر في المسألة والأكثر ذكراً عند العلماء.

ويلاحظ في المسائل العلمية أمران: الأول: عدم الربط بين النقول، أو بيان مراد قائليها أو عنونة ذلك بما يفيد القارئ أصل المعلومة.

الثاني: نقل من مصادر فيها مقال مع وجود ما هو أقوى وأولى منها فخلط في النقل عن أبي البقاء– فيما ظهر لي ونقل كلام الأصبهاني– وفيه إشكالات من حيث ضعف المعاني المذكورة حيث اعتمد المنهج العقلي الذي لا يوافق مذهب أهل السنة، وإنما هو من لوازم منهج المتكلمين التي تدل على فساد ذلك المنهج •

- المادة العلمية:

هذه الرسالة مع وجازتها قد حوت مادة علمية متميزة، عظيمة الشأن، وسليمة المقصد، فأحسن رحمه الله في تفصيل تلك المادة العلمية وتقسيمها على أجزاء تلك الرسالة: المقدمة ثم الفصول الثلاثة ثم الخاتمة.

واستدلالات المؤلف رحمه الله كانت متميزة ودالة على المقصود المراد.

واستفاد المؤلف رحمه الله وأصل للمسائل من مصادر متعددة ومعتمدة في العلم كالإتقان والبرهان ورسالة الخطابي وكتب البلاغة والأدب وكذا في الحديث النبوي وكتب التفسير.

• البيئة العلمية المصاحبة:

توضح الرسالة معالم البيئة العلمية التي كان يعايشها المؤلف رحمه الله:

فالزمن: نهاية القرن الثالث عشر الهجري وهو عصر بروز المدرسة الهندية في العلم الشرعي فقد كانت مقصد كثير من الطلاب وموئل كثير من العلماء والشيوخ في ذلك الوقت.

والمكان: بلاد المسلمين في شبه الجزيرة الهندية (كشمير) مدينة بهوبال.

والحاشية: زملاؤه من طلاب العلم المساوين له في المرتبة والقدر في تلك البلاد وقد سماهم (الأجلة المضارع).

والحال: مذاكرة للعلم، ومناقشة لدقائق مسائله،ومراجعة للاختيار في المسائل ذات العلاقة بكتاب الله عز وجل المحفوظ إلى يوم الدين .

والسبب: سؤال لأهل العلم.

والجواب: مسألة خلافية احتاجت من المؤلف رحمه الله مذكرة توضح تحقيق الاختيار في المسألة المطروحة.

والإهداء: إلى معالي الشيخ (مرجع أهل العلم في عصره لاسيما في بلاد الهند) صديق حسن خان رحمه الله .

ولغة الكتابة: تدل على تمكن المؤلف وزملائه وشيخهم رحمهم الله جميعا من اللغة العربية وتذوقهم لجمالياتها الأدبية الرائعة، وتفضيلهم لحسن سبك العبارات مع تحليتها بجماليات البديع المسجعة.

• شخصية المؤلف العلمية:

بينت لنا الرسالة شخصية هذا العالم الجليل - مع قلة ما نعرفه من مؤلفاته رحمه الله - وضعف ما وصلنا من ترجمته إلا أن معالم شخصيته نتلمسها في النقاط التالية:

• محبة المؤلف رحمه الله للتأصيل العلمي، وحسن الاختيار من الأقوال المأثورة لأهل الإسلام.

• منهجية المؤلف في الاتباع لمن سبق من أهل العلم والفضل مع فهم أدلتهم واختياراهم للمسائل ومناقشتهم لها. سعة اطلاع المؤلف رحمه الله، مع سعة علمه سواء في مجال اللغة العربية وبلاغتها وأدبها الرفيع أو العلوم الشرعية.

• سعة اطلاع المؤلف رحمه الله وحسن تدبره للنصوص القرآنية واعتماده على المروي في ذلك عن أئمة الإسلام وعلماءه واختياراهم.

• تميز المؤلف في حسن الاختيار للنصوص التي يرغب الاستدلال بها أو النقول التي يرغب الاستشهاد بها على اختياره ويلزم خصمه الحجة من خلالها.

• اعتدال المؤلف رحمه الله في مسائل العلم، ومحبته لمناقشتها وتحرير القول فيها مهما كان القائل بها.

• ثقة المؤلف رحمه الله في اختياره العلمي من خلال منهج وخطة الرسالة ومن خلال الإهداء الذي أضفى عليها نوعاً من الاحترام والتقدير أيضا.

• تنويع المصادر والمراجع في المسائل المطروحة والمستشهد بها يدل على قوة حافظة وذاكرة وقادة علمية متميزة للمؤلف رحمه الله.

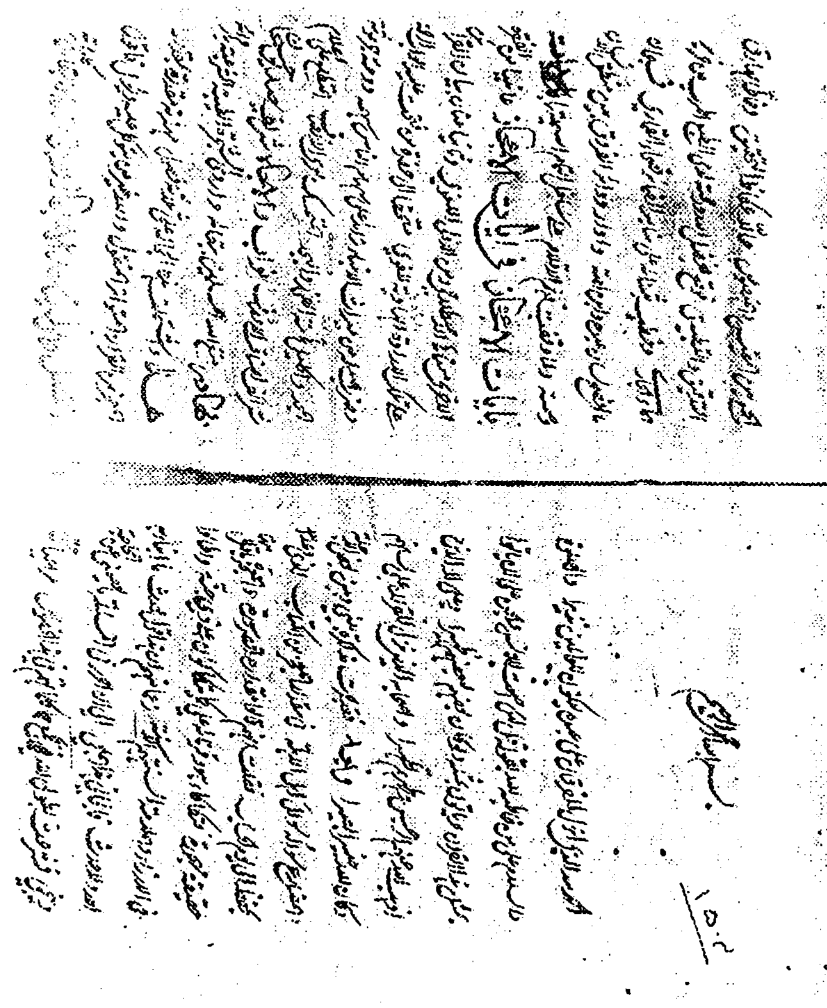
• سرعة بديهة المؤلف رحمه الله حيث كتب الرسالة وبيضها في يوم واحد بل في نهار يوم واحد بين صباح وعشي.

• حرص المؤلف أن يكتب رسالته ويبيضها في مكان يختص بعلية القوم وساداهم في العلم والفضل والرياسة، وهي محلة الملكة بنت الملك شاه جهان بيكم[(١)].

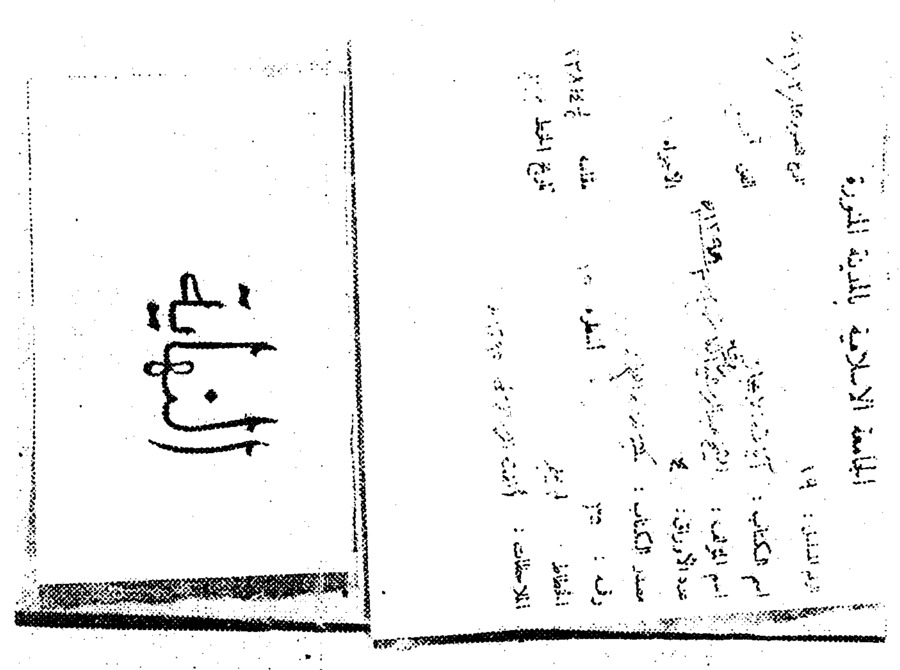
(١) جهان أرابيكم ابنة السلطان شاهجان في الهند تزوجها الشيخ العالم صديق حسن خان – وقد هنّاه على ذلك جمع جم من أهل العلم، وأرخ له المؤرخون وشعراء الرياسة، قال =

....

= عنها في (أقوم المسالك، في أحوال الممالك) (٣/٢٨٠) "سيدة المُخَدَّرات، إكليلة المحصنات، شاهجان بيكم – التي هي من نواب الهند، رئيسة خطة بهوبال"، " والحاصل: أن مليكة بهوبال المحمية، زمانها هذا زمان السعادة، وأوان ترقي العلوم، وموسم المسرة والرفعة لكل خادم ومخدوم، كيف، وهي تاج الهند، ورأس الرؤوس؟! وقد قيل في المثل السائر: لا عطر بعد عروس، وهي التي عمرت الديار بعد خرابها، وأحيت المدارس العلمية بعد دروسها وتبابها، وبنت المساجد العظيمة، وقررت الوظائف الفخيمة. وحفرت الآبار، وغرست الحدائق والأشجار، وأحدثت العمائر الكبار، وأكرمت الصغائر والصغار، وأحيت السنن، وأماتت البدع، وقلعت أسباب الفجور والفسوق، وأخمدت نار الصبوح والغبوق، وطهَّرت الديار عن أدناس الإشراك والمحدثات. وبالجملة: فقد جاءت في هذا الزمان الأخير، والدهر الفقير، جامعة للفضائل، التي قلما تجتمع في رجل، فضلا عن النسوان، حاوية للفواضل، التي قصر دون تبيانها لسان الترجمان، وهذه ذرة من ميدان مناقبها العلية، وقطرة من بحار مكارمها الجلية." أبجد العلوم ٣/٢٨٤-٢٨٦.



نموذج الورقة الثانية من المخطوط



نموذج الورقة الأخيرة من المخطوط

القسم الثاني: النص المحقق

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على من خاطبه الله بقوله:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[١] وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأصحابه الذين نزل القرآن على لسانهم[٢] وكان الله خبيراً بصيراً.وبعد:

فقد جرت مذاكرة بيني وبين بعض الأجلة المضارع[٣]، سؤاله سؤال أهل الأهلة[٤]، في مقدار المعجز من الكتاب الذي وعد الله بحفظه إلى يوم الحساب؟

فقلت: إنهم قالوا مقداره أقصر سورة[٥]. والمعجزة بأقل منها[٦] حقيقة

---

(١) سورة الإسراء ٨٨.

(٢) لسانهم: أي لغتهم. والمعني بهذا عامّة أصحابه وغالبيتهم لأنهم كانوا من أشراف القبائل العربية ومن فصحائها. إذ في أصحابه من ليس عربياً، وإن كانوا في حكمهم من ناحية أنهم تعلموا العربية وأتقنوها. وانظر لسان العرب ٥٨٧/١، تاج العروس١/٧٤٧.

(٣) المضارع: المشابهين للشيخ المؤلف رحمه الله – الزملاء – ضارعه: شابهه.وانظر النهاية ٨٥/٣ واللسان ٢٢٣/٨ والمعجم الوسيط ص ٥٣٩.

(٤) أهل الشيء: أصحابه المستوجبون له.اللسان ٢٩/١١ والمعجم الوسيط ص٣١ ومقصوده: أن السائل سأل من هو أهل للسؤال.

(٥) وهو مذهب الجمهور بل إن الإمام ابن كثير رحمه الله نص على أنه لا نزاع في ذلك بين الناس سلفاً وخلفاً. تفسير القرآن العظيم ٦٢/١، وهذا القول هو قول عامة الناس. قالوا: وذلك لأن كل ما يخالفه يخالف نص الآية قل فأتوا بسورة مثله بسورة يونس ٣٨.

(٦) وهو قول ابن حزم وابن تيمية رحمهما الله تعالى- وانظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ج٣/١٢-١٣-١٤، ومجموع الفتاوى ٥٣٦/١٦ و٤٨١/٢٠-٤٨٢، والإتقان ١٨/٤، =

مهجورة[١].

فتكأكأ هو وقرناؤه عليَّ كما يتكأكؤون على ذي جنة[٢]. وأطالوا في الازدراء[٣] والملامة بألسنتهم اللاسنة[٤] زعما منهم أن هذا قول محدث ما أنبأ به أحد ولا حدّث.

فألجأني هذا الملجئ إلى أن أحرر في المسألة ما يعصمني عن الحاجة وينجي. فشرعت بحول الله بجمع كلماهم في هذا الخصوص، مراعيا حق ٢/ب الجمع بين المقيس والمنصوص، حالاً عكاظ[٥] التحقيق، وخاطّاً مهارق[٦] التدقيق والتطبيق. فوقع بفضل الله ورحمته لدى الطبع أطرب من خرير الماء الجاري وخطب بثنائه على منابر الضمائر فصحاء القماري[٧].

= ومناهل العرفان ٢/٢٣٠، ومباحث في علوم القرآن ص٢٦٤. وابن تيمية ومنهجه في التفسير د.ناصر بن محمد الحميد دكتوراه جامعة الإمام ج١ ص٢٢٧.

(١) أي قول ليس مشهوراً بين العلماء، بل يضعفه ويوهنه كما سيأتي في نهاية رسالته.

(٢) أي من أصابته الجن بالمس، وهذا مثل مشهور، والمقصود ازدحموا عليه واجتمعوا. وانظر اللسان ١/١٣٦.

(٣) زرى عليه: إذا عابه وعنفه، والازدراء: الاحتقار والانتقاص والعيب. اللسان ١٤/٣٥٦.

(٤) لاسنه: ناطقه وقاوله ولسن فلان فلاناً: عابه بلسانه وذكره بالسوء. الوسيط ص٨٢٤.

(٥) عكظ الشيء: عركه وخصمه بالحجج وقهره، وعكاظه: ما يمتنع به ويتعسر، وتعكظ عليه: تمنع وتحبس والتوى عليه أمره. انظر اللسان ٧/٤٤٨ والوسيط ص ٦١٩.

(٦) المهرق: الصحيفة البيضاء يكتب فيها "فارسية معربة". وانظر اللسان ١٠/٣٦٨ والوسيط ص٨٩٠.

(٧) القمري: نوع من الحمام مطوق حسن الصوت، ويقال أقمر فلان: بهر نور القمر عينيه فلم يبصر. ويعني المؤلف هنا فصحاء الناس الذين يشار إليهم. وانظر اللسان ٥/١١٥ والوسيط ص ٧٥٨

فسبحان ما[1] أفصح لسان عبده وابن أمته، وأدار دوائر الفروق بين منطق الإنسان وصمته.

ولما وقفت وهم الأقلام[2] على ساحل التمام أسميتها بـ"آيات الإعجاز في آيات الإعجاز"، عانياً من الفقرة الأخرى معناها الاصطلاحي، ومن الأولى اللغوي، وثانياً عنان[3] بيان القرائن على تلك الإرادة الهادية للغوي.

متحفاً إلى حضرة من فتحت عليه أبواب الرحمة، وضرب الله له من ميراث الأنبياء زائداً على سهام الناس سهمه، دوحة جرموثة المجد[4] وإكليل هامة الفخار[5] والبجد[6]، المتمسك بعرى الإنصاف المتطلع على أعلام شرائف أصناف الأوصاف: نواب والا جاه شريف صديق حسن خان بهادر[7]، متع الله

---

(١) أوهم الشيء: إذا تركه.وانظر اللسان ١٢/٦٤٣-٦٤٥ والوسيط ص ١٠٦٠. ومقصوده لما همت أن أترك قلمي من كتابة هذه الرسالة خطر لي تسميتها بكذا..

(٢) هكذا رسمت في المخطوطة ولعل صوابها (من).

(٣) عنان: لعله يريد: السير الذي تمسك به الدابة. ومقصده وأردت إرجاع القول إلى ما دلت عليه تلك الأدلة التي سقتها لتدل على ما دلت عليه اللغة في معنى الإعجاز. والله أعلم. وانظر اللسان ١٣/٢٩٠-٢٩١.

(٤) هكذا رسمت في الأصل، ولعلها جرثومة: الجرثومة الأصل، وجرثومة كل شيء أصله ومجتمعه. اللسان ١٢/٩٥ والوسيط ١١٤. أو من الجِنْثُ: أصل الشيئ اللسان ٢/١٢٨.

(٥) إكليل الشيء: تاجه، من التكلل وهو الإحاطة. وانظر اللسان١١/٥٩٦ والوسيط ٧٩٦. وهامة الفخار: أي رأسه. وانظر اللسان ٣/٧٧.

(٦) البجد: لزوم الشيء، يقال: "هو ابن بجدها: للعالم بالشيء المتقن له المميز له" لسان العرب ٣/٧٧.

(٧) ترجمته: هو الشيخ صديق حسن خان بهادر، ولد سنة ١٢٤٨هـ في بريلي بالهند وعاش في قنوج، عاش يتيماً وقرأ على المشايخ في بلده، وأتقن علوم القرآن والسنة وعلومها، =

المسلمين ببقائه وأروى الشجرة الطيبة بإروائه.

هذا واشتملت هذه العجالة على ثلاثة فصول مهذبة مقدرة بمقدار المعجز من القرآن المعجز المتواتر المنقول والله خير من يتوكل عليه ويؤمل فأقول:

الفصل الأول: في حد الإعجاز ووجوهه

قال أبو البقاء في كلياته[١]: ٣/أ "ومعلوم أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك"[٢].

وقال حازم[٣] في منهاج البلغاء: "وجه الإعجاز في القرآن من حيث

= واشتغل بالتدريس والتأليف، طبع أكثرها في حياته بمطبعة بهوبال وغيرها وعدها بعضهم نيفاً وستين مصنفاً بالعربية والفارسية والهندية ومن أشهرها: الدين الخالص، وفتح البيان في مقاصد القرآن، والروضة الندية... وغيرها. توفي رحمه الله سنة ١٣٠٧هـ. وانظر مقدمة الدين الخالص ١/أ- و، والأعلام ١٦٧/٦.

(١) أبو البقاء: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي القاضي ولد سنة ١٠٢٨هـ في (كفا) بالقرم وطلب العلم حتى عين قاضياً في الأستانة ثم في القدس وتوفي بها سنة ١٠٩٤هـ. وكتابه الكليات يفيد معرفة ما اصطلح عليه كل فئة من علماء الفنون بنسق وتبويب يخصه. وانظر مقدمة المحققين لطبعة الرسالة -بيروت-١٤١٢هـ.

(٢) الكلام بمعناه في الكليات ص ١٤٩.وغالب ما ذكره هنا إنما هو في حاشية الكليات كما في هامش ٢ ص ١٤٩. وعبارة (ومعلوم ضرورة أن بشراً لم يكن قط محيطاً) من كلام ابن عطية والله أعلم وانظر المحرر الوجيز١/٦٠ وراجع البرهان ١/٩٧.

(٣) حازم: "حازم بن محمد بن حازم الأنصاري ابن الحسن ابن محمد بن خلف بن هني الدين أبو الحسن القرطاجني المالكي النحوي نزيل قرطبة ولد بتونس سنة ٦٠٨ وتوفي سنة ٦٨٤ هـ. من تصانيفه قصيدة ميمية في النحو. المقصورة قصيدة مشهورة. منهاج البلغاء في علمي البلاغة والبيان"هدية العارفين ١٣٨/١ وكشف الظنون ١٨٧٠/٢.

اشتهرت الفصاحة[(١)] والبلاغة[(٢)] فيه من جميع أنحائها في جميعها استمراراً لا توجد له فترة، ولا يقدر عليه أحد من البشر. والعرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود، ثم تعترض الفترات الإنسانية فينقطع طيب الكلام ورونقه فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه، بل توجد في تفاريق وأجزاء منه"[(٣)].

قال المراكشي[(٤)] في شرح المصباح: "جهة المعجزة في القرآن تعرف بالتفكر في علم البيان[(٥)].

وهو كما اختاره جماعة في تعريفه ما يحترز به الخطأ في تأدية المعنى وعن تعقيده، وتعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال، لأنه جهة إعجازه؛ وليست مفردات ألفاظه، وإلا كانت قبل نزوله معجزة.

(١) الفصاحة في اللغة: عبارة عن الإبانة والظهور، وهي في المفرد: خلوصه من تنافر الحروف والغرابة، ومخالفة القياس، وفي الكلام: خلوصه عن ضعف التأليف، وتنافر الكلمات مع فصاحتها، وفي المتكلم: ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح، وقد جمع الله ذلك كله لكتابه الكريم، وانظر التعريفات للجرجاني ص ١٦٧.

(٢) البلاغة عند أهل المعاني: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، وهي أخص مطلقاً من الفصاحة فكل بليغ فصيح ولا عكس، كشاف اصطلاحات الفنون ١/١٩٨.

(٣) ونقله عنه الزركشي في البرهان ٢/١٠١.

(٤) المراكشي: "أبو عبد الله: محمد بن عبد الرحمن الضرير المراكشي توفي: ٧٣٩، من تصانيفه أسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم. الأعلام بفضل الصلاة على خير الأنام. تاريخ مراكش. ترجيز المصباح في المعاني والبيان نظما. ضوء الصباح على ترجيز المصباح اعني شرحه"هدية العارفين ١/٥٢٩

(٥) علم البيان هو: إظهار المعنى وإيضاح ما كان مستوراً قبله. وانظر التعريفات ص٤٧.

ولا مجرد تأليفها[١] وإلا لكان كل مؤلف معجزاً.
ولا إعرابها[٢] وإلا لكان كلام المعرب معجزاً.
ولا مجرد أسلوبه[٣] وإلا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً[٤].
ولا أسلوب الظريف[٥]

(١) التأليف: من ألفت الشيء تأليفاً إذا وصلت بعضه ببعض ومنه تأليف الكتب. اللسان ٩/١٠.

(٢) الإعراب: "بالكسر لغة البيان والفصاحة والإيضاح" التعريفات ٧٥ وقال الجرجاني في دلائل الإعجاز ٤٢" قد عُلمَ أنّ الألفاظَ مغلقةٌ على مَعانيها حتّى يكونَ الإعرابُ هو الذي يفتحها وأنّ الأغراضَ كامنةٌ فيها حتى يكونَ هو المستخرِجَ لها وأنه المعيارُ الذي لا يُتبيَّنُ نُقصانُ كلامٍ ورُجحانُهُ حتى يُعرضَ عليهِ. والمقياسُ الذي لا يُعرف صحيحٌ من سقيمٍ حتّى يُرجَعَ إليه "أ.هـ.

(٣) الأسلوب: الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف الكلام واختيار المفردات. انظر الكليات ص٨٢، وخصائص القرآن للرومي ص١٨.

(٤) الشعر: كلام مقفى موزون على سبيل القصد، ص١٢٧ التعريفات.

قال شيخ الإسلام رحمه الله بياناً للدليل التفصيلي على إعجاز القرآن: "نفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، و لم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب، فإنه ليس من جنس الشعر، ولا الرجز، ولا الخطابة، ولا الرسائل، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس، عربهم وعجمهم، ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق للعادة ليس له نظير في كلام جميع الخلق، وبسط هذا وتفصيله طويل يعرفه من له نظر وتدبر." الجواب الصحيح ٤/٧٨-٧٩.

(٥) هكذا رسمها في المخطوطة، والذي في نظم الدرر للبقاعي ٣٩/١ عن المراكشي "والأسلوب الطريق" وكذا في الاتقان ٣١٧/٢. فلعله تصحيف في المخطوط أوالمطبوع، وعلى كل حال فـ"الظَّرْفُ إنما هو في اللسان فالظَّرِيفُ هو البليغ الجيد الكلامِ قاله الأصمعي وابن الأعرابي واحتجا بقول عمر في الحديث: إذا كان اللّص ظريفاً لم يُقطع أي إذا كان بليغاً =

وإلا كان هذيان[1] مسيلمة[2] معجزاً. ولأن الإعجاز يوجد دونه – أي الأسلوب– في نحو ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾[3] ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾[4]. ولا بالصرف[5] عن معارضتهم لأن تعجبهم كان من فصاحته[6].

= احتج عن نفسه بما يُسقط عنه الحدّ" تاج العروس١/٦٠٠٣ "والظَّرْفُ في اللسان: البَلاَغَةُ" النهاية في غريب الحديث٣/٣٤٨ وغريب الحديث للخطابي ٢/٥٤١.

(١) الهذيان: "كلام غير معقول مثل كلام المُبَرْسَم والمَعْتُوه هَذي يَهْذي هَذْياً وهَذَياناً تكلم بكلام غير معقول في مرض أو غيره وهَذى إذا هذَرَ بكلام لا يفهم" اللسان١٥/٣٦٠ وفي القاموس المحيط ١/١٧٣٤" هَذَى: ي يَهْذِي هَذْياً وهَذَياناً: تَكَلَّمَ بغيرِ مَعْقولٍ لِمَرَضٍ أو غيرِه"وكذلك في تاج العروس١/٨٦٦٥. قال الباقلاني في إعجاز القرآن ص ١٥٦: فأما كلام "مسيلمة" الكذاب، وما زعم أنه قرآن، فهو أخس من أن نشتغل به، وأسخف من أن نفكر فيه وإنما نقلنا منه طرفاً ليتعجب القارئ، وليتبصر الناظر، فإنه على سخافته قد أضل، وعلى ركاكته قد أزل، وميدان جهله واسع ومن نظر فيما نقلناه عنه وفهم موضع جهله، كان جديراً أن يحمد الله على ما رزقه من فهم وأتاه من علم".أهـ.

(٢) مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة، ولد ونشأ باليمامة بوادي حنيفة في نجد ادعى النبوة والوحي فقاتله أبو بكر رضي الله عنه بجيش كبير بقيادة خالد ابن الوليد فقتل سنة ١٢هـ. وانظر الكامل ٢/٢٤٤، وتاريخ الطبري ٢/٢٧٧-٢٨٢، وشذرات الذهب ١/٢٣.

(٣) الآية ٨٠ سورة يوسف.

(٤) الآية ٩٤ سورة الحجر.

(٥) الصرف: رد الشيء عن وجهه. اللسان ٩/١٨٩. والصرفة: "قال النظام صرفهم الله مع قدرتهم وقال المرتضي بل سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة " المواقف للإيجي ٣/٣٧٨. ومناهل العرفان ٢/٣٠١.

(٦) قال الباقلاني ص ٤٣: "ولولا هذه الوجوه التي بيناها لم يتحير فيه أهل الفصاحة ولكانوا =

فعلى إعجازه دليل إجمالي وهو أن العرب عجزت عنه ٣/ب وهو بلسانها!! فغيرها أحرى[١]. وتفصيلي مقدمته التفكر في خواص تركيبه ونتيجته العلم بأنه تنْزيل من المحيط بكل شيء علماً[٢][٣].

= يفزعون إلى التعمل للمقابلة والتصنع للمعارضة وكانوا ينظرون في أمرهم ويراجعون أنفسهم أو كان يراجع بعضهم بعضا في معارضته ويتوقفون لها، فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك علم أن أهل المعرفة منهم بالصنعة إنما عدلوا عن هذه الأمور لعلمهم بعجزهم عنه وقصور فصاحتهم دونه، ولا يمتنع أن يلتبس على من لم يكن بارعا فيهم ولا متقدما في الفصاحة منهم هذا الحال حتى لا يعلم إلا بعد نظر وتأمل وحتى يعرف حال عجز غيره إلا أنّا رأينا صناديدهم وأعيانهم ووجوههم سلموا و لم يشتغلوا بذلك تحققا بظهور العجز وتبينا له". وابن تيمية يقول: "وكان الكفار من أحرص الناس على إبطال قوله مجتهدين بكل طريق يمكن.. فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة مرة بعد مرة وهي تبطل دعوته، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها، فإنه مع وجود هذا الداعي التام المؤكد -إذا كانت القدرة حاصلة- وجب وجود المقدور، ثم هكذا القول في سائر أهل الأرض. فهذا القدر يوجب علماً بيّناً لكل أحد بعجز -جميع أهل الأرض عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن بحيله وبغير حيلة وهذا أبلغ من الآيات التي يكرر جنسها كإحياء الموتى فإن هذا لم يأت أحد بنظيره"وانظر الجواب الصحيح ٤/٧٣-٧٤.

(١) كأنه يشير رحمه الله إلى قول الخطابي: "ولو كان ذلك في وسعهم وتحت أقدارهم لم يتكلفوا هذه الأمور الخطيرة.".. "قلت: وهذا – من وجوه ما قيل فيه – أبينها دلالة وأيسرها مؤونة وهو مقنع لمن لم تنازعه نفسه مطالعة كيفية وجه الإعجاز فيه."...الخ. بيان إعجاز القرآن ص١٩-٢٠وسبق في المقدمة تفصيله.

(٢) التركيب: يعني به المؤلف ما يحتاج فيه إلى مقدمات ونتائج عقلية.. وهذه لا يحتاج إليها إلاّ لمناظرة أصحاب الشُبه سواءٌ من المسلمين ممن غاب عنهم وجه إعجازه فذهبوا فيه إلى مذهب باطل، أو من غير المسلمين المنكرين للحجة.

(٣) نقله عن المراكشي البقاعي في الدرر ١/٣٩، والسيوطي في الإتقان ٢/٣١٧.

وقال الأصبهاني[1] في تفسيره: "إعجاز القرآن من جهتين: أحدهما إعجاز يتعلق بنفسه. والثاني: بصرف الناس عن معارضته[2].

فالأول: إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه. أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى لأن ألفاظه ألفاظهم، ولا بمعانيه فإن كثيراً منها موجود في الكتب المتقدمة[3]، فإعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هو قرآن بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم ويكون الإخبار بالغيب إخبارا بالغيب سواء كان بهذا النظم[4] أو بغيره، موردا بالعربية أو بلغة أخرى، أو إشارة، فإذن بالنظم المخصوص.

وبيان كون النظم معجزا يتوقف على بيان نظم الكلام فمراتبه خمس:

---

(١) الأصبهاني: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصبهاني المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، من كتبه (جامع التفاسير) كبير، طبعت مقدمته، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، والمفردات في غريب القرآن، وحل متشابهات القرآن وأفانين البلاغة. ت ٥٠٢ هـ انظر الأعلام ٢/٢٥٥.

(٢) وانظر الإتقان ٢/٣١٧-٣١٨.

(٣) الكتب المتقدمة: يغلب إطلاقها على التوراة والإنجيل، وتشمل الزبور والصحف، واختلف العلماء في وقوع الإعجاز بألفاظها، والذي جزم به الباقلاني عدم وقوع الإعجاز بذلك، أما في المعاني فالجمهور –وهو الصحيح أنها معجزة بالجملة، وإن كنا لا نجزم بصحة كلّ ما فيها اليوم لوقوع التحريف فيها. وانظر إعجاز القرآن للباقلاني ص٣١ وكتاب النبوات لابن تيمية ١٦٤-١٦٦. ورسالة إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ص٢٨٨-٢٩٠.

(٤) النظم في اللغة: الجمع مأخوذ من جمع اللؤلؤ في السلك. وفي الاصطلاح: تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل. وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالتها على ما يقتضيه العقل. التعريفات ص٢٤٢، واللسان ١٢/٥٧٨.

الأولى: ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض.

الثانية: تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض لتحصل الجمل المفيدة.

والثالثة: ضم بعض ذلك إلى بعض له مباد ومقاطع ومداخل ومخارج.

والرابعة: أن يعتبر في آخره السجع[1].

الخامسة: أن يجعل له مع ذلك وزن. ويقال له الشعر والمنظوم.

فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام ولكل ذلك نظم مخصوص والقرآن جامع لمحاسن الجميع"[2]أ.هـ.

وقال السكاكي[3]: "إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه، كالملاحة، وكما يدرك طيب نغم العارض لهذا الصوت ٤/أ ولا يدرك تحصيله لغير ذوي الفطرة السليمة إلا بإتقان علمي المعاني والبيان، والتمرن فيهما".[4]

---

(١) السجع: في اللغة: الترديد، وفي الاصطلاح: هو موالاة الكلام على وزن واحد. إعجاز القرآن للباقلاني ص ٥٧

(٢) مقدمة جامع التفاسير (١/١٤٠)، وانظر الإتقان (٤/١٠-١٢)وقد اختصره المؤلف.

(٣) السكاكي: سراج الدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦هـ. قال الذهبي في تاريخ الإسلام ٤٦١٥/١" إمام في النحو والتصريف وعلمي المعاني والبيان والاستدلال والعروض والشعر. وله النصيب الوافر في علم الكلام وسائر فنون العلوم. من رأى مصنفه علم تبحره ونبله وفضله" وانظر كشف الظنون ١٧٦٢/٢.

(٤) وانظر مفتاح العلوم ص٢٤٣ وذكر معناه، ونصه "هذه أقوال أربعة يخمسها ما يجده أصحاب الذوق من أن وجه الإعجاز هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة، ولا طريق لك على هذا الخامس إلا طول خدمة هذين العلمين بعد فضل إلهي من هبة يهبها بحكمته من يشاء، وهي النفس المستعدة لذلك، فكل ميسر لما خلق له، ولا استبعاداً في إنكار هذا الوجه ممن ليس معه ما يطلع عليه، فلكم سحبنا الذيل في إنكاره ثم ضممنا الذيل ما إن ننكره، فله الشكر على جزيل ما أولى، وله الحمد في الآخرة والأولى."أ.هـ. وما ذكره المؤلف مختصرا =

وقال أبو حيان التوحيدي[1]: "سئل بندار الفارسي[2] عن موضع الإعجاز من القرآن فقال: هذه مسألة فيها حيف[3] على المفتي، وذلك أنه شبيه بقولك: ما موضع الإنسان من الإنسان فليس للإنسان موضع من الإنسان، بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته ودللت على ذاته. كذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى شيء منه إلا كان ذلك المعنى آية في نفسه، ومعجزة لمحاوله وهدى لقائله."[4]. وقال الخطابي[5]: "إن أجناس الكلام مختلفة: منها البليغ الرصين

= هنا هو نص ما نقله عن السكاكي في المفتاح -الزركشي في البرهان ٢/١٠٠.

(١) أبو حيان التوحيدي: علي بن محمد بن العباس، قال الذهبي: صاحب زندقة وانحلال بقي إلى سنة أربعمائة والله أعلم" وانظر الكشف الحثيث ص٢٨٧ ولسان الميزان ٧/٣٨-٤١.

(٢) بندار الفارسي: بندار بن محمد أبو القاسم الفارسي الصوفي سمع بمصر أبا إبراهيم أحمد بن القاسم بن الميمون الحسني وحدث بصور فسمع منه غيث بن علي ثم وصل إلى دمشق صحبة العالمة ملكة وتوفي بدمشق بعد الثمانين وأربعمائة. تاريخ دمشق ١٠/٤٠٨.

(٣) حيف: قال في العين ٣/٣٠٧ " الحَيْفُ المَيْلُ في الحُكْم" وفي اللسان ٩/٣٢ "الحيف يكون من كل مَنْ حافَ أي جارَ".

(٤) ونقله عنه الزركشي في البرهان ٢/١٠٠ وتتمة كلامه " وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه، فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده"أ.هـ.

(٥) الخطابي: أبي سليمان أحمد وقيل حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب الإمام أبو سليمان الخطابي البستي ولد سنة ٣٠٨ وتوفي سنة ٣٨٨ هـ. من تصانيفه: إعلام السنن. شرح أسماء الله الحسنى. غريب الحديث. معالم السنن في شرح سنن أبي داود. وغير ذلك "قال السمعاني: كان الخطابي حجة صدوقاً رحل إلى العراق والحجاز وجال في خراسان وخرج إلى ما وراء النهر وكان يتجر في ملكه الحلال وينفق على الصلحاء من إخوانه" وانظر تذكرة الحفاظ ٣/١٠١٨ وتاريخ دمشق ١٢/٤٢٦ وسير أعلام النبلاء١٧/٢٣ والبداية والنهاية ١١/٢٣٦ وتاريخ الإسلام ١/٢٨٤٤ والوافي بالوفيات ١/٩٨٨ والعبر ١/١٧٠.

الجزل. ومنها الفصيح القريب السهل. ومنها الجائز الطلق الرسل.

وهذه أقسام الكلام المحمود فالأول أعلاها والثاني أوسطها والثالث أدناها فجاءت بلاغات القرآن في كل قسم من هذه الأقسام حصة. وأخذت من كل نوع شعبة. فانتظم لها بانتظام هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة، وهما على انفرادهما كالمتضادين، لأن العذوبة نتاج السهولة والجزالة والمتانة يعالجان نوعا من الوعورة، فكان اجتماع الأمرين في نظمه."[١]أ.هـ.

وقال ابن سراقة[٢]: اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن، فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواب، وما بلغوا في وجوه إعجاز القرآن جزءاً واحداً من عشر معشاره.

فقال قوم: الإيجاز مع البلاغة.[٣] وقال قوم: هو البيان والفصاحة.[٤] وقال آخرون: هو الرصف والنظم.[٥] وقال آخرون: كونه خارجاً عن

---

(١) القول في بيان إعجاز القرآن للخطابي ص ٢٣-٢٤

(٢) ابن سراقة: محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين الأنصاري محيي الدين أبو بكر الشاطبي المالكي الأندلسي المعروف بابن سراقة ولد سنة ٥٧٢ وتوفي بمصر سنة ٦٦٢ اثنتين وستين وستمائة. له من التصانيف أدب الشهود في التصوف. أعجاز القرآن. الحيل الرعية. كتاب الأعداد والحساب. ما لا يسع المكلف جهله" البداية والنهاية ٢٤٣/١٣ وتاريخ الإسلام ٤٢٢٤/١ والوافي بالوفيات ٩٢/١ وهدية العارفين ٥١٦/١.

(٣) لعله يشير إلى القول الذي اختاره ابن عطية ونقله عنه الزركشي في البرهان ٩٧/٢ وانظر المحرر الوجيز ٥٩/١-٦٢ و٢٠١-٢٠٢.

(٤) يشير إلى الوجه الذي اختاره الفخر الرازي رحمه الله ونقله عنه الزركشي في البرهان ٩٨/٢ وراجعه في كتابه (نهاية الإيجاز) ص٥٨.

(٥) يشير إلى القول المشهور عن الباقلاني ونقله عنه الزركشي في البرهان ٩٨/٢، راجعه في كتابه إعجاز القرآن ص٣٥.

جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر.(١)

وقال قوم: هو كون قارئه لا يكل وسامعه لا يمل ٤/ب وإن تكررت تلاوته.(٢) وقال آخرون: هو ما فيه من الأخبار عن الأمور الماضية.(٣)

وقال قوم: هو ما فيه من علم الغيب والحكم على الأمور بالقطع.(٤) وقال آخرون: هو كونه جامعاً لأمور يطول شرحها ويشق حصرها.(٥)

وقال الزركشي(٦): أهل التحقيق على أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على الانفراد.(٧)

---

(١) وهو أحد وجوه إعجاز القرآن في نظمه التي ذكرها الباقلاني ص٣٥ و لم أعرف من القائل به على انفراد، وقد حكاه الرازي أيضاً و لم ينسبه. نهاية الإيجاز ص٥٧.

(٢) لعله يشير إلى الوجه الذي ذكره الخطابي رحمه الله ونقله عنه الزركشي في البرهان٢/١٠٦ وراجعه في رسالة بيان الإعجاز ص٦٤-٦٥.

(٣) ونقله عنه الزركشي في البرهان ٢/٩٦ وهو الوجه الرابع، و لم يسم القائلين به، وضعفه من جهة عدم شموله لكل آي الكتاب العزيز، فهو لا يستقل بالإعجاز، ولكنه يقع به الإعجاز مع غيره.

(٤) لم أعرف القائلين به نصاً، وهو مجموع ما نقله الزركشي في البرهان في الأقوال الثالث والرابع والخامس ٢/٩٥-٩٦.

(٥) لم أعرف القائل به.

(٦) الزركشي: محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الموصلي الشافعي بدر الدين ولد في سنة ٧٤٥هـ وألف تصانيف كثيرة في عدة فنون وهو عالم في الحديث والتفسير وجميع العلوم ومن مصنفاته شرح البخاري والتنقيح على البخاري وشرح التنبيه والبرهان في علوم القرآن وتخريج أحاديث الرافعي وتفسير القرآن العظيم وكانت وفاته في سنة ٧٩٤هـ إنباء الغمر ١/١٦٨ طبقات المفسرين للأدنه وي ١/٣٠٢.

(٧) البرهان في علوم القرآن ٢/١٠٦ ونقله السيوطي عنه في الإتقان ٢/٣٢٢. وهو قول أهل =

وقال الرماني[١]: وجوه إعجاز القرآن تظهر من جهات ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة والتحدي للكافة، والصرفة والبلاغة والإخبار عن الأمور السابقة والمستقبلة ونقض العادة.[٢]

وقال القاضي عياض[٣]: إن القرآن منطوٍ على وجوه من الإعجاز:

أولها حسن تأليفه والتئام كلمته وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام. الثاني: صورة نظمه العجيب والأسلوب

= التحقيق وإلى ذلك أشار شيخ الإسلام في الجواب الصحيح ٤/٧٥ بقوله "بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له".

(١) الرماني: علي بن عيسى بن عبيدالله أبو الحسن النحوي المعروف روى عن ابن دريد وكانت له يد طولي في النحو واللغة والمنطق والكلام وله تفسير كبير وشهد عند ابن معروف فقبله وروى عنه التنوخي والجوهري قال ابن خلكان والرماني نسبة إلى بيع الرمان أو قصر الرمان بواسط توفي ٣٨٤هـ قال القفطي: له نحو مائة مصنف وكان مع اعتزاله شيعيا. البداية والنهاية١١/٣١٤ وطبقات المفسرين للسيوطي١/٦٨ وللأدنه وي١/٨٧ والوافي بالوفيات ١/٢٩٧٦.

(٢) النكت في إعجاز القرآن ص ٦٩ ونصه أنها "سبع جهات ".

(٣) القاضي عياض: "عياض بن موسى القاضي أبو الفضل اليحصبي البستي المراكشي المحدث المالكي ولد سنة ٤٧٦ وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤هـ. من تصانيفه: الأعلام في حدود الأحكام. إكمال المعلم شرح صحيح مسلم. بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب الإمام مالك. التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة والمختلطة في الفروع. السيف المسلول على من سب أصحاب الرسول. الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم. الصفا بتحرير الشفا." وغيرها وانظر: البداية والنهاية ١٢/٢٢٥-٢٢٧ وتاريخ الاسلام ١/٤٠٥٣ والوافي بالوفيات ١/٥٥٤ وهدية العارفين ١/٤٢٨ وغيرها.

الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقعت عليه مقاطع آياته وانتهت إليه فواصل كلماته.

وكل واحد من هذين النوعين: الإيجاز والبلاغة بذاتها والأسلوب الغريب بذاته نوع إعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما.

والوجه الثالث: ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن فوجد كما ورد. والرابع: ما أنبأ به من الأخبار بالقرون السالفة والأمم البائدة والشرائع التالدة مما لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ٥/أ فيأتي به على نصه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب.

فهذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها.

ومن الوجوه في الإعجاز إعلام قوم أنهم لا يفعلونها، فما فعلوا، وما قدروا على ذلك كقوله: ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾[1] فما تمناه أحد منهم. ومنها الروعة التي تلحق القلوب عند سماعه. وقد أسلم جماعة عند سماع آيات منه.

ومن إعجازه كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه.[2] ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب ولا أحاط بعلمها أحد.

قال: والأوجه التي قبله تعدّ في خواصه وفضائله لا الإعجاز.

وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة فليعتمد عليها."[3].

---

(١) الآية ٩٤-٩٥ سورة البقرة.

(٢) كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية ٩ سورة الحجر، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ الآية ١٧ سورة القيامة.

(٣) الشفا ١/٢٥٨-٢٨٠ والمؤلف اختصر كلامه كما ترى.

الفصل الثاني:

في ما أنزل من القرآن على لسان بعض الصحابة

هو في الحقيقة نوع من أسباب التنزول[١]، والأصل فيه موافقات عمر‌رضي الله عنه. قد أفردها بالتصنيف جماعة[٢].

أخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله جعل الحق

(١) استفاد المؤلف هذا الفصل من الإتقان للسيوطي ولخصه منه كما ظهر لي في التتبع وانظر الإتقان ١/٩٩-١٠١.

(٢) ومن تلك المصنفات نفائس الدرر في موافقات عمر – خ بكر جواهر زاده محمد بن الحسين الجراعي (٨٢٥ – ٨٨٣ هـ كما في الأعلام ٢/٦٣، ونظم الدرر في موافقات عمر للبدر الغزي أحمد بن حسين بن حسن بن عمرولد٨٩٧هـ الكواكب السائرة١/٢٦٠ قال في إيضاح المكنون ٢/٦٥٩(رأيت نسخة قديمة مكتوبة في آخره فرغ منها مؤلفه سنة ٩٣٢، وشرح نظم الدرر في موافقات عمر للبدر الغزي. شرحها أبو الفتح، شمس الدين الوفائي محمد بن إبراهيم بن محمد بن مقبل البلبيسي، فالمقدسي ثم الدمشقي ت٩٣٧هـ الأعلام ٥/٣٠٢ والكواكب السائرة ١/٢١٠ وهدية العارفين ٢/٧٠، وقطف الثمر في موافقات عمر للسيوطي ضمن الحاوي للفتاوى ١/٣٧٧. وطبع أيضاً بتحقيق أبي الفضل بدر العمراني الطنجي/كتاب في ١١٨صفحة/ طبعة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، واقتطاف الثمر في موافقات عمر عبد الباقي بن فقيه فصة ١٠٠٥ – ١٠٧١ هـ كما في معجم المؤلفين ٥/٧٢ وهدية العارفين ١/٢٥٩، والدر المستطاب في موافقات عمر بن الخطاب – لحامد ابن على بن ابراهيم بن عبدالرحيم العمادى المفتى الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ١١٧١ هـ كما في إيضاح المكنون١/٤٤٧، وفيض الوهاب في موافقات عمر بن الخطاب: للشيخ بدر الدين الحسني ت: ١٣٤٥هـ وهو شرح لمنظومة قطف الثمر في موافقات عمر للسيوطي، أحد كتابين لا ثالث لهما من كتب الشيخ بدر الدين.

على لسان عمر وقلبه)[١].

وأخرج البخاري وغيره عن أنس ﷺ قال: قال عمر: "وافقت ربي في ثلاث. قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فترلت ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[٢][٣]، واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة فقلت لهن: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾[٤] فترلت[٥]. وأخرج مسلم عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما قال: "وافقت ربي في ثلاث[٦]:

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب المناقب باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ح(٣٦١٥) والإمام أحمد في المسند ح(٨٨٤٦) والحاكم في المستدرك ح(٤٤٧٦)وقال "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، و لم يخرجاه بهذه السياقة" وصححه الألباني: صحيح الترمذي ٢٦١٦، ابن ماجه (١٠٨)و رقم (١٧٣٦) في صحيح الجامع.

(٢) الآية ١٢٥ سورة البقرة.

(٣) سقط من نص المؤلف الجملة الثانية (وآيةُ الحجاب قلتُ يا رسول اللّه لو أمرت نساءك أنْ يحتجبْن فإنه يكلمهن البر والفاجر فترلت آية الحجاب).

(٤) الآية ٥ سورة التحريم.

(٥) أخرجه البخاري كتاب الصلاة باب ما جاء في القبلة ح(٣٨٧).

(٦) قال ابن رجب رحمه الله: "وقول عمر: ((وافقت ربي في ثلاث))، ليس بصيغة حصر، فقد وافق في أكثر من هذه الخصال الثلاث والأربع" فتح الباري لابن رجب كتاب الصلاة / باب ما جاء في القبلة.

وقال ابن حجر رحمه الله: "والمعنى وافقني ربِّي فأنزل القرآن على وَفْق ما رأيت، لكن لرعاية الأدب أسْند المُوافقة إلى نفسه، أو أشارَ به إلى حُدُوث رَأْيه وقدم الحكْم، وليس في تخصِيصه العدد بالثلاث ما يَنْفِي الزيادة عليها؛ لأنَّه حصَلَت لهُ الموافقة في أشياء غيْر هذه من مشْهُورها قِصَّة أُسَارَى بَدْر وقصَّة الصَّلاة على المنافقين، وهُما في الصَّحِيح، وصَحَّحَ =

في الحجاب[١]، وفي أسارى بدر[٢]، وفي مقام إبراهيم[٣]"[٤].

٥/ب وأخرج ابن أبي حاتم عن أنس قال: قال عمر: "وافقت – أو وافقني – ربي في أربع: نزلت هذه الآية ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[٥] الآية فلما نزلت قلت أنا: فتبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[٦]"[٧].

= الترمذي من حديث ابن عمر أنَّهُ قَالَ "ما نزل بالناس أمْر قط فقالوا فيه وقالَ فيه عُمَر إلا نَزَل القرآن فيه على نَحْو ما قال عمر "وهذا دَالٌّ على كثرة موافقته، وأكثر ما وقفنا منها بالتعيين على خمسة عشر لكن ذلك بحسب المنقول" فتح الباري لابن حجر كتاب الصلاة باب ما جاء في القبلة.

(١) يشير إلى قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ الآية ٥٣ سورة الأحزاب.

(٢) يشير إلى قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية٦٧ سورة الأنفال.

(٣) يشير إلى قوله تعالى ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾الآية ١٢٥ سورة البقرة.

(٤) أخرجه البخاري كتاب الصلاة باب ما جاء في القبلة (٣٩٣) ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب في فضائل عمر (٢٣٩٩).

(٥) الآية ١٢-١٤سورة المؤمنون.

(٦) أخرجه مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل عمر رضي الله عنه ح(٤٤١٢).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(كما في ابن كثير٥/٤٦٨) وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور ١٠/٥٧٩، والطبراني في المعجم الكبير ح(١٢٠٧٨) قال الهيثمي وفيه أبو عبيدة بن الفضل بن عياض وهو لين، وبقية رجاله ثقات مجمع الزوائد ٤/٩٦ وقال في كنْز العمال (٣٥٧٤٧) "وهو صحيح"، والحديث عند البخاري (٤٤٨٣) بدون ذكر ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾.

وأخرج عبد الرحمن بن أبي ليلى[1] أن يهوديا لقي عمر بن الخطاب فقال: إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا. فقال عمر: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[2]. قال فنزلت على لسان عمر"[3].

وأخرج سنيد[4] في تفسيره عن سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ما قيل في أمر عائشة قال: ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾[5]، فنزلت كذلك[6]. وأخرج ابن أخي ميمي[7] في فوائده عن سعيد بن المسيب قال: كان رجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا سمعوا شيئا من ذلك قال: ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا

(١) عبدالرحمن بن أبي ليلى، من أئمة التابعين وثقاتهم. أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ذكره العقيلي في كتابه متعلقا بقول إبراهيم النخعي فيه: كان صاحب أمراء. وبمثل هذا لا يلين الثقة. مات ٨٣. الكاشف للذهبي ٦٤١/١، وميزان الاعتدال للذهبي ٥٨٤/٢.

(٢) الآية ٩٨سورة البقرة.

(٣) أخرجه ابن جرير بنحوه ٢٩٢/٢، وابن أبي حاتم ١٨٢/١، وانظر الدر المنثور ٤٨١/١.

(٤) سنيد: اسمه الحسين بن داود المصيصي أبو علي المحتسب. روى عن حماد بن زيد وشريك وابن المبارك وخلق وعنه أبو زرعة وأبو بكر الأثرم وخلق. وصنف التفسير مات في سنة ٢٢٦هـ.طبقات الحفاظ ٣٨/١ ولسان الميزان ٢٠٩/٣، وتقريب التهذيب٣٩٧/١، وسير أعلام البلاء١٠/٦٢٨.

(٥) الآية ١٦ سورة النور.

(٦) الخبر مرسل قال ابن حجر في الفتح ١٣/ ٣٥٥ " وفي تفسير سُنَيْد من مرسل سعيد بن جُبير.. ".

(٧) ابن أخي ميمي: أبو الحسين محمد بن عبد الله بن الحسين البغدادي الحنبلي. الْمَعْرُوف بِابْنِ أَخِي مِيمِي روى عن البغويّ وجماعة، وله أجزاء مشهورة، توفي في رجب سنة ٣٩١هـ العبر في خبر من غبر ١٧١/١ وطبقات الحنابلة ٢٣٨/١. وسير أعلام النبلاء ٥٦٥/١٦.

بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾، زيد بن حارثة وأبو أيوب، فترلت كذلك"[١].

وقال ابن سعد[٢] في الطبقات بسنده إلى محمد بن شرحبيل العبدري عن أبيه قال: "حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى فأخذ اللواء بيده اليسرى وهو يقول: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ ﴾[٣]، ثم قطعت يده اليسرى فحنا على اللواء وضمه إلى صدره وهو يقول: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ... ﴾ الآية. ثم قتل فسقط اللواء. قال محمد بن شرحبيل[٤]: وما نزلت هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ

---

(١) قال ابن حجر رحمه الله: وفي روايتنا في فوائد ابن أخي ميمي من مرسل سعيد بن المسيب وغيره،... الخبر، ثم زاد رحمه الله فائدة "وفي الإكليل للحاكم من طريق الواقدي أن أُبَيَّ ابن كعب قال ذلك، وحكي عن المبهمات لابن بشكوال و لم أره أنا فيها أن قتادة بن النعمان قال ذلك " فإن ثبت فقد اجتمع ممن قال ذلك ستة: أربعة من الأنصار ومهاجريان ".فتح الباري ٣٥٥/١٣ شرح حديث (٧٣٧٠).

(٢) ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري كاتب الواقدي كان أحد الفضلاء النبلاء الأجلاء صحب الواقدي زمانا وكتب له وعرف به، ألّف كتبه من تصنيفات الواقدي، كان كثير العلم، كثير الحديث والرواية، كثير الكتب، كتب الحديث والفقه والغريب قال الخطيب البغدادي: ومحمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه؛ يتحرى في كثير من رواياته. مات ٢٣٠هـ سير أعلام النبلاء ٦٦٦/١٠ وتذكرة الحفاظ٤٢٥/٢.

(٣) الآية ١٤٤ سورة آل عمران.

(٤) محمد بن ثابت بن شرحبيل بن أبي عزيز ويقال عبدالرحمن بن شرحبيل ابن أبي عزيز بن عبدالدار بن قصي العبدري أبو مصعب الحجازي وقد ينسب إلى جده.روى عن أبي هريرة وابن عمر وعبد الله بن يزيد الخطمي وعقبة بن عامر وغيرهم.وعنه ابناه إبراهيم ومصعب ويزيد بن عبدالله بن قسيط ومحمد بن طلحة بن يزيد ابن ركانة ومحمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي وغيرهم.ذكره ابن حبان في الثقات. تهذيب التهذيب٧٣/٩ =

﴿إِلَّا رَسُولٌ...﴾ يومئذ!! حتى نزلت بعد ذلك[1]"[2]. ٦/أ

وأخرج ابن الأثير[3] بسنده إلى عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت: أخبرني بأشد شيء رأيت صنعه المشركون برسول الله ﷺ؟ قال: أقبل عقبة بن أبي معيط ورسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ منكبه فدفعه عن رسول الله ﷺ ثم قال أبو بكر: يا قوم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[4][5].

= مقبول من الرابعة تقريب التهذيب ٤٧٠/٢.

(١) يقصد أنها لم تنزل قرآناً يتلى، وإلاّ فقد تعلموها مبدءا من مبادئ شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، فغاية الأمر حصول الموافقة بين قوله وبين ما جعله الله قرآناً يتلى وقاعدة تشريع للأمة إلى يوم الدين مذكراً ومنبهاً.

(٢) الطبقات الكبرى ١٢٠/٣.

(٣) ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني عز الدين أبو الحسن الجزري الموصلي المعروف بابن الأثير الفقيه المؤرخ الشافعي ولد سنة ٥٥٥، من تصانيفه: آداب السياسة. أسد الغابة في معرفة الصحابة مطبوع بمصر في خمس مجلدات. تاريخ دولة الأنابكية بموصل. تحفة العجائب وطرفة الغرائب في التاريخ. الجامع الكبير في علم البيان. الكامل في التاريخ من أول الزمان إلى سنة ٦٢٨. كتاب الجهاد. اللباب في تهذيب الإنسان وهو تلخيص أنساب السمعاني. وغير ذلك. وتوفي بالموصل سنة ٦٣٠ هـ سير أعلام النبلاء ٣٥٤/٢٢.

(٤) الآية ٢٨ سورة غافر.

(٥) الخبر أخرجه البخاري كتاب المناقب باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً (٣٤٠٢) وباب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة (٣٥٦٧) وكتاب التفسير باب (لم يسمه) ح(٤٤٤١).

الفصل الثالث: في قدر المعجز من القرآن

ذهب بعض المعتزلة[١] إلى أنه يتعلق بجميع القرآن[٢]، والآيتان السابقتان[٣] ترده. وقال القاضي: يتعلق الإعجاز بسورة طويلة كانت أو قصيرة، تشبثا بظاهر قوله ﴿بِسُورَةٍ﴾ وقال في موضع آخر: يتعلق بسورة وإن كانت كسورة الكوثر فذلك معجز. وقال: ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر.[٤]

وقال قوم: لا يحصل الإعجاز بآية بل يشترط الآيات الكثيرة.[٥]

---

(١) لم أعرف من قال به منهم، ولكن حكاه عنهم الباقلاني رحمه الله ص٢٥٤

(٢) انظر إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٥٤ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٧/٤. ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص٢٦٤.

(٣) يشير إلى قوله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الآيتين٢٣-٢٤ و﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الآية٣٨يونس، وآية هود ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ الآية ١٣سورة هود، وانظر الإتقان للسيوطي ١٨/٤.

(٤) بل إن الإمام ابن كثير رحمه الله نص على أنه لا نزاع في ذلك بين الناس سلفاً وخلفاً. تفسير القرآن العظيم ٦٢/١، وهذا القول هو قول عامة الناس وذلك لأن كل ما يخالفه يخالف نص الآية ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ الآية ٣٨ سورة يونس. وانظر الإتقان للسيوطي ١٨/٤.

(٥) وانظر الإتقان للسيوطي ١٨/٤.

وقال آخرون: يتعلق بقليل القرآن وكثيره لقوله: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾[1] قال القاضي: ولادلالة في الآية لأن الحديث التام لا يتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة.[2]. وقال السكاكي في آخر المفتاح: إن القول المنصور عندنا التحدي به إما بسورة من الطوال أو عشر من الأوساط.[3]

وقال البيضاوي[4] في قوله تعالى: ٦/ب ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ الآية، السورة: طائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات.[5]

وقال الخفاجي[6] في شرح قوله: "أقلها ثلاث آيات" المراد به جنس تلك الطائفة المسماة بالسورة متفاوت قلة وكثرة وغاية قلتها ثلاث آيات. انتهى.[7]

---

(١) الآية ٣٤ سورة الطور.

(٢) وانظر الإتقان للسيوطي ١٨/٤.

(٣) المفتاح ٢٧٨/١. وهذا القول غريب وعجيب، وبطلانه لايحتاج لتأمل، وانظر إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ص١٦٧، وإعجاز القرآن للباقلاني ٢٥٤، والبرهان للزركشي ١٠٨/٢، والإتقان للسيوطي١٧/٤.

(٤) البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي صاحب التفسير المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل وله شرح المصابيح في الحديث، كان إماما مبرزا نظارا صالحا متعبدا زاهدا، وكانت وفاته في بلدة تبريز ٦٨٥هـ. طبقات السبكي والبداية والنهاية ٣٠٩/١٣ والوافي بالوفيات ٢٤٤٧/١ وطبقات المفسرين للأدنه وي ٢٥٤/١.

(٥) تفسير البيضاوي ٤٥/١.

(٦) الخفاجي: أحمد بن محمد بن عمر الملقب شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي صاحب تحريرات بديعة ومؤلفات عديدة، أديب بارع ت ١٠٦٩هـ، وانظر خلاصة الأثر ٢١٠/١-٢١٤ والأعلام ٢٣٨/١

(٧) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ٤٦١/٢.

وإذا كان ما تلونا عليك سابقا بمرأى منك ومسمع لا يخفى عليك أن الله العزيز القدير الخبير البصير قد أخبر في كتابه الكريم أن الجن والإنس لا يستطيعون أن يأتوا بمثله ﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[١] ونصيراً[٢]؛ فلو كان الإعجاز في كل آية قصيرة أقل من ثلاث آيات لوقع الكذب في إخباره سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا. لأن الكتب الشرعية المعتمد عليها مشتملة على آيات نزلت على ما نطق به بعض الصحابة رضوان الله عليهم لا يسوغ لأحد أن ينبذها وراء ظهره ويخترع مذهبا رديا، تضحك عليه الصبيان الرضع، بل البهائم الرتع، وتبكي عليه العباد الركع والأمجاد الخشع[٣]، وإن تعجب فعجب قولهم: إنا نمشي مسلك السلف ولا نتخلف عما عليه الخلف![٤] ألم يعلموا أن ذلك مما يطفئ نور الله !﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ ﴾[٥]، وينكي عين الإسلام مع جلاء بهائه وظهوره، ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾[٦]،

---

(١) الآية ٨٨ الإسراء.

(٢) النصير: قال ابن العربي ٥١/٤ "وهو الذي يتابع آلاءه على أوليائه، ويكُفُّ عنهم عادية أعدائه".

(٣) قوله (الأمجاد الخشع) أي: صاحب كل مجد، من علمٍ أو عبادة لله، خاشع أي مخلص مخبت لربه يرجو ثوابه ويخاف عقابه.

(٤) قد يُفهم من كلامه رحمه الله أن هذا قول محدث لا يعرفه المتقدمون من السلف، والصحيح خلاف ذلك فإن في جواب الباقلاني عن القول بما هو أقل من السورة القصيرة وجوابه عن استدلالهم بآية ﴿ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾ الطور ٣٤ ما يدل بصراحة على وجود هذا القول، ومعرفته به وبوجه استدلالهم، فلينتبه لهذا – مهما كان الرأي الذي نختاره.

(٥) الآية ٨ سورة الصف.

(٦) الآية ٩١ سورة الأنعام، والآية ٦٧ سورة الزمر

إذ جعلوا الإعجاز في أقل من ثلاث آيات فأتى بعض عباده بآية أو آيتين، كلا! ٧/أ بل من ﴿ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[1]، وما أوضح وأحكم من الإسلام دليلا، فكلام هذا الزاعم لو سلمه المسلم العامي لحُسْنِ اعتقاده – لا فائدة فيه! إذ المخالف لدين الإسلام يرده على وجهه وينافيه، ويقول: إن كتابكم طلب من الجن والإنس أن يأتوا بمثله!! فها قد جاء بعضكم بمثله!! –ولو بآية– فأين هذا كلام الخالق؟ وكيف معنى الإعجاز فيما قلتم فيه الشفاء والنور والهداية؟!.

بل يأتي على هذا الإنسان الزاعم حين من الدهر يغلب على المخالف محاجةً ويذب عن الدين الحق نقصانه وخداجه[2].

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لاتشبع ومن دعاء لا يُسمع[3]، ومن هؤلاء الأربع[4] فقط.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) الآية ١٢٢ سورة النساء.

(٢) خداجه: "خَدَجَت الناقةُ وكلُّ ذات ظِلْفٍ وحافِرٍ.. ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام الأيام وإن كان تامَّ الخَلْق" اللسان٢/٢٤٨ وتاج العروس ١٣٧١والقاموس المحيط٢٧٣. وهو بمعنى النقصان عموماً لكن ظاهره التمام، وهذا مقصد المؤلف الاعتذار عما بان من نقصه أو خفي.

(٣) في المخطوطة (لا تسمع) والتصحيح من روايات الحديث عند الترمذي والنسائي وأحمد وغيرهم.

(٤) هذا الدعاء ورد في الحديث عند الإمام مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التعوذ من شر ما عمل ح٤٨٩٩ دون (ومن هؤلاء الأربع) وهي في السنن والمسانيد وصححها الألباني، صحيح الترمذي ٣٤٢٩ وصحيح النسائي ٥٤٤٢ وصحيح الجامع ١٣٠٨ و١٢٨٦ و١٢٩٥ و١٢٩٧ وغيرها.

قال مؤلفه رحمه الله: قد فرغت من زبر هذه العجالة مسودها ومبيضتها، في جلستين في يوم واحد من وقت الإشراق إلى وقت الغروب، في شهر شعبان المعظم سنة ١٢٩٥، بمحلة الرئيسة العالية الكريمة النواب: شاه جهان بيكم(١) صاحبة الدرة اليتيمة—وفقها الله تعالى بصالح الأعمال وأحسن عاقبتها في الحال والمآل.

وأنا الفقير الجاني أبو الفتح عبد الرشيد الكشميري الشويباني عفا الله عنه.

(١) سبقت ترجمتها في الدراسة.

قائمة المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

١. أبجد العلوم – صديق حسن القنوجي – تحقيق: عبد الجبار زكار– دار الكتب العلمية – بيروت– ط (١٩٧٨م).

٢. ابن تيمية ومنهجه في التفسير– د.ناصر بن محمد الحميد – رسالة دكتوراه جامعة الإمام بالرياض – مرقوم بالآلة– فولسكاب.

٣. الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي – دار التراث – القاهرة – ط٣ (١٤٠٥هـ).

٤. أحكام القرآن– لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي – تحقيق: محمد البجاوي– دار المعرفة بيروت.

٥. إعجاز القرآن – للباقلاني – تحقيق: عبد الرؤوف مخلوف – دار الحياة – بيروت– (١٩٧٨م).

٦. إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام – رسالة ماجستير – محمد بن عبد العزيز العواجي– الجامعة الإسلامية – (١٤١٤هـ).

٧. الأعلام قاموس تراجم– خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – بيروت لبنان – ط٨(١٩٨٩م).

٨. إنباء الغمر بأبناء العمر – أحمد بن علي بن حجر – دار الكتب العلمية– بيروت (مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية)– ط٢ (١٤٠٦هـ).

٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل – عبد الله بن عمر البيضاوي– المكتبة التوقيفية – القاهرة.

١٠. البداية والنهاية – الحافظ ابن كثير الدمشقي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١(١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م).

١١. البرهان في علوم القرآن – محمد بن عبد الله الزركشي– تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الجيل – بيروت– ط(١٤٠٨هـ).

١٢. تاج العروس – محمد مرتضى الزبيدي– تحقيق:مجموعة من الأساتذة – مطبعة حكومة الكويت.

١٣. تاريخ الإسلام في وفيات المشاهير والأعلام – الذهبي – تحقيق: عمر تدمر – دار الكتاب العربي – بيروت – ط٢(١٤١٠هـ).

١٤. تاريخ الأمم والملوك – محمد بن جرير الطبري – دار الكتب العلمية – بيروت (١٤٠٧هـ).

١٥. تاريخ دمشق – على بن الحسن ابن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر – دار الفكر بيروت– ط(١٤١٥هـ).

١٦. التحرير والتنوير – محمد الطاهر ابن عاشور – الدار التونسية للنشر – ط١(١٩٨٤مـ).

١٧. تذكرة الحفاظ– محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله – دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان.

١٨. التعريفات للجرجاني – على بن محمد بن على الجرجاني– تحقيق: إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي – بيروت– ط١(١٤٠٥هـ).

١٩. تفسير القرآن العظيم – إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي – تحقيق سامي بن محمد السلامة – دار طيبة للنشر والتوزيع – ط١ (١٤١٨هـ-١٩٩٧مـ).

٢٠. تفسير القرآن العظيم– ابن أبي حاتم – مكتبة نوار مصطفى الباز– مكة المكرمة – الرياض– ط١(١٤١٧هـ).

٢١. تقريب التهذيب – أحمد بن على بن حجر العسقلاني– دار الرشد – سوريا– ط١(١٤٠٦هـ).

٢٢. تهذيب التهذيب– أحمد بن على بن حجر العسقلاني– دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – لبنان –ط١–١٤٠٤هـ١٩٨٤م.

٢٣. جامع البيان عن تفسير آي القرآن – محمد بن جرير الطبري – تحقيق د. عبدالله بن عبد المحسن التركي – مركز البحوث والدراسات الإسلامية – القاهرة –ط١(١٤٢٢هـ-٢٠٠١مـ).

٢٤. جامع الترمذي – محمد بن عيسى الترمذي – بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض – (١٤١٩هـ-١٩٨٩مـ)– اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

٢٥. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – دار العاصمة – الرياض – ط١ (١٤١٤هـ).

٢٦. خصائص القرآن الكريم– فهد بن عبد الرحمن الرومي – مكتبة المعارف– ط٥(١٤١٠هـ).

٢٧. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر–محمد الأمين بن فضل الله المحبي–دار صادر – بيروت.

٢٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور – لجلال الدين السيوطي – تحقيق عبد المحسن التركي – مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية والعربية – القاهرة – ط١(١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣مـ).

٢٩. الدين الخالص–محمد صديق حسن القنوجي البخاري –تحقيق محمد زهري النجار–دار

التراث–القاهرة.

٣٠. رسالة القول في بيان الإعجاز – حمد بن محمد الخطابي – تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام – دار المعارف – القاهرة – ط٤.

٣١. سنن ابن ماجه – محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني – بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض – (١٤١٩هـ–١٩٨٩مـ)- اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

٣٢. سنن أبي داود – سليمان بن الأشعث السجستاني – بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض – (١٤١٩هـ–١٩٨٩مـ)- اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

٣٣. سنن النسائي – بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض – (١٤١٩هـ–١٩٨٩مـ)- اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

٣٤. سير أعلام النبلاء – محمد بن أحمد الذهبي – بإشراف شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٣(١٤٠٧هـ١٩٨٧م).

٣٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب–عبدالحي ابن العماد الحنبلي–دار الفكر–بيروت.

٣٦. الشفا بتعريف حقوق المصطفى – للقاضي عياض – تحقيق/ على محمد – دار الكتاب العربي – بيروت– ط١(١٤٠٤هـ).

٣٧. صحيح البخاري – محمد بن إسماعيل البخاري – بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض – (١٤١٩هـ–١٩٨٩مـ)- اعتناء أبو صهيب الكرمي.

٣٨. صحيح الجامع الصغير وزياداته – محمد ناصر الدين الألباني – تعليق وفهرسة زهير الشاويش – المكتب الإسلامي – بيروت – ط٣(١٤١٠هـ–١٩٩٠مـ).

٣٩. صحيح سنن ابن ماجه – محمد ناصر الدين الألباني – تعليق وفهرسة زهير الشاويش – المكتب الإسلامي – بيروت – ط١(١٤٠٨هـ–١٩٨٨مـ).

٤٠. صحيح سنن أبي داود – محمد ناصر الدين الألباني – تعليق وفهرسة زهير الشاويش – المكتب الإسلامي – بيروت – ط١(١٤٠٨هـ–١٩٨٨مـ).

٤١. صحيح سنن الترمذي – محمد ناصر الدين الألباني – تعليق وفهرسة زهير الشاويش – المكتب الإسلامي – بيروت – ط١(١٤٠٨هـ–١٩٨٨مـ).

٤٢. صحيح سنن النسائي – محمد ناصر الدين الألباني – تعليق وفهرسة زهير الشاويش – المكتب الإسلامي – بيروت – ط١(١٤٠٨هـ–١٩٨٨مـ).

٤٣. طبقات الحفاظ والمفسرين–أبوبكر عبدالرحمن بن محمد السيوطي – تحقيق عبدالعزيز عزالدين السيروان–عالم الكتب–بيروت–ط١، (١٤٠٤هـ)

٤٤. طبقات الحنابلة– القاضي محمد بن أبي يعلى– دار المعرفة للطباعة والنشر– بيروت.

٤٥. طبقات الشافعية الكبرى-تاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكي – تحقيق عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي – عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة.

٤٦. الطبقات الكبرى – محمد بن سعد الزهري – تحقيق / إحسان عباس – دار صادر –بيروت – ط١(١٩٦٨م).

٤٧. طبقات المفسرين – عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – مكتبة وهبة – القاهرة – ط١(١٣٩٦هـ).

٤٨. طبقات المفسرين– أحمد بن محمد الأدنه وي – مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة – ط١(١٩٩٧م).

٤٩. العبر في خبر من غبر – محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي–تحقيق محمد السيد بن بسيوني زغلول–دار الكتب العلمية–بيروت – ط١ (١٤٠٥هـ).

٥٠. غريب الحديث – حمدي بن محمد الخطابي – جامعة أم القرى – مكة المكرمة – ط(١٤٠٢هـ).

٥١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري – أحمد بن على بن حجر العسقلاني – ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي – دار الريان للتراث – القاهرة – ط١(١٤٠٧هـ–١٩٨٦م).

٥٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري–الحافظ زين الدين أبو الفرج ابن رجب – تحقيق مجموعة من المحققين–مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة النبوية – ط١ (١٤١٧هـ).

٥٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل– على بن أحمد بن حزم الظاهري – مكتبة الخانجي– القاهرة.

٥٤. القاموس المحيط – الفيروزآبادي – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢(١٠٧هـ– ١٩٨٧م).

٥٥. الكامل في التاريخ– ابن الأثير – دار الكتاب العربي – بيروت– ط٣(١٤٠٠هـ).

٥٦. كتاب العين – الخليل بن أحمد الفراهيدي – دار ومكتبة الهلال– تحقيق: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي.

٥٧. الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث – إبراهيم بن محمد بن سبط الحلبي الطرابلسي– عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية – بيروت– ط١(١٤٠٧هـ).

٥٨. كشف الظنون عن أسامي الفنون – مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة – دار العلوم الحديثة–بيروت.

٥٩. الكليات– أيوب بن محمد الكفوي– مؤسسة الرسالة– بيروت (١٤١٢٣هـ).

٦٠. كنز العمال– على بن حسام الدين المتقي الهندي– مؤسسة الرسالة – بيروت– ط(١٩٨٩م).

٦١. لسان العرب – ابن منظور – دار صادر – بيروت.

٦٢. لسان الميزان – أحمد بن على بن حجر العسقلاني – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت– ط٣ (١٤٠٦هـ).

٦٣. مباحث في علوم القرآن – مناع القطان – مؤسسة الرسالة – بيروت– ط١٧ (١٤١١هـ).

٦٤. مجمع الزوائد – على بن أبي بكر الهيثمي – دار الريان للتراث ودار الكتب العلمية – القاهرة، بيروت.

٦٥. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – طبع بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين.

٦٦. المحرر الوجيز في الكتاب العزيز – عبد الحق بن عطية الأندلسي– مؤسسة دار العلوم– الدوحة – ط١(١٣٩٨هـ– ١٩٧٧مـ).

٦٧. المستدرك على الصحيحين – محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري – تحقيق مصطفى عبد القادر عطا– دار الكتب العلمية – بيروت – ط ١ (١٤١١هـ – ١٩٩٠م).

٦٨. مسند الإمام أحمد – بإشراف المحقق الشيخ شعيب الأرنؤوط– مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١(١٤١٨هـ–١٩٩٧مـ).

٦٩. المعجم الكبير– سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني– مكتبة العلوم والحكم – الموصل– ط٢ (١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

٧٠. معجم المطبوعات – صلاح الدين المنجد –دار الكتاب الجديد– بيروت– ط(١٩٨٢م).

٧١. المعجم الوسيط – د. إبراهيم أنيس ورفاقه – ط٢.

٧٢. مفتاح العلوم – يوسف بن أبي بكر السكاكي– المطبعة الميمنية – ط١– نشر الباب الحلبي.

٧٣. مقدمة جامع التفسير – لحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ت(٥٠٢)– تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار الدعوة، الكويت – ط١ (١٤٠٥هـ).

٧٤. مناهل العرفان – محمد عبدالعظيم الزرقاني– عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة.– ط٣.

٧٥. المواقف عبد الرحمن بن أحمد الإيجي– دار الجيل– بيروت ط١ (١٩٩٧هـ).

٧٦. نزهة الخواطر وبهجة السامع والنواظر –عبد الحي بن هبة الله الحسيني الهندي مع تتمتها لابنه أبي سليمان الهندي– المطبعة العثمانية في حيد أباد الدكن – الهند

٧٧. نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض – أحمد بن محمد الخفاجي– مصورة دار الفكر ببيروت – عن الأزهرية– القاهرة– ط(١٣٢٧هـ).

٧٨. النكت في إعجاز القرآن– على بن عيسى الرماني – تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام – دار المعارف – القاهرة – ط٤.

٧٩. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز– فخر الدين الرازي– تحقيق: أحمد حجازي السقا– المكتب

الثقافي القاهرة.
٨٠. النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير - تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطنّاحي- المكتبة العلمية - بيروت- (١٣٩٩هـ).
٨١. هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين - إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي- دار العلوم الحديثة-بيروت.
٨٢. الوافي بالوفيات -صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي - اعتناء س.رينغ - فرانزشتاينر- ط٢.

فهرس الموضوعات



اَلْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي المَعْنَى الشَّرْعِيِّ لِمُسَمَّيَاتِهِ المَنْفِيَّةِ

(دراسة تحليليّة)

إعْدادُ :

د. دَخِيلِ بْنِ صَالِحِ اللِّحَيْدَان

الأُسْتَاذِ المُشَارِكِ فِي كُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ فِي جَامِعَةِ الإِمَامِ بِالرِّيَاضِ

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وأزواجه وذريته وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن العناية بشرح ألفاظ الأحاديث النبوية الشريفة، وبيان معانيها الشرعية ودلالتها الموافقة لمراد الله جل ثناؤه ورسولهﷺ، هو: المنهج العلمي السليم الذي سار عليه السلف الصالح، ومن سار على نهجهم في شرحها، وهو أصل في الدراسات الحديثية التحليلة.

والسنة النبوية المطهرة نفسها، هي: الأصل الثاني، بعد القرآن الكريم – كـــلام رب العالمين – في معرفة المعنى الشرعي الذي يدل عليه صريح لفظ النص، أو قرينة سياقه، سواء كان ذلك في النص ذاته أم بنص آخر، والآيات القرانية الكريمة، والأحاديث النبوية الثابتة يُفسر بعضها بعضاً.

والتعطيل والتحريف والتأويل المذموم للفظ النص الشرعي أو معناه في مسائل الاعتقاد يكاد يمتد أثره إلى جميع النصوص الشرعية المتعلقة بأبواب علوم الدين الإسلامي عباداته ومعاملاته وآدابه وغيرها، فهو مقتضى اطراد الفهم المخالف للمعنى الشرعي.

والألفاظ والمسميات لها معاني لغوية وشرعية واصطلاحية وعرفية، متفقة أو متنوعة أو مختلفة، ومن المذموم منها مخالفة المعنى الشرعي المراد الذي يقتضيه النص – وهو الأقرب لغة – إلى المعنى البعيد دون دليل معتبر يقتضيه، أو ادعاء التطابق بين المعنى الشرعي والاصطلاحي مع اختلافهما، أو فهم النصوص الشرعية وفق معنى عرفي أو مولد يُخالف مراد الشارع، أو التعبير عن المعاني

الشرعية بألفاظ مولدة فيها إجمال يشتمل على حق وباطل.

والمعنى الشرعي الثابت، هو: الأصل الذي يجب حمل غيره عليه.

ومعرفة المعنى الشرعي نفياً وإثباتاً، باب عظيم الأثر جليل الخطر، فهو أصل في الاستدلال بكلام الله جل ثناؤه، وكلام رسوله ﷺ، والإخلال به من أسباب ظلال أهل الأهواء والبدع في مسائل الاعتقاد، فمنهم من يستدل ببعض النصوص ويترك ما يُخالف هواه، ومنهم من يُحرفها عن معناها الشرعي بحيث يشملهم قول المولى عز وجل: ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾(١)، كما أنه من أسباب الخطأ في المسائل الفقهية المُفضي إلى العمل بالقول المرجوح المخالف للحكم الشرعي المراد، قال الامام أحمد: «أكثر ما يُخطىء الناس من جهة التأويل»(٢). وذكر شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية أن أهل الأهواء: «قد عدلوا في هذا الأصل عن بيان الكتاب، والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، واعتمدوا على رأيهم وعلى ما تأولوه بفهمهم اللغة، وهذه طريقة أهل البدع»(٣).

والعناية بالمعنى الشرعي، هو: من الرد إلى الله تعالي، ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله ورسوله﴾(٤)، قال مجاهد: ﴿إلى الله﴾ إلى كتابه، وإلى رسوله: إلى سنة نبيه ﷺ(٥)، وقال ابن جرير الطبري: «يعني بذلك: من كتاب الله، فاتبعوا ما وجدتم، وأما قوله: ﴿والرسول﴾، فإنه يقول: فإن لم تجدوا إلى علم ذلك في كتاب الله سبيلاً، فارتادوا معرفة ذلك أيضاً من عند الرسول

(١) سورة المائدة ١٣.

(٢) القواعد النورانية ١٨٤.

(٣) مجموع الفتاوى ١١٨/٧.

(٤) سورة النساء ٥٩.

(٥) تفسير الصنعاني ١٦٧/١.

إن كان حياً، وإن كان ميتاً فمن سنته»[١]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا تدبرت كتاب الله تبين أنه يفصل النزاع بين من يُحْسِنُ الرد إليه، وأنّ من لم يهتد إلى ذلك، فهو إما لعدم استطاعته فيُعذر، أو لتفريطه فيلام»[٢]، وقال الحافظ ابن كثير: «هذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾[٣]، فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة، فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال»[٤].

وكما أن السنة النبوية المطهرة تأتي بحكم مستقل ليس في القرآن الكريم، أو تنسخه، فهي كذلك تأتي: مبينة لمراد الشارع، قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم من ربهم﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾[٦].

لذا يجب اتباع المعنى الشرعي إثباتاً ونفياً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المعاني الثابتة بالكتاب والسنة يجب إثباها، والمعاني المنفية بالكتاب والسنة يجب نفيها، والعبارة الدالة على المعاني نفياً وإثباتاً إن وجدت في كلام الله ورسوله ﷺ وجب إقرارها، وإن وجدت في كلام أحد وظهر مراده من ذلك رتب عليه حكمه وإلا رُجع فيه إليه، وقد يكون في كلام الله ورسوله عبارة لها معنى

(١) جامع البيان (تفسير الطبري) ٥/١٥٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٤/٦٣ـ ٦٥.

(٣) سورة الشورى ١٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١/٥١٩.

(٥) سورة النحل ٤٤.

(٦) سورة إبراهيم ٤.

صحيح، لكن بعض الناس يفهم من تلك غير مراد الله ورسوله ﷺ فهذا يُردّ عليه فهمه»[1]. ومن هنا جاء اختيار هذا البحث في جانب من المعاني الشرعية المتعلقة بالسنة النبوية المشرفة، ذكرت فيه أهم النماذج التطبيقية، في ضوء دراسة حديثية تحليلة، تكون كالأصل في معرفة المعنى الشرعي لجميع ما جاء في الباب، بعنوان: «الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي لمسمياته المنفية دراسة حديثية تحليلية».

أهميته، وأسباب اختياره:

١- أثر الدراسة الحديثية التحليلية في معرفة المعنى الشرعي المراد بالمسميات الشرعية المنفية الواردة في لفظ الشارع.

٢- أن الإخلال بالمعنى الشرعي من أسباب الضلال في مسائل الاعتقاد، والخطأ في مسائل الفروع.

٣- حاجة المكتبة العلمية إلى دراسة علمية حديثية تحليليّة مفردة، تعتني بالمعنى الشرعي المراد بأحاديث الباب في ضوء شرح الأئمة الأعلام المعروفين بسلامة الاعتقاد، سيما مع تناثر كلامهم في بطون الكتب مما يُلحق المشقة في الوقوف عليه.

الدراسات السابقة: لم أقف على دراسة حديثية تحليلية مفردة تُعنى بمعرفة المعنى الشرعي المراد بالمسميات الشرعية المنفية الواردة في لفظ الشارع.

هدف البحث: بيان الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي لمسميات الشارع المنفية، ودراستها دراسة حديثية تحليلة تُبين مقتضى نفيها في ضوء السنة النبوية المشرفة.

خطة البحث: يتكون البحث بعد المقدمة السابقة، من:

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١١٠.

الفصل الأول: تعريف بعنوان البحث، وبيان مقتضاه، وحكمه، في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف بعنوان البحث.

المبحث الثاني: المقتضى الشرعي لمسمياته المنفية الواردة في الأحاديث النبوية.

المبحث الثالث: الحكم الشرعي لمسمياته المنفية الواردة في الأحاديث النبوية.

الفصل الثاني: الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي لمسمياته المنفية، دراسة حديثية تحليلية، في سبعة مباحث:

المبحث الأول: الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي لنفي إيمان الزاني وشارب المسكر والسارق.

المبحث الثاني: الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي لنفي إيمان حامل السلاح على المسلمين وغاشهم.

المبحث الثالث: الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي لنفي صلاة الحاقن ومن حضره الطعام.

المبحث الرابع: الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي لنفي صلاة الفرد خلف الصف.

المبحث الخامس: الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي لنفي صلاة المسئ فيها.

المبحث السادس: الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي لنفي صلاة تارك الفاتحة.

المبحث السابع: الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي لنفي الصوم الواجب.

الخاتمة: فيها أهم النتائج العلمية.

منهج البحث:

١- جمعت أهم نماذج البحث التطبيقية الواردة في السنة النبوية لتكون كالأصل في هذا الباب، وبها يتحقق هدف البحث، سيما ما ثبت منها إذ فيها

الغنية عن ذكر الضعيف، والتطويل ببيان ضعفه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في باب المسميات الشرعية المنفية: «ليس في هذا الباب حديث صحيح، اتفق العلماء على أن المراد به نفي الكمال المستحب»[1]، وقال فيما يُروى فيه من أحاديث ضعيفة: «إن صحت هذه الألفاظ دلت قطعاً على وجوب هذه الأمور، فإن لم تصح فلا يُنقض بها أصل مستقر من الكتاب والسنة، وليس لأحد أن يحمل كلام الله ورسوله على وفق مذهبه إن لم يتبين من كلام الله ورسوله ما يدل على مراد الله ورسوله، وإلا فأقوال العلماء تابعة لقول الله تعالى ورسوله، ليس قول الله ورسوله تابعاً لأقوالهم. فإذا كان في وجوب شيء نزاع بين العلماء، ولفظ الشارع قد اطرد في معنى لم يجز أن ينقض الأصل المعروف من كلام الله ورسوله بقول فيه نزاع بين العلماء، ولكن من الناس من لا يعرف مذاهب أهل العلم، وقد نشأ على قول لا يعرف غيره فيظنه إجماعاً.

والمقصود هنا أنه ينبغي للمسلم أن يقدر قدر كلام الله ورسوله، بل ليس لأحد أن يحمل كلام أحد من الناس إلا على ما عرف أنه أراده، لا على ما يحتمله ذلك اللفظ في كلام كل أحد، فإن كثيراً من الناس يتأول النصوص المخالفة لقوله يسلك مسلك من يجعل التأويل كأنه ذكر ما يحتمله اللفظ، وقصده به دفع ذلك المحتج عليه بذلك النص، وهذا خطأ، بل جميع ما قاله الله ورسوله يجب الإيمان به، فليس لنا أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض، وليس الاعتناء بمراده في أحد النصين دون الآخر بأولى من العكس، فإذا كان النص الذى وافقه يعتقد أنه اتبع فيه مراد الرسول، فكذلك النص الآخر الذي تأوله، فيكون أصل مقصوده: معرفة ما أراده الرسول بكلامه. والمقصود هنا: أن كل ما نفاه الله ورسوله من مسمّى أسماء الأمور الواجبة، كاسم الإيمان والإسلام والدين والصلاة والصيام والطهارة والحج وغير ذلك، فإنما يكون لترك واجب

(١) الرد على البكري ٢/٦٠١.

من ذلك المسمّى»[1].

٢- خرّجت الأحاديث، وبينت ألفاظها، سيما ما له متعلق بهدف البحث، وعزوهما إلى مصادر السنة النبوية الشريفة، مفصلاً بيان موضعها بذكر: اسم الكتاب ورقمه، واسم بابه ورقمه، ورقم الحديث إذا كان في أحد الكتب الستة، وحكمت على ما كان منها في غير الصحيحين، أو حكم عليها ناقد معتمد، وشرحت غريبها.

٣- تجنبت الإطالة بالتخريج فيما لا يعود بالفائدة على هذا البحث.

٤- اقتصرت فيها على ما تمس الحاجة إليه في تحقيق هدف البحث، متجنباً التطويل باستيعابها؛ لأن تتبعها ودراستها وتخريجها تحتاج إلى عدد من البحوث، ولا يكفيه بحث واحد، سيما وأن في المذكور منها هنا غُنية وكفاية في حصول المطلوب.

٥- اعتنيت ببيان ما وقفت عليه من كلام الأئمة الأعلام فيما يتعلق بالتحليل الحديثي المعتبر للمسميات الشرعية الواجبة المنفية الواردة في الأحاديث، وبه يتبين الخلل اللاحق لكلام بعض شراح الحديث في هذا الباب جراء سلوكهم طريقة أهل الكلام، وأخفها ضرراً بالنسبة لضلالهم- وهو كبير-: إجمال القول بعبارات تشتمل على حق وباطل.

٦- والله تعالى أسأل العون والسداد في هذا البحث، وجميع أموري، وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولذوي أرحامنا، ولولاة أمورنا، ولعلمائنا، ولعموم المسلمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين.

(١) مجموع الفتاوى ٧/٣٥، ٣٧.

الفصل الأول:

تعريف بعنوان البحث، وبيان مقتضاه، وحكمه

في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف بعنوان البحث

يتعلق البحث بدلالة السنة النبوية على المعنى الشرعي للنفي الداخل على المسميات الشرعية الواجبة، إذ السنة النبوية من أصول معرفة المعاني الشرعية بعد القرآن الكريم، ويتلوها فهم الصحابة رضوان الله عليم أجمعين الذين هم أعلم الناس بعد الرسول ﷺ في هذا الباب، ثم دلالة اللغة العربية إذ هي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، وهما في الوقت نفسه من أصول المعاني اللغوية المقدمة على غيرهما، وعليهما يُحمل المعارض لهما، أو يرد.

وتتنوع المعاني اللغوية والشرعية والاصطلاحية تنوع شمول واختصاص، فمن الأسماء ماله معنىً خاص في أصل اللغة، جاء استعماله في الشرع بهذا المعنى بقرينة تدل عليه، لكنه عند الإطلاق يُراد به المعنى الخاص بالشرع الذي يشمل المعنى اللغوي وغيره، كالصلاة فهي في أصل اللغة تطلق على الدعاء [(١)]، وقد جاءت بهذا المعنى في لفظ الشارع كقوله تعالى: ﴿وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾[(٢)]، وكحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا دُعي أحدكم فليجب، فإن كان صائماً فليصل، وإن كان مفطراً فليطعم))[(٣)]، وعند الإطلاق

(١) القاموس المحيط مادة صلو ١٦٨١.

(٢) سورة التوبة آية ١٠٣.

(٣) أخرجه مسلم ١٦ كتاب النكاح، ١٦ قول النووي: ((باب الأمر بإجابة الداعي إلى =

زاد عليها الشارع أشياء أخرى حيث أراد بها: عبادة ذات أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، والدعاء منها[١].

والمراد بالمسميات الشرعية الواجبة: الأسماء التي استعملها الشارع في معانٍ شرعية خاصة، كالإيمان، والصلاة، والصيام، وحكم بوجوبها، حيث تختلف دلالة النفي بحسب حكم المسمّى الشرعي الداخل عليه؛ إذ حكم الفرع تابع لحكم الأصل وجوباً واستحباباً، فالقيام مع القدرة عليه ركن في صلاة الفريضة لكنه مستحب في النافلة، وقطع الصوم الواجب محرم بغير عذر لكنه في الوقت نفسه جائز في تطوع الصوم.

ويأتي النفي في اللغة: لاستغراق جنس المنفي بأسره بحيث لا يخرج عنه واحد من أفراده[٢].

ويأتي: لانتفاء هيئته المجتمعة الكاملة الواجبة، ويكون هذا الوصف مقدراً يدل عليه السياق، ويُقيد به النفي، والدلالة على المحذوف باللفظ، أو بالحال من مسوغات الحذف، قاله ابن جني [٣].

وهذا لا يمنع وجود بعضه أو كثيرٍ منه، فالمنفي هنا، إنما هو: المجموع لا كل جزء من أجزائه الذي يشمله إطلاق المسمّى، كما إذا ذهب واحد من العشرة لم تبق العشرة عشرة لكن بقي أكثر أجزائها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا زال

= دعوة»، ١٤٣١.

(١) المغني ٢٢٢/١، الفتاوى الكبرى ٦٢/٢، مجموع الفتاوى ٢٧٦/٢١، ١٢٣/٢٦، الصلاة وحكم تاركها لابن القيم ٢١٧/١.

(٢) شرح شذور الذهب ٨٣، شرح ابن عقيل ٥/٢، دقائق التفسير ١١١/٢، منهاج السنة النبوية ٤٠/٢.

(٣) الخصائص ٣٧٠/٢.

بعض أجزاء المركب تزول الهيئة الاجتماعية الحاصلة بالتركيب، لكن لا يلزم أن يزول سائر الأجزاء، وكذلك الإنسان الكامل يدخل فى مسمّاه: أعضاؤه كلها، ثم لو قطعت يداه ورجلاه لم يخرج عن اسم الإنسان، وإن كان قد زال منه بعض ما يدخل في الاسم الكامل، وكذلك لفظ الشجرة والباب والبيت والحائط وغير ذلك، يتناول المسمّى في حال كمال أجزائه بعد ذهاب بعض أجزائه»[1].

المبحث الثاني:

المقتضى الشرعي لمسمياته المنفية الواردة في الأحاديث النبوية

الأصل في نفي المسميات الشرعية الواجبة أنه يقتضي: انتفاء مطلقه، أو نقص واجبه فما فوقه، ولا يخرج عن هذا الأصل إلا بدليل مخصص معتبر، وتوضيحه في ضوء الدراسة الحديثية التحليلية بما يلي:

١- أن نفي المسمّى الشرعي الواجب يقتضي: ترك واجب الفعل أو فعل واجب الترك، وهو: المحرم، فالمنفي كماله الواجب، لا كماله المستحب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كل ما نفاه الله ورسوله ﷺ من مسمّى أسماء الأمور الواجبة، كاسم الإيمان، والإسلام، والدين، والصلاة، والصيام، والطهارة، والحج، وغير ذلك، إنما يكون لترك واجب من ذلك المسمّى»[2].

وقال العلامة ابن القيم: «لا يصلح النفي المطلق عند نفي بعض المستحبات، وإلا صح النفي عن كل عبادة ترك بعض مستحباتها، ولا يصح ذلك لغة ولا عرفاً ولا شرعاً، ولا يعهد في الشريعة نفي العبادة إلا بترك واجب فيها»[3].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٧٧/١٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٥/٧، ٣٨.

(٣) حاشية ابن القيم ١٠٩/٧.

وهذا هو الأصل في هذا الباب إلا بدليل يخصصه، كنفي الصوم عمن لم يُبيت النية، فمن صحح الحديث واختار عدم وجوب التبييت فلأجل دليل آخر أفاد عنده عدم الوجوب، ولهذا نظائره في صوارف الأمر والنهي التي لا تُؤثر في عموم أصلهما، وغيرهما من القواعد الشرعية التي تستثنى منها نوادر بدليلها الخاص.

٢- أن نفي المسمّى الشرعي الواجب يقتضي تارة انتفاء مطلقه، وتارة يقتضي انتفاء الكمال الواجب لهيئتها المجتمعة، كفاعل الكبيرة فإذا استحلها انتفى عنه مطلق الإيمان، وإن لم يستحلها انتفى عنه كماله الواجب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أدوات النفي تدل على انتفاء الاسم بانتفاء مسمّاه، تارة لأنه لم يوجد أصلاً، وتارة لأنه لم توجد الحقيقة المقصودة بالمسمّى، وتارة لأنه لم تكمل تلك الحقيقة، وتارة لأن ذلك المسمّى مما لا ينبغي أن يكون مقصوداً بل المقصود غيره، وتارة لأسباب أخر، وهذا كله إنما يظهر من سياق الكلام، وما اقترن به من القرائن اللفظية التي لا تخرجها عن كونها حقيقة عند الجمهور»[(١)].

وقال شيخ الإسلام أيضاً: «إذا زال بعض أجزاء المركب تزول الهيئة الاجتماعية الحاصلة بالتركيب، لكن لا يلزم أن يزول سائر الأجزاء، والإيمان المؤلف من الأقوال الواجبة والأعمال الواجبة الباطنة والظاهرة، هو المجموع الواجب الكامل، وهذه الهيئة الاجتماعية تزول بزوال بعض الأجزاء.

وهذه هي المنفية في الكتاب والسنة، في مثل قوله ﷺ: "لا يزني الزاني " إلخ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾[(٢)] الآيات، ولكن لا يلزم أن تزول سائر الأجزاء، ولا أن سائر الأجزاء الباقية لا تكون من الإيمان بعد زوال بعضه، كما أن واجبات الحج من الحج الواجب

(١) مجموع الفتاوى ٢٥/١٥٦– ١٥٨.

(٢) سورة الحجرات ١٥.

الكامل، وإذا زالت زال هذا الكمال، ولم يزل سائر الحج، وكذلك الإنسان الكامل يدخل فى مسماه أعضاؤه كلها، ثم لو قطعت يداه ورجلاه لم يخرج عن اسم الإنسان، وإن كان قد زال منه بعض ما يدخل في الاسم الكامل، وكذلك لفظ الشجرة والباب والبيت والحائط وغير ذلك، يتناول المسمّى في حال كمال أجزائه بعد ذهاب بعض أجزائه»[1].

المبحث الثالث:

الحكم الشرعي لمسمياته المنفية الواردة في الأحاديث النبوية

يختلف حكم نفي الاسم ومسمّاه الشرعي الواجب بحسب المراد منه في أحوال:

١- يصح نفي الاسم الشرعي إن كان المراد منه نفي كماله الواجب، وهذا ما دلت عليه أحاديث هذا البحث، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا نقص شيء من واجباته، فقد ذهب ذلك الكمال والتمام، ويجوز نفي الاسم إذا أريد به نفي ذلك الكمال، وعليه أن يأتيَ بذلك الجزء إن كان ترك واجباً فعله أو كان ذنباً استغفر منه، وبذلك يصير من المؤمنين المستحقين لثواب الله المحض الخالص عن العقاب، وأما إذا ترك واجباً منه أو فعل محرماً فإنه يستحق العقاب على ذلك ويستحق الثواب على ما فعل، والمنفي إنما هو المجموع لا كل جزء من أجزائه، كما إذا ذهب واحد من العشرة لم تبق العشرة عشـــرة لكن بقي أكثر أجزائها»[2].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٧٧/١٨.

(٢) منهاج السنة النبوية ٢٠٥/٥.

٢- لا يصح نفي الاسم الشرعي إن كان المراد منه نفي مسمّاه مطلقاً بسبب نقص كماله الواجب، وإنما يُقيد الاسم الشرعي بما يدل على نقص واجبه، ولا يُسلب معناه منه بالكلية كتسمية فاعل الكبيرة بناقص الإيمان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان أصول أهل السنة والجماعة في الفاسق: ((لا يسلبون الفاسق الملّي الإسلام بالكلية، ولا يُخلّدونه في النار...ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يُعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم بكبيرته))(١)، وقال أيضاً: ((يُفيد هذا الكلام: أن من فعل ذلك فقد ترك الواجب الذي لا يتم الإيمان الواجب إلا به وإن كان معه بعض الإيمان فإن الإيمان يتبعض ويتفاضل))(٢)، وعند شرح حديث: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن))، قال العلامة ابن قيم الجوزية: ((سلبه اسم الإيمان المطلق، وإن لم يُسلب عنه مطلق الإيمان))(٣).

٣- ينتفي الاسم الشرعي إن حال دونه مانع يوجب عدم تحققه، كوصف الإسلام مع نواقضه المانعة من الوصف به، المبطلة لعمل صاحبها.



(١) العقيدة الواسطية ٣٩ – ٤٠.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/٦٥٤.

(٣) روضة المحبين ١/٣٦٠.

الفصل الثاني:

الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي لمسمياته المنفية

المبحث الأول: الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي لنفي إيمان الزاني وشارب المسكر والسارق

[ح ١]عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)). تخريجه: أخرجه الإمام أحمد[١]، والبخاري – واللفظ له[٢] –، ومسلم[٣]، وأبو داود[٤]، والترمذي – بدون ذكر الخمر[٥] –، والنسائي[٦]، وابن ماجه[٧]، وابن حبان[٨]، والبيهقي[٩].

(١) ٢/٢٤٣، ٣١٧، ٣٧٦، ٣٤٦.

(٢) ٤٦ كتاب المظالم، ٣١ باب النهى بغير إذن صاحبه، ٢٤٧٥.

(٣) ١ كتاب الإيمان، ٢٤ قول النووي: "باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله" , ٥٧.

(٤) ٣٩ كتاب السنة، ١٦ باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ٤٦٨٩.

(٥) ٣٨كتاب الإيمان، ١١ باب ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن، ٢٦٢٥.

(٦) ٤٦ كتاب قطع السارق، ١ تعظيم السرقة، ٤٨٧٢، وفي الكبرى ٧١٣٣، ٧١٣٤، ٧٣٥٧.

(٧) ٣٦ أبواب الفتن، ٣ باب النهي عن النهبة، ٣٩٣٦.

(٨) الإحسان ٥١٧٢.

(٩) السنن الكبرى ١٠/١٨٦، شعب الإيمان ١/٦٨.

زيادات رواياته: جاء في رواية مرفوعاً: ((ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم فيها حين ينتهبها وهو مؤمن)).

تخريجها: أخرجها الإمام أحمد[١]، والبخاري– واللفظ له[٢] –، ومسلم[٣]، والنسائي[٤]، وابن ماجه[٥]، وابن حبان[٦]، والبيهقي[٧].

وزاد في رواية: ((ولا يغل أحدكم حين يغل وهو مؤمن)).

تخريجه: أخرجها الإمام أحمد[٨]، ومسلم[٩].

---

(١) ٢/٣١٧، ٣٨٦، ٤/٣٥٢، ٦/١٣٩.

(٢) ٧٤ كتاب الأشربة، ١ باب قول الله تعالى: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ المائدة ٩٠، ٥٥٧٨، ٨٦ كتاب الحدود، ١ باب ما يحذر من الحدود الزنا وشرب الخمر، ٦٧٧٢، ٤٦ كتاب المظالم، ٣١ باب النهى بغير إذن صاحبه، ٢٤٧٥، ٧٤ كتاب الأشربة، ١ باب قول الله تعالى: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ المائدة ٩٠، ٥٥٧٨.

(٣) ١ كتاب الإيمان، ٢٤ قول النووي: "باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله" , ٥٧.

(٤) ٤٦ كتاب قطع السارق، ١ تعظيم السرقة، ٤٨٧٠، ٥١ كتاب الأشربة، ٤٢ ذكر الروايات المغلظات في شرب الخمر، ٥٦٦٢، ٥٦٦٣، وفي الكبرى ٥١٦٩، ٥١٧٠، ٧١٢٦، ٧١٢٨، ٧١٢٩، ٧١٣٠، ٧١٣١.

(٥) ٣٦ أبواب الفتن، ٣ باب النهي عن النهبة، ٣٩٣٦.

(٦) الإحسان ١٨٦، ٥١٧٢.

(٧) السنن الكبرى ١٠/١٨٦، شعب الإيمان ١/٦٨/٣٤.

(٨) ٢/٣١٧، ٣٨٦.

(٩) ١ كتاب الإيمان، ٢٤ قول النووي: "باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله" , ٥٧.

وزاد في أخرى: «والتوبة معروضة بعد».

تخريجها: أخرجه الإمام أحمد[1]، والبخاري[2]، ومسلم[3]، وأبو داود[4]، والترمذي[5]، والنسائي[6]، وابن حبان[7].

وفي لفظ عند ابن حبان[8] والبيهقي[9]: «ولكن أبواب التوبة معروضة».

وزاد في أخرى: «فإياكم إياكم».

تخريجها: أخرجها الإمام أحمد[10]، ومسلم[11]، وابن حبان[12].

الأحاديث الواردة في بابه، منها:

[ح ٢] حديث ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه، وزاد: «ولا يقتل وهو مؤمن».

---

(١) ٢/٣٧٦، ٤٧٩.

(٢) ٨٦ كتاب الحدود، ٢٠ باب إثم الزناة، ٦٨١٠.

(٣) ١ كتاب الإيمان، ٢٤ قول النووي: "باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله" , ٥٧.

(٤) ٣٩ كتاب السنة، ١٦ باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ٤٦٨٩.

(٥) ٣٨كتاب الإيمان، ١١ باب ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن، ٢٦٢٥.

(٦) ٤٦ كتاب قطع السارق، ١ تعظيم السرقة، ٤٨٧١، وفي الكبرى ٧٣٥٦.

(٧) الإحسان ٤٤١٢.

(٨) الإحسان ٤٤٥٤.

(٩) السنن الكبرى ١٠/١٨٦.

(١٠) ٢/٣١٧، ٦/١٣٩.

(١١) ١ كتاب الإيمان، ٢٤ قول النووي: "باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله" , ٥٧.

(١٢) الإحسان ٥٩٧٩.

تخريجه: أخرجه الإمام البخاري[١]، والنسائي[٢].

الدراسة التحليلية:

دلالة الحديث: دل الحديث على أن انتفاء مسمّى الإيمان الشرعي يقتضي فعل واجب الترك، وهو: المحرم؛ لأن فعله ينفي كمال الإيمان الواجب، أو يُنقص الإيمان الواجب، مع بقاء أصله، ووصف الإسلام لفاعله، ولا يخرج من الملة، ما لم يستحله[٣]. وهو ناقص الإيمان فاسق بمعصيته، إذ الإيمان اعتقاد، وقول، وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

المخالفون لدلالته:

خالف أهل الأهواء المعنى الشرعي للنصوص الواردة في الباب، كالمعتزلة والخوارج الذين اتفقوا في الحكم على فاعل الكبيرة بالخلود في النار، واختلفوا لفظياً في اسمه، فقالت الخوارج: كافر، وقالت المعتزلة: فاسق.

وعلى نقيضهم المرجئة الذين قالوا بأن الإيمان تصديق القلب لا تضره المعصية، كما أن الطاعة عندهم لا تزيده، وبنوا على أصلهم هذا: أن العمل لا صلة له بالإيمان , وأنه لا يتبعض، ولا يتفاضل، ولا يزيد ولا ينقص، ويشبههم من قال: إن العاصي مؤمن الإيمان الواجب، وإنما ينقص منه كمال الإيمان المستحب[٤].

---

(١) ٨٦ كتاب الحدود، ٢٠ باب إثم الزناة، ٦٨٠٩.

(٢) ٤٥ كتاب القسامة، ٤٩ ما جاء في كتاب القصاص من المجتبي مما ليس في السنن تأويل قول الله عز وجل: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾، ٤٨٦٩، وفي الكبرى ٧١٣٥.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣٨٩/٨.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٣٥٥/١.

والدليل على عدم خروجه من الملة حديث عمر بن الخطاب ﷺ: ((أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب فأتى به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يُؤتى به، فقال النبي ﷺ: لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله))؛ لذا بوب عليه الإمام البخاري بقوله: ((باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وإنه ليس بخارج من الملة))(1).

وحديث أبي ذر ﷺ قال: " أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فقال: ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت:وإن زنى وإن سرق؟! قال: وإن زنى وإن سرق قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر، وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر)). أخرجه البخاري(2)، ومسلم(3).

منشأ الخلل عندهم: اختلاف أهل الأهواء في الحكم على فاعل الكبيرة مبني على أصولهم في صلة الإيمان بالاعتقاد والقول والعمل، ومنه تفاضل الإيمان وزيادته بالطاعة ونقصه بالمعصية.

أقوال المحدثين والأئمة في بيان دلالته، والرد عليهم:

قال الإمام الزهري لما روى هذا الحديث: ((على رسول الله ﷺ البلاغ،

---

(1) ٨٦ كتاب الحدود، باب ٥، ٦٧٨٠.

(2) ٧٧ كتاب اللباس، ٢٤ باب الثياب البيض، ٥٨٢٧، وانظر أيضاً ١٢٣٧، ١٤٠٨، ٢٣٨٨، ٣٢٢٢، ٦٢٦٨، ٦٤٤٣، ٧٤٨٧.

(3) ١ كتاب الإيمان، ٤٠ قول النووي: "باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار"، ٩٤.

وعلينا التسليم»[١]، وفي رواية قال: «إنما يُحدثون بالأحاديث عن رسول الله كما جاءت تعظيماً لحرمات الله، ولا يعدون الذنوب كفراً ولا شركاً»[٢]، وأراد: أداء الأحاديث بألفاظها بلا تحريف ألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها، مع معرفة معناها الذي يقتضي عدم كفر فاعل الكبيرة؛ لأنها نفي لكمال الإيمان الواجب، لا نفي للإيمان بالكلية[٣].

وقال الإمام أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الهاشمي الباقر: «هذا الإسلام، ودور دائرة، ودور في وسطها أخرى، وقال: هذا الإيمان الذي في وسطها مقصور في الإسلام، وقول رسول الله ﷺ: "لا يزاني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق هو

---

(١) صحيح ابن حبان كما في الإحسان ١٨٦.

(٢) اعتقاد أهل السنة ١٧٩٧/٩٨٢/٥.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «نصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية، ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها، ويفهمون منها ما دلت عليه كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغير ذلك، وأحمد قد قال في أحاديث الصفات: "تمر كما جاءت"، وفي أحاديث الوعيد، مثل قوله: "من غشنا فليس منا"، وأحاديث الفضائل، ومقصوده بذلك: أن الحديث لا يُحرف كلمه عن مواضعه، كما يفعله من يحرفه، ويُسمي تحريفه تأويلاً بالعرف المتأخر، فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الأئمة تحريف باطل. وكذلك نص أحمد في كتاب: "الرد على الزنادقة والجهمية" أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن، وتكلم أحمد على ذلك المتشابه، وبيّن معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية، وجرى في ذلك على سنن الأئمة قبله. فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا المتشابه، وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره، بل يُبين ويفسر باتفاق الأئمة من غير تحريف له عن مواضعه أو الحاد في أسماء الله وآياته». مجموع الفتاوى ٢٩٥/١٣.

مؤمن"، قال: يخرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يُخرج من الإسلام البتة، فإن تاب تاب الله عليه، ورجع إليه الإيمان»[1].

وقال الإمام مالك: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»[2]، وكذا قال الإمام الشافعي[3]، والإمام أحمد[4]، وقال ابن هانئ: «سألته – يعني الإمام أحمد – عن الإيمان، ما نقصانه؟ قال: نقصانه قول النبي ﷺ:" لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن"»[5]، وقال الإمام أحمد أيضاً: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، الصلاة والزكاة والحج والبر كله من الإيمان، والمعاصي تنقص الإيمان»[6].

وقال إسماعيل بن سعيد الشالَنْجي: «سألت أحمد بن حنبل، عن المُصرّ على الكبائر يطلبها بجهده إلا أنه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم؟ وهل يكون مُصراً من كانت هذه حاله؟ قال: هو مُصرّ، مثل قوله: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" يخرج من الإيمان ويقع في الإسلام، ونحو قوله: "لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن"، ونحو قول ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[7]، قال إسماعيل، فقلت له:

(١) السنة للخلال ١/١٠٨٠، ١٠٨٣، مجموع الفتاوى ٣١٩/٧، حاشية ابن القيم ٢٩٣/١٢.

(٢) مسائل أبي داود ٢٧٣.

(٣) شعب الإيمان ١/٨١/٦٧.

(٤) مسائل ابن هانئ ١٩٠٠، وابنه صالح ٦٨١، ١٥١٩.

(٥) مسائل ابن هانئ ١٩٠٧.

(٦) مسائل أبي داود ٢٧٢.

(٧) سورة المائدة الآية ٤٤.

ما هذا الكفر؟ قال: كفر لا ينقل عن الملة، مثل الإيمان بعضه دون بعض، فكذلك الكفر حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف فيه»[1].

وقال عبد الملك الميموني: «قلت لأبي عبد الله: تفرق بين الإسلام والإيمان؟ فقال: نعم، [وأقول: مؤمن إن شاء الله][2]، وأقول: مسلم، ولا أستثنى، فقلت له: بأي شيء تحتج؟ قال: عامة الأحاديث تدل على هذا، ثم قال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن"، وقال الله عز وجل: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾[3]، قلت: فتذهب إلى ظاهر الكتاب مع السنن؟ قال: نعم، قلت: فإذا كان المرجئة يقولون: إن الإسلام هو القول؟ قال: هم يُصَيِّرون هذا كله واحداً، ويجعلونه مسلماً ومؤمناً شيئاً واحداً على إيمان جبريل، ومستكمل الإيمان، قلت: فمن ههنا حجتنا عليهم؟ قال: نعم»[4].

وقد بوب الإمام أبو داود على حديث الباب بقوله: «باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه»[5].

وقال ابن بطال: «الذي عليه أهل السنة وعلماء الأمة، أن قوله: "مؤمن"، يعني: مستكمل الإيمان؛ لأن شارب الخمر والزاني أنقص حالاً ممن لم يأت شيئاً من ذلك لامحالة، لا أنه كافر بذلك»[6]، والمراد: كمال الإيمان الواجب.

وقال البيهقي: «إنما أراد – والله تعالى أعلم – وهو مؤمن مطلق الإيمان،

(١) مجموع الفتاوى ٧/٢٥٣، الصلاة وحكم تاركها ٧٨.

(٢) الزيادة من نسخة شيخ الإسلام ابن تيمية. مجموع الفتاوى ٧/٢٥٤.

(٣) سورة الحجرات آية ١٤.

(٤) السنة للخلال ١/١٠٧٨.

(٥) ٣٩ كتاب السنة، ١٦باب.

(٦) شرح صحيح البخاري ٦/٣٧.

لكنه ناقص الإيمان بما ارتكب من الكبيرة، وترك من الانزجار عنها، ولا يوجب ذلك تكفيراً بالله عز وجل، وكل موضع من كتاب أو سنة ورد فيه تشديد على من ترك فريضة أو ارتكب كبيرة، فإن المراد به نقصان الإيمان، فقد قال الله عز وجل: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[1]»[2].

وقال ابن عبد البر: «سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر، منهم: مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم ابن سلام، وداود بن علي، وأبو جعفر الطبري، ومن سلك سبيلهم، قالوا: الإيمان قول وعمل، قول باللسان وهو الإقرار، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح مع الإخلاص بالنية الصادقة، قالوا: وكل ما يطاع الله عز وجل به من فريضة ونافلة فهو من الإيمان، والإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وأهل الذنوب عندهم: مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم، وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن "، يُريد: مستكمل الإيمان، ولم يُرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك بدليل الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر إذا صلوا للقبلة، وانتحلوا دعوة الإسلام من قرابتهم المؤمنين الذين آمنوا بتلك الأحوال، وفي إجماعهم على ذلك مع إجماعهم على أن الكافر لا يرث المسلم أوضح الدلائل على صحة قولنا: أن مرتكب الذنوب ناقص الإيمان بفعله ذلك، وليس بكافر كما زعمت الخوارج في تكفيرهم المذنبين.

وقد جعل الله في ارتكاب الكبائر حدوداً جعلها كفارة وتطهيراً كما جاء

(١) سورة النساء ٤٨.

(٢) شعب الإيمان ١/٦٨.

في حديث عبادة عن النبي ﷺ فمن واقع منها شيئاً يعني من الكبائر، وأقيم عليه الحد فهو له كفارة، ومن لا فأمره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، وليس هذا حكم الكافر؛ لأن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

والإيمان مراتب بعضها فوق بعض، فليس الناقص فيها كالكامل قال الله عز وجل: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾(١)، أي: إنما المؤمن حق الإيمان من كانت هذه صفته، ولذلك قال: ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾، ومثل هذه الآية في القرآن كثير، وكذلك قوله ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم"، أي: هو المؤمن المسلم حقاً، ومن هذا قوله ﷺ: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً".

ومعلوم أنه لا يكون هذا أكمل حتى يكون غيره أنقص، وكذلك قوله ﷺ: "أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله"، وقوله: "لا إيمان لمن لا صلاة له، ولا من لا أمانة له"، كل ذلك يدل على أنه ليس بإيمان كامل، وأن بعض الإيمان أوثق عروة وأكمل من بعض، كما قال: "ليس المسكين بالطواف عليكم" الحديث(٢)، يريد: ليس الطواف بالمسكين حقاً؛ لأن ثم من هو أشد مسكنة منه، وهو الذي لا يسأل الناس ويتعفف»(٣).

وقال النووي: «القول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء، ويراد نفي كماله ومختاره كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش

---

(١) سورة الأنفال ٢.

(٢) أخرجه البخاري، ٢٤كتاب الزكاة، ٥٢ باب قول الله تعالى: ﴿لا يسألون الناس إلحافا﴾، ١٤٧٦، ومسلم ولفظه أقرب، كتاب، ٣٤ باب المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه، ١٠٣٩.

(٣) التمهيد لابن عبد البر ٩/٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥.

إلا عيش الآخرة، وإنما تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبي ذر، وغيره "من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق"[١]، وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور أنهم: "بايعوه ﷺ على أن لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا " إلى آخره، ثم قال لهم ﷺ: "فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن فعل شيئاً من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته، ومن فعل ولم يعاقب فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه"[٢]، فهذان الحديثان مع نظائرهما في الصحيح مع قوله الله عز وجل: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[٣]، مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان، إن تابوا سقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة»[٤].

وقوله: «يُراد نفي كماله ومختاره»، لفظة مجملة، هي محل تأمل إن أراد بالكمال: الكمال المستحب، أو أراد أن النفي هنا يشمل الأمرين: الكمال الواجب، والكمال المستحب الموصوف بالاختيار؛ لأن الصواب أن المنفي، هو: الكمال الواجب الذي يقتضي وصف صاحبه بفاعل الكبيرة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من أصول أهل السنة والجماعة، أن الدين والإيمان: قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح،

---

(١) أخرجه البخاري ٩ كتاب الجنائز، ١باب من كان آخر كلامه لا إلـــه إلا الله، ١٢٣٧، ومسلم، ١ كتاب الإيمان، ٤٠ باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مـــات مشركا دخل النار، ٩٤.

(٢) أخرجه البخاري، ٢ كتب الإيمان، ١١ باب، ١٨، ومسلم، ٩ كتاب الحدود، ١٠ باب الحدود كفارات لأهلها، ١٧٠٩.

(٣) سورة النساء ٤٨.

(٤) المنهاج في شرح النووي على صحيح مسلم ٢/٤١.

وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه في آية القصاص: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف﴾[١]، وقال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾[٢].

ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقوله المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق، كما في قوله: ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾[٣]، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، كما في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾[٤]، وقوله ﷺ: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن ".

ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يُعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم بكبيرته»[٥].

وقال: «أصل الشبهة في الإيمان: أن القائلين أنه لا يتبعض، قالوا: إن الحقيقة المركبة من أمور متى ذهب بعض أجزائها انتفت تلك الحقيقة، كالعشرة

---

(١) سورة البقرة ١٧٨.

(٢) سورة الحجرات ٩.

(٣) سورة النساء ٩٢.

(٤) سورة الأنفال ٢.

(٥) العقيدة الواسطية ٣٩ – ٤٠.

المركبة من آحاد، فلو قلنا: إنه يتبعض لزم زوال بعض الحقيقة مع بقاء بعضها.

فيقال لهم: إذا زال بعض أجزاء المركب تزول الهيئة الاجتماعية الحاصلة بالتركيب، لكن لا يلزم أن يزول سائر الأجزاء، والإيمان المؤلف من الأقـــوال الواجبة والأعمال الواجبة الباطنة والظاهرة، هو المجموع الواجب الكامل، وهذه الهيئة الاجتماعية تزول بزوال بعض الأجزاء.

وهذه هي المنفية في الكتاب والسنة، في مثل قوله ﷺ: "لا يزني الزاني " إلخ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾[1] الآيات، ولكن لا يلزم أن تزول سائر الأجزاء، ولا أن سائر الأجزاء الباقية لا تكون من الإيمان بعد زوال بعضه، كما أن واجبات الحج من الحج الواجب الكامل، وإذا زالت زال هذا الكمال، ولم يزل سائر الحج، وكذلك الإنسان الكامل يدخل فى مسماه أعضاؤه كلها، ثم لو قطعت يداه ورجلاه لم يخرج عن اسم الإنسان، وإن كان قد زال منه بعض ما يدخل في الاسم الكامل، وكذلك لفظ الشجرة والباب والبيت والحائط وغير ذلك، يتناول المسمّى في حال كمال أجزائه بعد ذهاب بعض أجزائه»[2].

وقال أيضاً: «المسلم إذا أتى الفاحشة لا يكفر، وإن كان كمال الإيمان الواجب قد زال عنه، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن"، فأصل الإيمان معه، وهو قد يعود إلى المعصية، ولكنه يكون مؤمناً إذا فارق الدنيا، كما في الصحيح عن عمر: "أن رجلاً كان يدعي حماراً، وكان يشرب الخمر، وكان كلما أُتِيَ به إلى النبي ﷺ أمر بجلده، فقال

(١) سورة الحجرات ١٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧٧/١٨.

رجل: لعنه الله ما أكثر ما يُؤتى به إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله" [(١)]، فشهد له بأنه يحب الله ورسوله، ونهى عن لعنه، كما تقدم في الحديث الآخر الصحيح: " وإن زنا، وإن سرق"، وذلك أن معه أصل الاعتقاد: أن الله حرم ذلك، ومعه خشيه عقاب الله، ورجاء رحمة الله، وإيمانه بأن الله يغفر الذنب ويأخذ به فيغفر الله له به، كما في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "أذنب عبد ذنباً، فقال: أي رب إني أذنبت ذنباً فاغفر لي، فقال ربه: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي، ثم أذنب ذنباً آخر، فقال: أي رب أذنبت ذنباً فاغفره لي، فقال ربه: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي، ثم أذنب ذنباً آخر، فقال: أي رب قد أذنبت ذنباً فاغفره لي، فقال: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء "[(٢)]، ....وأهل السنة والجماعة متفقون على أنه لا يُكفّر المسلم بمجرد الذنب، كما يقوله الخوارج، ولا أنه يخرج من الإيمان بالكلية، كما يقوله المعتزلة، لكن ينقص الإيمان، ويمنع كماله الواجب، وإن كانت المرجئة تزعم أن الإيمان لا ينقص أيضاً. فمذهب أهل السنة المتبعون للسلف الصالح أن الإيمان: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. فأما استحلال ما حرم الله ورسوله من الفواحش وغيرها، فهو كفر، وبمثله أهلك الله قوم لوط الذين استحلوا الفاحشة، وفعلوها معلنين بها مستحلين لها، قال تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد﴾[(٣)]))[(٤)].

---

(١) تقدم تخريجه في أول الدراسة التحليلية.

(٢) أخرجه البخاري ٩٧ كتاب التوحيد، ٣٥ باب، ٧٥٠٧، ومسلم، ٤٩ كتب التوبة، ٥ باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، ٢٧٥٨.

(٣) سورة هود ٨٢، ٨٣.

(٤) الاستقامة ٢/١٨١-١٨٦.

وذكر حديث الباب، فقال: «كونه ليس من المؤمنين ليس المراد به ما يقوله المرجئة: إنه ليس من خيارنا، فإنه لو ترك ذلك لم يلزم أن يكون من خيارهم، وليس المراد به ما يقوله الخوارج: إنه صار كافراً، ولا ما يقوله المعتزلة من أنه لم يبق معه من الإيمان شيء، بل هو مستحق للخلود في النار لا يخرج منها.

فهذه كلها أقوال باطلة، ولكن المؤمن المطلق في باب الوعد والوعيد، وهو المستحق لدخول الجنة بلا عقاب، وهو المؤدي للفرائض المجتنب المحارم، وهؤلاء هم المؤمنون عند الإطلاق، فمن فعل هذه الكبائر لم يكن من هؤلاء المؤمنين؛ إذ هو متعرض للعقوبة على تلك الكبيرة، وهذا معنى قول من قال: أراد به نفي حقيقة الإيمان، أو نفي كمال الإيمان، فإنهم لم يريدوا نفي الكمال المستحب، فإن ترك الكمال المستحب لا يوجب الذم والوعيد، والفقهاء يقولون: "الغسل ينقسم إلى كامل ومجزىء"، ثم من عدل عن الغسل الكامل إلى المجزىء لم يكن مذموماً.

فمن أراد بقوله: نفي كمال الإيمان أنه: "نفي الكمال المستحب"، فقد غلط، وهو يشبه قول المرجئة. ولكن يقتضي نفي الكمال الواجب، وهذا مطرد في سائر ما نفاه الله ورسوله، مثل قوله: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾[1] إلى قوله: ﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾، ومثل الحديث المأثور: "لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له"[2]، ومثل قوله ﷺ: "لا صلاة إلا بأم لقرآن"[3]، وأمثال ذلك.

فإنه لا ينفي مسمّى الاسم إلا لانتفاء بعض ما يجب في ذلك، لا لانتفاء بعض مستحباته، فيفيد هذا الكلام أن من فعل ذلك، فقد ترك الواجب الذي لا

(١) سورة الأنفال ٢.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٦/٢٨٨، وصححه ابن حبان كما في الإحسان ١٩٤، والضياء في المختارة ١٦٩٩.

(٣) سيأتي برقم ١٣.

يتم الإيمان الواجب إلا به، وإن كان معه بعض الإيمان، فإن الإيمان يتبعض، ويتفاضل كما قال: "يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان"»[١].

وقال أيضاً: «من قال من الفقهاء: إن هذا لنفي الكمال، قيل له إن أردت الكمال المستحب فهذا باطل؛ لوجهين: أحدهما: أن هذا لا يوجد قط في لفظ الشارع أنه ينفي عملاً فعله العبد على الوجه الذي وجب عليه، ثم ينفيه لترك بعض المستحبات، بل الشارع لا ينفي عملاً إلا إذا لم يفعله العبد كما وجب عليه. الثاني: أنه لو نفى بترك مستحب لكان عامة الناس لا صلاة لهم ولا صيام، فإن الكمال المستحب متفاوت، ولا أحد يصلي كصلاة رسول الله ﷺ، أفكل من لم يكملها كتكميل الرسول ﷺ: يقال لا صلاة له؟!» [٢].

وقال أيضاً: «من استقرأ الكتاب والسنة علم أن الاسم الشرعي، كالإيمان، والصلاة، والوضوء، والصيام، لا ينفيه الشارع عن شيء إلا لانتفاء ما هو واجب فيه، لا لانتفاء ما هو مستحب فيه. وأيضاً فإن الإيمان يتنوع بتنوع ما أمر الله تعالى به العبد، فحين بعث الرسول ﷺ لم يكن الإيمان الواجب، ولا الإقرار، ولا العمل مثل الإيمان الواجب في آخر الدعوة، فإنه لم يكن يجب إذ ذاك الإقرار بما أنزله الله تعالى بعد ذلك من الإيجاب والتحريم والخبر، ولا العمل بموجب ذلك، بل كان الإيمان الذي أوجبه الله تعالى يزيد شيئاً فشيئاً، كما كان القرآن يترل شيئاً فشيئاً، والدين يظهر شيئاً فشيئاً، حتى أنزل الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[٣]. وكذلك العبد أول ما يبلغه خطاب الرسول عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام، إنما يجب عليه الشهادتان، فإذا مات قبل أن يدخل عليه وقت صلاة، لم يجب عليه غير الإقرار

---

(١) مجموع الفتاوى ٦٥٢/١١ – ٦٥٤.

(٢) منهاج السنة النبوية ٢٠٥/٥– ٢١٠.

(٣) سورة المائدة ٣.

ومات مؤمناً كامل الإيمان الذي وجب عليه، وإن كان إيمان غيره الذي دخلت عليه الأوقات أكمل منه، فهذا إيمانه ناقص، كنقص دين النساء حيث قال النبي ﷺ: "إنكن ناقصات عقل ودين، أما نقصان عقلكن: فشهادة امرأتين بشهادة رجل واحد، وأما نقصان دينكن: فإن إحداكن إذا حاضت لم تصل"[1]، ومعلوم أن الصلاة حينئذ ليست واجبة عليها، وهذا نقص لا تلام عليه المرأة لكن من جعل كاملاً كان أفضل منها بخلاف من نقص شيئاً مما وجب عليه.

فصار النقص في الدين والإيمان نوعين، نوعاً: لا يذم العبد عليه؛ لكونه لم يجب عليه لعجزه عنه حساً، أو شرعاً، وإما لكونه مستحباً ليس بواجب.

ونوعاً: يُذم عليه، وهو ترك الواجبات، فقول النبي ﷺ لجارية معاوية بن الحكم السُّلَمي لما قال لها: "أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة"[2]، ليس فيه حجة على أن من وجبت عليه العبادات فتركها وارتكب المحظورات يستحق الاسم المطلق، كما استحقته هذه التي لم يظهر منها بعد ترك مأمور ولا فعل محظور.

ومن عرف هذا تبين أن قول النبي ﷺ لهذه: "إنها مؤمنة" لا ينافي قوله: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن"، فإن ذلك نفى عنه الاسم؛ لانتفاء بعض ما يجب عليه من ترك هذه الكبائر، وتلك لم تترك واجباً تستحق بتركه أن تكون هكذا»[3]. وقال أيضاً: «الذنوب تنقص من محبة الله تعالى بقدر ذلك،

---

(١) أخرجه البخاري ٦ كتاب الحيض، ٦ باب ترك الحائض الصوم، ٣٠٤، ومسلم، ١ كتاب الإيمان، ٣٤ باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ككفر النعمة والحقوق، ٧٩.

(٢) أخرجه مسلم، ٥ كتاب المساجد، ٧ باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة، ٥٣٧.

(٣) العقيدة الأصفهانية ١/١٧٧- ١٧٨.

لكن لا تزيل المحبة لله ورسوله إذا كانت ثابتة في القلب، ولم تكن الذنوب عن نفاق، كما في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب حديث حمار الذي كان يشرب الخمر، وكان النبي ﷺ يقيم عليه الحد، فلما كثر ذلك منه لعنه رجل، فقال النبي ﷺ: "لا تلعنه؛ فإنه يحب الله ورسوله"(١)، وفيه دلالة على أنا منهيون عن لعنة أحد بعينه، وإن كان مذنباً إذا كان يحب الله ورسوله، كما أن المحبة الواجبة تستلزم لفعل الواجبات، وكمال المحبة المستحبة تستلزم لكمال فعل المستحبات، والمعاصي تنقض المحبة، وهذا معنى قوله:"لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حيث يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن "(٢)»(٣).

وقال أيضاً: «قال الجمهور من السلف والخلف: الإسلام أوسع من الإيمان، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، ويقولون في قول النبي ﷺ: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ": أنه يخرج من الإيمان إلى الإسلام، ودوروا للإسلام دارة، ودوروا للإيمان دارة أصغر منها في جوفها، وقالوا: إذا زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرجه من الإسلام إلى الكفر، ودليل ذلك أن الله تبارك وتعالى قال: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾(٤)»(٥).

---

(١) سبق تخريجه في أول الدراسة التحليلية.

(٢) هو حديث الباب.

(٣) قاعدة في المحبة ٧٢.

(٤) سورة الحجرات ١٤، ١٥.

(٥) مجموع الفتاوى ٧/٤٧٦.

وقال العلامة ابن القيم: ((الزنى يجمع خلال الشر كلها من قلة الدين، وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الغيرة، ومنها أنه يسلبه أحسن الأسماء، وهو اسم: العفة، والبر، والعدالة، ويعطيه أضدادها، كاسم: الفاجر، والفاسق، والزاني، والخائن. ومنها أنه يسلبه اسم المؤمن كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"، فسلبه اسم الإيمان المطلق، وإن لم يسلب عنه مطلق الإيمان.

وسُئل جعفر بن محمد عن هذا الحديث: "فخط دائرة في الأرض، وقال: هذه دائرة الإيمان، ثم خط دائرة أخرى خارجة عنها، وقال: هذه دائرة الإسلام فإذا زنى العبد خرج من هذه، ولم يخرج من هذه".

ولا يلزم من ثبوت جزء ما من الإيمان له أن يُسمّى مؤمناً، كما أن الرجل يكون معه جزء من العلم والفقه، ولا يُسمّى به عالماً فقيهاً، ومعه جزء من الشجاعة والجود، ولا يُسمّى بذلك شجاعاً ولا جواداً، وكذلك يكون معه شيء من التقوى، ولا يُسمّى متقياً، ونظائره. فالصواب إجراء الحديث على ظاهره، ولا يتأول بما يخالف ظاهره، والله أعلم))[1].

أهم نتائج دراسته الحديثية التحليلية:

١- أن نفي إيمان فاعل الكبيرة كالزاني والسارق والشارب يقتضي فعله لمحرم واجب الترك إذا لم يستحله.

٢- أن الكمال المنفي هنا، هو: الكمال الواجب لا الكمال المستحب.

---

(١) روضة المحبين ٣٦٠ – ٣٦١.

المبحث الثاني:

الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي

لنفي إيمان حامل السلاح على المسلمين وغاشهم:

[ح٣] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا». تخريجه: أخرجه الإمام أحمد[١]، ومسلم – واللفظ له[٢] –، وابن منده [٣]. ألفاظ روايته: جاء في رواية أخرى قال: «أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام؛ كي يراه الناس؟! من غش فليس مني». تخريجها: أخرجها أحمد[٤]، ومسلم – واللفظ له[٥] –، وأبو داود[٦]، والترمذي[٧]، وابن ماجه[٨]، وابن الجارود[٩]، وابن حبان[١٠]، والحاكم[١١]. ولفظ أحمد، وأبوداود، ورواية عند ابن ماجه:

---

(١) ٢/٤١٧.

(٢) ١ كتاب الإيمان، ٤٣ قول النووي: "باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا"، ١٠١.

(٣) الإيمان ٢/٦١٤/٥٤٧.

(٤) ٢/٢٤٢.

(٥) ١ كتاب الإيمان، ٤٣ قول النووي: "باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا"، ١٠١.

(٦) ٢٢ كتاب البيوع، ١٦ باب في النهي عن الغش، ٣٤٥٢.

(٧) ١٣ كتاب الأحكام، ٧٤ باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع، ١٣١٥.

(٨) ١٢ كتاب التجارات، ٣٦ باب النهي عن الغش، ٢٢٢٤، ٢٢٢٥.

(٩) المنتقى ٥٦٤.

(١٠) الإحسان ٤٩٠٥.

(١١) المستدرك على الصحيحين ٢/١١.

«ليس منا من غش»، ولفظه عند ابن الجارود: «ليس منا من غشنا».

وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم، كرهوا الغش، وقالوا: الغش حرام».

الأحاديث الواردة في بابه، منها:

[ح٤] حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا».

تخريجه: أخرجه الإمام أحمد[١]، والإمام البخاري[٢]، ومسلم[٣]، والنسائي[٤]، وابن ماجه[٥]، وابن حبان[٦].

[ح٥] حديث أبي موسى الأشعري بمثل حديث ابن عمر رضي الله عنهم.

تخريجه: أخرجه البخاري[٧]، ومسلم[٨]، والترمذي[٩].

[ح٦] حديث سلمة بن الأكوع ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «من سل علينا

(١) ٢/١٦.

(٢) ٨٧ كتاب الديات، ٢ باب قول الله تعالى: ﴿ومن أحياها﴾ المائدة ٣٢، ٦٨٧٤، ٩٢ كتاب الفتن، ٧ باب قول النبي ﷺ:"من حمل علينا السلاح فليس منا"، ٧٠٧٠.

(٣) ١ كتاب الإيمان، ٤٣ قول النووي: باب قول النبي ﷺ:"من حمل علينا السلاح فليس منا"، ٩٨.

(٤) ٣٧ كتاب المحاربة، ٢٦ من شهر سيفه ثم وضعه في الناس، ٥١٠٥، وفي الكبرى ٣٥٦٣.

(٥) ٢٠ كتاب الحدود، ١٩ باب من شهر السلاح، ٢٥٧٦.

(٦) الإحسان ٤٥٩٠.

(٧) ٩٢ كتاب الفتن، ٧ باب قول النبي ﷺ:"من حمل علينا السلاح فليس منا"، ٧٠٧١.

(٨) ١ كتاب الإيمان، ٤٣ قول النووي: باب قول النبي ﷺ:"من حمل علينا السلاح فليس منا"، ١٠٠.

(٩) ١٥ كتاب الحدود، ٢٦ باب ما جاء فيمن شهر السلاح، ١٤٥٩.

السيف، فليس منا». تخريجه: أخرجه الإمام أحمد[(١)]، والإمام مسلم[(٢)]، وابن ماجه بلفظ: «من شهر علينا»[(٣)].

[ح٧] حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ:«ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».

تخريجه: أخرجه الإمام أحمد[(٤)]، والبخاري[(٥)]، ومسلم[(٦)]، والترمذي[(٧)]، والنسائي[(٨)]، وابن ماجه[(٩)].

الدراسة التحليلية:

دلالة الحديث: دل الحديث على أن انتفاء المسمّى الشرعي يقتضي: فعل واجب الترك، وهو: المحرم؛ لأن النبي ﷺ نفى في الحديث عن الغاش وحامل السلاح على المسلمين ولاطم الخدود: استقامته الواجبة على هدي النبي ﷺ لارتكابه هذه الكبائر، فهو ناقص الإيمان الواجب، يترل بفعله إلى وصف الإسلام، ما لم يستحله.

---

(١) ٤/٤٦، ٥٤.

(٢) ١ كتاب الإيمان، ٤٣ قول النووي: باب قول النبي ﷺ:"من حمل علينا السلاح فليس منا"، ٩٩.

(٣) ٢٠ كتاب الحدود، ١٩ باب من شهر السلاح، ٢٥٧٧.

(٤) ١/٤٥٦.

(٥) ٢٣ كتاب الجنائز، ٣٥ باب ليس منا من شق الجيوب، ١٢٩٤.

(٦) ١ كتاب الإيمان، ٤٤ قول النووي: "باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية"، ١٠٣.

(٧) ٨ كتاب الجنائز، ٢٢ باب ما جاء في النهي عن ضرب الخدود وشق الجيوب عند المصيبة، ٩٩٩.

(٨) ٢١ كتاب الجنائز، ١٧ دعوى الجاهلية، ١٨٦١.

(٩). ٦ كتاب الجنائز، ٥٢ باب ما جاء في النهي عن ضرب الخدود وشق الجيوب، ١٥٨٤.

المخالفون لدلالته: خالفها: الخوارج، فقالوا: بخروجه من الملة، والمرجئة، فقالوا: بأنه ليس من خيار المسلمين، أو على مثل إيمان النبي ﷺ، ومثلهم من جعل المنفي: الكمال المستحب. منشأ الخلل عندهم: أن الإيمان عندهم لا يتبعض ولا يتفاضل ولا يزيد ولا ينقص.

أقوال المحدثين والأئمة في بيان دلالته، والرد على المخالفين:

قال الخلال: «أخبرني حرب بن إسماعيل الكرماني، قال: قيل لأحمد: ما معنى حديث النبي ﷺ: "من غشنا فليس منا"؟ فلم يجب فيه، قيل: فإن قوماً قالوا: "من غشنا فليس مثلنا"؟! فأنكره، وقال: هذا تفسير مِسْعر وعبدالكريم أبي أمية، كلام المرجئة. قال أحمد: وبلغ عبدالرحمن بن مهدي، فأنكره، وقال: لو أن رجلاً عمل بكل حسنة أكان يكون مثل النبي ﷺ؟!»(١).

وفي رواية أخرى من طريق هارون بن عبدالله البزار قال: «قال أبو عبدالله: لو أن رجلاً صام وصلى، كان يكون مثل النبي ﷺ؟!!، ثم قال: هؤلاء المرجئة» قال البزار: «يعني: أن هذا من قولهم»(٢)، أراد: أن المرجئة بنوه على أصلهم بأن: الإيمان لا يتفاضل، ولا يزيد ولا نقص.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «ذكر رجل عند عبدالرحمن بن مهدي: قول رسول الله ﷺ: "ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، أو دعى دعوى الجاهلية" فقال الرجل: إنما هو ليس مثلنا؟! فقال عبدالرحمن بن مهدي منكراً لقول الرجل: أرأيت لو عمل أعمال البر كلها، كان يكون مثل رسول الله ﷺ؟!!»(٣).

---

(١) السنة ٣/٥٧٦/٩٩٤.

(٢) السنة ٣/٥٧٦/٩٩٧.

(٣) السنة ٣/٥٧٦/٩٩٥.

وقال أبو طالب: «سمعت أبا عبدالله يقول في قول النبي ﷺ: "من غشنا فليس منا": كما جاء الحديث، بلغني عن عبدالرحمن بن مهدي أنه قيل له في هذا أهم يقولون، "ليس منا: ليس بمثلنا"؟! فقال: لو عملوا جميع أعمال البر، ما كانوا مثل النبي ﷺ، ولكنه مثل الجاهلية وعملهم، وقد قال النبي ﷺ: "من حمل علينا السلاح فليس منا"، يحمل أحد السلاح على النبي ﷺ إلا يريد قتله، ويحمل أحد على أحد إلا وهو يريد قتله، فهذا كله ليس من فعل الإسلام: "من حمل السلاح ومن غشنا"[(١)]، و: "من لم يرحم صغيرنا"[(٢)]، وهذه كلها إنما هي فعل الجاهلية، ليس منا: أي ليس معنا، هو كما قال النبي ﷺ: " ليس منا"»[(٣)].

وقال ابن عبد البر: «أجمع العلماء على أن من شق العصا، وفارق الجماعة، وشهر على المسلمين السلاح، وأخاف السبيل، وأفسد بالقتل والسلب، فقتلهم وإراقة دمائهم واجب؛ لأن هذا من الفساد العظيم في الأرض، والفساد في الأرض موجب لإراقة الدماء بإجماع، إلا أن يتوب فاعل ذلك من قبل أن يقدر عليه، والانهزام عندهم ضرب من التوبة، وكذلك من عجز عن القتال لم يقتل إلا بما وجب عليه قبل ذلك»[(٤)].

وقال النووي: «معناه عند أهل العلم أنه: ليس ممن اهتدى بهدينا، واقتدى بعلمنا وعملنا وحسن طريقتنا، كما يقول الرجل لولده إذا لم يرض فعله: "لست مني"، وهكذا القول في كل الأحاديث الواردة بنحو هذا القول كقوله ﷺ: "من

---

(١) حديث الباب.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٠ كتاب الأدب، ٦٦ باب في الرحمة، ٤٩٤٣، والترمذي، ٢٥ كتاب البر والصلة، ٥ باب ما جاء في رحمة الصبيان، ١٩٢٠، وقال: " صحيح "، وصححه الحاكم، وقال: " صحيح على شرط مسلم " المستدرك على الصحيحين ١/١٣١.

(٣) السنة ٣/٥٧٦/٩٩٨.

(٤) التمهيد لابن عبد البر ٢٣/٣٣٩.

غش فليس منا"، وأشباهه»[1] وقوله: "وحسن طريقتنا": لفظة مجملة، والصحيح تقيدها بالواجب منها، فتكون: " وحسن طريقتنا الواجبة ".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الشارع ينفي اسم الإيمان عن الشخص؛ لانتفاء كماله الواجب، وإن كان معه بعض أجزائه، كما قال ﷺ: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن" [2]، ومنه قوله: "من غشنا فليس منا، ومن حمل علينا السلاح فليس منا" [3]، فإن صيغة: " أنا"، و: "نحن"، ونحو ذلك من ضمير المتكلم في مثل ذلك، يتناول النبي ﷺ والمؤمنين معه الإيمان المطلق الذي يستحقون به الثواب بلا عقاب، ومن هنا قيل إن الفاسق الملي يجوز أن يقال: هو مؤمن باعتبار، ويجوز أن يقال: ليس مؤمناً باعتبار.

وبهذا تبين أن الرجل قد يكون مسلماً لا مؤمناً ولا منافقاً مطلقاً، بل يكون معه أصل الإيمان دون حقيقته الواجبة، ولهذا أنكر أحمد وغيره من الأئمة على من فسر قوله: "ليس منا ": ليس مثلنا، أو ليس من خيارنا، وقال: "هذا تفسير المرجئة"، وقالوا: لو لم يفعل هذه الكبيرة كان يكون مثل النبي ﷺ، وكذلك تفسير الخوارج والمعتزلة بأنه: يخرج من الإيمان بالكلية، ويستحق الخلود في النار، تأويل منكر، فلا هذا، ولا هذا»[4]. وقال أيضاً: «حيث نفى الله الإيمان عن شخص فلا يكون إلا لنقص ما يجب عليه من الإيمان، ويكون من المعرّضين للوعيد، ليس من المستحقين للوعد المطلق.

وكذلك قوله ﷺ: "من غشنا فليس منا، ومن حمل علينا السلاح فليس

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم ١/١٠٩.

(٢) تقدم ح ١.

(٣) حديث الباب.

(٤) مجموع الفتاوى ٧/٥٢٤.

منا"، كله من هذا الباب، لا يقوله إلا لمن ترك ما أوجب الله عليه، أو فعل ما حرمه الله ورسوله، فيكون قد ترك من الإيمان المفروض عليه ما ينفى عنه الاسم لأجله، فلا يكون من المؤمنين المستحقين للوعد السالمين من الوعيد))[١].

وقال أيضاً: ((نفى عنه الإيمان الواجب الذي يستحق به الجنة، ولا يستلزم ذلك نفي أصل الإيمان وسائر أجزائه وشعبه.

وهذا معنى قولهم: نفي كمال الإيمان لا حقيقته، أي: الكمال الواجب، ليس هو الكمال المستحب المذكور في قول الفقهاء: الغسل كامل ومجزىء.

ومن هذا الباب قوله ﷺ: "من غشنا فليس منا" ليس المراد به أنه: "كافر" كما تأولته الخوارج، ولا أنه: "ليس من خيارنا"، كما تأولته المرجئة، ولكن المضمر يطابق المظهر، والمظهر هو المؤمنون المستحقون للثواب السالمون من العذاب، والغاش ليس منا؛ لأنه متعرض لسخط الله وعذابه))[٢].

وقال أيضاً: ((قد أخبر النبي ﷺ أن الغاش ليس بداخل في مطلق اسم أهل الدين والإيمان، كما قال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن"، فسلبه حقيقة الإيمان التي بها يستحق حصول الثواب والنجاة من العقاب، وإن كان معه أصل الإيمان الذي يفارق به الكفار، ويخرج به من النار))[٣].

وقد ذكر العلامة ابن أبي العز الحنفي أحوال الإيمان، وأنه تارة يُذكر مطلقاً عن العمل وعن الإسلام، وتارة يُقرن بالعمل الصالح، وتارة يُقرن بالإسلام، ثم قال: ((المطلق مستلزم للأعمال، قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر

---

(١) مجموع الفتاوى ٤١/٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٤٧٧/١٢– ٤٧٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٧٢/٢٨.

الله وجلت قلوبهم﴾[١]، ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾[٢]، ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء﴾[٣]، وقال ﷺ: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " الحديث، "من غشنا فليس منا"، "من حمل علينا السلاح فليس منا"، وما أبعد قول من قال: إن معنى قوله فليس منا أي: فليس مثلنا، فليت شعري، فمن لم يغش يكون مثل النبي ﷺ وأصحابه»[٤].

وقال ابن المُلَقِّن: «كأن المراد بالحديث – والله تعالى أعلم –: حمل على المسلمين السلاح لقتالهم؛ لأن فيه تخويفاً لهم، وإدخالاً للرعب عليهم، فأما من حمله لإرعاب المفسدين والمخالفين بإذن الإمام، فهو حمل لهم لا عليهم، فإن لم يقصد به القتال بل قصد أمراً شرعياً كإظهار قوة الإسلام لإرهاب العدو، وإعلامهم بقوتهم، واهتمامهم بقتالهم، فهذا مندوب لا شك فيه، وإن قصد اللعب والخيلاء فمحذور»[٥]. ثم قال: «اللهم إلا أن يستحل ذلك، فيكفر باستحلال المحرم، لا بحمل السلاح، وكذلك كل ما جاء من هذا المعنى، فهذا تأويله، مثل: "من غشنا فليس منا"، وقوله: "ليس منا من لطم الخدود"»[٦].

وقال الحافظ ابن حجر: «معنى الحديث: حمل السلاح على المسلمين لقتالهم به بغير حق لما في ذلك من تخويفهم، وإدخال الرعب عليهم. وقوله: "فليس منا" أي: ليس على طريقتنا، أو ليس متبعاً لطريقتنا؛ لأن من حق المسلم على المسلم

---

(١) سورة الأنفال ٢.

(٢) سورة الحجرات ١٥.

(٣) سورة المائدة ٨١.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٣٨٧.

(٥) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام ٣٧٧/١٠.

(٦) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام ٣٧٧/١٠.

أن ينصره ويقاتل دونه، لا أن يرعبه بحمل السلاح عليه؛ لإرادة قتاله أو قتله، ونظيره: "من غشنا فليس منا"، و: "ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب". وهذا في حق من لا يستحل ذلك، فأما من يستحله فإنه يكفر باستحلال المحرم بشرطه لا مجرد حمل السلاح»[١]، وقوله: «ليس على طريقتنا» عبارة مجملة تشمل الطريقة الواجبة والمستحبة، والصواب التقييد بالواجب منها.

وهذا هو المعنى الشرعي للمنفي هنا المبني على إعمال جميع النصوص الواردة في الباب، وقول بموجبها؛ لذا كان الإخلال بهذا الأصل من أسباب ضلال أهل الأهواء كالخوارج والمعتزلة والمرجئة، قال شيخ الإسلام: «نصوص الوعيد من الكتاب والسنة كثيرة جداً، والقول بموجبها واجب على وجه العموم والإطلاق من غير أن يعين شخص من الأشخاص، فيقال: هذا ملعون، ومغضوب عليه، أو مستحق للنار لا سيما إن كان لذلك الشخص فضائل وحسنات، فإن من سوى الأنبياء تجوز عليهم الصغائر والكبائر مع إمكان أن يكون ذلك الشخص صديقاً أو شهيداً أو صالحاً لما تقدم أن موجب الذنب يتخلف عنه بتوبة، أو استغفار، أو حسنات ماحية، أو مصائب مكفرة، أو شفاعة، أو لمحض مشيئته ورحمته.

فإذا قلنا بموجب قوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه

(١) فتح الباري ١٣/٢٤.

(٢) سورة النساء ١٠.

(٣) سورة النساء ١٤.

ناراً وكان ذلك على الله يسيرا﴾[1] إلى غير ذلك من آيات الوعيد.

أو قلنا بموجب قوله: "ومن غشنا فليس منا".... إلى غير ذلك من أحاديث الوعيد، لم يجز أن نعين شخصاً ممن فعل بعض هذه الأفعال، ونقول: هذا المعين قد أصابه هذا الوعيد؛ لإمكان التوبة وغيرها من مسقطات العقوبة، ولم يجز أن نقول: هذا يستلزم لعن المسلمين ولعن أمة محمد، أو لعن الصديقين أو الصالحين؛ لأنه يقال: الصديق والصالح متى صدرت منه بعض هذه الأفعال، فلابد من مانع يمنع لحوق الوعيد به مع قيام سببه.

ففعل هذه الأمور ممن يحسب أنها مباحة باجتهاد أو تقليد أو نحو ذلك غايته أن يكون نوعاً من أنواع الصديقين الذين امتنع لحوق الوعيد بهم المانع، كما امتنع لحوق الوعيد به لتوبة أو حسنات ماحية أو غير ذلك.

واعلم أن هذه السبيل، هي: التي يجب سلوكها، فإن ما سواها طريقان خبيثان: أحدهما: القول بلحوق الوعيد لكل فرد من الأفراد بعينه، ودعوى أن هذا عمل بموجب النصوص، وهذا أقبح من قول الخوارج المكفرين بالذنوب والمعتزلة وغيرهم، وفساده معلوم بالاضطرار، وأدلته معلومة في غير هذا الموضع. الثاني: ترك القول والعمل بموجب أحاديث رسول الله ﷺ ظناً أن القول بموجبها مستلزم للطعن فيما خالفها. وهذا الترك يجر إلى الضلال، واللحوق بأهل الكتابين الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم، فإن النبي ﷺ قال: "لم يعبدوهم، ولكن أحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم"، ويُفضي إلى طاعة المخلوق في معصية الخالق، ويُفضي إلى قبح العاقبة، وسوء التأويل المفهوم من فحوى قوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر

---

(١) سورة النساء ٢٩.

ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[١]... فلابد أن نؤمن بالكتاب، ونتبع ما أنزل إلينا من ربنا جميعه، ولا نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض، وتلين قلوبنا لاتباع بعض السنة، وتنفر عن قبول بعضها بحسب العادات والأهواء، فإن هذا خروج عن الصراط المستقيم إلى صراط المغضوب عليهم والضالين»[٢].

أهم نتائج دراسته الحديثية التحليلية:

١- أن نفي الأخوة الإيمانية عن الغاش للمسلمين وحامل السلاح عليهم، يقتضي فعل محرم واجب الترك إذا لم يستحله.

٢- أن العقوبة بالسلاح مشروعة للإمام أونائبه كإقامة الحدود، ودفع شرور البغاة والخوارج، وهي غير داخلة في النهي الذي تضمنته أحاديث الباب.

المبحث الثالث: الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي لنفي صلاة الحاقن ومن حضره الطعام

[ح٧] عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا صلاة بحضرة الطعام، ولا هو يدافعه الأخبثان».

تخريجه: أخرجه الإمام أحمد[٣]، ومسلم[٤]، وأبو داود[٥]، وابن خزيمة[٦]،

---

(١) سورة النساء ٥٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/٢٨٧- ٢٩٠.

(٣) ٦/٤٣، ٥٤، ٧٣.

(٤) اللفظ له بقصة في متنه، ٥ كتاب المساجد، ١٦ قول النووي: "باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال وكراهة الصلاة مع مدافعة الأخبثين"، ٥٦٠.

(٥) ١ كتاب الطهارة، ٤٣ باب أيصلي الرجل وهو حاقن، ٨٩.

(٦) ٩٣٣.

وابن حبان[1]، والحاكم[2]، والبيهقي[3].

الدراسة التحليلية:

دلالة الحديث: دل الحديث على أن انتفاء مسمّى الصلاة الشرعي يقتضي ترك واجب من واجباتها أو فعل محرم يبطلها، لأن الأصل في هذه الصيغة التحريم، لكنها في هذا الحديث صرفت عنه إلى الكراهة بدليل آخر.

الحديث الصارف لدلالته: حديث:

[ح٨] عمرو بن أمية ﷺ قال: ((رأيت رسول الله ﷺ يأكل ذراعاً يحتز منها، فدُعي إلى الصلاة، فقام فطرح السكين فصلى ولم يتوضأ)).

تخريجه: أخرجه الإمام أحمد[4]، والبخاري[5]، ومسلم[6].

أقوال المحدثين والأئمة في بيان دلالته:

الذي يظهر من صنيع الإمام البخاري أنه يرى عدم وجوب تقديم الطعام على الصلاة، بدليل أنه بوب عليه في كتاب الأذان بقوله: ((باب إذا دعي الإمام إلى الصلاة وبيده ما يأكل))، وفي كتاب الأطعمة، بقوله: ((باب إذا حضر العشاء فلا يعجل عن عشائه))، وأعقبه بحديث أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ،

---

(١) الإحسان ٢٠٧٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين ١/٢٧٤.

(٣) ٣/٧١.

(٤) ٤/١٣٩.

(٥) اللفظ له، ٤ كتاب الوضوء، ٥٠ باب من لم يتوضأ من لحم الشاة والسويق، ٢٠٨، ١٠ كتاب الأذان، ٤٣ باب إذا دعي الإمام إلى الصلاة وبيده ما يأكل، واللفظ منـــه، ٦٧٥، ٧٠ كتاب الأطعمة، ٥٨باب إذا حضر العشاء فلا يعجل عن عشائه، ٥٤٦٢.

(٦) ٣ كتاب الحيض، ٢٤ قول النووي:"باب نسخ الوضوء مما مست النار، ٣٥٥.

قال:((إذا وضع العشاء، وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء)).

وهذا له نظائره كالأصل في صيغ الأمر والنهي وصوارفهما.

وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى حمل النهي هنا على الكراهة، قال أبو الحارث أحمد بن محمد الصائغ: ((سئل أحمد عن العشاء إذا وضع وأقيمت الصلاة؟ قال: قد جاءت أحاديث، وكان القوم في مجاعة، فأما اليوم، فلو قام رجوت))(١). وفي رواية حنبل بن إسحاق عنه قال: ((إذا كان الرجل قد أكل من طعامه لقمة أو نحو ذلك، فلا بأس أن يقوم إلى الصلاة، فيصلى ثم يرجع إلى العشاء؛ لأن النبي ﷺ: " دُعي إلى الصلاة وقد كان يجتز من كتف الشاة، فألقى السكين وقام"))(٢).

وقال ابن عبد البر: ((قد أجمعوا أنه لو صلى بحضرة الطعام، فأكمل صلاته ولم يترك من فرائضها شيئاً، أن صلاته مجزية عنه، فكذلك إذا صلاها حاقناً فأكمل صلاته، وفي هذا دليل على أن النهي عن الصلاة بحضرة الطعام؛ من أجل خوف اشتغال بال المصلي بالطعام عن الصلاة وتركه إقامتها على حدودها، فإذا أقامها على حدودها خرج من المعنى المخوف عليه، وأجزته صلاته لذلك))(٣)، والصواب أنه قول جمهورهم، وأهل الظاهر حملوه على التحريم(٤).

وقال النووي: ((في هذه الأحاديث كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله؛ لما فيه من اشتغال القلب به وذهاب كمال الخشوع وكراهتها مع مدافعة الأخبثين، وهما البول والغائط، ويلحق بهذا ما كان في معناه مما يشغل القلب ويذهب كمال الخشوع. وهذه الكراهة عند جمهور أصحابنا، وغيرهم))(٥).

(١) بدائع الفوائد ٥٨٧/٣.

(٢) بدائع الفوائد ٥٨٧/٣.

(٣) التمهيد ٢٠٦/٢٢.

(٤) المحلى ٤٦/٤.

(٥) المنهاج في شرح صحيح مسلم ٤٦/٥.

وقال ابن قدامة: «إذا حضر العشاء في وقت الصلاة، فالمستحب أن يبدأ بالعشاء قبل الصلاة؛ ليكون أفرغ لقلبه وأحضر لباله، ولا يستحب أن يعجل عن عشائه أو غدائه»[1].

أهم نتائج دراسته الحديثية التحليلية:

١- أن نفي صلاة العبد يقتضي ترك واجب الفعل أو الترك.

٢- أن من حمل النفي في الحديث على الكراهة، قد استدل بدليل يصرف حديث الباب عن أصله، وهذا يقتضي تسليمه بأصل دلالة النفي على ترك واجب الفعل أو الترك؛ إذ لو كان النفي لا يقتضي أحدهما لما احتاج إلى هذا الدليل الصارف للأصل.

المبحث الرابع:

الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي لنفي صلاة الفرد خلف الصف:

[ح٩] عن علي بن شيبان ﷺ، أن رسول الله ﷺ: «رأى رجلاً يُصلي خلف الصف، فوقف حتى انصرف الرجل، فقال رسول الله ﷺ: استقبل صلاتك، فلا صلاة لرجل فرد خلف الصف». تخريجه: أخرجه الإمام أحمد[٢]، وابن ماجه[٣]، ويعقوب بن سفيان[٤]، وابن خزيمة[٤]، وابن حبان[٥]، والبيهقي[٦].

(١) المغني ١/٣٦٤.

(٢) اللفظ له مطولاً ٤/٢٣.

(٣) ٥ كتاب إقامة الصلاة، ٥٤ باب صلاة الرجل خلف الصف، ١٠٠٣.

(٤) المعرفة والتاريخ ١/١١٦.

(٤) ١٥٦٩

(٥) الإحسان ٢٢٠٢.

(٦) السنن الكبرى ٣/١٠٥.

ألفاظه: لفظه عند ابن خزيمة: «استقبل صلاتك، فلا صلاة لفرد خلف الصف». وعند يعقوب، وابن حبان، والبيهقي: «أعد صلاتك، لا صلاة لفرد خلف الصف». حكمه: حسن بإسناده، قد حسنه: الإمام أحمد[1]، وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، وغيرهم، وهو: صحيح لشاهده التالي.

الأحاديث الواردة في بابه، منها:

[ح١٠] حديث وابصة بن مَعْبد الأسدي ﷺ: «أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً صلى وحده خلف الصف، فأمره أن يعيد صلاته». تخريجه: أخرجه الإمام أحمد [2]، وأبو داود[3]، والترمذي[4]، وابن ماجه[5]، وابن حبان[6]، والبيهقي[7].

حكمه: حسن بإسناده، قد حسنه: الإمام أحمد[8]، وقال الترمذي: «حديث وابصة: حديث حسن» [9]، وصححه ابن حبان، وتعقب العلامة ابن القيم من تكلم عليه[10]، وهو: صحيح لشاهده السابق.

الدراسة التحليلية

دلالة الحديث: دل الحديث على أن انتفاء مسمّى الصلاة الشرعي يقتضي

(١) المغني ٢/٢٢.

(٢) اللفظ له، ٤/٢٢٧.

(٣) ٢ كتاب الصلاة، ٩٩ باب الرجل يصلي وحده خلف الصف، ٦٨٢.

(٤) ٢ كتاب الصلاة، ١٧٠ باب ما جاء في الصلاة خلف الصف وحده، ٢٣٠، ٢٣١.

(٥) ٥ كتاب إقامة الصلاة، ٥٤ باب صلاة الرجل خلف الصف، ١٠٠٤.

(٦) الإحسان ٢٢٠١.

(٧) السنن الكبرى ٣/١٠٥.

(٨) المغني ٢/٢٢.

(٩) ٢ كتاب الصلاة، ١٧٠ باب ما جاء في الصلاة خلف الصف وحده، عقب ح ٢٣٠.

(١٠) حاشية ابن القيم ٢/٢٦٦.

ترك واجب من واجباتها، لأن الأصل في هذه الصيغة التحريم، بدليل الأمر بإعادتها، وهو معنى: استقبالها.

حجة المخالفين لدلالته:

ذهب فريق من أهل العلم إلى عدم وجوب الإعادة، واستدلوا بأدلة أخرى يرون أنها تصرف صيغة النفي في هذه الصورة الخاصة من الوجوب إلى غيره:

[ح١١] كحديث أبي بكرة: «أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو راكع، فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: " زادك الله حرصاً ولا تَعُد». أخرجه البخاري(١).

اقتضاء صنيعهم لتوكيد أصل دلالة النفي على ترك الواجب:

يقتضي صنيعهم: توكيد الأصل في دلالة نفي المسمّى الشرعي على ترك الواجب لا المستحب؛ لأن بحثهم عن الصارف، واستدلالهم به: دليل على أنهم فهموا من النفي ترك الواجب.

أقوال المحدثين والأئمة في بيان دلالته:

قال الترمذي: «قد كره قوم من أهل العلم أن يصلي الرجل خلف الصف وحده، وقالوا: يُعيد إذا صلى خلف الصف وحده، وبه يقول: أحمد وإسحاق.

وقد قال قوم من أهل العلم: يُجزئه إذا صلى خلف الصف وحده، وهو قول سفيان الثوري، وابن المبارك، والشافعي.

وقد ذهب قوم من أهل الكوفة إلى حديث وابصة بن معبد أيضاً، قالوا: من صلى خلف الصف وحده يعيد، منهم: حماد بن أبي سليمان، وابن أبي ليلى، ووكيع» (٢). وبوب عليه ابن خزيمة بقوله: «باب الزجر عن صلاة المأموم خلف الصف وحده، والبيان أن صلاته خلف الصف وحده غير جائزة، يجب عليه

(١) ١٠ كتاب الأذان، ١١٤ باب إذا ركع دون الصف، ٧٨٣.

(٢) ٢ كتاب الصلاة، ١٧٠ باب ما جاء في الصلاة خلف الصف وحده، عقب ح ٢٣٠.

استقبالها، وأن قوله: "لا صلاة له" من الجنس الذي نقول إن العرب: تنفي الاسم عن الشيء؛ لنقصه عن الكمال.

واحتج بعض أصحابنا، وبعض من قال بمذهب العراقيين في إجازة صلاة المأموم خلف الصف وحده بما هو بعيد الشبه من هذه المسألة، احتجوا بخبر أنس ابن مالك أنه: "صلى وامرأة خلف النبي ﷺ فجعله عن يمينه، والمرأة خلف ذلك"، فقالوا: إذا جاز للمرأة أن تقوم خلف الصف وحدها، جاز صلاة المصلي خلف الصف وحده.

وهذا الاحتجاج عندي غلط؛ لأن سنة المرأة أن تقوم خلف الصف وحدها إذا لم تكن معها امرأة أخرى، وغير جائز لها أن تقوم بحذاء الإمام، ولا في الصف مع الرجال، والمأموم من الرجال إن كان واحداً فسنته أن يقوم عن يمين إمامه، وإن كانوا جماعة قاموا في صف خلف الإمام حتى يكمل الصف الأول، ولم يجز للرجل أن يقوم خلف الإمام والمأموم واحد.

ولا خلاف بين أهل العلم أن هذا الفعل لو فعله فاعل فقام خلف إمام ومأموم قد قام عن يمينه خلاف سنة النبي ﷺ، وإن كانوا قد اختلفوا في إيجاب إعادة الصلاة. والمرأة إذا قامت خلف الصف ولا امرأة معها ولا نسوة فاعلة ما أمرت به وما هو سنتها في القيام. والرجل إذا قام في الصف وحده فاعل ما ليس من سنته؛ إذ سنته أن يدخل الصف، فيصطف مع المأمومين.

فكيف يكون أن يشبه ما زجر المأموم عنه مما هو خلاف سنته في القيام بفعل امرأة فعلت ما أمرت به مما هو سنتها في القيام خلف الصف وحدها.

فالمشبه المنهي عنه بالمأمور به مغفل بين الغفلة مشبه بين فعلين متضادين؛ إذ هو مشبه منهي عنه بمأمور به فتدبروا هذه اللفظة يبن لكم بتوفيق خالقنا حجة ما ذكرنا. وزعم مخالفونا من العراقيين في هذه المسألة: أن المرأة لو قامت في الصف مع الرجال حيث أمر الرجل أن يقوم أفسدت صلاة من عن يمينها ومن

عن شمالها، والمصلي خلفها.

والرجل مأمور عندهم أن يقوم في الصف مع الرجال، فكيف يشبه فعل امرأة لو فعلت أفسدت صلاة ثلاثة من المصلين بفعل من هو مأمور بفعله إذ فعله لا يُفسد فعله صلاة أحد»[1]. وأراد: نقص الكمال الواجب بدلالة السياق عليه.

وقال ابن عبد البر: «كان أحمد بن حنبل والحميدي وأبو ثور يذهبون إلى الفرق بين المرأة والرجل في المصلى خلف الصف، فكانوا يرون الإعادة على من صلى خلف الصف وحده من الرجال بحديث وابصة بن معبد، عن النبي عليه السلام بذلك. ولا يرون على المرأة إذا صلت خلف الصف شيئاً لهذا الحديث، قالوا: وسنة المرأة أن تقوم خلف الرجال لا تقوم معهم، قالوا: فليس في حديث أنس هذا حجة لمن أجاز الصلاة للرجل خلف الصف وحده.

وقد استدل الشافعي على جواز صلاة الرجل خلف الصف وحده بحديث أنس هذا، وأردفه بحديث أبي بكرة حين ركع خلف الصف وحده، فقال له رسول الله ﷺ: "زادك الله حرصاً، ولا تعد"، ولم يامره بإعادة الصلاة.

وقال: «وقوله لأبي بكرة: "ولا تعد" يعني لا تعد أن تتأخر عن الصلاة حتى تفوتك، قال: وإذا جاز الركوع للرجل خلف الصفوف وحده وأجزأ ذلك عنه، فكذلك سائر صلاته؛ لأن الركوع ركن من أركانها، فإذا جاز للمصلي أن يركع خلف الصفوف وحده، كان له أن يسجد، وأن يتم صلاته، والله أعلم»[2].

وكذا رجح ابن قدامة الإعادة[3]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وردت السنة بالإعادة في الوقت لمن ترك واجباً من واجبات الصلاة، كأمره ﷺ للمسيء

---

(١) ٣/ ٣٠.

(٢) التمهيد لابن عبد البر ١/ ٢٦٨.

(٣) المغني ٢/ ٢٢.

في صلاته بالإعادة؛ لما ترك الطمأنينة المأمور بها، وكأمره ﷺ لمن صلى خلف الصف منفرداً بالإعادة؛ لما ترك المصافة الواجبة، والله سبحانه وتعالى أعلم»[١].

وقال أيضاً: «الحمد لله، من قول العلماء: إنه لا تصح صلاة المنفرد خلف الصف؛ لأن في ذلك حديثين عن النبي ﷺ: "أنه أمر المصلى خلف الصف بالإعادة"، وقال: "لا صلاة لفذ خلف الصف".

وقد صحح الحديثين غير واحد من أئمة الحديث، وأسانيدهما مما تقوم بهما الحجة، بل المخالفون لهما يعتمدون في كثير من المسائل على ما هو أضعف إسناداً منهما. وليس فيهما ما يُخالف الأصول، بل ما فيهما هو مقتضى النصوص المشهورة، والأصول المقررة؛ فإن صلاة الجماعة سميت جماعة؛ لاجتماع المصلين في الفعل مكاناً وزماناً، فإذا أخلوا بالاجتماع المكاني أو الزماني، مثل أن يتقدموا، أو بعضهم على الإمام، أو يتخلفوا عنه تخلفاً كثيراً لغير عذر، كان ذلك منهياً عنه باتفاق الأئمة.

وكذلك لو كانوا مفترقين غير منتظمين، مثل أن يكون هذا خلف هذا، وهذا خلف هذا، كان هذا من أعظم الأمور المنكرة، بل قد أمروا بالاصطفاف، بل أمرهم النبي ﷺ بتقويم الصفوف، وتعديلها وتراص الصفوف وسد الخلل، وسد الأول فالأول، كل ذلك مبالغة في تحقيق اجتماعهم على أحسن وجه بحسب الإمكان، ولو لم يكن الاصطفاف واجباً لجاز أن يقف واحد خلف واحد وهلم جرا، وهذا مما يعلم كل أحد علماً عاماً أن هذه ليست صلاة المسلمين، ولو كان هذا مما يجوز لفعله المسلمون ولو مرة، بل وكذلك إذا جعلوا الصف غير منتظم، مثل أن يتقدم هذا على هذا، ويتأخر هذا عن هذا لكان ذلك شيئاً قد عُلم نهى النبي ﷺ عنه، والنهى يقتضي التحريم، بل إذا صلوا قدام الإمام كان أحسن من مثل هذا.

(١) الفتاوى الكبرى ٢/٢٨٢.

فإذا كان الجمهور لا يصححون الصلاة قدام الإمام إما مطلقاً، وإما لغير عذر، فكيف تصح الصلاة بدون الاصطفاف، فقياس الأصول يقتضي: وجوب الاصطفاف، وأن صلاة المنفرد لا تصح كما جاء به هذان الحديثان. ومن خالف ذلك من العلماء، فلا ريب أنه لم تبلغه هذه السنة من وجه يثق به، بل قد يكون لم يسمعها، وقد يكون ظن أن الحديث ضعيف، كما ذكر ذلك بعضهم.

والذين عارضوه احتجوا بصحة صلاة المرأة منفردة، كما ثبت في الصحيح: "أن أنساً واليتيم صفا خلف النبي ﷺ، وصفت العجوز خلفهما".

وقد اتفق العلماء على صحة وقوفها منفردة إذا لم يكن في الجماعة امرأة غيرها، كما جاءت به السنة. واحتجوا أيضاً بوقوف الإمام منفرداً، واحتجوا بحديث أبي بكرة لما ركع دون الصف، ثم دخل في الصف، فقال له النبي ﷺ: "زادك الله حرصاً ولا تعد"، وهذه حجة ضعيفة لا تقاوم حجة النهي عن ذلك»[1].

وقال شيخ الإسلام: «الصواب ما عليه جمهور المسلمين أن من فعل العبادة كما أمر بحسب وسعه فلا إعادة عليه، كما قال تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾[2]، ولم يُعرف قط أن رسول الله أمر العبد أن يصلي الصلاة مرتين، لكن يأمر بالإعادة من لم يفعل ما أمر به مع القدرة على ذلك، كما قال أمر من صلى خلف الصف وحده أن يعيد الصلاة»[3].

وقال: «إن الله ورسوله لا ينفي اسم مسمّى أمر، أمر الله به ورسوله إلا إذا ترك بعض واجباته، فأما إذا كان الفعل مستحباً في العبادة لم ينفها لانتفاء المستحب، فإن هذا لو جاز لجاز أن يُنفى عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة والزكاة والحج؛ لأنه ما من عمل إلا وغيره أفضل منه.

(١) مجموع الفتاوى ٢٣/٣٩٣- ٣٩٦. الفتاوى الكبرى ٢/٤٤٣.

(٢) سورة التغابن ١٦.

(٣) مجموع الفتاوى ٢١/٦٣٣.

وليس أحد يفعل أفعال البر مثل ما فعلها النبي ﷺ، بل ولا أبو بكر ولا عمر، فلو كان من لم يأت بكمالها المستحب يجوز نفيها عنه لجاز أن ينفى عن جمهور المسلمين من الأولين والآخرين، وهذا لا يقوله عاقل.

فمن قال: إن المنفي هو الكمال، فإن أراد أنه نفى الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة، فقد صدق، وإن أراد أنه نفى الكمال المستحب، فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله، ولا يجوز أن يقع، فإن من فعل الواجب كما وجب عليه ولم ينتقص من واجبه شيئاً، لم يجز أن يقال: "ما فعله" لا حقيقة ولا مجازاً. فإذا قال ﷺ لمن صلى خلف الصف، وقد أمره بالإعادة: "لا صلاة لفذ خلف الصف"، كان لترك واجب، وكذلك قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾[١]، يبين أن الجهاد واجب، وترك الارتياب واجب))[٢].

وقال العلامة ابن قيم الجوزية: ((لو صحت صلاة المنفرد لما حكم رسول الله ﷺ بنفيها، فأمر من صلّى كذلك أن يُعيد صلاته))[٣].

وذكر العلامة ابن القيم أن من أسباب مخالفة الدليل: ((... اعتقاده: أن لا دلالة في ذلك اللفظ على الحكم المتنازع فيه، فهاهنا أربعة أمور: أحدها: أن لا يعرف مدلول اللفظ في عرف الشارع، فيحمله على خلاف مدلوله. الثاني: أن يكون له في عرف الشارع معنيان فيحمله على أحدهما، ويحمله غيره على المعنى الآخر. الثالث: أن يفهم من العام خاصاً، أو من الخاص عاماً، أو من المطلق مقيداً، أو من المقيد مطلقاً. الرابع: أن ينفي دلالة اللفظ، وتارة يكون مصيباً في نفس الدلالة، وتارة يكون مخطئاً، فمن نفى دلالة قوله: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم

(١) سورة الحجرات ١٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/١٥، ١٦.

(٣) الصلاة وحكم تاركها ١٤٧.

الخيط الأبيض﴾[1]، على حل أكل ذي الناب والمخلب أصاب......

ومن نفى دلالة الأمر على الوجوب والنهي على التحريم غلط.

ومن هذا ما يعرض من الاختلاف في الأفعال المنفية بعد وجود صورها، كقوله: "لا صلاة لفذ خلف الصف"، ونحو ذلك. وطائفة لم تفهم المراد منه، فجعلته مجملاً يتوقف العمل به على البيان. وطائفة فهمت منه: نفي الكمال المستحب، وهذا ضعيف جداً؛ فإن النفي المطلق بعيد منه. وطائفة فهمت: نفي الأجزاء والصحة، وفهم هؤلاء أقرب إلى اللغة والعرف والشرع. وطائفة فهمت: نفي المسمّى الشرعي. وهؤلاء أسعد الناس بفهم المراد»[2].

أهم نتائج دراسته الحديثية التحليلية:

١- أن الأصل في نفي صلاة الفذ خلف الصف يقتضي فعله لواجب الترك.

٢- أن القائلين بالكراهة مُقِرّون ضمناً بهذا الأصل، وهذا مقتضى بحثهم عن الصارف واستدلالهم به؛ إذ لو كانت دلالة النفي المجردة لا تقتضي ترك واجب الفعل أو الترك – وهو المحرم – لما احتاجوا إلى دليل آخر يصرفها.

المبحث الخامس:

الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي لنفي صلاة المسئ فيها:

[ح١٢] عن أبي هريرة ﷺ: «أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل فصلى، فسلّم على النبي ﷺ فردّ، وقال: "ارجع فصل؛ فإنك لم تصل".

فرجع يُصلّي كما صلّى، ثم جاء فسلّم على النبي ﷺ، فقال: "ارجع فصل؛

---

(١) سورة البقرة ١٨٧.

(٢) الصواعق المرسلة ٢/٥٧٤.

فإنك لم تصل ثلاثاً ". فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلّمني. فقال: "إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، وافعل ذلك في صلاتك كلها)).

تخريجه: أخرجه الإمام أحمد[(١)]، والبخاري[(٢)]، ومسلم[(٣)]، وأبو داود[(٤)]، والترمذي[(٥)]، والنسائي[(٦)]، وابن ماجه[(٧)]، وابن الجارود[(٨)]، وابن خزيمة[(٩)]، وابن حبان[(١٠)]، والبيهقي[(١١)].

---

(١) ٤٣٧/٢.

(٢) اللفظ له، ١٠ كتاب الأذان، ٩٥ باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت، ٧٥٧، و ٣٩ باب أمر النبيﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة، ٧٩٣، و ٧٩ كتاب الاستئذان، ١٨ باب من رد فقال عليك السلام، ٦٢٥١، ٦٢٥٢، و ٨٣ كتاب الأيمان والنذور، ١٤ باب إذا حنث ناسياً في الأيمان، ٦٦٦٧.

(٣) ٤ كتاب الصلاة، ١١ قول النووي: "باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها"، ٣٩٧.

(٤) ٢ كتاب الصلاة، ١٤٣ باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، ٨٥٦.

(٥) ٢ كتاب الصلاة، ١١٠ باب ما جاء في وصف الصلاة، ٣٠٣.

(٦) ١١ كتاب الافتتاح، ٧ فرض التكبيرة الأولى، ٨٨٥، وفي الكبرى ٩٥٨.

(٧) كتاب إقامة الصلاة، ٧٢ باب إتمام الصلاة، ١٠٦٠.

(٨) المنتقى ١٩٤.

(٩) ٤٦١، ٥٩٠، ٥٩١.

(١٠) الإحسان ١٧٨٧.

(١١) السنن الكبرى ١٥/٢.

الدراسة التحليلية:

دلالة الحديث: دل الحديث على أن انتفاء مسمّى الصلاة الشرعي يقتضي ترك واجب من واجباتها؛ لأنه أمر المسيء فيها بإعادتها.

أقوال المحدثين والأئمة في بيان دلالته: قال الإمام الشافعي: ((في الحديث دليل على أن رسول الله ﷺ علمه الفرض عليه في الصلاة دون الاختيار))[1]، وهذا مقتضى تبويب الإمام البخاري، حيث يقول: ((باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت))[2]، وفي موضع آخر قال: ((باب أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة))[3]، وبوب عليه الإمام ابن خزيمة بقوله: ((باب ذكر البيان أن صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود غير مجزئة، لا أنها ناقصة مجزئة كما توهم بعض من يدعي العلم))[4]، وقال ابن عبد البر: ((هذا الحديث ذكر فيه رسول الله ﷺ فرائض الصلاة دون سننها))[5].

وقال النووي: ((هذا الحديث مشتمل على فوائد كثيرة، وليعلم أولاً أنه محمول على بيان الواجبات دون السنن))[6].

وقال ابن قدامة: ((المشروع في الصلاة ينقسم قسمين: واجب ومسنون، فالواجب: نوعان، أحدهما: لا يسقط في العمد ولا في السهو، وهو عشرة أشياء: تكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة للإمام والمنفرد، والقيام، والركوع حتى يطمئن،

(١) الأم ١/١٠٣.

(٢) ح ٧٥٧.

(٣) ح ٧٩٣.

(٤) ١/٢٩٩.

(٥) التمهيد ٩/١٨٣.

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم ٤/١٠٧.

والاعتدال عنه حتى يطمئن، والسجود حتى يطمئن، والاعتدال عنه بين السجدتين حتى يطمئن، والتشهد في آخر الصلاة، والجلوس له والسلام، وترتيب الصلاة على ما ذكرناه، فهذه تسمى أركاناً للصلاة لا تسقط في عمد ولا سهو، وفي وجوب بعض ذلك اختلاف، وقد دل على وجوبها حديث أبي هريرة عن:"المسيء في صلاته"، فإن النبي ﷺ قال له: "لم تصل "، وأمره بإعادة الصلاة، فلما سأله أن يعلمه علمه هذه الأفعال، فدل على أنه لايكون مصلياً بدونها))[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((أمر النبي ﷺ ذلك المسيء في صلاته بأن يعيد الصلاة، وأمر الله ورسوله إذا أطلق كان مقتضاه: الوجوب، وأمره إذا قام إلى الصلاة بالطمأنينة، كما أمره بالركوع والسجود، وأمره المطلق على الإيجاب. وأيضاً قال له: "فإنك لم تصل"، فنفى أن يكون عمله الأول صلاة، والعمل لا يكون منفياً إلا إذا انتفى شيء من واجباته، فأما إذا فعل كما أوجبه الله عز وجل، فإنه لا يصح نفيه؛ لانتفاء شيء من المستحبات التي ليست بواجبة.

وأما ما يقوله بعض الناس: إن هذا نفي للكمال، فيقال له: نعم هو لنفي الكمال، لكن لنفي كمال الواجبات، أو لنفي كمال المستحبات؟ فأما الأول فحق، وأما الثاني فباطل، لا يُوجد مثل ذلك في كلام الله عز وجل، ولا في كلام رسوله قط، وليس بحق، فإن الشيء إذا كملت واجباته، فكيف يصح نفيه، وأيضاً فلو جاز لجاز نفي صلاة عامة الأولين والآخرين؛ لأن كمال المستحبات من أندر الأمور.

وعلى هذا، فما جاء من نفي الأعمال في الكتاب والسنة، فإنما هو لانتفاء بعض واجباته، كقوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول

---

(١) المغني ٣٦٦/١.

(٢) سورة النساء ٦٥.

وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾الآية[2]، وقوله: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ الآية[3]، ونظائر ذلك كثيرة))[4].

وقال: ((قد أخرجا في الصحيحين حديث: "المسيء في صلاته" لما قال له النبي ﷺ: "ارجع فصل، فإنك لم تصل"، وأمره بالصلاة التي فيها طمأنينة، فدل هذا الحديث الصحيح على أن من ترك الواجب لم يكن ما فعله: صلاة، بل يؤمر بالصلاة. والشارع ﷺ لا ينفي الاسم إلا لانتفاء بعض واجباته، فقوله: "فإنك لم تصل"؛ لأنه ترك بعض واجباها، ولم تكن صلاته تامة مقامة الإقامة المأمور بها في قوله تعالى: ﴿فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة﴾[5]، فقد أمر بإتمامها، ولهذا لما أمر بإتمام الحج والعمره بقوله:﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾[6]، ألزم الشارع فيهما فعل جميع الواجبات، فإذا ترك بعضها فلا بد من الجبران.

فعُلم أنه إن لم يأت بالمأمور به تاماً التمام الواجب، وإلا فعليه ما يمكن من إعادة أو جبران))[7]. وقال أيضاً في المسمّى الشرعي: ((إذا نقص شيء من واجباته فقد ذهب ذلك الكمال والتمام، ويجوز نفي الاسم إذا أريد به نفي ذلك الكمال، وعليه أن يأتي بذلك الجزء، وإن كان ترك واجباً فعله، أو كان

---

(١) سورة النور ٤٧.

(٢) سورة الحجرات ١٥.

(٣) سورة النور ٦٢.

(٤) القواعد النورانية ١/٢٦، مجموع الفتاوى ٢٢/٥٣٠.

(٥) سورة النساء ١٠٣.

(٦) سورة البقرة ١٩٦.

(٧) منهاج السنة النبوية ٥/٢٠١.

ذنباً استغفر منه، وبذلك يصير من المؤمنين المستحقين لثواب الله المحض الخالص عن العقاب. وأما إذا ترك واجباً منه أو فعل محرماً فإنه يستحق العقاب على ذلك ويستحق الثواب على ما فعل.

والمنفي إنما هو المجموع لا كل جزء من أجزائه، كما إذا ذهب واحد من العشرة لم تبق العشرة عشرة لكن بقي أكثر أجزائها.

وكذلك جاءت السنة في سائر الأعمال كالصلاة وغيرها، أنه: يُثاب على ما فعله منها ويعاقب على الباقي، حتى إنه إن كان له تطوع جبر ما ترك بالتطوع، ولو كان ما فعل باطلاً وجوده كعدمه لا يثاب عليه لم يجبر بالنوافل شيء، وعلى ذلك دل حديث: "المسيء" الذي في السنن أنه إذا نقص منها شيئاً أثيب على ما فعله. فإن قلت: فالفقهاء يُطلقون أنه قد بطلت صلاته وصومه وحجه إذا ترك منه ركناً؟ قيل: لأن الباطل في عرفهم ضد الصحيح، والصحيح في عرفهم ما حصل به مقصوده وترتب عليه حكمه وهو براءة الذمة، ولهذا يقولون: "الصحيح ما أسقط القضاء"، فصار قولهم: "بطلت" بمعنى: وجب القضاء، لا بمعنى أنه: لا يُثاب عليها بشيء في الآخرة»[1].

وقال ابن الملقِّن: «في الحديث: أن من أخلّ ببعض واجبات الصلاة، لا تصح صلاته، ولا يُسمّى مصلياً، بل يُقال: لم يصل»[2].

أهم نتائج دراسته الحديثية التحليلية:

أن نفي صلاة المسئ فيها يقتضي ترك واجبها؛ لأن النبي ﷺ أمره بإعادتها.

(١) منهاج السنة النبوية ٥/٢٠٦.

(٢) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام ٣/١٨٠.

المبحث السادس:

الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي لنفي صلاة تارك الفاتحة

[ح١٣] عن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)).

تخريجه: أخرجه الإمام أحمد(١)، والبخاري(٢)، ومسلم(٣)، وأبو داود(٤)، والترمذي(٥)، والنسائي(٦)، وابن ماجه(٧)، وابن الجارود(٨)، وابن خزيمة(٩)، وابن حبان(١٠).

الأحاديث الواردة في بابه، منها:

[ح١٤] حديث أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: ((لا صلاة إلا بقراءة)).

---

(١) ٥/٣١٤، ٣١٦، ٣٢٢.

(٢) اللفظ له، ١٠ كتاب الأذان، ٩٥ باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت، ٧٥٥.

(٣) ٤ كتاب الصلاة، ١١ قول النووي: ((باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها))، ٣٩٤.

(٤) ٢ كتاب الصلاة، ١٣١ باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب، ٨٢٢.

(٥) ٢ كتاب الصلاة، ١٨٣ باب ما جاء أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب، ٢٤٧.

(٦) ١١ كتاب الافتتاح، ٢٤ إيجاب قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة، ٩١١. وفي الكبرى ٩٨٢.

(٧) ٥ كتاب إقامة الصلوات، ١١ باب القراءة خلف الإمام، ٨٣٧.

(٨) المنتقى ١٨٥.

(٩) ٤٨٨.

(١٠) الإحسان ١٧٨٢.

تخريجه: أخرجه الإمام مسلم[١]، وأبو داود[٢]، وابن الجارود، ولفظه: ((لا صلاة إلا بفاتحة القرآن))[٣].

ألفاظه: جاء في رواية لحديث أبي هريرة ﷺ: ((من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن، فهي خِدَاج ثلاثاً غير تمام)).

تخريجها: أخرجه الإمام أحمد[٤]، ومسلم[٥]، وأبو داود[٦]، والنسائي[٨]، وابن ماجه[٩]، وابن الجارود[١٠]، وابن خزيمة[١١].

الدراسة التحليلية:

دلالة الحديث: دل الحديث على أن انتفاء مسمّى الصلاة الشرعي يقتضي ترك واجب من واجباتها فما فوقه، ويُبينه حديث أبي هريرة ﷺ، حيث وصف صلاته بالخِداج، وهو يُطلق في أصل اللغة على النقص في الأعضاء أو المدة، قال

(١) اللفظ له، ٤ كتاب الصلاة، ١١ قول النووي: ((باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها))، ٣٩٦.

(٢) ٢ كتاب الصلاة، ١٣١ باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب، ٨١٩.

(٣) المنتقى ١٨٦.

(٤) ٢/٢٤١.

(٥) اللفظ له، ٤ كتاب الصلاة، ١١ قول النووي: ((باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها))، ٣٩٥.

(٦) ٢ كتاب الصلاة، ١٣١ باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب، ٨٢١.

(٨) ١١ كتاب الافتتاح، ٢٤ إيجاب قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة، ٩١٠. وفي الكبرى ٩٨١.

(٩) ٥ كتاب إقامة الصلوات، ١١ باب القراءة خلف الإمام، ٨٣٨.

(١٠) المنتقى ١٨٥.

(١١) ٤٨٩.

الأصمعي: «الخِداج: النقصان، مثل خِداج الناقة، إذا ولدت ولداً ناقص الخلق، أو لغير تمام»[1]، وقال ابن الأثير: «الخِداج: النقصان، يقال: خَدجت الناقة: إذا ألقت ولدها قبل أوانه وإن كان تام الخلق، وأخدجته: إذا ولدته ناقص الخلق وإن كان لتمام الحمل»[2].

أقوال المحدثين والأئمة في بيان دلالته:

قد بوب الإمام البخاري عليه بقوله: «باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت»[3].

وبوب الإمام ابن خزيمة عليه بقوله: «باب إيجاب القراءة في الصلاة بفاتحة الكتاب ونفي الصلاة بغير قراءتها»[4].

وفي موضع آخر قال: «باب ذكر الدليل على أن الخداج الذي أعلم النبي ﷺ في هذا الخبر هو النقص الذي لا تجزئ الصلاة معه، إذ النقص في الصلاة يكون نقصين:

أحدهما: لا تجزئ الصلاة مع ذلك النقص.

والآخر: تكون الصلاة جائزة مع ذلك النقص لا يجب إعادتها، وليس هذا النقص مما يوجب سجدتي السهو مع جواز الصلاة»[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قوله ﷺ: "لا صلاة إلا بأم القرآن" وأمثال ذلك، لا ينفي مسمّى الاسم إلا لانتفاء بعض ما يجب في ذلك، لا لانتفاء بعض

---

(١) غريب الحديث لابن سلام ١/٦٦.

(٢) النهاية في غريب الأثر ٢/١٢.

(٣) ح ٧٥٥.

(٤) ١/٢٤٦.

(٥) ١/٢٤٧.

مستحباته»[١]، وقال في موضع آخر: «من قال من الفقهاء: إن هذا لنفي الكمال، قيل له: إن أردت الكمال المستحب فهذا باطل؛ لوجهين:

أحدهما: أن هذا لا يوجد قط في لفظ الشارع أنه ينفي عملاً فعله العبد على الوجه الذي وجب عليه، ثم ينفيه لترك بعض المستحبات، بل الشارع لا ينفي عملاً إلا إذا لم يفعله العبد كما وجب عليه. الثاني: أنه لو نفى بترك مستحب؛ لكان عامة الناس لا صلاة لهم، ولا صيام، فإن الكمال المستحب متفاوت، ولا أحد يصلي كصلاة رسول الله ﷺ، أفكل من لم يكملها كتكميل الرسول ﷺ يقال: لا صلاة له»[٢]، وقال أيضاً: «الشارع دائماً لا ينفي المسمّى الشرعي إلا لانتفاء واجب فيه، وإذا قيل: المراد بذلك نفي الكمال، فالكمال: نوعان، واجب ومستحب، فالمستحب كقول بعض الفقهاء الغسل ينقسم إلى كامل ومجزىء، أي كامل المستحبات. وليس هذا الكمال، هو: المنفي في لفظ الشارع، بل المنفي هو: الكمال الواجب، وإلا فالشارع لم ينف الإيمان ولا الصلاة ولا الصيام ولا الطهارة ولا نحو ذلك من المسميات الشرعية لانتفاء بعض مستحباها، إذ لو كان كذلك لانتفى الإيمان عن جماهير المؤمنين، بل إنما نفاه لانتفاء الواجبات، كقوله عليه الصلاة والسلام: "لا صلاة إلا بأم القرآن"»[٣].

أهم نتائج دراسته الحديثية التحليلية:

١- أن نفي صلاة تارك الفاتحة يقتضي تركه لواجب.

٢- أن نقص الواجب في الصلاة منه: ما لا تجزئ الصلاة مع ذلك النقص، ومنه ما تجزئ الصلاة معه.

---

(١) الفتاوى الكبرى ٢٩٧/٤.

(٢) منهاج السنة النبوية ٢٠٨/٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٦٨/١٨، الرد على البكري ٦٠١/٢.

المبحث السابع:

الأحاديث الواردة في المعنى الشرعي لنفي الصوم الواجب:

[ح١٥] عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «من لم يُجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له».

وفي رواية ابن عيينة: «لا صيام لمن لم يُجمع الصيام قبل الفجر».

تخريجه، وبيان اختلاف أصحاب الزهري في رفع هذا الحديث ووقفه:

الوجه الأول: الرفع: رواه، عن الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، عن حفصة زوج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ:

١- عبد الله بن أبي بكر بن حزم:

أخرجه أبو داود[١]، والترمذي[٢]، والنسائي[٣]، وابن خزيمة[٤]، والدارقطني[٥]، والطحاوي[٦]، والبيهقي[٧] باللفظ الأول، وفي رواية أخرى عند النسائي بلفظ: «يُبيّت»[٨]، وهي لفظ الطحاوي.

---

(١) ١٤ كتاب الصيام، ٧١ باب النية في الصوم، ٢٤٥٤.

(٢) ٦ كتاب الصوم، ٣٣ باب ما جاء لا صيام لمن لم يعزم من الليل، ٧٣٠.

(٣) ٢٢ كتاب الصيام، ٦٨ ذكر اختلاف الناقلين لخبر حفصة في ذلك، ٢٣٣٣، وفي الكبرى ٢٦٤٠.

(٤) ١٩٣٣/٢١٢/٣.

(٥) سنن الدارقطني ١٧٢/٢.

(٦) شرح معاني الآثار ٥٤/٢.

(٧) السنن الكبرى ٢٠٢/٤.

(٨) ٢٣٣٤.

وقال الإمام أبو داود: ((رواه الليث وإسحاق بن حازم أيضاً جميعاً عن عبد الله بن أبي بكر مثله، ووقفه على حفصة: معمر، والزّبيدي، وابن عيينة، ويونس الأيلي كلهم عن الزهري)).

٢- عبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج:

أخرجه النسائي[١]، عن أحمد بن الأزهر بن منيع عنه، بلفظ: ((من لم يُبيّت من الليل فلا صيام له))، وقال أبو عبد الرحمن النسائي: ((حديث ابن جُريج عن الزهري: غير محفوظ، والله أعلم))[٢].

الوجه الثاني: الوقف على حفصة: رواه، عن الزهري، عن سالم بن عبد الله ابن عمر، عن أبيه، عن حفصة زوج النبي ﷺ:

١- عبيد الله بن عمر: أخرجه النسائي[٣] باللفظ الأول

٢- يونس بن يزيد: أخرجه النسائي[٤]، بلفظ: ((لا صيام لمن لم يجمع قبل الفجر)). وأخرجه ابن أبي شيبة[٥]، والنسائي[٦]، والدارقطني[٧]، من طريق

(١) ٢٢ كتاب الصيام، ٦٨ ذكر اختلاف الناقلين لخبر حفصة في ذلك، ٢٣٣٦، وفي الكبرى ٢٦٤٣.

(٢) السنن الكبرى ٢/١١٧/٢٦٤٩.

(٣) ٢٢ كتاب الصيام، ٦٨ ذكر اختلاف الناقلين لخبر حفصة في ذلك، ٢٣٣٧، وفي الكبرى ٢٦٤٤.

(٤) ٢٢ كتاب الصيام، ٦٨ ذكر اختلاف الناقلين لخبر حفصة في ذلك، ٢٣٣٨، وفي الكبرى ٢٦٤٥.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٢/٢٩٢.

(٦) ٢٢ كتاب الصيام، ٦٨ ذكر اختلاف الناقلين لخبر حفصة في ذلـــك، ٢٣٣٩، ٢٣٤٠، ٢٣٤١، ٢٣٣٤٢. وفي الكبرى ٢٦٤٦، ٢٦٤٧، ٢٦٤٨.

(٧) سنن الدارقطني ٢/١٧٣.

سفيان ابن عيينة، ومعمر بن راشد، عن حمزة بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر، عن حفصة قالت: ((لا صيام لمن لم يُجمع الصيام قبل الفجر))، ولفظ النسائي: ((لا صيام لمن لم يُجمع قبل الفجر)). وأخرجه النسائي[1]، من طريق مالك، عن ابن شهاب مرسلاً، عن عائشة وحفصة بلفظ: ((لا يصوم إلا من أجمع الصيام قبل الفجر)).

النظر في الاختلاف:

اختلف النقاد في الحكم برفع الحديث ووقفه، والراجح وقفه، قال الإمام أحمد: ((رُوي عن حفصة، رفعه بعضهم))[2]، وأعمل الموقوف[3].

وسأله الميموني عنه، فقال: ((أخبرك، ما له عندي ذلك الإسناد، إلا أن له عن عائشة وحفصة إسنادين جيدين))، قال العلامة ابن القيم: ((يُريد أنه موقوف))[4]. وصحح وقفه الإمام البخاري، فقال: ((عن سالم، عن أبيه، عن حفصة، عن النبي ﷺ خطأ، وهو حديث فيه اضطراب، والصحيح عن ابن عمر: موقوف، ويحيى بن أيوب صدوق))[5]، والترمذي [6]، والنسائي، فقال: ((الصواب عندنا موقوف. ولم يصح رفعه، والله أعلم؛ لأن يحيى بن أيوب ليس بذاك القوي، وحديث ابن جُريج عن الزهري غير محفوظ، والله أعلم))[7].

---

(١) ٢٢ كتاب الصيام، ٦٨ ذكر اختلاف الناقلين لخبر حفصة في ذلك، ٢٣٣٤٣.

(٢) مسائل عبد الله ٨٧٨.

(٣) مسائل عبد الله ٨٧٧، مسائل صالح ٧٣٢، مسائل أبي داود ٨٨.

(٤) الفروسية ٢٤٨.

(٥) ترتيب علل الترمذي ١/١١٧.

(٦) ٦ كتاب الصوم، ٣٣ باب ما جاء لا صيام لمن لم يعزم من الليل، ٧٣٠.

(٧) السنن الكبرى ٢/١١٧/٢٦٤٩.

وقال العلامة ابن القيم: ((أكثر أهل الحديث يقولون: "الموقوف أصح"، ومنهم من يصحح رفعه؛ لثقة رافعه وعدالته))[١].

وصحح رفعه: ابن خزيمة[٢]، وابن حزم[٣]، وغيرهما[٤].

الدراسة التحليلية:

دلالة الحديث، وأقوال المحدثين والأئمة المبينة لها: دل الحديث على أن انتفاء مسمّى الصوم الشرعي يقتضي ترك واجب من واجباته، وهذا هدف هذا البحث؛ لأن من صحح المرفوع، أو أعمل الموقوف، فهموا من النفي ترك الواجب، ومن فرق منهم بين الصوم الواجب والمستحب بأن جعل تبييت النية غير واجبة في الأخير، فمن أجل دليل أخرج المستحب من هذا العموم؛ لذا بوب أبو داود بعد حديث الباب بقوله: ((باب في الرخصة في ذلك))، وأخرج فيه حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا دخل عليّ قال: " هل عندكم طعام؟ فإذا قلنا: لا، قال: إني صائم "))[٥].

وقال الترمذي: ((إنما معنى هذا عند أهل العلم: لا صيام لمن لم يجمع الصيام قبل طلوع الفجر في رمضان، أو في قضاء رمضان، أو في صيام نذر إذا لم ينوه من الليل لم يجزه، وأما صيام التطوع فمباح له أن ينويه بعد ما أصبح، وهو قول: الشافعي، وأحمد، وإسحاق))[٦].

---

(١) زاد المعاد ٧٣/٢.

(٢) صحيح ابن خزيمة ١٩٣٣/٢١٢/٣.

(٣) المحلى ١٦٢/٦.

(٤) فتح الباري ١٤٢/٤.

(٥) ١٤ كتاب الصيام، ٧٢ باب، ٢٤٥٥.

(٦) ٦ كتاب الصوم، ٣٣ باب ما جاء لا صيام لمن لم يعزم من الليل، ٧٣٠.

وبوب عليه ابن خزيمة بقوله: ((باب إيجاب الإجماع على الصوم الواجب قبل طلوع الفجر بلفظ عام مراده خاص))، ثم بوب بعده بقوله ((باب الدليل على أن النبي ﷺ أراد بقوله: "لا صيام لمن لم يجمع الصيام من الليل": الواجب من الصيام دون التطوع منه: حديث عائشة: "أن النبي ﷺ كان يأتيها فيقول: هل عندكم غداء وإلا فإني صائم" خرجته في ذكر صيام التطوع))[1]، وقال في موضع آخر: ((باب الأمر بصيام يوم عاشوراء إن أصبح المرء غير ناو للصيام غير مجمع على الصيام من الليل، والدليل على أن النبي ﷺ إنما أراد بقوله: "لا صيام لمن لا يُجمع الصيام من الليل" صوم الواجب دون صوم التطوع))[2].

وقال ابن قدامة: ((جملته أنه: لا يصح صوم إلا بنية إجماعاً فرضاً كان أو تطوعاً؛ لأنه عبادة محضة فافتقر إلى النية، كالصلاة.

ثم إن كان فرضاً، كصيام رمضان في أدائه أو قضائه، والنذر والكفارة، اشترط أن ينويه من الليل عند إمامنا، و مالك، و الشافعي. وقال أبو حنيفة: "يجزىء صيام رمضان، وكل صوم متعين بنية من النهار"))[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية مرجحاً التفريق فيه بين فرض الصوم ونفله: ((الفرض: لا يجزئ إلا بتبييت النية، كما دل عليه حديث حفصة وابن عمر؛ لأن جميع الزمان يجب فيه الصوم، والنية لا تنعطف على الماضي.

وأما النفل، فيجزئ بنية من النهار، كما دل عليه قوله ﷺ: "إني إذا صائم"، كما أن الصلاة المكتوبة يجب فيها من الأركان كالقيام والاستقرار على الأرض ما لا يجب في التطوع توسيعاً من الله على عباده في طرق التطوع، فإن

(١) صحيح ابن خزيمة ٣/٢١٣.

(٢) صحيح ابن خزيمة ٣/٢٨٩.

(٣) المغني ٣/٧.

أنواع التطوعات دائماً أوسع من أنواع المفروضات.

وهذا أوسط الأقوال، وهو قول الشافعي، وأحمد»[١].

وقال أيضاً: «الشارع دائماً لا ينفي المسمّى الشرعي إلا لانتفاء واجب فيه، وإذا قيل المراد بذلك: نفي الكمال، فالكمال نوعان: واجب ومستحب، فالمستحب كقول بعض الفقهاء: "الغسل ينقسم إلى كامل، ومجزىء" أي كامل المستحبات. وليس هذا الكمال، هو المنفي في لفظ الشارع، بل المنفي، هو: الكمال الواجب، وإلا فالشارع لم ينف الإيمان، ولا الصلاة، ولا الصيام، ولا الطهارة، ولا نحو ذلك من المسميات الشرعية؛ لانتفاء بعض مستحباتها، إذ لو كان كذلك لانتفى الإيمان عن جماهير المؤمنين، بل إنما نفاه لانتفاء الواجبات.

وقد رُويت عنه ألفاظ تنازع الناس في ثبوتها عنه، مثل قوله: "لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل"....، ومن ثبتت عنده هذه الألفاظ فعليه أن يقول بموجبها، فيوجب ما تضمنته من التبييت، ونحو ذلك»[٢].

وقال أيضاً: «قوله: "لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل" قد رواه أهل السنن، وقيل: إن رفعه لم يصح، وإنما يصح موقوفاً على ابن عمر أو حفصة....، فإن صحت هذه الألفاظ دلت قطعاً على وجوب هذه الأمور، فإن لم تصح، فلا ينقض بها أصل مستقر من الكتاب والسنة...، والمقصود هنا: أن كل ما نفاه الله ورسوله ﷺ من مسمّى أسماء الأمور الواجبة، كاسم الإيمان، والإسلام، والدين، والصلاة، والصيام، والطهارة، والحج، وغير ذلك، فإنما يكون لترك واجب من ذلك المسمّى»[٣].

---

(١) القواعد النورانية ٩١، مجموع الفتاوى ١١٩/٢٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٦٧/١٨– ٢٧٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٥/٧، ٣٨، الرد على البكري ٦١٣/٢.

وقال العلامة ابن القيم: «هي أصح الطرق، وأقربها إلى موافقة أصول الشرع وقواعده، وعليها تدل الأحاديث، ويجتمع شملها»[1].

وقال أيضاً: «حقيقة ذلك نفي مسمّى هذه الأشياء شرعاً واعتباراً، وما خرج عن هذا فلمعارض أوجب خروجه»[2]. وقال أيضاً: «الحقيقة الشرعية لا تنتفي لنفي مستحب فيها، وإنما تنتفي لنفي ركن من أركانها، وجزء من أجزائها، وهكذا كل نفي ورد على حقيقة شرعية»[3].

أهم نتائج الدراسة الحديثية التحليليه:

١- أن نفي صوم الفرض الذي لم تبيت نيته من الليل يقتضي ترك واجبه.

٢- أن التفريق فيه بين فرض الصوم ونفله مبني على دليل صرف بطلان نفله الذي لم تبيت نيته، وهذا توكيد لأصل دلالة نفي المسمّى الشرعي على ترك الواجب فعلاً وتركاً؛ لأنه لو لم يقتض هذا لما احتاج المُفرّق بينهما إلى إقامة الدليل على صرف بطلان نفله.

٣- أن الحقيقة الشرعية لا تنتفي لنفي مستحب فيها، وإنما تنتفي لنفي ركن من أركانها، وجزء واجب من أجزائها.

(١) زاد المعاد ٧٣/٢.

(٢) الفروسية ١٠٥.

(٣) الصلاة وحكم تاركها ١٠٢.

الخاتمة

في ضوء هذا البحث يمكن إيراد أهم نتائجه العلمية التالية:

١- أثر الدراسات الحديثية التحليلية في إبراز المعنى الشرعي لنفي المسميات الشرعية الواردة في الحديث النبوي الشريف.

٢- أن نفي الشارع لمسمياته الواجبة يقتضي زوال واجب منها.

٣- أن الواجب على نوعين: واجب الفعل، وواجب الترك، وهو: المحرم.

٤- يقتضي نفي الشارع للمسمّى الواجب: انتفاء الكمال الواجب لهيئتها المجتمعة إذا لم يستحلها.

٥- أن التعبير بنفي الكمال في هذا الباب، يُعتبر من الألفاظ المجملة التي توقع صاحبها في الزلل ومجانبة الصواب، إذا لم يحتف سياقه بما يدل على الوجوب.

٦- لا يصح نفي الاسم الشرعي إن كان المراد منه نفي مسمّاه مطلقاً بسبب نقص كماله الواجب.

٧- أن القائلين بدلالة النفي الشرعي على غير ترك الواجب في بعض صوره يُقرّون ضمناً بأصل دلالته عليه؛ لأنه هو باعثهم على التماس الصارف له، ولو كان مجرد النفي الشرعي لا يقتضيه لما احتاجوا لبيان صارفه في صورة مخصوصة.

٨- أن نفي الشارع للأخوة الإيمانية عن الغاش للمسلمين وحامل السلاح عليهم، يقتضي فعل محرم واجب الترك إذا لم يستحله، وأن العقوبة بالسلاح مشروعة للإمام أونائبه كإقامة الحدود، ودفع شرور البغاة والخوارج، وهي غير داخلة في النهي الذي تضمنته أحاديث الباب.

٩- أن نفي الشارع لصلاة تارك الفاتحة والمسئ فيها يقتضي: تركه لواجب.

١٠-أن من قال بكراهة صلاة الحاقن وحاضر الطعام، قد استدل بدليل أخرج هذه الصورة من أصل باهما، وهذا تسليم منه بأصله؛ لأنه لو كان مجرد النفي الشرعي للمسمى يقتضي ترك الواجب وما دونه، لما احتاج للدليل المخرج له.

١١-أن نفي الشارع لصوم الفرض الذي لم تبيت نيته من الليل يقتضي ترك واجبه.

١٢-أن الحقيقة الشرعية لا تنتفي لنفي مستحب فيها، وإنما تنتفي لنفي ركن من أركانها، أوجزء واجب من أجزائها.

١٣-ضرورة العناية بكلام أئمة السلف في شرح الأحاديث النبوية الشريفة؛ لأن الاستدلال بها مبني على معرفة معناها الشرعي الصحيح.

وفي الختام أسأل الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم أن ينفع بهذا البحث، وأن يختم بالصالحات أعمالنا، ويغفر لنا ولوالدينا ولولاة أمورنا ولعلمائنا وللمسلمين، وصلى الله و سلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر

القرآن الكريم.

١. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (ت ٣٥٤هـ)، لعلي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٢. الاستقامة لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: د.محمد رشاد سالم، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، الطبعة ١، ١٤٠٣هـ.

٣. اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، للإمام هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبي القاسم (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، نشر: دار طيبة في الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.

٤. الإعلام بفوائد عمدة الأحكام للحافظ عمر بن علي بن أحمد الأنصاري أبي حفص بن المُلقّن (ت ٨٠٤هـ)، تحقيق: عبد العزيز المشيقح، نشر: دار العاصمة في الرياض، الطبعة ١، ١٤٢١هـ.

٥. الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي أبي عبد الله (ت ٢٠٤هـ)، نشر: دار المعرفة في بيروت، الطبعة ٢، ١٣٩٢هـ.

٦. البحر الزخار المعروف بمسند أبي بكر: أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت ٢٩٢هـ)، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، نشر: مكتبة العلوم والحكم في المدينة المشرفة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٧. بدائع الفوائد للعلامة محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزية أبي عبد الله (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: هشـــام عبد العزيز عطا، نشر: مكتبة نزار الباز في مكة المكرمة، الطبعة ١، ١٤١٦هـ.

٨. ترتيب علل الترمذي، انظر: علل الترمذي.

٩. تفسير القرآن، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني(ت ٢١١هـ)، تحقيق: د. مصطفى مسلم، نشر: مكتبة الرشد في الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٠. تفسير القرآن العظيم للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير أبي الفداء الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، نشر: دار الفكر في بيروت، طبعة ١٤٠١هـ.

١١. التمهيد، لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر: يوسف بن عبدالله ابن عبد البر(ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في

المغرب.

١٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر: محمد بن جرير الطبري(ت ٣١٠هـ)، نشر: مكتبة الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ.

١٣. الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، لأبي عيسى: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي(ت ٢٧٩هـ)، نشر: دار السلام في الرياض، بإشراف معالي الشيخ: د. صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – مع موسوعة الكتب الستة–.

١٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للإمام أبي عبدالله: محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، نشر: دار السلام في الرياض، بإشراف معالي الشيخ: د. صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – مع موسوعة الكتب الستة–.

١٥. حاشية ابن القيم (العلامة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية أبي عبد الله، ت ٧٥١هـ)، نشر: دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة ٢، ١٤١٥هـ.

١٦. الخصائص لعثمان بن جني أبي الفتح (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، نشر: عالم الكتب في بيروت.

١٧. دقائق التفسير لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد السيد، نشر: مؤسسة علوم القرآن في دمشق، الطبعة ٢، ١٤٠٤هـ.

١٨. روضة المحبين للعلامة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية أبي عبد الله، (ت ٧٥١هـ)، نشر: دار الكتب العلمية في بيروت، طبعة ١٤١٢هـ.

١٩. زاد المعاد للعلامة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية أبي عبد الله، (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة ١٤، ١٤٠٧هـ.

٢٠. سؤالات ابن هانئ، انظر: مسائل الإمام أحمد.

٢١. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، نشر: دار السلام في الرياض بإشراف معالي الشيخ: د.صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – مع موسوعة الكتب الستة.

٢٢. سنن أبي عبد الله: محمد بن يزيد بن ماجه(ت ٢٧٥هـ)، نشر دار السلام في الرياض بإشراف معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ– مع موسوعة الكتب الستة.

٢٣. السنن الكبرى، للإمام أحمد بن الحسين البيهقي أبي بكر (ت ٤٥٨هـ)، نشر: دار الفكر في بيروت.

٢٤. سنن النسائي الصغرى، لأبي عبد الرحمن: أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، نشر: دار السلام في الرياض، بإشراف معالي الشيخ: صالح ابن عبد العزيز آل الشيخ – مع موسوعة الكتب الستة.

٢٥. سنن النسائي الكبرى(ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري، نشر: دار الكتب العلمية، في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٢٦. السنن، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، نشر: دار المحاسن في القاهرة.
٢٧. السنة للإمام أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبي بكر (ت ٣١١هـ)، تحقيق: د. عطية الزهراني، نشر: الراية في الرياض، الطبعة ١، ١٤١٠هـ.
٢٨. شرح شذور الذهب للعلامة عبد الله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق:عبد الغني الدقر، نشر: الشركة المتحدة للتوزيع في سوريا، طبعة ١٤٠٤هـ.
٢٩. شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن: علي بن خلف بن عبد الملك المعروف بابن بطال(ت ٤٤٠هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، نشر: مكتبة الرشد في الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٣٠. شرح العقيدة الطحاوية للإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي (ت ٧٩٢هـ)، نشر: المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة ٤، ١٣٩١هـ.
٣١. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، للعلامة عبد الله بن عقيل المصري (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، نشر: دار الفكر في سوريا، طبعة ١٤٠٥هـ.
٣٢. شرح معاني الآثار، لأبي جعفر: أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي(ت ٣٢١هـ)، تحقيق: محمد زهري النجار، نشر: دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
٣٣. شعب الإيمان للإمام أحمد بن الحسين البيهقي أبي بكر (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد زغلول، نشر: دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة ١، ١٤١٠هـ.
٣٤. صحيح أبي بكر: محمد بن إسحاق بن خزيمة(ت ٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي نشر: المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
٣٥. صحيح البخاري، انظر: الجامع الصحيح المختصر.
٣٦. صحيح مسلم، انظر: المسند الصحيح المختصر.
٣٧. الصلاة وحكم تاركها للعلامة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية أبي عبدالله، (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، نشر: دار ابن حزم في بيروت، الطبعة ١، ١٤١٨هـ.
٣٨. الصواعق المرسلة للعلامة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية أبي عبد الله، (ت ٧٥١هـ)، نشر: دار العاصمة في الرياض، الطبعة ٣، ١٤١٨هـ.
٣٩. العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: إبراهيم سعداي، نشر: مكتبة الرشد في الرياض، الطبعة ١، ١٤١٥هـ.
٤٠. العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد بن عبد العزيز بن مانع، نشر: الرئاسة العامة لإدارة البحوث والإفتاء

في الرياض، الطبعة ٢، ١٤١٢هـ.

٤١. علل الترمذي الكبير(ت ٢٧٩هـ)، ترتيب أبي طالب: محمود بن علي القاضي، تحقيق: حمزة ديب نشر: مكتبة الأقصى في الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٤٢. غريب الحديث للإمام القاسم بن سلام أبي عبيد (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق: د.محمد عبد المعيد خان، نشر: دار الكتاب العربي في بيروت، الطبعة ١، ١٣٩٦هـ.

٤٣. الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: حسين محمد مخلوف، نشر: دار المعرفة في بيروت.

٤٤. فتح الباري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

٤٥. الفروسية للعلامة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية أبي عبد الله، (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: مشهور حسن محمود، نشر: دار الأندلس في السعودية، الطبعة ١، ١٤١٤هـ.

٤٦. قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، نشر: مكتبة التراث الإسلامي في القاهرة.

٤٧. القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٤٨. القواعد النورانية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر: دار المعرفة في بيروت، طبعة ١٣٩٩هـ.

٤٩. المجتبى للنسائي، انظر سنن النسائي الصغرى.

٥٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس (ت ٧٢٨هـ)، جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي، نشر: وزارة الشؤون الإسلامية، طبعة ١٤١٦هـ.

٥١. المحلى لابن حزم (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق لـ أحمد شاكر، نشر: دار التراث في القاهرة.

٥٢. مسائل الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ)رواية إسحاق بن إبراهيم بن هانئ (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، نشر: المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٥٣. مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله (ت٢٩٠هـ)، تحقيق: علي بن سليمان المهنا، نشر: مكتبة الدار في المدينة المشرفة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٥٤. مسائل الإمام أحمد رواية ابنه أبي الفضل صالح (٢٦٦هـ)، نشر: الدار العلمية في الهند، طبعة ١٤٠٨هـ.

٥٥. مسائل أبي داود (ت ٢٧٥هـ)للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تصحيح: محمد رشيد رضا،

نشر: دار المعرفة في بيروت، الطبعة الأولى.
٥٦. المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٥٧. مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، نشر:دار صادر في بيروت.
٥٨. المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل، لأبي الحسين: مسلم بن الحجاج القشيري(ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار السلام في الرياض، بإشراف معالي الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – مع موسوعة الكتب الستة–.
٥٩. مصنف ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: عامر العمري الأعظمي، نشر: الدار السلفية في الهند.
٦٠. المعرفة والتأريخ، لأبي يوسف: يعقوب بن سفيان البسوي(ت٢٧٧هـ) تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، نشر: مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
٦١. المغني للإمام عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبي محمد (ت ٦٢٠هـ)، نشر: دار الفكر في بيروت، الطبعة ١، ١٤٠٥هـ.
٦٢. المنتقى للحافظ عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري أبي محمد (ت ٣٠٧هـ)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، نشر: مؤسسة الكتاب الثقافية في بيروت، الطبعة ١، ١٤٠٨هـ.
٦٣. منهاج السنة لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، نشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة ١، ١٤٠٦هـ.
٦٤. المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى النووي (٦٧٦هـ)، نشر بيت الأفكار.
٦٥. النهاية في غريب الحديث، لأبي السعادات ابن الأثير(ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر الزاوي، نشر: المكتبة العلمية في بيروت.

فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊

تَهْذِيبُ «كِتَابِ التَّوْحِيدِ»

لِابْنِ خُزَيْمَةَ

إِعْدادُ :

د. سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الدُّبَيْخِيِّ

الأُسْتَاذِ الْمُسَاعِدِ فِي كُلِّيَّةِ التَّرْبِيَةِ فِي جَامِعَةِ حَائِل

المقدّمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد:

فإن كتاب التوحيد لإمام الأئمة محمد بن إسحق بن خزيمة من أُمهات كتب العقيدة عند أهل السنة والجماعة، فهو يجمع بين الرواية والدراية، فمؤلفه علم من أعلام المحدثين، ولذا فهو يورد الأحاديث بأسانيدها، مما أوجد لكتابه هذا أهمية بالغة، ومنْزلة عالية.

ثم هو إمام من أئمة السلف، عاش في القرن الثالث، أحد القرون الثلاثة المفضلة، وقد عاصر أهل الكلام من المعطلة ونحوهم فعرف أقوالهم، وسبر أحوالهم، وأدرك مرامهم، فجاء كتابه هذا فاضحاً لمقالاتهم، وكاشفاً لضلالاتهم، ومفنِّداً لشبهاتهم، ومظهراً لعوارهم، مما جعل أهل السنة متقدميهم ومتأخريهم يحتفون به، ويُعوِّلون عليه، ويرجعون إليه، ويعنون به.

لكنَّ طول الكتاب، وكثرة تطريقه للأحاديث[1] بالإضافة إلى إكثاره من الأبواب في الموضوع الواحد، ونحو ذلك، حال دون الاستفادة منه الاستفادة التي تليق بمكانة الكتاب، ومكانة مؤلفة، حتى لا يكاد يُرجع إليه في هذا الوقت إلا في البحوث العلمية ونحوها.

---

(١) فكثيراً ما يذكر الحديث الواحد من عدة طرق، وقد تكون كلها بلفظ واحد تقريباً، كما في حديث: (من ادَّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام) حيث أخرجه من أحد عشر طريقاً. وخرَّج حديث: (إن أحدكم ليتصدق بالتمرة من طيب ...) من أكثر من خمسة عشر طريقاً، كلها بألفاظ متقاربة. وخرّج حديث: (لكل نبي دعوة مستجابة ...) في بابين متتاليين من نحو عشرين طريقاً، ولهذا قال الهراس (٢٦٢) معلقاً على هذا الموضع: "لقد أكثر المؤلف من إيراد الروايات في ذا الحديث، مع أن أغلبها بألفاظ واحدة تقريباً".

فكان لا بدَّ من تقريب الكتاب، وتهذيبه، وإبراز مادَّته، والعناية به، حتى يسهل الرجوع إليه، والنظر فيه، ودراسته وتدريسه في المساجد، والجامعات، والدورات العلمية، ونحوها، لا سيما في هذا الوقت الذي ادَّعى فيه بعض المبتدعة أو الجهلة –زوراً وبهتاناً– نسبة كثير من عقائد أهل السنة إلى المتأخرين منهم، كابن تيمية وتلامذته.

ففي إبراز هذا الكتاب وتهذيبه وتقريبه، ردٌّ على هؤلاء المبتدعة، حيث إن مؤلفه ممن عاش في القرن الثالث (٢٢٣–٣١١هـ).

وفيه أيضاً توثيق الصلة بين الناس وبين مصادرهم الأولى، وإرجاعهم إلى الاستفادة من أئمتهم المتقدمين.

وقد كانت بداية فكرة تهذيب الكتاب، أنه في عام (١٤٢١هـ) كتب الله لي قراءة هذا الكتاب ومدارسته مع مجموعة من الإخوة الفضلاء، فرأيت أنه قابلٌ جداً للاختصار والتهذيب، لا سيما والحاجة إليه داعية وماسَّة، لكني أحجمت هيبة لذلك واستعظاماً له، –فمن كان مثلي في ضعفه وقلة علمه وقصور فهمه– كيف يتجاسر على كتاب بهذا القدر وهذه المنزلة والمكانة؟ فضلاً عن مكانة مؤلفه الذي استحق بأن يُلقب بإمام الأئمة.

لكن شاء الله لي أن أسمع برنامجاً في إذاعة القرآن الكريم المباركة لفضيلة الشيخ عبد الكريم الخضير، حفظه الله، بعنوان: مكتبة طالب العلم، فكان مما جاء فيه أن الشيخ أشار إلى أهمية تهذيب هذا الكتاب واختصاره، فنشطت همَّتي لذلك، ثم لمَّا كان في أول عام (١٤٢٤هـ) كتب الله لي الاجتماع بالشيخ، وفقه الله، فعرضت عليه الفكرة، فأيدها وشجعني عليها، فكانت البداية.

ولا يخفى أن تهذيب الكتب وتقريبها يُعدُّ عند أهل العلم هدفاً من أهداف التأليف، وفنًّا من فنونه، ولهذا درج أهل العلم على تهذيب الكتب واختصارها، ومن أمثلة ذلك مما يتعلق بالعقيدة:

- مختصر الحجة على تارك المحجة للإمام أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي (ت٤٩٠).

- مختصر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية، اختصره الحافظ الذهبي (ت٧٤٨) في كتاب أسماه: المنتقى من منهاج الاعتدال، وهو مطبوع في مجلد واحد بهذا العنوان.

- كما اختصر هذا الكتاب -أعني منهاج السنة- الشيخ عبد الله الغنيمان في مجلدين.

- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم (ت٧٥١)، اختصره الشيخ محمد بن الموصلي (ت٧٧٤).

- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد ابن عبد الوهاب (ت١٢٨٥) فإنه في حقيقته تهذيب لكتاب: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٣٣) حيث قال في مقدمته: "ولمّا قرأت شرحه رأيته أطنب في مواضع، وفي بعضها تكرار، يُستغنى بالبعض منه عن الكل، ولم يكمله، فأخذت في تقريبه وتهذيبه وتكميله ... وسميته: فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد"[(١)]

- مختصر العلو للعلي الغفار، للحافظ الذهبي، اختصره العلامة محمد ناصر الدين الألباني.

- تقريب التدمرية، للشيخ محمد العثيمين، والأصل لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وربما كان المختصر للكتاب المؤلف نفسه:

-كما فعل العلامة ابن بطة العكبري (ت٣٨٧) في كتابه: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، إذ اختصره في كتاب آخر أسماه:

---

(١) فتح المجيد (٣٠).

الشرح والإبانة على أُصول السنة والديانة[1] والذي عُرف عند أهل العلم باسم: الإبانة الصغرى، تمييزاً له عن الأصل والذي أُطلق عليه: الإبانة الكبرى.

– وكذا فعل العلامة ابن الوزير (ت٨٤٠) في كتابه: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، فقد اختصره من كتابه الآخر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم[2].

وهكذا بقية الفنون وسائر العلوم: التفسير، والحديث، والفقه، واللغة، والسيرة، ونحوها، قد تضمنت هذا اللون من التأليف، وهو مهم ومفيد، متى دعت الحاجة إليه، وسُلك فيه المنهجية العلمية، فكان غير مخل في الأصل، ولا مخرجاً له عن مقصوده.

- منهجي في هذا التهذيب

– حافظت في هذا التهذيب على نصِّ كلام ابن خزيمة، فلم أتصرف في شيء منه بتغيير أو تبديل، كما التزمت ألا أُضيف فيه كلاماً من عندي، باستثناء أحرفٍ يسيرة زدتها لربط الكلام بعضه ببعض –وغالباً ما تكون هذه الزيادة هي حرفُ (عن) في بداية بعض الأحاديث– وكذا بعض العناوين الجانبية، وقد ميَّزت ذلك كله عن أصل الكتاب بوضعه بين معكوفين [ ] وعلى هذا فيصح نسبة كل ما في هذا التهذيب إلى ابن خزيمة، عدا المواضع المشار إليها، وهي قليلة جداً.

– أفدت في هذا التهذيب من أربع طبعات للكتاب، وهي كالتالي:

١– الطبعة التي بتحقيق الشيخ العلامة: محمد خليل هراس، وقد رمزت لها بالحرف (هـ).

٢– الطبعة التي بتحقيق فضيلة الدكتور: عبد العزيز بن إبراهيم

(١) ينظر: مقدمة الكتاب لمحققه د. رضا نعسان معطي (٨٤، ٨٧).

(٢) ينظر: الروض الباسم (١/١٩).

الشهوان، وهي أشهر طبعات الكتاب، وقد رمزت لها بالحرف: (ش).

٣- الطبعة التي بتحقيق الشيخ: سمير بن أمين الزهيري، وهي طبعة متميزة، لا سيما في تخريج الأحاديث، وقد رمزت لها بالحرف: (ز).

٤- الطبعة التي بتحقيق الشيخ أحمد بن علي بن مثنى القفيلي، وهي طبعة متميزة أيضاً في تخريج الأحاديث وضبط الرواة وأسماء الرجال، وقد رمزت لها بالحرف (ق) [(١)]

وقد بذل هؤلاء جهداً كبيراً في تحقيق الكتاب: مقارنة بين النسخ الخطية للكتاب، وتخريجاً لأحاديثه وآثاره، وتعليقاً على ما تدعو الحاجة إلى التعليق عليه، وغير ذلك مما هو مندرج في خدمة هذا الكتاب، فجزاهم الله تعالى خير الجزاء وأوفاه، وجعل ذلك في موازين حسناتهم.

– وفي بداية كل باب أشرت بين معكوفين إلى أرقام صفحات هذا الباب من هذه الطبعات، مستخدماً الرموز الآنفة الذكر، وذلك حتى يسهل الرجوع إلى الأصل لمن أراد، ففي الباب الأول على سبيل المثال أقول: [هـ٥/ ش١١/ ز١٢/ ق٣٢] .

– لم أشأ أن أُكرر الجهد المبذول في المقارنة بين النسخ الخطية للكتاب، ولذا فإني قد بدأت من حيث انتهى هؤلاء المشايخ الفضلاء، الذين قاموا بتحقيقه، فجعلت المقارنة بين هذه الطبعات الأربع التي بتحقيقهم، كما أني لم أُغفل ما يذكره المحققان –الشهوان والزهيري– من الفروق بين

(١) وهذه الطبعة لم أقف عليها إلا بعد أن أنهيت هذا التهذيب –بالاعتماد على طبعات الكتاب الثلاث– فقمت بعرضه عليها، وتمت الإفادة منها بحمد الله، ولأهمية هذه الطبعة أحب أن أشير إلى أشياء يسيرة يحسن استدراكها حتى تكون الإفادة منها أكمل وأفضل، وهي ما أشرت إليه في بعض صفحات هذا التهذيب.

النسخ[1]، وكثيراً ما كان لهذه المقارنة فوائد متعددة، فقد تشكل العبارة، ويعسر فهمها، وبالرجوع إلى الطبعات الأخرى يزول الإشكال، ويسهل الفهم، فأجتهد حينئذ في إثبات ما يقتضيه المعنى، ويدل عليه السياق، فمثلاً:

- قد أجد في بعض المواضع ما يُشعر بأن في الكلام سقطاً، أو أنه مبتور، أو أنه يحتاج إلى ربط بعضه ببعض، فالسياق يقتضي زيادة حرف أو كلمة أو جملة، فأجد ذلك في إحدى الطبعات الأخرى، بل ربما كلها، وقد يكون مما أشار المحقق إلى وجوده في بعض النسخ.

- وقد يكون في الأصل خطأ مطبعي يترتب عليه فساد المعنى، فأستدرك ذلك من الطبعات الأخرى.

- وربما كان في الأصل كلمة أو جملة غير واضحة المعنى -وقد تكون خطأً مطبعياً- أو أن المعنى الذي تفيده لا يقتضيه السياق ولا يدل عليه -وهذا بلا شك له أثر في فهم المعنى المراد- فأجد في إحدى الطبعات الأخرى كلمة أو جملة أوضح منها، فيتم حينئذ الاستدراك.

- وأحياناً يكون الكلام منفياً، والسياق يقتضي الإثبات، فيقع الإشكال، لكنه سرعان ما يزول بالرجوع إلى الطبعات الأخرى.

وفي كل هذه الحالات فإني أُشير إلى التعديل أو الإضافة في الهامش، مبيناً ما وقع في الأصل، لأن بعضه اجتهاد، والاجتهاد معرض للخطأ والصواب، فإذا تمت الإشارة إلى ذلك كله، أمكن للناظر المقارنة والتثبت، فإن كان خطأً سهل عليه استدراكه، وإن كان صواباً أمكنه استدراك ما في الأصل.

- حذفت الأسانيد إلا ما كان لذكره حاجة، كأن يشير ابن خزيمة إلى الحديث بذكر رجل من رجال سنده، كأن يقول مثلاً: حديث شعبة ...

---

(١) ولم أذكر من الفروق إلا ما تدعو الحاجة إليه، حتى لا أُثقل الحواشي وأخرج عن المقصود.

– إذا ذكر الحديث من عدة طرق فإني أختار أصحها، وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإني أختار الأقرب إلى لفظهما، وأكتفي بذلك عن ذكر بقية الطرق، مراعياً في ذلك الشاهد من الحديث الذي من أجله ساقه المصنف، وقد أذكر أكثر من طريق إذا كان في ذكرها زيادة معنى.

– لم أتوسع في التخريج، وإنما أكتفي بما يحصل به المقصود، ومن أراد التوسع فيمكنه الـرجوع إلى الأصل بطبعاته المحققة –والتي استفدت منها كثيراً–، لا سيما طبعة الشيخ سمير الزهيري، والشيخ أحمد القفيلي، ومع هذا فقد اجتهدت في نقل ما وقفت عليه من أقوال أهل العلم في الحكم على الأحاديث.

– وكل حديث خرَّجته فإني قد راجعته في أصله، ولم أعتمد على التخريج في الطبعات المحققه، وذلك لأسباب منها:

– أن هذا هو الأصل في التخريج، وهو الذي تقتضيه الأمانة العلمية.

– أن هذه المراجعة لا تخلو من فوائد مهمة، فمثلاً:

في (ص٧٥ هامش ٢) من الأصل [ش] خُرِّج الحديث من غير الصحيحين، مع وجوده في البخاري.

وفي (ص٧٦ هامش ٩) [ش] أُحيلَ في تخريج الحديث على البخاري، وعند الرجوع إلى الموضع المُحال عليه وجدت البخاري أورده معلّقاً بصيغة التمريض.

وفي (ص٣٤٩ هامش ٢) [ش] خُرِّج حديث النواس بن سمعان من البخاري، مع أنه ضعيف، وليس هو في البخاري، والموضع المحال عليه جاء شيءٌ منه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

– وقد يُخرَّج الحديث من كتب السنة، ويُحكم عليه بالصحة لكونه كذلك فيها، لكن قد يُغفل عن كون اللفظ الذي هو محل استشهاد المؤلف ليس

موجوداً فيها، وعليه فينبغي عند تخريج الحديث من كتب معينة ليس فيها موضع الشاهد الإشارة إلى ذلك -كما سترى هذا في عدة أحاديث-، فقد يكون الحديث باللفظ المذكور مما انفرد به المصنف.

- أعرضت عن الأحاديث الضعيفة، لأن العقيدة مبناها على كتاب الله تعالى، وما صحَّ عن نبيه ﷺ، وهو ما أشار إليه ابن خزيمة - رحمه الله تعالى - في مواضع متعددة من كتابه هذا.

وقد أذكر الحديث الضعيف- على وجه الندرة- مع التنبيه على ضعفه، لفائدة معيَّنة، كأن يكون لابن خزيمة رحمه الله تعليق على هذا الحديث، أو يكون قد رتب عليه حكماً أو أمراً معيَّنا.

- وإذا أكثر المصنف من إيراد الأحاديث في المسألة الواحدة، وبعضها يغني عن بعض، فإني قد أكتفي بذكر بعضها، مراعياً في ذلك أصحها، وأوضحها دلالة على المقصود.

- رقمت الأبواب، وكذا الأحاديث بترقيم تسلسلي من أول التهذيب إلى آخره.

- حرصت على تمييز الجمل والفقرات بعضها عن بعض، لأن ذلك مما يساعد على فهمها ووضوح المراد منها؛ وإيرادها في سياق واحد دون فصل بعضها عن بعض يشكِّل صعوبة في الفهم، وغموضاً في العبارة،[1] وقد ظهر من تحقيق الزهيري وفقه الله حرصه على هذا الأمر.

- علّقت على بعض المواضع التي تحتاج إلى ذلك -خاصة تلك المواضع

(١) لا سيَّما وأن عبارات المؤلف في كثيرٍ من الأحيان قد ينغلق فهمها، ويعسر معرفة المراد منها، وهو ما أشار إليه الشيخ الهراس معلقاً على أحد المواضع ص (١٦٢) بقوله: "هذه عبارة غير مفهومه، ومعظم عبارات المؤلف في هذا الكتاب فيها ركاكة، وضعف في التأليف، عفا الله عنه وسامحه".

التي استُدركت على المؤلف ونوقش فيها– ولم أتوسع في ذلك حتى لا أخرج عن المقصود، ولئلا يترهل الكتاب، ثم إن الدكتور عبد العزيز الشهوان، وفقه الله قد أغنى عن كثير من ذلك كما في تحقيقه الأصل.

– حلّيت هذا التهذيب وزيّنته ببعض تعليقات العلامة محمد خليل هراس، والتي قد تميزت بجودتها واختصارها، وذيلت تعليقه بقولي: (هراس).

– ختم المصنف رحمه الله كتابه هذا بملحق في آخره، ضمّنه أحاديث قليلة، قال في آخرها: "يُرَدُّ كل خبر من هذه الأخبار إلى موضعه من بابه ..."[1]

وقد رأيت أنه يمكن الاستغناء عنها، ففيما ذكره المصنف في الأبواب المشار إليها غنية وكفاية.

– عقد المصنف ثلاثة عشر باباً كلها في إثبات صفة اليدين لله تعالى من السنة –وربما عقد باباً مستقلاً من أجل حديث واحد– فرأيت أنه يمكن دمج بعض هذه الأبواب في بعض[2] وما كان فيه زيادة معنى فإني أُبقيه كما هو، وقد بينت ذلك في موضعه من هذا التهذيب.

– حذفت باباً عقده المصنف بعنوان: "صفة تكلم الله بالوحي، وشدة خوف السموات منه، وذكر صعق أهل السموات، وسجودهم لله عز وجل" لأنه لم يورد تحته إلا حديثاً واحداً، وهو ضعيف، وفيما ذكره المصنف في باب (٢٨) غنية عنه، لا سيما وأن المصنف قد أكثر من الأبواب في إثبات صفة الكلام لله تعالى.

– وما سوى ذلك من الأبواب فإني لم أتصرف في شيء منها بحذف أو غيره.

وقبل أن أختم هذه المقدمة أقول: ليعلم الناظر في هذا التهذيب أن

(١) ينظر (٩٠٥/٢).

(٢) ينظر: مقدمة الشهوان (٦٢/١-٦٣).

المقصود منه إرجاع الناس إلى هذا الكتاب النفيس، والعناية به، والحرص عليه، وليس المقصود هو الاستغناء عن الأصل، ومع هذا فإني حرصت على ألا أترك فكرة أو أمراً ذا بال إلا وذكرته فيه، والله تعالى أسأل أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

ترجمة موجزة للمصنف

هو إمام الأئمة، الحافظ الفقيه، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي، النيسابوري، الشافعي، صاحب التصانيف النافعة.

ولد في شهر صفر من عام (٢٢٣) بنيسابور، وبها نشأ، وعُني بالفقه والحديث منذ حداثته، حتى صار يُضرب به المثل في سعة العلم والإتقان.

رحل في طلب العلم إلى بلدان كثيرة، كبغداد والري والبصرة ومصر والشام وغيرها.

وسمع من خلق كثير، وجمّ غفير من أهل العلم، كإسحاق بن راهويه، والبخاري، ومسلم، وغيرهم كثير.

كما تتلمذ عليه عدد من مشاهير الأئمة الأعيان، كأبي بكر الصبغي، وأبي علي النيسابوري، وابن حبان، وحدَّث عنه البخاري ومسلم في غير الصحيحين.

وصنَّف رحمه الله الكثير من الكتب والمؤلفات، حتى قال الحاكم: "مصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتاباً سوى المسائل، والمسائل المصنَّفة أكثر من مائة جزء".

لكن أغلب هذه المصنفات مفقودة، فلا يوجد منها اليوم إلا النزر اليسير، ككتاب التوحيد هذا، وكتابه الصحيح، والذي لم يُعثر منه إلا على مقدار الربع تقريبا.

وقد حظي –رحمه الله– من أهل العلم بثناء وافر، وذكر جميل، ومن ذلك: ما قاله تلميذه أبو حاتم بن حبان: "ما رأيت على وجه الأرض من يحفظ صناعة السنن، ويحفظ ألفاظها الصحاح، وزياداتها، حتى كأن السنن كلها بين عينيه إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة فقط".

وقال الدارقطني: "كان ابن خزيمة إماماً ثبتاً، معدوم النظير".

وقال الذهبي: "ولابن خزيمة عظمةٌ في النفوس، وجلالة في القلوب، لعلمه ودينه، واتباعه للسنة".

وقال ابن كثير: "الإمام أبو بكر بن خزيمة، الملقب بإمام الأئمة، كان من أوعية العلم وبحوره، وممن طاف البلدان، ورحل إلى الآفاق في طلب العلم وسماع الحديث، وكتب الكثير وصنَّف وجمع، وله كتاب الصحيح من أنفع الكتب وأجلّها، وهو من المجتهدين في دين الإسلام"(١).

وقد توفي رحمه الله في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة(٢).



(١) البداية والنهاية (٩/١٥).

(٢) هذه الترجمة ملخَّصة من سير أعلام النبلاء (٣٦٥/١٤) فمن أراد الاستزادة فليرجع إليه، أو إلى مقدمة الأصل في طبعاته المحققة.

[مقدمة المصنف رحمه الله]

الحمد لله العلي العظيم، السميع البصير، الحكيم الكريم اللطيف الخبير، ذى النعم السوابغ؛ والفضل الواسع، والحجج البوالغ، تعالى ربنا عن صفات المحدودين، وتقدس عن شبه المخلوقين، وتنزه عن مقالة المعطلين، علا ربنا فكان فوق سبع سمواته عاليا، ثم على عرشه استوى، يعلم السر وأخفى، ويسمع الكلام والنجوى، لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ولا في لجج البحار ولا في الهواء.

والحمد لله الذي أنزل القرآن بعلمه، وأنشأ خلق الإنسان من تراب بيده، ثم كوَّنه بكلمته، واصطفى رسوله إبراهيم عليه السلام بخلّته، ونادى كليمه موسى صلوات الله عليه، فقرَّبه نجياً، وكلمه تكليماً، وأمر نبيه نوحاً عليه السلام بصنعة الفلك على عينه، وخبَّرنا أنَّ أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه، كما أعلمنا أن كل شيء هالك إلا وجهه، وحذَّر عباده نفسَهُ التي لا تشبه أنفس المخلوقين.

أحمده على ما منَّ عليَّ من الإيمان بجميع صفات ربي عز وجل، التي وصف بها نفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه ﷺ، حمدَ شاكرٍ لنعمائه التي لا يحصيها أحد سواه. وأشكره شكرَ مقرٍّ مصدِّقٍ بحسن آلائه، التي لا يقف على كثرتها غيره جل وعلا، وأومن به إيمان معترفٍ بوحدانيَّته، راغبٍ في جزيل ثوابه، وعظيم ذخره بفضل كرمه وجوده، راهبٍ وجلٍ خائفٍ من أليم عقابه لكثرة ذنوبه وخطاياه وحوباته.

وأشهد أن لا إله إلا الله، إلهاً واحداً فرداً صمداً، قاهراً قادراً رؤوفاً رحيماً، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولا شريكاً له في ملكه، العدل في قضائه، الحكيم في فعاله، القائم بين خلقه بالقسط، الممتنّ على المؤمنين بفضله، بذل لهم الإحسان، وزيَّن في قلوبهم الإيمان، وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان،

وأنزل على نبيه الفرقان، وعلّم القرآن، فتمت نعماء ربنا جل وعلا، وعظمت آلاؤه على المطيعين له، فربنا جل ثناؤه المعبود موجوداً والمحمود ممجداً.

وأشهد أن محمداً ﷺ رسوله المصطفى، ونبيه المرتضى، اختاره الله لرسالته، ومستودع أمانته، فجعله خاتم النبيين، وخير خلق رب العالمين، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، بعثه بالكتاب المسطور في اللوح المحفوظ، فبلَّغ عن الله عز وجل حقائق الرسالة، وأنقذ به أمته من الردى والضلالة، قام بأمر الله تعالى بما استرعاه ربه من حقه واستحفظه من تنزيله، حتى قبضه الله إلى كرامته، ومنزلة أهل ولايته، الذين رضي أعمالهم حميداً، رضياً سعيداً، كما سبق له من السعادة في اللوح المحفوظ، والإمام المبين قبل أن ينشئ الله نسمته، فعليه صلوات الله وسلامه حياً محموداً، وميتاً مفقوداً، أفضل صلاة وأنماها، وأزكاها وأطيبها، وأبقى الله في العالمين محبته، وفي المقربين مودته، وجعل في أعلى عليين درجته، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين.

[سبب تأليفه كتاب التوحيد]

أما بعد: فقد أتى علينا برهة من الدهر وأنا كاره الاشتغال بتصنيف ما يشوبه شيء من جنس الكلام من الكتب، وكان أكثر شغلنا بتصنيف كتب الفقه، التي هي خلوٌ من الكلام في الأقدار الماضية، التي قد كفر بها كثير من منتحلي الإسلام، وفي صفات الله عز وجل، التي قد نفاها ولم يؤمن بها المعطلون، وغير ذلك من الكتب التي ليست من كتب الفقه، وكنت أحسب أنَّ ما يجري بيني وبين المناظرين من أهل الأهواء في جنس الكلام في مجالسنا، ويظهر لأصحابي الذين يحضرون المجالس والمناظرة من إظهار حقنا على باطل مخالفينا في المناظرة كافٍ عن تصنيف الكتب على صحة مذهبنا، وبطلان مذاهب القوم، وغنية عن الإكثار في ذلك، فلما حدث في أمرنا ما حدث مما كان الله قد قضاه وقدَّر كونه، مما لا محيص لأحد ولا موئل عما قضى الله كونه في اللوح المحفوظ

قد سطره من حتم قضائه، فمُنِعْنَا عن الظهور ونشر العلم، وتعليم مقتبسي العلم بعض ما كان الله قد أودعنا من هذه الصناعة.

كنت أسمع من بعض أحداث طلاب العلم والحديث ممن لعله كان يحضر بعض مجالس أهل الزيغ والضلالة، من الجهمية المعطلة، والقدرية المعتزلة، ما تخوّفت أن يميل بعضهم عن الحق والصواب من القول، إلى البهت والضلال في هذين الجنسين من العلم، فاحتسبت في تصنيف كتاب يجمع هذين الجنسين من العلم، بإثبات القول بالقضاء السابق والمقادير النافذة قبل حدوث كسب العباد، والإيمان بجميع صفات الرحمن الخالق جلا وعلا، مما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

وبما صح وثبت عن نبينا ﷺ بالأسانيد الثابتة الصحيحة، بنقل أهل العدالة موصولاً إليه ﷺ.

ليعلم الناظر في كتابنا هذا ممن وفقه الله تعالى لإدراك الحق والصواب، ومنَّ عليه بالتوفيق لما يحب ويرضى، صحة مذهب أهل الآثار في هذين الجنسين من العلم، وبطلان مذاهب أهل الأهواء والبدع، الذين هم في ريبهم وضلالتهم يعمهون، وبالله ثقتي وإياه أسترشد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد بدأت "كتاب القدر" فأمليته، وهذا: كتاب التوحيد:

فأول ما نبدأ به من ذكر صفات خالقنا جل وعلا في كتابنا هذا:

١- ذكر نفسه(١)، جل ربنا عن أن تكون نفسه كنفس خلقه؛ وعز أن يكون عدما لا نفس له: [هـ ٥/ ش ١١/ ز ١٢/ ق ٣٢]

قال الله جل ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام: من الآية ٥٤) فأعلمنا ربنا أن له نفساً كتب

(١) نفس الله تعالى هي ذاته المقدسة، وليست صفةً من صفاته [ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٩٦/١٤) و (٢٩٢/٩-٢٩٣)].

عليها الرحمة: أي ليرحم بها من عمل سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده؛ على ما دلّ عليه سياق هذه الآية؛ وهو قوله: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: من الآية٥٤) وقال الله جل ذكره لكليمه موسى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى. وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طـــه: ٤٠ - ٤١)

فثبَّت الله أن له نفساً اصطنع لها كليمه موسى عليه السلام.

وقال جل وعلا: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: من الآية٣٠) فثبَّت الله أيضاً في هذه الآية أن له نفساً.

وقال روح الله عيسى ابن مريم مخاطباً ربه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة: من الآية١١٦) فروح الله عيسى ابن مريم يعلم أن لمعبوده نفساً.

٢-باب ذكر البيان من خبر النبي ﷺ في إثبات النفس لله عز وجل على مثل موافقة التنزيل الذي بين الدفتين مسطور، وفي المحاريب والمساجد والبيوت والسكك مقروء. [هـ ٦/ ش ١٣/ ز ١٤/ ق٣٣]

١- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (يقول الله أنا مع عبدي حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم)[1].

٢- عن ابن عباس: أن النبي ﷺ حين خرج إلى صلاة الصبح وجويرية جالسة في المسجد، فرجع حين تعالى النهار قال: (لم تزالي جالسة بعدي؟) قالت: نعم، قال: (قد قلت بعدك أربع كلمات لو وزنت بهن لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ومداد كلماته، ورضى نفسه وزنة عرشه)[2].

---

(١) متفق عليه: البخاري: (٦/٢٦٩٤) ح (٦٩٧٠) ومسلم: (١٧/٥) ح (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٧/٤٧) ح (٢٧٢٦) من حديث ابن عباس عن جويرية نفسها، وفيه: (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات...).

٣- عن أبي هريرة: أن رسول الله قال: (لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده: إن رحمتي نالت غضبي)[(١)].

قال أبو بكر: فالله -جلا وعلا- أثبت في آي من كتابه أن له نفساً، وكذلك قد بيّن على لسان نبيه ﷺ أنّ له نفساً، كما أثبت النفس في كتابه.

وكفرت الجهمية بهذه الآي وهذه السنن، وزعم بعض جهلتهم أن الله – تعالى- إنما أضاف النفس إليه على معنى إضافة الخلق إليه، وزعم أن نفسه غيره، كما أن خلقه غيره، وهذا لا يتوهمه ذو لب وعلم، فضلا عن أن يتكلم به.

قد أعلم الله في محكم تنزيله أنه كتب على نفسه الرحمة، أفيتوهم مسلم أن الله -تعالى- كتب على غيره الرحمة؟!

وحذر الله العباد نفسه، أفيحل لمسلم أن يقول: إن الله حذر العباد غيره؟!

أو يتأوّل قوله لكليمه موسى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طـه:٤١) فيقول معناه: واصطنعتك لغيرى من المخلوق؟

أو يقول: أراد روح الله بقوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (المائدة: من الآية١١٦) أراد: ولا أعلم ما في غيرك؟!

هذا لا يتوهمه مسلم، ولا يقوله إلا معطل كافر.

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (التقى آدم وموسى -عليهما السلام- فقال له موسى: أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة، قال آدم لموسى عليهما السلام: أنت الذي اصطفاك الله برسالاته، واصطنعك لنفسه، وأنزل عليك التوراة؟ قال: نعم، قال: فهل وجدته كتبه لي قبل أن يخلقني؟ قال: نعم، قال: فحج آدم موسى عليهما السلام)[(٢)] ثلاث

(١) متفق عليه: البخاري: (٦/٢٦٩٤) ح (٦٩٦٩) ومسلم: (١٧/٧٤) ح (٢٧٥١).
وفيهما: (تغلب) بدل: (نالت).

(٢) أخرجه البخاري: (٤/١٧٦٤) ح (٤٤٥٩) وأخرجه مسلم: (١٦/٤٣٩) ح (٢٦٥٢) =

مرات. يريد: كرر هذا القول ثلاث مرات.

٥- عن أبي ذر، عن رسول الله ﷺ، عن الله -تبارك وتعالى- أنه قال: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)[١].

٣- باب ذكر إثبات العلم لله جل وعلا:

[هـ ٩/ ش ٢٢/ ز ٢٦/ ق ٣٨]

تباركت أسماؤه وجل ثناؤه، بالوحي المنزل على النبي المصطفى ﷺ الذي يُقرأ في المحاريب والكتاتيب من العلم الذي هو من علم العام، لا بنقل الأخبار التي هي من نقل علم الخاص، ضد قول الجهمية المعطلة الذين لا يؤمنون بكتاب الله، ويحرفون الكلم عن مواضعه، تشبهاً باليهود، ينكرون أن لله علماً، يزعمون أنهم يقولون: إن الله هو العالم، وينكرون أن لله علماً مضافاً إليه من صفات الذات[٢].

قال الله -جل وعلا- في محكم تنزيله: ﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ (النساء: من الآية١٦٦) وقال عز وجل: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ (هود: من الآية١٤)

فأعلمنا الله أنه أنزل القرآن بعلمه، وخبَّرنا -جل ثناؤه- أن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه، فأضاف الله -جل وعلا- إلى نفسه العلم الذي خبَّرنا أنه أنزل القرآن بعلمه، وأن أنثى لا تحمل ولا تضع لا بعلمه.

فكفرت الجهمية وأنكرت أن يكون لخالقنا علماً مضافاً إليه من صفات

= لكن ليس فيه موضع الشاهد وهو قوله: (واصطنعتك لنفسه).

(١) أخرجه مسلم: (٣٦٨/١٦) ح (٢٥٧٧) وقد سقط هذا الحديث من (هـ)، وفي (ز) لم يثبته المحقق في الأصل، وإنما أشار إليه في الهامش.

(٢) يعني أنهم يثبتون الاسم، وينكرون الصفة التي يدل عليها، وهو تناقض، فإنه لا يُعقل عا لم بلا علم. (هراس).

الذات، تعالى الله عمَّا يقول الطاعنون في علم الله علواً كبيراً.

فيقال لهم: خبِّرونا عمن هو عالم بالأشياء كلها، أله علم أم لا؟ فإن قال: الله يعلم السر والنجوى وأخفى، وهو بكل شيء عليم، قيل له: فمن هو عالم بالسِّر والنجوى وهو بكل شيء عليم، أله علم أم لا علم له؟ فلا جواب لهم لهذا السؤال إلا الهرب، ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: من الآية٢٥٨).

٤- باب ذكر إثبات وجه الله: [هـ ١٠/ ش٢٤/ ز ٢٩/ ق ٤٠]

الذي وصفه بالجلال والإكرام في قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْأِكْرَامِ﴾ (الرحمن:٢٧).

ونفى عنه الهلاك، إذا أهلك الله ما قد قضى عليه الهلاك، مما قد خلقه الله للفناء لا للبقاء، جل ربنا عن أن يهلك شيء منه، مما هو من صفات ذاته، قال الله جل وعلا: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْأِكْرَامِ﴾. وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: من الآية٨٨). وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الكهف: من الآية٢٨). وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[١] (البقرة: من الآية١١٥). فأثبت الله لنفسه وجهاً وصفه بالجلال والإكرام، وحكم لوجهه بالبقاء، ونفى الهلاك عنه.

فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن، والعراق والشام ومصر، مذهبنا: أنَّا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق

---

(١) يرى بعض أهل العلم -ومنهم ابن تيمية- أن هذه الآية ليست من آيات الصفات، ولذا فقد تعقب رحمه الله ابنَ خزيمة في استدلاله بهذه الآية على إثبات صفة الوجه [ينظر: مجموع الفتاوى (١٥/٦)] ويميل ابن القيم رحمه الله -تبعاً لابن خزيمة- إلى أن المراد بالوجه في هذه الآية: وجه الرب حقيقة، وأطال في تقرير ذلك. [ينظر: مختصر الصواعق (١٠١١/٣)].

ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عزَّ ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجلَّ ربنا عن مقالة المعطلين، وعزَّ أن يكون عدماً كما قاله المبطلون، لأن ما لا صفة له عدم، تعالى الله عما يقول الجهميون، الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف الله بها نفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ.

قال الله -جل ذكره- في سورة الروم: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (الروم:٣٨). وقال: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (الروم: من الآية٣٩). وقال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ (الإنسان: من الآية٩). وقال: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ (الليل: ١٩-٢٠).

٥- باب ذكر البيان من أخبار النبي المصطفى ﷺ في إثبات الوجه لله جل ثناؤه، وتباركت أسماؤه، موافقةً لما تلونا من التتريل الذي هو بالقلوب محفوظ، وبين الدفتين مكتوب، وفي المحاريب والكتاتيب مقروء: [هـ١١/ ش٢٧/ ز٣٣/ ق٤٢]

٦- عن جابر قال: لمَّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ : ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ (الأنعام:٦٥) قال النبي ﷺ: (أعوذ بوجهك) قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال النبي ﷺ: (أعوذ بوجهك الكريم) قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: (هاتان أهون وأيسر)[١].

٧- عن عامر بن سعد عن أبيه قال: مرضت بمكة عام الفتح، فذكروا الحديث بتمامه. وقالوا في الخبر: قال: قلت: يا رسول الله أُخلَّف عن هجرتي؟ فقال: (إنك لن تخلَّف بعدي فتعمل عملاً تريد به وجه الله إلا ازددت به رفعة

(١) أخرجه البخاري: (٤/١٦٩٤) ح (٤٣٥٢).

ودرجة)[١].

٨- عن عطاء بن السائب، عن أبيه، قال: كنا جلوساً في المسجد، فدخل عمّار بن ياسر، فصلى صلاة أخفَّها، فمرَّ بنا، فقيل له: يا أبا اليقظان، خففت الصلاة، فقال: أوَ خفيفة رأيتموها؟ قلنا: نعم، قال: أما إنيّ قد دعوت فيها بدعاءٍ قد سمعته من رسول الله ﷺ، ثم مضى فاتَّبعه رجل من القوم، قال عطاء: يرونه أبي، اتبعه ولكنه كره أن يقول: اتبعته، فسأله عن الدعاء، ثم رجع فأخبرهم بالدعاء: (اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أجمعين، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق والعدل في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسالك نعيماً لا يبيد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين)[٢].

قال أبو بكر: ألا يعقل ذوو الحجا –يا طلاب العلم– أن النبي ﷺ لا يسأل ربه ما لا يجوز كونه، ففي مسألة النبي ﷺ ربه لذة النظر إلى وجهه أبين البيان وأوضح الوضوح أن لله –عز وجل– وجهاً، يتلذذ بالنظر إليه من منَّ الله –جل وعلا– عليه، وتفضل بالنظر إلى وجهه.

وللنظر إلى وجهه يوم المعاد باب سيأتيّ في موضعه، منَّ الله بهذه الكرامة

---

(١) متفق عليه: البخاري: (٢٤٧٦/٦) ح (٦٣٥٢) ومسلم: (٨٥/١١) ح (١٦٢٨).

(٢) أخرجه النسائي: (٦٢/٣) ح (١٣٠٤) والإمام أحمد في مسنده: (٢٦٤/٣٠) ح (١٨٣٢٥) والحاكم في مستدركه: (٧٠٥/١) ح (١٩٢٣) وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي، وصححه الألباني كما في صحيح سنن النسائي: (٢٨٠/١) ح (١٢٣٧).

على من يشاء من عباده المؤمنين.

قد أمليت أخبار النبي ﷺ: (من صام يوماً في سبيل الله، ابتغاء وجه الله، باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً)[1] بعضه في "كتاب الصيام" وبعضه في "كتاب الجهاد" فأغنى ذلك عن تكراره في هذا الموضع.

٩- عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى وجه ربهم في جنة عدن إلا رداء الكبرياء على وجهه)[2]. قال أبو بكر: هذا باب طويل، لو استخرج في هذا الكتاب أخبار النبي ﷺ التي فيها ذكر وجه ربنا –جل وعلا– لطال الكتاب، وقد خرَّجنا كل صنف[3] من هذه الأخبار في مواضعها في كتب مصنفة.

٦- باب ذكر صورة ربنا جل وعلا وصفة سبحات وجهه عز وجل، تعالى ربنا عن[4] أن يكون وجه ربنا كوجه بعض خلقه، وعزَّ ألا يكون له وجه، إذ الله قد أعلمنا في محكم تنزيله أن له وجهاً، ذوَّاه بالجلال والإكرام، ونفى عنه الهلاك. [ه١٩/ ش٤٥/ ز٥٦/ ق٥٨]

١٠- عن أبي موسى، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات: (إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط ويخفضه، يرفع إليه عمل الليل بالنهار، وعمل النهار بالليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه

---

(١) متفق عليه –بدون موضع الشاهد (ابتغاء وجه الله)–: البخاري: (١٠٤٤/٣) ح (٢٦٨٥) ومسلم: (٢٨١/٨) ح (١١٥٣).

(٢) متفق عليه: البخاري: (١٨٤٨/٤) ح (٤٥٩٧) ومسلم: (١٩/٣) ح (١٨٠) وفيهما: "وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن".

(٣) وقع في (ش): (صفة) بدل: (صنف) وما أثبته موجود في (ه) و (ز) وهو الذي يدل عليه المعنى والسياق.

(٤) سقطت (عن) من (ش) وأثبتها من (ه) و (ز).

ما انتهى إليه بصره من خلقة)[١].

قال أبو بكر: لم أخرج في هذا الكتاب المقطعات، لأن هذا من الجنس الذي نقول: إنَّ علم هذا لا يدرك إلا بكتاب الله وسنة نبيه المصطفى ﷺ .

لست أحتج في شيء من صفات خالقي عز وجل إلا بما هو مسطور في الكتاب، أو منقول عن النبي ﷺ بالأسانيد الصحيحة الثابتة.

أقول وبالله توفيقي، وإياه أسترشد: قد بيَّن الله عز وجل في محكم تنزيله الذي هو مثبت بين الدفتين: أن له وجهاً، وصفه بالجلال والإكرام والبقاء، فقال جل وعلا: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن:٢٧)

ونفى ربنا جلا وعلا عن وجهه الهلاك في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: من الآية٨٨) وزعم بعض جهلة الجهمية: أن الله عز وجل إنما وصف في هذه الآية نفسه، التي أضاف إليها الجلال، بقوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن:٧٨).

وزعمت أن الرب هو: ذو الجلال والإكرام، لا الوجه.

قال أبو بكر: أقول وبالله توفيقي: هذه دعوى، يدَّعيها جاهل بلغة العرب، لأن الله عز وجل قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن:٢٧) فذكر الوجه مضموماً في هذا الموضع، مرفوعاً، وذكر الرب –بخفض الباء– بإضافة الوجه، ولو كان قوله: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ مردوداً إلى ذكر الرب في هذا الموضع لكانت القراءة: (ذى الجلال والإكرام) مخفوضاً، كما كان الباء مخفوضاً في ذكر الرب جل وعلا.

ألم تسمع قوله تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن:٧٨) فلما كان الجلال والإكرام في هذه الآية صفة للرب، خُفض ﴿ذِي﴾ خفض الباء الذي ذُكر في قوله: ﴿رَبِّكَ﴾، ولما كان الوجه في تلك الآية

(١) أخرجه مسلم: (٣/١٦) ح (١٧٩).

مرفوعةً[1] التي كانت صفة الوجه مرفوعةً، فقال: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ .

فتفهموا يا ذوى الحجا هذا البيان، الذي هو مفهوم في خطاب العرب، لا تغالطوا فتتركوا سواء السبيل.

وفي هاتين الآيتين دلالة أن وجه الله صفة من صفات الله، صفات الذات، لا أن وجه الله هو الله، ولا أن وجهه غيره، كما زعمت المعطلة الجهمية، لأن وجه الله لو كان الله لقرئ: (ويبقى وجه ربك ذى الجلال والإكرام).

وزعمت الجهمية -عليهم لعائن الله- أن أهل السنة ومتبعي الآثار القائلين بكتاب ربهم، وسنة نبيهم ﷺ، المثبتين لله عز وجل من صفاته ما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله، المثبت بين الدفتين، وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ، بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه، مشبهةٌ، جهلاً منهم بكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، وقلة معرفتهم بلغة العرب، الذين بلغتهم خوطبنا.

وقد ذكرنا من الكتاب والسنة في ذكر وجه ربنا بما فيه الغنية والكفاية، ونزيده شرحاً، فاسمعوا الآن أيها العقلاء ما نذكر من جنس اللغة السائرة بين العرب: هل يقع اسم المشبهة على أهل الآثار ومتبعي السنن؟

[إثبات الوجه لله تعالى لا يلزم منه التشبيه، ففرق كبير بين وجه الخالق ووجه المخلوق]

نحن نقول وعلماؤنا جميعاً في جميع الأقطار: إن لمعبودنا عز وجل وجهاً كما أعلمنا الله في محكم تنزيله، فذوّاه بالجلال والإكرام، وحكم له بالبقاء، ونفى عنه الهلاك. ونقول: إن لوجه ربنا عز وجل من النور والضياء والبهاء ما لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره، محجوب عن أبصار أهل الدنيا، لا يراه بشر ما دام في الدنيا الفانية.

ونقول: إن وجه ربنا القديم لا يزال باقياً، فنفى عنه الهلاك والفناء.

(١) كذا في الأصول، والأولى أن يُقال: مرفوعاً.

ونقول: إن لبني آدم وجوهاً كتب الله عليها الهلاك، ونفى عنها الجلال والإكرام، غير موصوفة بالنور والضياء والبهاء التي وصف الله بها وجهه.

تُدرِكُ وجوهَ بني آدم أبصارُ أهل الدنيا، لا تحرق لأحد شعرة فما فوقها، لنفي السبحات عنها، التي بيَّنها نبينا المصطفى ﷺ لوجه خالقنا.

ونقول: إن وجوه بني آدم محدثة مخلوقةلم تكن، فكوَّنها الله بعد أن لم تكن مخلوقة، أوجدها بعد ما كانت عدماً، وأن جميع وجوه بني آدم فانية غير باقية، تصير جميعاً ميتاً ثم تصير رميماً، ثم ينشئها الله بعد ما قد صارت رميماً، فتلقى من النشور والحشر والوقوف بين يدي خالقها في القيامة، ومن المحاسبة بما قدمت يداه وكسبه في الدنيا ما لا يعلم صفته غير الخالق البارئ.

ثم تصير إما إلى الجنة منعمة فيها، أو إلى النار معذبة فيها، فهل يخطر يا ذوى الحجا ببال عاقل مركب فيه العقل، يفهم لغة العرب، ويعرف خطابها، ويعلم التشبيه، أن هذا الوجه شبيه بذاك الوجه؟!

[الاتفاق في الأسماء لا يلزم منه الاتفاق في الحقائق والمسميات]

وهل ههنا أيها العقلاء تشبيه وجه ربنا –جل ثناؤه– الذي هو كما وصفنا وبيَّنا صفته من الكتاب والسنة بتشبيه وجوه بني آدم التي ذكرناها ووصفناها؟ غير اتفاق اسم الوجه، وإيقاع اسم الوجه على وجه بني آدم كما سمى الله وجهه وجهاً. ولوكان تشبيهاً من علمائنا لكان كل قائل: إن لبني آدم وجهاً، وللخنازير، والقردة، والكلاب، والسباع، والحمير، والبغال، والحيات، والعقارب، وجوهاً، قد شبه وجوه بني آدم بوجوه الخنازير والقردة، والكلاب، وغيرها مما ذكرت.

ولست أحسب أن أعقل الجهمية المعطلة –عند نفسه– لو قال له أكرم الناس عليه: وجهك يشبه وجه الخنزير، والقرد، والدب، والكلب، والحمار، والبغل، ونحو هذا، إلا غضب، (وإلا خرج من سوء الأدب في الفحش من

المنطق)[1]، من الشتم للمشبِّه وجهَه بوجه ما ذكرنا، ولعله بعدُ يقذفه ويقذف أبويه. ولست أحسب أن عاقلاً يسمع هذا القائل المشبِّه وجه ابن آدم بوجوه ما ذكرنا إلا ويرميه بالكذب، والزور، والبهت، أو بالعته، والخبل، أو يحكم عليه بزوال العقل، ورفع القلم (عنه)[2]، لتشبيه وجه ابن آدم بوجوه ما ذكرنا.

فتفكروا يا ذوى الألباب، أوجوه ما ذكرنا أقرب شبهاً بوجوه بني آدم، أو وجه خالقنا بوجوه بني آدم؟

فإذالم تطلق العرب تشبيه وجوه بني آدم بوجوه ما ذكرنا من السباع – واسم الوجه قد يقع على جميع وجوهها، كما يقع اسم الوجه على وجوه بني آدم– فكيف يلزم أن يقال لنا: أنتم مشبهة؟!

ووجوه بني آدم، ووجوه ما ذكرنا من السباع والبهائم محدثة، كلها مخلوقة، قد قضى الله فناءها وهلاكها، وقد كانت عدماً فكوَّنها الله وخلقها وأحدثها. وجميع ما ذكرناه من السباع والبهائم لوجوهها: أبصار، وخدود، وجباه، وأنوف، وألسنة، وأفواه، وأسنان، وشفاه.

ولا يقول مركب فيه العقل لأحد من بني آدم: وجهك شبيه بوجه الخنزير، ولا عينك شبيهة بعين قرد، ولا فمك فم دب، ولا شفتاك كشفتي كلب، ولا خدك خد ذئب إلا على المشاتمة، كما يرمي الرامي الإنسان بما ليس فيه.

فإذا كان ما ذكرنا على ما وصفنا ثبت عند العقلاء وأهل التمييز، أن من رمى أهل الآثار القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ بالتشبيه فقد قال الباطل والكذب، والزور والبهتان، وخالف الكتاب والسنة وخرج من لسان العرب.

[الرد على المعطلة في تأويلهم صفة الوجه، وإلزامهم بالوقوع في شرٍ مما

---

(١) ما بين القوسين وقع بدلاً منه في (ش) و (ق): (لأنه خرج من سوء الأدب في الفحش في المنطق من الشتم ...) وما أثبته من (هـ) و (ز) وهو الذي يقتضيه السياق.

(٢) زيادة من (هـ) و (ز) ليست في (ش).

فروا منه]

وزعمت المعطلة من الجهمية: أن معنى الوجه –الذي ذكر الله في الآي التي تلونا من كتاب الله، وفي الأخبار التي روينا عن النبي ﷺ– كما تقول العرب: وجه الكلام، ووجه الثوب، ووجه الدار، فزعمت –لجهلها بالعلم– أن معنى قوله: وجه الله، كقول العرب: وجه الكلام،ووجه الدار، ووجه الثوب، وزعمت أن الوجوه من صفات المخلوقين.

وهذه فضيحة في الدعوى، ووقوع في أقبح ما زعموا أهم يهربون منه، فيقال لهم: أفليس كلام بني آدم، والثياب، والدور مخلوقة؟ فمن زعم منكم أن معنى قوله: وجه الله، كقول العرب: وجه الكلام ووجه الثوب ووجه الدار، أليس قد شبه –على أصلكم– وجه الله بوجه الموتان[1]؟ لزعمكم –ياجهلة– أن من قال من أهل السنة والآثار –القائلين بكتاب رهم وسنة نبيهم ﷺ– لله وجه وعينان، ونفس، وأن الله يبصر ويرى ويسمع: أنه مشبِّه عندكم خالقه بالمخلوقين –حاش الله أن يكون أحد من أهل السنة والأثر شبَّه خالقه بأحد من المخلوقين– فإذا كان على ما زعمتم بجهلكم، فأنتم قد شبهتم معبودكم بالموتان.

نحن نثبت لخالقنا –جل وعلا– صفاته التي وصف الله –عز وجل– بها نفسه في محكم تتريله، أو على لسان نبيه المصطفى ﷺ، مما ثبت بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه. ونقول كلاماً مفهوماً موزوناً، يفهمه كل عاقل، نقول: ليس إيقاع اسم الوجه للخالق البارئ بموجب عند ذوي الحجا والنهى أن يُشَبَّهَ وجه الخالق بوجوه بني آدم.

قد أعلمنا الله –جل وعلا– في الآي –التي تلوناها قبل– أن لله وجهاً، ذوَّاه بالجلال والإكرام، ونفى الهلاك عنه.

(١) الموتان: ضد الحيوان، وهو كل شيءغير ذي روح. [ينظر: تهذيب اللغة (١٤/٢٤٤) مادة: (موت)].

وخبَّرنا في محكم تنزيله أنه يسمع ويرى، فقال – جلّ وعلا– لكليمه موسى ولأخيه هارون –صلوات الله عليهما–: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ (طـه: من الآية٤٦) وما لا يسمع ولا يبصر، كالأصنام، التي هي من الموتان.

ألم تسمع مخاطبة خليل الله –صلوات الله عليه– أباه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾(مريم: من الآية٤٢) أفلا يعقل يا ذوى الحجا من فهم عن الله –تبارك وتعالى– هذا: أن خليل الله –صلوات الله عليه وسلامه– لا يوبخ أباه على عبادة ما لا يسمع ولا يبصر، (ثم يدعو إلى عبادة من لا يسمع ولا يبصر)[1] ولو قال الخليل –صلوات الله عليه– لأبيه: أدعوك إلى ربي الذي لا يسمع ولا يبصر، لأشبه أن يقول: فما الفرق بين معبودك ومعبودي؟

والله قد أثبت لنفسه أنه يسمع ويرى، والمعطلة من الجهمية تنكر كل صفة لله –جل وعلا– وصف بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه ﷺ لجهلهم بالعلم.

وقال عز وجل: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا . أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان:٤٣–٤٤) فأعلم الله –عز وجل– أن من لا يسمع ولا يعقل كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً، فمعبود الجهمية –عليهم لعائن الله– كالأنعام التي لا تسمع ولا تبصر، والله قد ثبّت لنفسه أنه يسمع ويرى.

[شبهة المعطلة في نفي الصفات]:

والمعطلة من الجهمية تنكر كل صفة لله وصف بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه ﷺ لجهلهم بالعلم، وذلك أنهم وجدوا في القرآن أن الله قد أوقع أسماءً من أسماء صفاته على بعض خلقه، فتوهموا –لجهلهم بالعلم–أن من وصف الله بتلك الصفة التي وصف الله بها نفسه، قد شبهه بخلقه.

(١) ما بين القوسين سقط من (هـ) و (ز).

فاسمعوا يا ذوي الحجا ما أُبيّنُ من جهل هولاء المعطلة.

[الاتفاق في الأسماء لا يلزم منه الاتفاق في الحقائق والمسميات]:

أقول: وجدت الله وصف نفسه في غير موضع من كتابه، فأعلم عباده المؤمنين أنه سميع بصير، فقال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: من الآية١١) وذكر عزَّ وجلَّ الإنسان فقال: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (الانسان: من الآية٢).

وأعلمنا –جل وعلا– أنه يرى فقال: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(التوبة: من الآية١٠٥) وقال لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾(طــه: من الآية٤٦) فأعلم –عز وجل– أنه يرى أعمال بني آدم، وأن رسوله –وهو بشر– يرى أعمالهم أيضاً، وقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ (النحل: من الآية٧٩) وبنو آدم يرون أيضاً الطير مسخرات في جو السماء.

وقال: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (هود: من الآية٣٧) وقال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ (القمر: من الآية١٤) وقال: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (الطور: من الآية٤٨) فثبّت ربنا –عز وجل– لنفسه عيناً، وثبَّت لبني آدم أعيناً، فقال: ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ (المائدة: من الآية٨٣) فقد خبَّرنا ربنا أن له عيناً، وأعلمنا أن لبني آدم أعيناً.

وقال لإبليس عليه لعنة الله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص: من الآية٧٥) وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (المائدة: من الآية٦٤) وقال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: من الآية٦٧) فثبّت ربنا –جل وعلا– لنفسه يديْن، وخبَّرنا أن لبني آدم يديْن، فقال: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (آل عمران: من الآية١٨٢) وقال: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾(الحج: من الآية١٠) وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: من الآية١٠).

وقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طــه:٥) وخبَّرنا أن ركبان الدواب

يستوون على ظهورها، وقال في ذكر سفينة نوح: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ (هود: من الآية٤٤) أفيلزم يا ذوي الحجا عند هؤلاء الفسقة أنَّ من ثبَّت لله ما ثبَّت الله في هذه الآي أن يكون مشبِّهاً خالقه بخلقه، حاش لله أن يكون هذا تشبيهاً كما ادَّعوا لجهلهم بالعلم.

نحن نقول: إن الله سميع بصير كما أعلمنا خالقنا وبارؤنا، ونقول: من له سمع وبصر من بني آدم، فهو سميع بصير، ولا نقول: إنَّ هذا تشبيه المخلوق بالخالق. ونقول: إنَّ لله –عز وجل– يدين، يمينين لا شمال فيهما، قد أعلمنا الله تبارك وتعالى أن له يدين، وخبَّرنا نبينا ﷺ أنهما يمينان لا شمال فيهما. ونقول: إنَّ من كان من بني آدم سليم الجوارح والأعضاء فله يدان: يمين وشمال. ولا نقول: إنَّ يد المخلوقين كيد الخالق، عزَّ ربنا عن أن تكون يده كيد خلقه. وقد سمَّى الله لنا نفسه عزيزاً، وسمَّى بعض الملوك عزيزاً، فقال: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ (يوسف: من الآية٣٠) وسمَّى إخوة يوسف أخاهم يوسف عزيزاً، فقالوا: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً﴾ (يوسف: من الآية ٧٨) وقال: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ (يوسف: من الآية ٨٨) فليست عزة خالقنا –العزة التي هي صفة من صفات ذاته– كعزة المخلوقين الذين أعزهم الله بها. ولو كان كل اسم سمَّى الله –عزَّ وجلَّ– لنا به نفسه وأوقع ذلك الاسم على بعض خلقه كان ذلك تشبيه الخالق بالمخلوق على ماتوهم هؤلاء الجهلة من الجهمية، لكان كل من قرأ القرآن وصدقه بقلبه أنه قرآن ووحي وتنزيل، قد شبَّه خالقه بخلقه.

وقد أعلمنا ربنا –تبارك وتعالى– أنه الملك، وسمَّى بعض عبيده ملكاً فقال: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ (يوسف: من الآية٥٠).

وأعلمنا جلَّ جلاله أنه العظيم، وسمَّى بعض عبيده عظيماً، فقال: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: ٣١)

وسمَّى الله بعض خلقه عظيماً فقال: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (التوبة: من

الآية١٢٩) فالله العظيم، وأوقع اسم العظيم على عرشه، والعرش مخلوق.

وربنا الجبار المتكبر فقال: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ (الحشر: من الآية٢٣) وسمّى بعض الكفار متكبراً جباراً فقال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (غافر: من الآية٣٥).

وبارؤنا –عزّ وجلّ– الحفيظ العليم، وخبّرنا أن يوسف عليه السلام قال للملك: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: من الآية٥٥) وقال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (الذريات: من الآية٢٨) وقال: ﴿بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات: من الآية١٠١) فالحليم والعليم اسمان لمعبودنا –جلّ وعلا– قد سمّى الله بهما بعض بني آدم.

ولو لزم ياذوى الحجا أهل السنة والآثار –إذا أثبتوا لمعبودهم يدين كما ثبّتهما الله لنفسه وثبّتوا له نفساً، عزّ ربنا وجلّ، وأنه سميع بصير، يسمع ويرى– ما ادّعى هؤلاء الجهلة عليهم أنهم مشبهة، للزم كل من سمّى الله ملكاً (وعزيزاً)[1] وعظيماً ورؤوفاً ورحيماً وجباراً، ومتكبراً، أنّه قد شبّه خالقه –عز وجل– بخلقه، حاش لله أن يكون من وصف الله –جلّ وعلا– بما وصف الله به نفسه، في كتابه، أو على لسان نبيه المصطفى ﷺ مشبّهاً خالقه بخلقه.

فأما احتجاج الجهمية على أهل السنة والآثار في هذا النحو بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: من الآية١١)، فمَن القائل: إن لخالقنا مثلاً؟ أو إن له شبيهاً؟ وهذا من التمويه على الرعاع والسفل، يموهون بمثل هذا على الجهال، يوهمونهم أنّ مَن وصف الله بما وصف به نفسه في محكم تنزيله أو على لسان نبيه ﷺ فقد شبّه الخالق بالمخلوق، وكيف يكون يا ذوي الحجا خلقه مثله؟

نقول: الله القديم لم يزل، والخلق محدَث مربوب، والله الرازق، والخلق مرزوقون، والله الدائم الباقي، وخلقه هالك غير باق، والله الغني عن جميع خلقه،

(١) زيادة من (ه) و (ز).

والخلق (كلهم)[1] فقراء إلى الله خالقهم، وليس في تسميتنا بعض الخلق ببعض أسامي الله بموجب عند العقلاء الذين يعقلون عن الله خطابه أن يقال: إنكم شبهتم الله بخلقه، إذ أوقعتم بعض أسامي الله على (بعض)[2] خلقه، وهل يمكن عند هؤلاء الجهال حك[3] هذه الأسامي من المصاحف أو محوها من صدور أهل القرآن؟ أو ترك تلاوتها في المحاريب (والكتاتيب)[4] وفي الجدور والبيوت؟

أليس قد أعلمنا منزل القرآن على نبيه ﷺ أنه الملك؟ وسمَّى بعض عبيده ملكاً. وخبَّرنا أنه السلام، وسمَّى تحية المؤمنين بينهم سلاماً في الدنيا وفي الجنة فقال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ (الأحزاب: من الآية٤٤).

ونبينا المصطفى ﷺ قد كان يقول يوم فراغه من تسليم الصلاة: (اللهم أنت السلام ومنك السلام)[5] وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ (النساء: من الآية٩٤).

فثبت بخبر الله أن الله هو السلام، كما في قوله: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾ (الحشر: من الآية٢٣) وأوقع هذا الاسم على غير الخالق البارئ.

وأعلمنا –عز وجل– أنه المؤمن، وسمَّى بعض عباده: المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال: من الآية٢) وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية (الحجرات: من الآية١٥) وقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ (الحجرات: من الآية٩) وقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (الأحزاب: من الآية٣٥).

---

(١) زيادة من (هـ) و (ز) وأشار الدكتور الشهوان إلى وجودها في بعض النسخ.

(٢) زيادة من (هـ) و (ز) وأشار الدكتور الشهوان إلى وجودها في بعض النسخ.

(٣) في (هـ) و(ش) و (ق) : (حل) والمثبت من (ز).

(٤) زيادة من (هـ) و (ز).

(٥) أخرجه مسلم (٩٣/٥) ح (٥٩١) من حديث ثوبان.

وقد ذكرنا قبلُ: أن الله خبَّر أنه سميع بصير، وقد أعلمنا أنه جعل الإنسان سميعاً بصيراً فقال: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ...﴾ إلى قوله: ﴿... فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (الانسان: ١–٢).

والله الحكم العدل وخبَّرنا نبينا ﷺ أن عيسى ابن مريم ينزل قبل قيام الساعة (حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً)[١]، والمقسط أيضاً اسم من أسامي الله –عز وجل– في خبر أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في أسامي الرب –عز وجل– فيه (والمقسط)[٢] وقال في ذكر الشقاق بين الزوجين: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا﴾ (النساء: من الآية٣٥) فأوقع اسم الحكم على حكمي الشقاق.

والله العدل، وأمر عباده بالعدل والإحسان، والنبي ﷺ قد خبَّر: أن المقسطين في الدنيا على منابر من نور، أو من لؤلؤ يوم القيامة، فاسم المقسط قد أوقعه النبي ﷺ على بعض أوليائه الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا[٣].

(١) أخرجه البخاري (٧٧٤/٢) ح (٢١٠٩) بلفظ (حكماً مقسطاً) وفي رواية (١٢٧٢/٣) ح (٣٢٦٤) قال: (حكماً عدلاً) ومسلم (٥٤٨/٢) ح (١٥٥).

(٢) أخرجه الترمذي (تحفة٤٨٢/٩) ح (٣٥٧٤) وغيره، وفيه سرد الأسماء، وقد نص الحفاظ على ضعفه، وأن الأسماء فيه مدرجة من بعض الرواة. قال ابن حجر في بلوغ المرام (٢٨٤): "والتحقيق أن سردها إدراج من بعض الرواة" وقال الصنعاني في سبل السلام (٢٠٨/٤): "اتفق الحفاظ من أئمة الحديث أن سردها إدراج من بعض الرواة" [وينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٨٢/٢٢) وتفسير ابن كثير (٤٢٥/٢) وفتح الباري (٢١٦/١١، ٢١٧)] والذي يصح من حديث أبي هريرة مرفوعاً ما رواه الشيخان: (إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة) [البخاري (٩٨١/٢) ح (٢٥٨٥) ومسلم (٨/١٧) ح (٢٦٧٧)].

(٣) يشير المصنف رحمه الله إلى ما أخرجه مسلم (٤٥٢/١٢) ح (١٨٢٧) من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص، ولفظه: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين =

وفي خبر عياض بن حمار، أن النبي ﷺ قال: (أهل الجنة ثلاثة: عفيف متصدق، وذو سلطان مقسط، ورجل رحيم، رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم)[1]. قال أبو بكر: وإن كان المقسط اسماً من أسامي ربنا جل وعلا.

وبارئنا الحليم – رجل ربنا– وسمَّى الله إبراهيم عليه السلام حليماً فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (هود:٧٥)

وأعلمنا أن نبينا محمداً المصطفى ﷺ رؤوف رحيم، فقال في وصفه: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: من الآية١٢٨).

والله الشكور وسمَّى بعض عباده الشكور، فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: من الآية١٣) فسمى الله القليل من عباده الشكور.

والله العلي، وقال في مواضع من كتابه يذكر نفسه عز وجل: ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: من الآية٥١) وقد سمِّي بهذا الاسم كثير من الآدميين. لم نسمع عالماً ورعاً زاهداً فاضلاً فقيهاً، ولا جاهلاً أنكر على أحد من الآدميين تسمية ابنه علياً، ولا كره أحد منهم هذا الاسم للآدميين، قد دعا النبي ﷺ علي ابن أبي طالب –رضي الله عنه– باسمه، حين وجه إليه فقال: (ادع لي علياً)[2].

والله الكبير، وجميع المسلمين يوقعون اسم الكبير على أشياء ذوات عدد من المخلوقين، يوقعون اسم الكبير على الشيخ الكبير وعلى الرئيس، وعلى كل عظيم، وكثير من الحيوان وغيرها.

ذكر الله قول إخوة يوسف للملك: ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ (يوسف: من الآية٧٨).

= الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا).

(١) أخرجه مسلم ضمن حديث طويل، مع اختلاف في الترتيب: (٢٠٢/١٧) ح (٢٨٦٥).

(٢) أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص (١٨٤/١٥-١٨٥) ح (٢٤٠٤) بلفظ: (ادعوا لي علياً).

وقالت الخثعمية للنبي ﷺ: (إن فريضة الله على عباده أدركت أبي شيخاً كبيراً) فلم ينكر النبي ﷺ عليها تسميتها أباها كبيراً، ولا قال لها: إن الكبير اسم من أسامي الله تعالى.

وفي قصة شعيب: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (القصص: من الآية٢٣).

وربنا –عز وجل– الكريم، والنبي ﷺ قد أوقع اسم الكريم على جماعة من الأنبياء، فقال: (إن الكريم بن الكريم بن الكريم (بن الكريم)[١]: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم)[٢]. وقال عز وجل: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (لقمان: من الآية١٠). فسمى النبي ﷺ كل واحد من هؤلاء الأنبياء كريماً.

والله الحكيم، وسمّى كتابه حكيماً، فقال: ﴿الم . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (لقمان:١–٢). وأهل القبلة يسمون لقمان: الحكيم، إذ الله أعلم أنه آتاه الحكمة، فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ (لقمان: من الآية١٢) وكذلك العلماء يقولون: قال الحكيم من الحكماء، ويقولون: فلان حكيم من الحكماء.

والله –جل وعلا– الشهيد، وسمّى الشهود الذين يشهدون على الحقوق شهوداً، فقال: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ (البقرة: من الآية٢٨٢)، وقال أيضاً: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾ (النساء:٤١). وسمّى الله –عز وجل– ثم نبيه المصطفى ﷺ وجميع أهل الصلاة: المقتولَ في سبيل الله شهيداً.

والله الحق، قال الله عز وجل: ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ (ص: من الآية٨٤)، وقال: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ (طـه: من الآية١١٤)، وقال عز وجل: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾ (سبأ: من الآية٦) وقال: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ (الإسراء: من الآية١٠٥) وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى

(١) زيادة من (هـ) و (ز).

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (١٢٣٧/٣) ح (٣٢٠٢).

مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (محمد: من الآية٢) وقال: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (محمد: من الآية٣) وقال: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ (الحج: من الآية٥٤) وقال: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ (الفرقان: من الآية٢٦) وقال: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ (الفرقان: من الآية٣٣) وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ (التوبة: من الآية٣٣) وقال –جلّ وعلا– لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ (النساء: من الآية١٠٥).

فكل صواب وعدلٍ في حكم وفعل ونطقٍ فاسم الحق واقع عليه، وإن كان اسم الحق اسماً من أسامي ربنا –عز وجل– لا يمنع أحدٌ من أهل القبلة –من العلماء– من إيقاع اسم الحق على كل عدل وصواب.

والله الوكيل، كما قال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الأنعام: من الآية١٠٢) والعرب لا تَمَانُع بينها من إيقاع اسم الوكيل على من يتوكل لبعض بني آدم، والنبي ﷺ في خبر جابر قد قال له: (اذهب إلى وكيلي بخيبر)[1]، وفي أخبار فاطمة بنت قيس في مخاطبتها للنبي ﷺ، لما أعلمته أن زوجها طلقها، قالت: وأمر وكيله أن يعطيني شيئاً، وأنها تقالّت ما أعطاها وكيل زوجها[2]. والعجم –أيضاً– يوقعون اسم الوكيل على من يتوكل لبعض الآدميين، كإيقاع العرب سواء.

وأعلم الله أنه مولى الذين آمنوا، في قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد:١١) وقال عزَّ وجل: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ

(١) أخرجه أبو داود: (عون١٠/٤٤) ح (٣٦٢٧) وضعفه الألباني كما في ضعيف سنن أبي داود (٣٦٠) ح (٣٦٣٢).

(٢) أخرجه مسلم: (٣٤٨/١٠) ح (١٤٨٠). ولفظه عنده: عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب، فأرسل إليها وكيله بشعير، فسخطته، فقال: والله مالك علينا من شيء، فجاءت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له ... الحديث.

﴿وَالْأَقْرَبُونَ﴾ (النساء: من الآية٣٣)، فأوقع اسم الموالي على العصبة، وقال النبي ﷺ: (من كنت مولاه فعلي مولاه)[١].

وقد أمليت هذه الأخبار في فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال ﷺ لزيد بن حارثة لما اشتجر جعفر وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة في ابنة حمزة، قال لزيد: (أنت أخونا ومولانا)[٢] فأوقع اسم المولى – أيضاً– على المولى من أسفل، كما أوقع اسم المولى على المولى من أعلى.

فكل مُعتِقٍ قد يقع عليه اسم مولى، ويقع على المُعتَق اسم مولى.

وقال ﷺ في خبر عائشة رضى الله عنها: (أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل)[٣]، فقد أوقع الله، ثم رسوله، ثم جميع العرب و العجم اسم المولى على بعض المخلوقين.

والله –عز وجل– الولي، وقد سمى الله نبيه ﷺ ولياً، فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ الآية (المائدة: من الآية٥٥)

(١) أخرجه الترمذي من حديث زيد بن أرقم: (٢١٤/١٠) ح (٣٧٩٧) وقال: "هذا حديث حسن غريب" وأحمد في المسند: (١٩٦/٢) ح (٩٥٢) والحاكم: (١١٨/٣) ح (٤٥٧٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه" وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند: "إسناده صحيح" وهو مروي عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم: كسعد ابن أبي وقاص، وبريدة بن الحصيب، وعلي بن أبي طالب، وأبي أيوب الأنصاري، والبراء ابن عازب، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وأبي سعيد، وأبي هريرة. [ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٣٣٠/٤) ح (١٧٥٠)].

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري من حديث البراء بن عازب: (٩٦٠/٢) ح (٢٥٥٢).

(٣) أخرجه أبو داود: (عون٦٩/٦) ح (٢٠٨٣) والترمذي: (تحفة٢٢٧/٤) ح (١١٠٨) وقال: "هذا حديث حسن" وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (٣٩٣/٢) ح؛١٨٣٥).

فسمى الله هؤلاء المؤمنين -أيضا- الذين وصفهم في الآية أولياء المؤمنين.

وأعلمنا -أيضاً- ربنا -عز وجل- أن بعض المؤمنين أولياء بعض في قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: من الآية٧١) وقال عزَّ وجل: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: من الآية٦).

والله -جلَّ وعلا- الحي، واسم الحي قد يقع أيضاً على كل ذي روح، قبل قبض النفس، وخروج الروح منه قبل الموت، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (يونس: من الآية٣١)، واسم الحي قد يقع أيضاً على الموتان، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (النحل: من الآية٦٥) وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: من الآية٣٠)، وقال النبي ﷺ: (من أحيا أرضا ميتة فهي له)[(١)].

والله الواحد، وكل ما له عدد من الحيوان والموتان، فاسم الواحد قد يقع على كل واحد من جنسٍ منه، إذا عُدَّ قيل: واحد، واثنان، وثلاثة، إلى أن ينتهي العدد إلى ما انتهى إليه، وإذا كان واحد من ذلك الجنس قيل: هذا واحد، وكذلك يقال: هذا الواحد صفته كذا وكذا، لا تَمانُع (بين)[(٢)] العرب في إيقاع اسم الواحد على ما بيَّنت.

وربنا -جل وعلا- الوالي، وكل من له ولاية من أمر المسلمين فاسم الوالي واقع عليه عند جميع أهل الصلاة من العرب.

وخالقنا -جل وعلا- التواب، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ (النساء: من الآية١٦)، وقد سمَّى الله جميع من تاب من الذنوب تواباً، فقال:

---

(١) أخرجه من حديث سعيد بن زيد: أبو داود: (عون٨/٢٢٦) ح (٣٠٧١) والترمذي: (تحفة٤/٦٣٠) ح (١٣٩٢) وقال: "هذا حديث حسن غريب" وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (٢/٥٩٤) ح (٢٦٣٨).

(٢) زيادة من (هـ) و (ز).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: من الآية٢٢٢)، ومعقولٌ عند كل مؤمن أن هذا الاسم الذي هو اسم الله، ليس هو على معنى ما سمَّى الله التائبين به، لأن الله إنما أخبر أنه يحب التوابين، أي: من الذنوب، والخطايا، وجلّ ربنا وعز أن يكون اسم التواب له على المعنى الذي أخبر أنه يحب التوابين من المؤمنين.

ومعبودنا –جلّ جلاله– الغني، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ (محمد: من الآية ٣٨)، واسم الغني قد يقع على كل من قد أغناه الله تعالى بالمال، قال جلّ وعلا ذكره: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور: من الآية٣٣) وقال: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ (التوبة: من الآية٩٣).

وقال النبي ﷺ عند بعثه معاذاً إلى اليمن: (وأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)[١].

وقال ضمام بن ثعلبة للنبي ﷺ: آلله أمرك أن تأخذ الصدقة من أغنيائنا فتردها على فقرائنا؟ فقال: (نعم)[٢].

وربنا –جل وعلا– النور، وقد سمَّى الله بعض خلقه نوراً، فقال: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ (النور: من الآية٣٥) وقال: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (النور: من الآية٣٥)، وقال: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ (التحريم: من الآية٨) وقال: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ (الحديد: من الآية١٢).

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس: البخاري: (٢/٥٠٥) ح (١٣٣١) ومسلم: (١/٣١٠) ح (١٩).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أنس رضي الله عنه: (١/٣٥) ح (٦٣) ومسلم (١/٢٨٣) ح (١٢).

قال أبو بكر: قد كنت خبِّرت منذ دهر طويل أن بعض من كان يدعي العلم ممن كان لا يفهم هذا الباب، يزعم أنه غير جائز أن يقرأ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: من الآية٣٥)، وكان يقرأ: ﴿اللهُ نَوَّر السموات والأرض﴾، فبعثت إليه بعض أصحابي وقلت له: (قل له:)[1] ما الذي تنكر أن يكون لله -عز وجل- اسم، يُسمِي الله بذلك الاسم بعض خلقه؟ فقد وجدنا الله قد سمَّى بعض خلقه بأسام هي له أسامي، وبعثت له بعض ما قد أمليته في هذا الفصل، وقلت للرسول: قل له: قد رُوي عن النبي ﷺ -بالإسناد الذي لا يدفعه عالم بالأخبار- ما يثبت أن الله نور السموات والأرض.

قلت: في خبر طاوس عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان يدعو: (اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيِّمُ السموات والأرض ومن فيهن)، الحديث بتمامه[2].

قد أمليته في كتاب "الدعوات" وفي كتاب "الصلاة" أيضاً، فرجع الرسول وقال: لست أنكر أن يكون الله -تعالى- نوراً، كما قد بلغني بعدُ أنه رجع.

قال أبو بكر: وكل من فهم عن الله خطابه يعلم أن هذه الأسامي التي هي لله -تعالى- أسامي، بيَّن الله ذلك في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، مما قد أوقع تلك الأسامي على بعض المخلوقين، ليس على معنى تشبيه المخلوق بالخالق، لأن الأسامي قد تتفق، وتختلف المعاني.

فالنورُ وإن كان اسماً لله، فقد يقع اسم النور على بعض المخلوقين، فليس معنى النور الذي هو اسم لله في المعنى مثل النور الذي هو خلق الله.

قال الله جل وعلا: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (النور: من الآية٣٥) وأعلَمَ أيضاً أن لأهل الجنة نوراً يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، وقد أوقع الله اسم النور

(١) زيادة من (هـ) و (ز).

(٢) متفق عليه: البخاري: (٣٧٧/١) ح (١٠٦٩) ومسلم: (٣٠١/٦) ح (٧٦٩).

على معان. وربنا -جل وعلا- الهادي، وقد سمَّى بعض خلقه هادياً، فقال -عز وجل- لنبيه: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: من الآية٧)، فسمى نبيه ﷺ هادياً، وإن كان الهادي اسماً لله عزَّ وجل.

والله الوارث، قال الله تعالى: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (الأنبياء: من الآية٨٩) وقد سمى الله من يرث من الميت ماله وارثاً، فقال عزَّ وجل: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ (البقرة: من الآية٢٣٣) فتفهموا يا ذوي الحجا ما بيَّنتُ في هذا الفصل، تعلموا وتستيقنوا أن لخالقنا -عز وجل- أساميَ قد تقع تلك الأسامي على بعض خلقه في اللفظ لا على المعنى، على ما قد بيَّنت في هذا الفصل من الكتاب والسنة ولغة العرب. فإن كان علماء الآثار الذين يصفون الله بما وصف به نفسه وعلى لسان نبيه ﷺ مشبِّهة -على ما يزعم الجهمية المعطلة-، فكل أهل القبلة - إذا قرؤا كتاب الله فآمنوا به، بإقرار باللسان وتصديق بالقلب، وسمَّوا الله بهذه الأسامي التي خبر الله بها أنها له أسامي، وسمَّوا هؤلاء المخلوقين بهذه الأسامي التي سماهم الله بها- هم مشبِّهة.

فعود مقالتهم هذه توجب أن على أهل التوحيد الكفر بالقرآن، وترك الإيمان به، وتكذيب القرآن بالقلوب، والإنكار بالألسن، فأقذر بهذا من مذهب، وأقبح بهذه الوجوه[1] عندهم، عليهم لعائن الله، وعلى من ينكر جميع ما وصف الله به نفسه في محكم تنْزيله، والكفر بجميع ما ثبت عن نبينا المصطفى ﷺ بنقل أهل العدالة موصولاً إليه في صفات الخالق جلَّ وعلا.

٧- باب ذكر أخبار رويت عن النبي ﷺ :

تأوَّلها بعض من لم يتحر العلم على غير تاويلها، ففتن عالماً من أهل الجهل و الغباوة، حملهم الجهل بمعنى الخبرعلى القول بالتشبيه، جلَّ وعلا عن أن يكون وجه خلقٍ من خلقه مثل وجهه، الذي وصفه الله بالجلال و الإكرام، ونفي

(١) في (ز): (بهذا الموحد) بدل: (بهذه الوجوه).

الهلاك عنه. [ه٣٦/ ش٨١/ ز٩٣/ ق٨٩]

١١– عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، ولا يقل: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته)(١).

١٢– عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته)(٢).

قال أبو بكر: توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله: (على صورته) يريد صورة الرحمن –عز ربنا وجل– عن أن يكون هذا معنى الخبر، بل معنى قوله: (خلق آدم على صورته): الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب، والمشتوم، أراد ﷺ أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب(٣)، الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب، والذي قبح وجهه، فزجر ﷺ أن يقول: (ووجه من أشبه وجهك، لأن وجه آدم شبيه وجوه بنيه، فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، كان مقبحاً وجه آدم –

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في موضعين (٣٨٢/١٢) ح (٧٤٢٠) و (٣٧١/١٥) ح (٩٦٠٤) وابن أبي عاصم في السنة (٢٣٠/١) ح (٥٢٠) والدارقطني في الصفات (٥٦) ح (٤٦) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٧٠/٣) ح (٧١٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٣/٢) ح (٦٣٩) وصحح إسناده أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١٥٢/١٣) وقال الألباني في ظلال الجنة (٢٣٠/١) "إسناده حسن صحيح".
وأخرجه – بدون قوله: (إذا ضرب أحدكم الوجه) –: الحميدي في مسنده (٤٧٦/٢) ح (١١٢٠) والبخاري في الأدب المفرد (٧١) ح (١٧٣) وابن مندة في التوحيد (٢٢٣/١) ح (٨٤) وقال: "هذا إسناد مشهور متصل صحيح، وابن عجلان أخرج عنه مسلم والنسائي والجماعة إلا البخاري".

(٢) أخرجه مسلم: (٤٠٤/١٦) ح (٢٦١٢).

(٣) هذا تأويل بعيد عن ظاهر الحديث، فالحق أن الضمير عائدٌ إلى الله تعالى، كما سيأتي.

صلوات الله عليه وسلامه- الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم، فتفهموا - رحمكم الله- معنى الخبر، لا تغلطوا ولا تغالطوا فتضلوا عن سواء السبيل، وتحملوا على القول بالتشبيه الذي هو ضلال. وقد رويت في نحو هذا لفظةٌ أغمض، يعني من اللفظة التي ذكرناها في خبر أبي هريرة، وهو ما:

١٣- حدثنا به يوسف بن موسى قال: ثنا جرير عن الأعمش عن حبيب ابن أبي ثابت، عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر: قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقبحوا الوجه، فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن)(١).

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٢٨/١) ح (٥١٧) وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢٦٨/١) ح (٤٩٨) والآجري في الشريعة (١١٥٢/٣) ح (٧٢٥) والطبراني في الكبير (٣٢٩/١٢) ح (١٣٥٨٠) وابن بطة في الإبانة (المختار ٢٤٤) ح (١٨٥) وكذا في (٢٦٠) ح (١٩٠) و (٢٦٢) ح (١٩٣) والدارقطني في الصفات (٦٤) ح (٤٨) والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٤/٢) ح (٦٤٠) والحاكم في مستدركه (٣٤٩/٢) ح (٣٢٤٣) وأبو يعلى في إبطال التأويلات (٩٦/١) ح (٨١).

وقد كتب الشيخ حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله مقالة -في مجلة الجامعة السلفية في ذي القعدة سنة (١٣٩٦) المجلد الثامن العدد الرابع- بعنوان: "تعريف أهل الإيمان بصحة حديث صورة الرحمن" صحح فيه هذا الحديث ورد على ابن خزيمة في تعليله له، ونقل هذه المقالة: الدكتور علي بن ناصر الفقيهي في هامش كتاب الصفات للدارقطني بتحقيقه (٥٨-٦٢). فكتب الشيخ الألباني رحمه الله تعالى رداً على هذه المقالة، وذلك في ذيل تضعيفه لهذا الحديث ونصرته لتعليل ابن خزيمة رحمه الله، في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣١٩/٣). فكتب الشيخ حمود التويجري رحمه الله رسالة بعنوان: "عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن" رد فيها على تضعيف ابن خزيمة والألباني لهذا الحديث.

ثم كتب الشيخ عبد الله الدويش رحمه الله رسالة بعنوان: "دفاع أهل السنة والإيمان عن حديث خلق الله آدم على صورة الرحمن" رد فيها على ابن خزيمة رحمه الله وكذا على الألباني في رده على الشيخ حماد الأنصاري.

رحم الله الجميع، وأسكنهم فسيح جناته، فكلهم ناشد للحق، حريص على السنة، ذاب =

وروى الثوري هذا الخبر مرسلاً، غير مسند:

١٤ – حدثناه أبو موسى، محمد بن المثني، قال: ثنا عبدالرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء: قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يقبح الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن)[١].

قال أبو بكر: وقد افتتن بهذه اللفظة التي في خبر عطاء، عالم ممن لم يتحر العلم، وتوهموا أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر من إضافة صفات الذات، فغلطوا في هذا غلطاً بيّناً، وقالوا مقالة شنيعة، مضاهية لقول المشبهة، أعاذنا الله وكل المسلمين من قولهم.

والذي عندي في تاويل هذا الخبر إن صح من جهة النقل موصولاً، فإن في الخبر عللاً ثلاثاً: إحداهن: أن الثوري قد خالف الأعمش في إسناده فأرسل الثوري ولم يقل: عن ابن عمر.

والثانية: أن الأعمش مدلس، لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت.

والثالثة: أن حبيب بن أبي ثابت أيضاً مدلس، لم يُعلم أنه سمعه من عطاء.

سمعت إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد يقول: ثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش قال: قال حبيب بن أبي ثابت: لو حدثني رجل عنك بحديث لم أبال أن أرويه عنك، يريد لم أبال أن أدلّسه.

قال أبو بكر: ومثل هذا الخبر، لا يكاد يحتج به علماؤنا من أهل الأثر، لا سيما إذا كان الخبر في مثل هذا الجنس، فيما يوجب العلم لو ثبت، لا فيما يوجب العمل بما قد يُستدل على صحته وثبوته بدلائل من نظر، وتشبيه، وتمثيلٍ بغيره من سنن النبي ﷺ من طريق الأحكام والفقه.

فإن صح هذا الخبر مسنداً، بأن يكون الأعمش قد سمعه من حبيب بن

= عن حياض العقيدة، نحسبهم كذلك والله حسيبهم ولا نزكي على الله أحدا.

(١) صحح إسناده الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم (٢٢٩/١)

أبي ثابت، وحبيب قد سمعه من عطاء بن أبي رباح، وصح أنه عن ابن عمر – على ما رواه الأعمش– فمعنى هذا الخبر عندنا: أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر إنما هو من إضافة الخلق إليه[١].

لأن الخلق يضاف إلى الرحمن إذ الله خلقه، وكذلك الصورة تضاف إلى الرحمن، لأن الله صوَّرها، ألم تسمع قوله عز وجل: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ (لقمان: من الآية١١)، فأضاف الله الخلق إلى نفسه، إذ الله تولى خلقه، وكذلك قول الله عزَّ وجل: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ (الأعراف: من الآية٧٣) فأضاف الله الناقة إلى نفسه، وقال: ﴿تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ (الأعراف: من الآية٧٣) وقال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ (النساء: من الآية٩٧) وقال: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (الأعراف: من الآية١٢٨). فأضاف الله الأرض إلى نفسه، إذ الله تولى خلقها فبسطها.

وقال: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: من الآية٣٠) فأضاف الله الفطرة إلى نفسه، إذ الله فطر الناس عليها.

فما أضاف الله إلى نفسه على معنيين: أحدهما: إضافة الذات. والآخر: إضافة الخلق[٢]. فتفهموا هذين المعنيين، لا تغالطوا.

فمعنى الخبر –إن صح من طريق النقل مسنداً–: فإن ابن آدم خلق على الصوره التي خلقها الرحمن حين صور آدم، ثم نفخ فيه الروح، قال الله جلّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ (الأعراف: من الآية١١) والدليل على صحة هذا التأويل:

---

(١) هذا تأويل بعيد جداً، فالصورة لا تضاف إلى الله كإضافة خلقه إليه، لأنها وصف قائم به. (هراس).

(٢) فما أضافه الله إلى ذاته من المعاني فهو قائم به، كعلمه وقدرته وكلامه، وما أضافه من الذوات فهو مخلوقه المنفصل عنه، كبيت الله وناقة الله. (هراس).

١٥ – عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر –وهم نفر من الملائكة جلوس– فاسمع ما يجيبونك، وإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال: فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن)(١).

قال أبو بكر: فصورة آدم ستون ذراعاً، التي أخبر النبي ﷺ أن آدم عليه السلام خلق عليها، لا على ما توهم بعض من لم يتحر العلم، فظن أن قوله: (على صورته): صورة الرحمن، صفة من صفات ذاته(٢)، جلَّ وعلا عن أن

(١) متفق عليه: البخاري: (٥/٢٢٩٩) ح (٥٨٧٣) ومسلم: (١٧/١٨٤) ح (٢٨٤١).

(٢) بل هذا الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة، وهو إثبات الصورة لله تعالى –صفة من صفاته جلَّ وعلا– بدلالة هذه الأحاديث وغيرها، بل إنهم عدُّوا القول بإعادة الضمير إلى غير الله تعالى من تأويلات الجهمية. فعن إسحاق الكوسج قال: قال: قلت لأحمد: (لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورته) ألست تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد صحيح. وقال ابن راهويه: "صحيح ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي" [رواه الآجري في الشريعة (٣/١١٢٧) ح (٦٩٧) وابن بطة في الإبانة –واللفظ له– (المختار٢٦٦) ح (١٩٧)]. وسئل الإمام أحمد فقيل له: يا أبا عبد الله: الحديث الذي رُوي عن النبي ﷺ: (أن الله خلق آدم على صورته) على صورة آدم؟ فقال: فأين الذي يروى عن النبي ﷺ: (أن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن عز وجل)؟ وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلق؟ [ينظر: إبطال التأويلات (١/٨٨، ٩٠)].

وصرح الإمام أحمد رحمه الله بأن القول بإعادة الضمير على آدم أو على الرجل المضروب: قول الجهمية. فقال رحمه الله: "من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي، وأي صورة لآدم قبل أن يخلقه؟" [رواه ابن بطة في الإبانة (المختار٢٦٦) ح (١٩٨)، وينظر: إبطال التأويلات لأبي يعلى (١/٧٥، ٨٨)]. =

= وقال عبد الله بن الإمام أحمد: "قال رجل لأبي: إن فلاناً يقول في حديث رسول الله ﷺ: (إن الله خلق آدم على صورته) فقال: على صورة الرجل! قال أبي: كذب هذا، هذا قول الجهمية، وأي فائدة في هذا" [إبطال التأويلات (٨٨/١)].

وعقد الآجري رحمه الله باباً بعنوان: "الإيمان بأن الله عز وجل خلق آدم على صورته بلا كيف" ثم ساق هذا الحديث بطرق متعددة ثم قال: "هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يُقال فيها كيف؟ ولِمَ؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق وترك النظر" [الشريعة (١١٥٣/٣)].

وممن نصَّ على هذا أيضاً -أعني إثبات الصورة لله تعالى بدلالة هذه الأحاديث-: ابن قتيبة، وأبو يعلى الفراء، وأبو إسماعيل الهروي، وقوام السنة إسماعيل التيمي الأصبهاني، والشيخ عبد الله أبابطين، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد العثيمين عليهم رحمة الله. [ينظر على الترتيب: تأويل مختلف الحديث (٢٠٦) وإبطال التأويلات (٨١/١) والأربعين في دلائل التوحيد (٦٣) والحجة في بيان المحجة (٣١٠/١-٣١١) والدرر السنية (٢٦٠/٣-٢٦٤) ومجموع فتاوى ابن باز (٣٥٣/٦) وشرح العقيدة الواسطية (١٠٨/١-١١٠)]. وقال ابن تيمية: "هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك" [بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٣٩٦/٢) تحقيق د/عبد الرحمن اليحيى].

ومما تقدم تتبيَّن مخالفةُ إمام الأئمة -ابن خزيمة رحمه الله- لأهل السنة في هذه المسألة، حيث أعاد الضمير في هذه الأحاديث على غير الله تعالى، وهي -كما قال أهل العلم- زلّةٌ لا يُتابع عليها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قال الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي في كتابه الذي سمَّاه: (الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزاماً لذوي البدع والفضول)...: فأما تأويل من لم يتابعه عليه الأئمة فغير مقبول، وإن صدر ذلك التأويل عن إمام معروف غير مجهول نحو ما ينسب إلى أبي بكر محمد بن خزيمة تأويل الحديث: (خلق آدم على صورته) فإنه يفسر ذلك بذلك التأويل، ولم يتابعه عليه من قبله من أهل =

= الحديث لما روينا عن أحمد رحمه الله تعالى، و لم يتابعه -أيضاً- من بعده...
قلت -يعني ابن تيمية-: وقد ذكر الحافظ أبو موسى المديني فيما جمعه من مناقب الإمام الملقب بقوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي صاحب كتاب: (الترغيب والترهيب) قال: سمعته يقول: أخطأ محمد بن خزيمة في حديث الصورة، ولا يطعن عليه بذلك، بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب. قال أبو موسى: أشار بذلك إلى أنه قلَّ من إمام إلا وله زلة، فإذا ترك ذلك الإمام لأجل زلته، ترك كثير من الأئمة، وهذا لا ينبغي أن يفعل" [بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/٤١٩، ٤٢٤-٤٣٠)].
وقال ابن تيمية أيضاً: "لمّا انتشرت الجهمية في المائة الثالثة جعل طائفة الضمير فيه عائداً إلى غير الله تعالى، حتى نُقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة في عامة أمورهم كأبي ثور وابن خزيمة وأبي الشيخ الأصبهاني وغيرهم، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة" [بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/٣٩٧-٣٩٩)].
وقال الذهبي في السير (١٤/٣٧٤-٣٧٦) في ترجمة الإمام ابن خزيمة: "وكتابه في (التوحيد) مجلد كبير، وقد تأوّل في ذلك حديث الصورة، فليعذر من تأوّل بعض الصفات، وأما السلف فما خاضوا في التأويل، بل آمنوا وكفوا، وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده -مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق- أهدرناه وبدعناه، لقلّ من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه"
والمتأمل لما ذهب إليه ابن خزيمة رحمه الله يجد ان الذي ألجأه إلى هذا التأويل توهم المشابهة، أو خشية توهمها -كما هو ظاهر من كلامه في مواضع مختلفة من هذا الباب- ولذلك اجتهد في تأويل هذه الأحاديث وصرفها عن ظاهرها، فجعل متعلق الضمير في كل حديث غيرَه في الحديث الآخر: ففي حديث: (إذا قاتل أحدكم أخاه...) جعل الضمير عائداً إلى المضروب.
فلما أتى إلى الحديث الآخر ورأى أن هذا التأويل لا يستقيم معه -لأن النبي ﷺ قال ابتداءً: (خلق الله آدم على صورته)- جعل الضمير فيه عائداً إلى آدم عليه السلام.
ولما أتى إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (لا تقبحوا الوجه، فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن) ورأى أنه غير قابل للتأويل جعله -على فرض صحته- من باب إضافة =

= الخلق إلى خالقه، كل ذلك فراراً من التشبيه.

والحق أن إثبات الصورة لله تعالى بمقتضى هذه الأحاديث، والقول بإعادة الضمير فيها على الله تعالى لا يلزم منه التشبيه، فأهل السنة يثبتون ذلك على ما يليق بجلال الله وعظمته مع نفي التشبيه، كما هي طريقتهم في جميع الصفات.

قال ابن قتيبة رحمه الله في تأويل مختلف الحديث (٢٠٦): "والذي عندي –والله تعالى أعلم– أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك، لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد". وقال القاضي أبو يعلى رحمه الله في إبطال التأويلات (١/٨١) عن هذا الحديث: "والوجه فيه أنه ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه، لأننا نطلق تسمية الصورة عليه لا كالصور، كما أطلقنا تسمية ذات ونفس لا كالذوات والنفوس". وقال قوام السنة إسماعيل التيمي في كتابه الحجة في بيان المحجة (١/٣١٠): "فصل في الرد على الجهمية الذين أنكروا صفات الله عز وجل، وسموا أهل السنة مشبهة، وليس قول أهل السنة: أن لله وجهاً ويدين وسائر ما أخبر الله تعالى به عن نفسه موجباً تشبيهه بخلقه، وليس روايتهم حديث النبي ﷺ: (خلق الله آدم على صورته) بموجبة نسبة التشبيه إليهم، بل كل ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبر به رسوله ﷺ فهو حق، قول الله حق، وقول رسوله حق، والله أعلم بما يقول، ورسوله ﷺ أعلم بما قال، وإنما علينا الإيمان والتسليم، وحسبنا الله ونعم الوكيل"

إذا تبين هذا وهو: وجوب حمل النص على ظاهره، وأن ظاهره لا يقتضي التشبيه، فما معنى كون آدم خلق على صورة الله تعالى؟

الجواب عن هذا أن يقال: الواجب إذا جاءت الآية من كتاب الله تعالى أو صح الحديث عن رسول الله ﷺ: الإيمان والتصديق بهما، واعتقاد ما جاء فيهما، والتسليم والانقياد لهما، ولا يجوز السؤال عن كيفية ما جاء فيهما من الصفات، فإن الله تعالى أخبرنا أنه متصف بالصفات ولم يخبرنا عن كيفية هذه الصفات، فنكل علمها إلى الله تعالى، مع اعتقادنا أنها لا تماثل صفات المخلوقين، فالله تعالى كما قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ =

= وقد عقد الإمام ابن بطة في الإبانة (المختار٢٤٤) باباً بعنوان: "الإيمان بأن الله عز وجل خلق آدم على صورته بلا كيف" ثم قال: "كل ما جاء من هذه الأحاديث، وصحت عن رسول الله ﷺ ففرض على المسلمين قبولها، والتصديق بها، والتسليم لها، وترك الاعتراض عليها، وواجب على من قبلها وصدَّق بها ألا يضرب لها المقاييس، ولا يتحمل لها المعاني والتفاسير، ولكن تمر على ما جاءت ولا يقال فيها: لِمَ ولا كيف، إيماناً وتصديقاً، ونقف من لفظها وروايتها حيث وقف أئمتنا وشيوخنا، وننتهي منها حيث انتهى بنا، كما قال المصطفى نبينا ﷺ، بلا معارضة ولا تكذيب ولا تنقير ولا تفتيش، والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل، فإن الذين نقلوها إلينا هم الذين نقلوا إلينا القرآن وأصل الشريعة، فالطعن عليهم والرد لما نقلوه من هذه الأحاديث، طعن في الدين ورد لشريعة المسلمين، ومن فعل ذلك فالله حسبه والمنتقم منه بما هو أهله" ثم ساق رحمه الله عدداً من طرق هذا الحديث.

وقال الكرجي -كما نقل ذلك عنه ابن تيمية في الفتاوى (١٨٥/٤)- بعد ما ساق عدداً من أحاديث الصفات، والتي منها: (خلق الله آدم على صورته): ".. إلى غيرها من الأحاديث، هالتنا أو لم تهلنا، بلغتنا أو لم تبلغنا، اعتقادنا فيها وفي الآي الواردة في الصفات: أن نقبلها ولا نحرفها ولا نكيفها ولا نعطلها ولا نتأولها، وعلى العقول لا نحملها، وبصفات الخلق لا نشبهها، ولا نعمل فكرنا ورأينا فيها، ولا نزيد عليها ولا ننقص منها، بل نؤمن بها ونكل علمها إلى عالمها، كما فعل ذلك السلف الصالح، وهم القدوة لنا في كل علم" وقال الذهبي رحمه الله كما في ميزان الاعتدال (٩٦/٤): "أما معنى حديث الصورة فنرد علمه إلى الله ورسوله، ونسكت كما سكت السلف مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء". وذهب بعض أهل العلم إلى أن معنى الحديث هو: بيان أن آدم عليه السلام خُلق ذا وجه متصفاً بصفة السمع والبصر والكلام، كما أن الله تعالى كذلك، فهو مخلوق على صورة الله من هذه الحيثية، ولا يلزم من ذلك المماثلة. قال ابن القيم رحمه الله في مختصر الصواعق (٥١٥/٢): "وقوله: (خلق آدم على صورة الرحمن) لم يرد به تشبيه الرب وتمثيله بالمخلوق، وإنما أراد به تحقيق الوجه، وإثبات السمع والبصر والكلام، صفة ومحلاً والله أعلم".

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٣٥٣/٦-٣٥٤): "والمعنى والله =

= أعلم: أنه خلق آدم على صورته ذا وجه وسمع وبصر، يسمع ويتكلم ويبصر ويفعل ما يشاء، ولا يلزم أن يكون الوجه كالوجه، والسمع كالسمع، والبصر كالبصر...وهكذا لا يلزم أن تكون الصورة كالصورة" ومما ينبغي التأكيد عليه والتنبيه إليه -هنا- أن كون الشيء على صورة الشيء: لا يلزم منه المماثلة بينهما من كل وجه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/٥٣٧-٥٣٨): "من المعلوم أن الشيئين المخلوقين قد يكون أحدهما على صورة الآخر مع التفاوت العظيم في جنس ذواتهما وقدر ذواتهما، وقد تظهر السموات والقمر في صورة ماء أو مرآة في غاية الصغر، ويقال: هذه صورتها، مع العلم بأن حقيقة السموات والأرض أعظم من ذلك بما لا نسبة لأحدهما إلى الآخر". وقال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله كما في شرح العقيدة الواسطية (١/١٠٨-١٠٩): الذي قال: (إن الله خلق آدم على صورته) رسول الذي قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ والرسول لا يمكن أن ينطق بما يكذب المرسِل.

والذي قال: (خلق آدم على صورته) هو الذي قال: (إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر) متفق عليه فهل أنت تعتقد أن هؤلاء الذين يدخلون الجنة على صورة القمر من كل وجه؟! فإن قلت بالأول: فمقتضاه أنهم دخلوا وليس لهم أعين وليس لهم آناف وليس لهم أفواه، وإن شئنا قلنا: دخلوا وهم أحجار! وإن قلت بالثاني: زال الإشكال وتبين أنه لا يلزم من كون الشيء على صورة الشيء أن يكون مماثلاً له من كل وجه".

وحدير بالتنبيه هنا: أن ابن خزيمة رحمه الله لا ينفي صفة الصورة لله تعالى بل يثبتها، فقد عقد باباً في كتابه هذا بعنوان: "باب ذكر صورة ربنا جل وعلا" -وهو الباب السادس في هذا التهذيب- ثم ذكر تحته ما يتصف به وجه الله تعالى -مما ورد ذكره في النصوص- من السبحات والنور والجلال والإكرام، وعقد قبله باباً بعنوان: "باب ذكر إثبات وجه الله" وساق تحته بعض النصوص الدالة على إثبات هذه الصفة لله تعالى على ما يليق بجلاله، ولكن ابن خزيمة رحمه الله تعالى ينفي -هنا- مماثلة صورة آدم لصورة الله تعالى، وهذا حق، لكن ليس في حمل هذه النصوص على ظاهرها ما يقتضي التمثيل، كما تقدم.

وللوقوف على الرد المفصَّل على التأويلات الباطلة لهذا الحديث (خلق الله آدم على صورته) فليُرجع إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وذلك في كتابه الذي يرد فيه على =

يوصف بالموتان والأبشار[1]، قد نزّه الله نفسه وقدّس عن صفات المخلوقين، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: من الآية١١) وهو كما وصف نفسه في كتابه على لسان نبيه، لا كصفات المخلوقين من الحيوان، ولا من الموتان، كما شبَّه الجهمية معبودهم بالموتان، ولا كما شبه الغالية من الروافض معبودهم ببني آدم، قبح الله هذين القولين وقائلهما.

٨- باب: ذكر إثبات العين لله عزَّ وجل على ما ثبَّته الخالق البارئ لنفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه ﷺ. [ه٤٢/ ش٩٦/ ز١٠٦/ ق٩٨]

قال الله -عزَّ وجلَّ- لنبيه نوح صلوات الله عليه: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ (هود: من الآية٣٧) وقال -جلَّ وعلا-: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ (القمر: من الآية١٤)، وقال -عزَّ وجلَّ- في ذكر موسى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طـــه: من الآية٣٩)، وقال: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (الطور: من الآية٤٨).

فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبَّت الخالق البارئ لنفسه من العين، وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبَّته الله في محكم تنْزيله.

٩- باب ذكر إثبات العين لله -جل وعلا-[2]: ببيان النبي ﷺ الذي

= الرازي، واسمه: (بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية) أو (نقض تأسيس الجهمية) وقد طبع منه مجلدان كبيران بهذا العنوان، وأما بقية الكتاب فلا يزال مخطوطاً، وقد قام عدد من الباحثين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيق الكتاب كاملاً، لكنه لم يطبع بعد. وكلام ابن تيمية عن هذا الحديث في هذه البقية التي لم تطبع، وقد لخصه الشيخ حمود التويجري رحمه الله في كتابه: (عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن).

(١) في بعض النسخ: "بالذرعان والأشبار".

(٢) عنوان هذا الباب ليس موجودا في (ش) و (ق) فالكلام بعده متصل بما قبله، وأثبته من =

جعله الله مبيناً عنه، عزّ وجلّ في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: من الآية٤٤). [هـ٤٢/ ز١١٠]

فبيّن النبي ﷺ أن لله عينين، فكان بيانه موافقاً لبيان محكم التتريل، الذي هو مسطور بين الدفتين، مقروء في المحاريب والكتاتيب.

١٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في هذه الآيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (النساء:٥٨): رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه، وإصبعه التي تليها على عينه[١]، قال أبو هريرة : رأيت رسول الله ﷺ يفعل ذلك[٢].

١٧- عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأنها عنبة طافية)[٣].

١٨- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (أنذركم الدجال، أما إنه أعور عين اليمنى، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه: ك ف ر، يقرؤه كل مؤمن يقرأ، وكل مؤمن لا يقرأ)[٤].

١٠- باب إثبات السمع والرؤيه لله جلّ وعلا: [هـ٤٤/ ش١٠٦/

= (هـ) و (ز)، والسياق يقتضيه.

(١) قال البيهقي في الأسماء والصفات (٤٦٢/١): "المراد بالإشارة في هذا الخبر تحقيق الوصف لله عزّ وجلّ بالسمع والبصر، فأشار إلى محلّي السمع والبصر منّا لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى" ويُنظر الفتح (١٣-٣٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود: (عون١٣/٢٧) ح (٤٧١٣) وقال ابن حجر في الفتح (٣٧٣/١٣): " أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم" وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (٨٩٥/٣) ح (٣٩٥٤).

(٣) متفق عليه: البخاري: (٢٦٩٥/٦) ح (٦٩٧٢) ومسلم: (٢٧٢٥/١٨) ح (١٦٩).

(٤) متفق عليه: البخاري: (٢٦٩٥/٦) ح (٦٩٧٣) ومسلم: (٢٧٣/١٨) ح (٢٩٣٣).

ز١١٨/ ق١٠٤]

الذي هو كما وصف نفسه: سميع بصير، ومن قال[1] معبوده غير سميع بصير فهو كافر بالله السميع البصير، يعبد غير الخالق البارئ، الذي هو سميع بصير، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (آل عمران: من الآية١٨١) وقال -عزَّ وجلَّ- في قصة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ الآية (المجادلة: من الآية١).

قال أبو بكر: قد كنت أمليت في كتاب الظهار خبر عائشه رضي الله عنها: « سبحان ربي وبحمده، وسع سمعه الأصوات، إن المجادلة تشكو إلى النبي ﷺ فيخفى عليَّ بعض كلامها، فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾»[2] وقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ الآية (الزخرف: من الآية٨٠).

وقد أعلمنا ربنا -الخالق البارئ- أنه يسمع قول من كذب على الله وزعم أن الله فقير، فكذبهم الله في مقالتهم تلك، فرد الله ذلك عليهم، وخبَّر أنه الغني وهم الفقراء، وأعلم عباده المؤمنين أنه السميع البصير.

فكذلك خبَّر المؤمنين أنه قد سمع قول المجادلة، وتَحاوُرَ النبي ﷺ والمجادلة، وخبَّرت الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها أنه يخفى عليها بعض كلام المجادلة مع قربها منها، فسبَّحت خالقها الذي وسع سمعه الأصوات، وقالت: «سبحان من وسع سمعه الأصوات» فسمع الله -جلَّ وعلا- كلام المجادلة، وهو فوق سبع سموات مستو على عرشه، وقد خفي بعض كلامها على من حضرها

---

(١) وقع في (ش): (كان) بدل: (قال)، والمثبت من (هـ) و (ز).

(٢) أخرجه البخاري تعليقا مختصرا: (٦/٢٦٨٩) ووصله النسائي: (٦/٤٨٠) ح (٣٤٦٠) والحاكم: (٢/٥٢٣) ح (٣٧٩١) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، وصححه الألباني كما في صحيح سنن النسائي (٢/٧٣٠) ح (٣٢٣٧).

وقرب منها.

وقال –عز وجل– لكليمه موسى وأخيه ابن أمه هارون يُؤمِّنهما فرعونَ، حين خافا أن يفرط عليهما أو أن يطغى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طـه: من الآية٤٦) فأعلم الرحمن –جل وعلا– أنه سمع مخاطبة كليمه موسى وأخيه هارون –عليهما السلام– وما يجيبهما به فرعون، وأعلم أنه يرى ما يكون من كلٍ منهم. وقال جلّ وعلا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ إلى قوله: ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١). وقال في سورة حم المؤمن: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر: من الآية٥٦). واستقصاء ذكر قوله: "السميع البصير"، و: "سميع بصير"، يطول بذكرِ جميعه الكتابُ.

وقال –عزَّ وجلَّ– لكليمه موسى ولأخيه هارون صلوات الله عليهما: ﴿كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ (الشعراء: من الآية١٥) فأعلم –جلَّ وعلا– عباده المؤمنين أنه هو كان يسمع ما يقول لكليمه موسى وأخيه.

وهذا من الجنس الذي أقول: استماع الخالق ليس كاستماع المخلوق، قد أمر الله –أيضاً– موسى –عليه السلام– أن يستمع لما يُوحى، فقال: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (طـه: من الآية١٣) فلفظ الاستماعين واحد، ومعناهما مختلف، لأن استماع الخالق غير استماع المخلوقين، عزَّ ربنا وجلَّ عن أن يشبهه شيء من خلقه، وجلَّ عن أن يكون فعلُ أحد من خلقه شبيها بفعله عزَّ وجل.

وقال الله عز وجل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: من الآية١٠٥) وليس رؤية الله –أعمال من ذكر عملهم في هذه الآية– كرؤية رسول الله و(رؤية)[1] المؤمنين، وإن كان اسم الرؤية يقع على رؤية الله أعمالهم، وعلى رؤية رسول الله، ورؤية المؤمنين.

قال أبو بكر: وتدبروا أيها العلماء ومقتبسو العلم، مخاطبةَ خليل الرحمن

(١) زيادة من (هـ) و (ز).

أباه، وتوبيخه إياه لعبادته من كان يعبد، تعقلوا بتوفيق خالقنا –جلَّ وعلا– صحة مذهبنا، وبطلان مذهب مخالفينا من الجهمية المعطلة.

قال خليل الرحمن –صلوات الله وسلامه عليه– لأبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ (مريم: من الآية٤٢) أفليس من المحال –يا ذوى الحجا– أن يقول خليل الرحمن لأبيه آزر: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ ويعيبه بعبادة ما لا يسمع ولا يبصر، ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع ولا يبصر، كالأصنام التي هي من الموتان لا من الحيوان أيضاً، فكيف يكون ربنا الخالق البارئ السميع البصير كما يصفه هؤلاء الجهال المعطلة؟ عزَّ ربنا وجلَّ عن أن يكون غير سميع ولا بصير. فهو[1] كعابد الأوثان والأصنام لا يسمع ولا يبصر، أو كعابد الأنعام، ألم يسمعوا قول خالقنا وبارئنا: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا . أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ الآية (الفرقان:٤٣-٤٤).

١١- باب البيان من سنن النبيﷺ على تثبيت السمع والبصر لله، موافقا لما تلونا[2] من كتاب ربنا، إذ سننه ﷺ إذا ثبتت بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه لا تكون أبداً إلا موافقة لكتاب الله، حاشا لله أن يكون شيء منها أبداً مخالفاً لكتاب الله أو لشيء منه.

فمن ادَّعى من الجهلة أن شيئاً من سنن النبيﷺ إذا ثبت من جهة النقل مخالفٌ لشيء من كتاب الله، فأنا الضامن بتثبيت صحة مذهبنا على ما أبوح به منذ أكثر من أربعين سنة. [هـ٤٧/ ش١١٠/ ز١٢٣/ ق١٠٨]

١٩- [عن]عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت لرسول الله ﷺ: « (يا رسول الله)[3] هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ » فقال:

---

(١) أي: المعطل.

(٢) في (هـ) و (ش): (يكون) بدل: (تلونا) والمثبت من (ز).

(٣) زيادة من (هـ) و (ز).

(لقيتُ من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل -عليه السلام- فناداني فقال: يا محمد، إن الله -عز وجل- قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال، فسلَّم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله -عزَّ وجلَّ- قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني أمرك، وبما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت، فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله (وحده)[1]، لا يشرك به شيئاً)[2].

٢٠- عن أبي موسى -فذكر الحديث- وقال: فقال رسول الله ﷺ: (أيها الناس: إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنما تدعون سميعا قريباً)[3]. قال أبو بكر: فاسمعوا يا ذوي الحجا ما نقول في هذا الباب، ونذكر بهت الجهمية وزورهم، وكذبهم على علماء أهل الآثار، ورميهم خيار الخلق بعد الأنبياء بما الله قد نزههم عنه، وبرأهم منه، تتزوَّر[4] الجهمية على علمائنا أنهم مشبهة.

فاسمعوا ما أقول وأبين من مذاهب علمائنا، تعلموا وتستيقنوا بتوفيق خالقنا أن هؤلاء المعطلة يبهتون العلماء ويرمونهم بما الله نزههم عنه.

نحن نقول: لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلى، وما في السموات العلى، وما بينهما من صغير وكبير، لا يخفى

(١) زيادة من (هـ) و (ز).

(٢) متفق عليه: البخاري: (١١٨٠/٣) ح (٣٠٥٩) ومسلم: (٣٩٦/١٢) ح (١٧٩٥).

(٣) متفق عليه: البخاري: (١٥٤١/٤) ح (٣٩٦٨) ومسلم: (٢٩/١٧) ح (٢٧٠٤).

(٤) هكذا في (هـ) و (ز)، وهو أوضح مما في (ش) (بتزور).

على خالقنا خافية في السموات السبع والأرضين السبع، ولا مما بينهم ولا فوقهم[١]، ولا أسفل منهن، لا يغيب عن بصره من ذلك شيء، يرى ما في جوف البحار ولججها كما يرى عرشه الذي هو مستو عليه.

وبنو آدم وإن كانت لهم عيون يبصرون بها فإنهم إنما يرون ما قرب من أبصارهم، مما لا حجاب ولا ستر بين المرئي وبين أبصارهم، (لا تدرك أبصارهم)[٢] ما يبعد منهم، وإن كان يقع اسم القرب عليه في بعض الأحوال، لأن العرب التي خوطبنا بلغتها قد تقول: قرية كذا منا قريبة، وبلدة كذا قريبة منا ومن بلدنا، ومنزل فلان قريب منا، وإن كان بين البلدين وبين القريتين وبين المنزلين فراسخ.

والبصير من بنى آدم لا يدرك ببصره شَخْصَ (أحدٍ)[٣] من بني آدم، وبينهما فرسخان فأكثر، وكذلك لا يرى أحد من الآدميين ما تحت الأرض إذا كان فوق المرئي من الأرض والتراب قدر أنملة أو أقل منها، بقدر ما يغطي ويواري الشيء، وكذلك لا يدركه[٤] بصره إذا كان بينهما حجاب من حائط أو ثوب صفيق أو غيرهما مما يستر الشيء عن عين الناظر. فكيف يكون يا ذوي الحجا مشبِّها من يصف عينَ الله بما ذكرنا، وأعين بني آدم بما وصفنا.

ونزيد شرحاً وبياناً نقول: عين الله –عزَّ وجلَّ– قديمة، لم تزل باقية، ولا يزال محكوم لها بالبقاء، منفي عنها الهلاك والفناء.

---

(١) لعل العبارة: "ولا مما بينهن ولا فوقهن" لأن الجمع هنا مؤنث. (هراس).

(٢) زيادة من (ز) والسياق يقتضيها، بل لا يستقيم الكلام بدونها.

(٣) أثبتها من (ز) والكلام بها مستقيم وواضح، ووقع في (هـ) و (ش) بدل (أحد): (آخر)، وعليه فلا بدَّ من نصب (شخص) فتكون: (شخصاً) لأنه مفعول الإدراك، كما قال ذلك الشيخ الهراس رحمه الله.

(٤) هكذا في (ز) بزيادة الهاء، وهي أوضح، وفي (هـ) و (ش): (لا يدرك ...).

وعيون بني آدم محدثة مخلوقة، كانت عدماً غير مكوَّنة، فكوَّنها الله وخلقها بكلامه الذي هو صفة من صفات ذاته.

وقد قضى الله وقدر أن عيون بني آدم تصير إلى بلاء عن قليل –والله نسأل خير ذلك المصير– وقد يعمي الله عيون كثير من الآدميين فيذهب بأبصارها قبل نزول المنايا بهم، ولعلَّ كثيراً من أبصار الآدميين قد سلَّط خالقنا عليها ديدان الأرض حتى تأكلها وتفنيها بعد نزول المنية بهم، ثم ينشئها الله بعدُ، فيصيبها ما قد ذكرنا قبلُ في ذكر الوجه. فما الذي يشبِّه يا ذوى الحجا عينَ الله التي هي موصوفة بما ذكرنا عيون بني آدم التي وصفناها بعدُ؟

ولست أحسب لو قيل لبصير–لا آفة ببصره ولا علة بعينه، ولا نقص، بل هو أعين، أكحل، أسود الحدق، شديد بياض العينين، أهدب الأشفار–: عينك كعين فلان، الذي هو صغير العين، أزرق، أحمر بياض العينين، قد تناثرت أشفاره وسقطت، أو كان أخفش العين، أزرق، أحمر بياض شحمها، يرى الموصوف الأول الشخص من بعيد، ولا يرى الثاني مثل ذلك الشخص من قدر عُشر ما يرى الأول، لعلة في بصره، أو نقص في عينه، إلا غضب من هذا وأنف منه، فلعله يخرج إلى القائل له ذلك إلى المكروه من الشتم والأذى.

ولست أحسب عاقلاً يسمع هذا المشبِّه عيني أحدهما بعيني الآخر، إلا وهو يكذِّب هذا المشبِّه عين أحدهما بعين الآخر، ويرميه بالعته، والخبل والجنون، ويقول له: لو كنت عاقلاً يجري عليك القلم لم تشبه عيني أحدهما بعيني الآخر، وإن كانا جميعاً يسميان بصيرين، إذ ليسا بأعميين، ويقال: لكل واحد منهما عينان يبصر بهما، فكيف لو قيل له: عينك كعين الخنزير، والقرد، والدب، والكلب، أو غيرها من السباع، أو هوام الأرض، والبهائم.

فتدبروا –يا ذوى الألباب– أبين عيني خالقنا الأزلي، الدائم الباقي، الذي لم يزل ولا يزال، وبين عيني الإنسان من الفرقان أكثر، أو مما بين أعين بني آدم وبين عيون ما ذكرنا؟!

تعلموا وتستيقنوا أن من سمَّى علماءنا مشبِّهة غير عالم بلغة العرب، ولا يفهم العلم، إذ لم يجز تشبيه أعين بني آدم بعيون المخلوقين، من السباع والبهائم، والهوام، وكلها لها عيون يبصرون بها، وعيون جميعهم محدثة مخلوقة، خلقها الله بعد أن كانت عدما، وكلها تصير إلى فناء وبلى، وغير جائز إسقاط اسم العيون والأبصار عن شيء منها، فكيف يحل لمسلم لو كانت الجهمية من المسلمين أن يرموا من يثبت لله عينا بالتشبيه؟!

ولو كان كل ما وقع عليه الاسم كان مشبِّها لِما[1] يقع عليه ذلك الاسم، لم يجز قراءة كتاب الله، ووجب محو كل آية بين الدفتين فيها ذكر نفس الله، أو عينه، أو يده، ولوجب الكفر بكل ما في كتاب الله –عزَّ وجلَّ– من ذكر صفات الرب، كما يجب الكفر بتشبيه الخالق بالمخلوق، إلا أن القوم جهلة، لا يفهمون العلم، ولا يحسنون لغة العرب، فيَضِلون ويُضِلون.

والله نسأل العصمة والتوفيق والرشاد في كل ما نقول وندعو إليه.

١٢– باب ذكر إثبات اليد للخالق البارئ جلَّ وعلا، والبيان: أن الله –تعالى– له يدان، كما أعلمنا في محكم تنزيله أنه خلق آدم عليه السلام بيديه. [هـ٥٣/ ش١١٨/ ز١٣١/ ق١١٤]

قال –عزَّ وجلَّ– لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص: من الآية٧٥). وقال –جلَّ وعلا– تكذيبا لليهود حين قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ فكذَّبهم في مقالتهم، وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (المائدة: من الآية٦٤).

وأعلمنا أن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه و ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: من الآية١٠). وقال: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يـس:٨٣) وقال: ﴿تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى

(١) في (ز): (لم) بدل: (لِما) وهو غير واضح.

﴿كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: من الآية٢٦). وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ (يــس: من الآية٧١).

١٣– باب ذكر البيان من سنة النبي ﷺ على إثبات يد الله –جل وعلا– موافقاً لما تلونا من تتريل ربنا لا مخالفاً[1]. [ه٥٣/ ش١١٩/ ١٣٢/ ق١١٥]

قد نزه الله نبيه، وأعلى درجته، ورفع قدره عن أن يقول إلا ما هو موافق لما أنزل الله عليه من وحيه.

٢١– عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (احتج آدم وموسى عليهما السلام، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فحج آدم موسى، فحج آدم موسى (فحج آدم موسى)[2] عليهما السلام)[3].

٢٢– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (احتج آدم وموسى عليهما السلام، فقال موسى: أنت آدم، خلقك الله بيده) فذكر الحديث بطوله[4]. قال أبو بكر: فكليم الله خاطب آدم –عليهما السلام– (شفاهاً)[5]: أن الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، على ما هو محفوظ بين الدفتين من إعلام

(١) عقد المصنف رحمه الله بعد هذا الباب عدّة أبواب في إثبات هذه الصفة لله تعالى، حيث بلغت ثلاثة عشر باباً، وقد يعقد بعض هذه الأبواب من أجل حديث أو حديثين قد تقدم ذكرهما في باب قبله، ولهذا فقد دمجت بعضها –مما يمكن دمجه– في هذا الباب، إذ كلها في إثبات صفة اليدين لله تعالى من السُنَّة، وأما ما كان فيه زيادة معنى من هذه الأبواب فقد أبقيته، كما في الأبواب المذكورة هنا بعد هذا الباب.

(٢) زيادة من (ه) و (ز).

(٣) متفق عليه: البخاري: (٦/٢٤٣٩) ح (٦٢٤٠) ومسلم: (١٦/٤٣٩) ح (٢٦٥٢).

(٤) رواه مسلم: (١٦/٤٤٠) ح (٢٦٥٢).

(٥) زيادة من (ه) و (ز).

الله –جل وعلا– عباده المؤمنين أنه خلق آدم –عليه السلام– بيده.

٢٣– عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه: أن رحمتي تغلب غضبي)[١].

٢٤– عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما تصدق أحد بصدقة من كسب –يريد من كسب طيب– إلا تقبلها الله بيمينه، ثم غذاها كما يغذو أحدكم فَلُوَّه[٢] أو فصيله[٣]، حتى تكون التمرة مثل الجبل)[٤]

١٤– باب ذكر سُنَّة [أخرى][٥]: [هـ٦٦/ ش١٥٩/ ز١٣٩/ ق١٦١]

تُبَيِّنُ وتوضح أن لخالقنا –جلَّ وعلا– يدين كلتاهما يمينان، لا يسار لخالقنا –عزَّ وجلَّ– إذ اليسار من صفة المخلوقين[٦]، فجلَّ ربنا عن أن يكون له يسار،

(١) متفق عليه دون قوله: (بيده) فإنها ليست في الصحيحين، وقد تقدم تخريجه برقم (٣).

(٢) هو: المهر الصغير، وقيل: هو الفطيم من أولاد ذوات الحافر. [ينظر: النهاية في غريب الحديث (٣/٤٧٤) والفتح (٣/٢٧٩)].

(٣) هو: ولد الإبل، وقد يُقال في أولاد البقر. [النهاية (٣/٤٥١)].

(٤) متفق عليه: البخاري: (٢/٥١١) ح (١٣٤٤) ومسلم: (٧/١٠٢) ح (١٠١٤).

(٥) في الأصل: (ثامنة).

(٦) التعليل بهذا فيه نظر، إذ إنه ليس كل ما كان صفة للمخلوق فهو منفي عن الله تعالى، وإلا لنفينا – حرياً على هذه القاعدة – أشياء كثيرة من صفات الله تعالى، كاليد والسمع والبصر وغيرها بحجة أنها من صفات المخلوقين، فالحق أن تثبت هذه الصفات – لورود النص بها – لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، ولا يلزم من ذلك أن تكون مما ثلة لصفات المخلوقين، والله أعلم . إذا تبيَّن هذا فهل جاء النص بوصف إحدى يدي الله تعالى باليسار أو الشمال؟ والجواب عن هذا أنه قد جاء في صحيح مسلم (١٧/١٣٨) ح (٢٧٨٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول : أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون). وقد أخذ بمدلول هذا الحديث بعض أهل العلم، فأثبتوا الشمال صفة لإحدى =

مع الدليل على أن قوله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (المائدة: من الآية٦٤)

= يدي الله تعالى، وممن ذهب إلى هذا: الدارمي، وأبو يعلى الفراء، ومحمد بن عبد الوهاب، وصديق حسن خان، ومحمد خليل هراس، والشيخ عبد العزيز ابن باز، عليهم رحمة الله، [ينظر على الترتيب: نقض الدارمي على المريسي (٤١٢)، وإبطال التأويلات (١٧٦) وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٠٧) وقطف الثمر (٦٦) وتعليق الهراس على كتاب التوحيد لابن خزيمة (٦٦) ومذكرة شرح كتاب التوحيد لابن باز (١٠٥)].

وأجابوا عن الأحاديث التي قال فيها النبي ﷺ: ((كلتا يديه يمين))، على أنه قاله على جهة التأدب، وذلك أنه لما كانت اليسار في حقّنا أنقص من اليمين وأقل رتبةً منها بيّن النبي ﷺ أنّ كلتا يدي الله تعالى يمين مباركة، ليس فيها نقص ولا عيب بوجه من الوجوه، فليست الشمال بالنسبة له كالشمال بالنسبة لنا . وذهب بعض أهل العلم إلى المنع من إطلاق الشمال واليسار على يد الله تعالى وقالوا : إن كلتا يدي الله تعالى يمين لا شمال ولا يسار فيهما، وضعفوا الرواية التي ورد فيها لفظ الشمال. وممن ذهب إلى هذا ابن خزيمة –كما ترى– والبيهقي كما في الأسماء والصفات (١٣٩/٢) والألباني. [ينظر: مجلة الأصالة، العدد الرابع، ص(٦٨)]. والذي يظهر – والله تعالى أعلم – عدم وصف يد الله تعالى بالشمال، إذ إن إثبات شيء لله تعالى لابد أن يكون من طريق صحيح يمكن الاستناد إليه، لاسيما وقد ورد النص الصحيح الصريح بأن كلتا يديه يمين. وأما حديث ((يطوي الأرض بشماله ...)) فلا ينهض لأن يكون حجة في ذلك، لأن فيه عمر بن حمزة وهو ضعيف، قال فيه الإمام أحمد : أحاديثه مناكير، وقال فيه النسائي : ضعيف، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : كان ممن يخطئ، وقال فيه ابن حجر : ضعيف. [ينظر: تهذيب الكمال (٣١١/٢١) وتهذيب التهذيب (٤٣٧/٧) وتقريب التهذيب (٧١٥/١)].

ولكن مما ينبغي التنبيه عليه هنا – مما له علاقة بهذه المسألة – أن صفات الله تعالى تتفاضل فبعضها أفضل من بعض، ولا يلزم من ذلك أن تكون الصفة المفضولة ناقصة أو معيبة . وعلى هذا فلا يلزم من قوله: (كلتا يديه يمين) تساويهما في الفضل، فإن اليد اليمنى أفضل من اليد الأخرى، وإلا لما كان للمقسطين مزية في كونهم عن يمين الرحمن. [ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨٩/١٧، ٩٣، ١٠٣)].

أراد عزَّ ذكره باليدين: اليدين، لا النعمتين كما ادَّعت الجهمية المعطلة.

٢٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد الله، فحمد الله بإذن الله تبارك وتعالى، فقال له ربه: رحمك الله يا آدم، وقال له: ياآدم، اذهب إلى أولئك الملائكة – إلى ملإ منهم جلوس- فقل: السلام عليكم، فقالوا، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم رجع إلى ربه -عزَّ وجلَّ- فقال: هذه تحيتك وتحية بنيك، وبنيهم، فقال الله -تبارك وتعالى- له -ويداه مقبوضتان-: اختر أيهما شئت، قال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته، فقال: أي رب ما هؤلاء؟، قال: هؤلاء ذريتك، فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه، وإذا فيهم رجل أضوؤهم، أو من أضوئهم، لم يكتب له إلا أربعين سنة، فقال: يارب من هذا؟ فقال: هذا ابنك " داود " وقد كتبت له أربعين سنة، فقال يا رب زده في عمره، قال: ذاك الذي كتبت له، قال: فإني جعلت له من عمري ستين سنة، قال: أنت وذاك، فقال: ثم اسكن الجنة ما شاء الله، ثم اهبط منها، وكان آدم يَعُدُّ لنفسه، فأتاه ملك الموت، فقال له آدم، قد عجلت، قد كُتِبَ لي ألف سنة، قال: بلى، ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة، فجحد، فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته، فيومئذ أُمر بالكتاب والشهود)[1].

٢٦- [عن]أبي هريرة رضى الله عنه، فذكر أخباراً عن النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (يمين الله ملأى، لا يغيضها نفقة، سحاء[2] بالليل والنهار،

---

(١) أخرجه الترمذي: (تحفة٩/٣٠٤) ح (٣٤٢٧) وقال: " هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ" وأخرجه الحاكم: (١/١٣٢-١٣٣) ح (٢١٤) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم" ووافقه الذهبي، وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/١٣٧) ح (٢٦٨٣): "حسن صحيح".

(٢) أي: دائمة الصَّب والهطل بالعطاء. [النهاية لابن الأثير (٢/٣٤٥)].

أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فانه لم يغض ما في يمينه) قال: (وعرشه على الماء، وبيمينه الأخرى القبض، يرفع ويخفض)[١].

١٥- باب ذكر سنَّة [أخرى][٢]: تثبت يد الله، وهي إعلامُ النبي ﷺ أمتَه قبض الله الأرض يوم القيامة، وطيَّه -جلَّ وعلا- سمواته بيمينه، مثل المعنى الذي هو مسطور في المصاحف، متلو في المحاريب، والكتاتيب والجدور. [ه٧٠/ ش١٦٦/ ز١٦٧/ ق١٤٤]

٢٧- عن سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة كان يقول: قال رسول الله ﷺ (يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، فأين ملوك الأرض)[٣]. قال أبو بكر: إنما قلت في ترجمة الباب: "مثل المعنى الذي هو مسطور في المصاحف" لأن الله عز وجل قال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: من الآية٦٧).

١٦- باب تمجيد الرب -عزَّ وجلَّ- نفسه: [ه٧٢/ ش١٧٠/ ز١٧١/ ق١٤٦] عند قبضته الأرض بإحدى يديه، وطيِّه السماء بالأخرى، وهما يمينان لربنا، لا شمال له، تعالى ربنا عن صفات المخلوقين.

٢٨- عن عبيدالله بن مقسم، أنه نظر إلى عبدالله بن عمر، كيف يحكى رسول الله ﷺ، قال: (يأخذ الرب -جلَّ وعلا- سمواته وأراضيه بيديه، وجعل يقبض يديه ويبسطهما يقول الله: أنا الرحمن) حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟[٤]

---

(١) متفق عليه: البخاري: (٢٦٩٩/٦) ح (٦٩٨٣) ومسلم: (٨٣/٧) ح (٩٩٣). لكن فيهما بدل (وبيمينه الأخرى): (وبيده الأخرى).

(٢) في الأصل: (عاشرة).

(٣) متفق عليه: البخاري: (٢٦٨٨/٦) ح (٦٩٤٧) ومسلم: (١٣٧/١٧) ح (٢٧٨٧).

(٤) أخرجه مسلم: (١٣٨/١٧) ح (٢٧٨٨).

١٧- باب ذكر [سُنَّة أُخرى][1] في إثبات يدي ربنا عز وجل :

وهي البيان أن الله -تعالى- إنما يقبض الأرض بيده يوم القيامة، بعد ما يُبدِّلها فتصير الأرض خبزة لأهل الجنة، لأن الله يقبضها وهي طين وحجارة ورضرض وحمأة ورمل وتراب. [هـ٧٣/ ش١٧٤/ ز١٧٥/ ق١٤٩]

٢٩- عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ قال: (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم بيده خبزته في السفر، نزلاً لأهل الجنة) فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: (بلى) قال: تكون الأرض خبزة واحدة، كما قال رسول الله ﷺ، قال: فنظر رسول الله ﷺ إلينا، ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: (بلى) قال: (إدامهم)[2] بالام[3]، ونون، وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفاً[4].

١٨- باب ذكر إمساك الله -تبارك وتعالى اسمه وجلّ ثناؤه- السموات والأرض وما عليها، على أصابعه. [هـ٧٦/ ش١٧٨/ ز١٨٠/ ق١٥١]

جلّ ربنا عن أن تكون أصابعه كأصابع خلقه، وعن أن يشبه شيء من صفات ذاته، صفات خلقه، وقد أجَلّ الله قدر نبيه ﷺ عن أن يُوصف الخالق البارئ بحضرته بما ليس من صفاته، فيسمعه فيضحك عنده، ويجعل بدل وجوب

---

(١) في الأصل: (السنة الثانية عشرة).

(٢) زيادة من (هـ) و (ز).

(٣) في (ش): (لام)، والمثبت من (هـ) و (ز)، وهو الموافق لما في الصحيحين. قال النووي في شرحه على مسلم (١٤١/١٧): "أما النون فهو الحوت باتفاق العلماء، وأما (بالام) فبباء موحدة مفتوحة، وبتخفيف اللام، وميم مرفوعة غير منونة، وفي معناها أقوال مضطربة، الصحيح منها الذي اختاره القاضي وغيره من المحققين، أنها لفظة عبرانية، معناها بالعبرانية: ثور".

(٤) متفق عليه: البخاري: (٢٣٨٩/٥) ح (٦١٥٥) ومسلم: (١٤١/١٧) ح (٢٧٩٢)

النكير والغضب على المتكلم به ضحكاً تبدو نواجذه، تصديقا وتعجبا لقائله، لا يصف النبي ﷺ بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته.

٣٠- عن عبدالله قال: جاء يهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إن الله يمسك السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع، ويقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الزمر: من الآية٦٧)[١].

٣١- عن عبدالله قال: جاء حبر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال: إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، والخلائق كلها على إصبع، ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك أنا الملك، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، تعجباً له وتصديقاً له، ثم قال رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر:٦٧)[٢]. قال أبو بكر: فلعل متوهماً يتوهم ممن لم يتحر العلم ولا يحسن صناعتنا في التأليف بين الأخبار، فيتوهم أن خبر ابن مسعود يضاد خبر ابن عمر[٣]، وخبر أبي سعيد[٤] يضاد خبرهما، وليس كذلك هو عندنا بحمد الله ونعمته.

---

(١) أخرجه البخاري: (٢٦٩٧/٦) ح (٦٩٧٨).

(٢) متفق عليه: البخاري: (٢٧٢٩/٦) ح (٧٠٧٥) ومسلم: (١٣٥/١٧) ح (٢٧٨٦) لكن ليس في البخاري: (والجبال والشجر على إصبع) وإنما فيه: (والجبال على إصبع، والشجر على إصبع) كما في الموضع السابق، وفي رواية له (٢٧١٢/٦) ح (٧٠١٣): (والجبال على إصبع، والشجر والأنهار على إصبع). وفي رواية لمسلم: (والشجر والثرى على إصبع).

(٣) تقدم برقم (٢٨).

(٤) تقدم برقم (٢٩).

أما خبر ابن مسعود فمعناه: أن الله –جلّ وعلا– يمسك ما ذكر في الخبر على أصابعه، على ما في الخبر سواء، قبل تبديل الله الأرض غير الأرض، لأن الإمساك على الأصابع غير القبض على الشيء، وهو مفهوم في اللغة، التي خوطبنا بها، لأن الإمساك على الشيء بالأصابع غير القبض على الشيء.

ونقول: ثم يبدل الله الأرض غير الأرض، كما أخبرنا منزّل الكتاب على نبيه ﷺ في محكم تنزيله في قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ (إبراهيم: من الآية٤٨)، وبيَّن على لسان نبيه المصطفى ﷺ صفة تبديل الأرض غير الأرض، فأعلم ﷺ أن الله تعالى يبدلها فيجمعها خبزة واحدة، فيقبض عليها حينئذ كما خبَّر في خبر ابن عمر رضي الله عنهما، ويكفؤها كما أعلم في خبر أبي سعيد الخدري، فالأخبار الثلاثة كلها ثابتة صحيحة المعاني على ما بيَّناه[1].

١٩– باب إثبات الأصابع لله عز وجل [ه٧٩/ ١٨٧/ ١٨٩/ ق١٥٧] من سُنَّة النبي ﷺ قيلاً له، لا حكاية عن غيره، كما زعم بعض أهل الجهل والعناد: أن خبر ابن مسعود ليس هو من قول النبي ﷺ وإنما هو من قول اليهود، وأنكر أن يكون ضحك النبي ﷺ تصديقاً لليهودي.

٣٢– [عن]النواس بن سمعان الكلابي، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:(ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الله تعالى، إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه) وكان رسول الله ﷺ يقول: (يا مقلّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك) (والميزان بيد الرحمن يخفض ويرفع)[2].

---

(١) وذلك لأن الأوقات مختلفة، فيحدث في كل وقت منها شأن من هذه الشؤون، وهذا ممكن، وإنما التضاد أن تحدث كلها في وقت واحد. (هراس).

(٢) أخرجه ابن ماجه: (١/٧٢) ح (١٩٩) والحاكم (١/٧٠٦) ح (١٩٢٦) وقال: " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، وصححه الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه: (١/٨٦) ح (١٦٦). وقد جاء في صحيح مسلم (١٦/٤٤٣) ح =

قال أبو بكر: بهذا الخبر أستَدلُّ أن معنى قوله في خبر أبي موسى: (يرفع القسط ويخفضه) أراد بالقسط الميزان، كما أعلم في هذا الخبر أن الميزان بيد الرحمن، يرفع ويخفض، فقال الله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (الأنبياء: من الآية٤٧).

قال أبو بكر:... فتدبروا يا أولي الألباب ما نقوله في هذا الباب في ذكر اليدين، كنحو قولنا في ذكر الوجه، والعينين، تستيقنوا بهداية الله إياكم، وشرحه –جلّ وعلا– صدوركم للإيمان بما قصّه الله –جلّ وعلا– في محكم تنزيله، وبيَّنه على لسان نبيه ﷺ من صفات خالقنا –عزّ وجلّ– وتعلموا بتوفيق الله إياكم أن الحق والصواب والعدل في هذا الجنس مذهبُنا، مذهبُ أهل الآثار، ومتبعي السنن، وتقفوا على جهل من يسميهم مشبهة، إذ الجهمية المعطلة جاهلون بالتشبيه. نحن نقول: لله –جلّ وعلا– يدان كما أعلمنا الخالق البارئ في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ. ونقول: كلتا يدي ربنا –عزّ وجلّ– يمين، على ما أخبر النبي ﷺ. ونقول: إن الله –عزّ وجلّ– يقبض الأرض جميعاً بإحدى يديه، ويطوى السماء بيده الأخرى، وكلتا يديه يمينان، لا شمال فيهما.

ونقول: مَن كان مِن بني آدم سليم الأعضاء والأركان مستوى التركيب لا نقص في يديه –أقــوى بني آدم وأشدهم بطشاً له يدان– عاجزٌ عن أن يقبض على قدر أقلّ من شعرة واحدة، من جزء من أجزاء كثيرة على أرض واحدةٍ من سبع أرضين. ولو أن جميع من خلقهم الله من بني آدم إلى وقتنا هذا وقضى خلقهم إلى قيام الساعة لو اجتمعوا على معونة بعضهم بعضاً وحاولوا على قبض أرض واحدة من الأرضين السبع بأيديهم كانوا عاجزين عن ذلك

= (٢٦٥٤) من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: (إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرِّفه حيث يشاء) ثم قال رسول الله ﷺ: (اللهم مصرِّف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك).

غير مستطيعين له.

وكذلك لو اجتمعوا جميعاً على طي جزء من أجزاء سماء واحدة لم يقدروا على ذلك، ولم يستطيعوه وكانوا عاجزين عنه.

فكيف يكون يا ذوى الحجا مَن وصف يدَ خالقه بما بيَّنا من القوة والأيد[١]، ووصف يد المخلوقين بالضعف والعجز مشبِّهاً يد الخالق بيد المخلوقين؟، أم كيف يكون مشبِّهاً مَن يثبت (لله)[٢] أصابع على ما بيَّنه النبي المصطفى ﷺ للخالق البارئ؟ ويقول[٣]: (إن الله –جلَّ وعلا– يمسك السموات على إصبع، والأرضين على إصبع) تمام الحديث.

ويقول[٤]: إن جميع بني آدم منذ خلق الله آدم إلى أن ينفخ في الصور لو اجتمعوا على إمساك جزء من أجزاء كثيرة من سماء من سمواته أو أرض من أراضيه السبع بجميع (أبدانهم)[٥] كانوا غير قادرين على ذلك، ولا مستطيعين له، بل عاجزين عنه، فكيف يكون من يثبت لله –عز وجل– يدين على ما ثبَّته الله لنفسه وثبَّته له نبيه ﷺ مشبهاً يدي ربه بيدي بني آدم؟

نقول: لله يدان مبسوطتان، ينفق كيف يشاء، بهما خلق الله آدم عليه السلام، وبيده كتب التوراة لموسى عليه السلام، ويداه قديمتان لم تزالا باقيتين، وأيدي المخلوقين مخلوقة محدثة، غير قديمة، فانية غير باقية، بالية تصير ميتة ثم

(١) هكذا في (ز)، وفي (هـ) و (ش): (الأيدي) بدل: (الأيد)، ولعلَّ ما أثبته أصح، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ (الذريات: من الآية٤٧) وإليه أشار الهراس في تعليقه على هذا الموضع ص (٨٣).

(٢) زيادة من (هـ) و (ز).

(٣) هكذا في (هـ) و (ز)، وفي (ش): (ونقول) بدل: (ويقول) ولعلَّ السياق يقتضي ما أثبته، فهو راجع إلى قوله: (...من يثبت لله أصابع ...).

(٤) انظر التعليق السابق.

(٥) في (ز): (أيديهم).

رميما، ثم ينشئه الله خلقا آخر، تبارك الله أحسن الخالقين، فأي تشبيه يلزم أصحابنا –أيها العقلاء– إذا أثبتوا للخالق ما أثبته الخالق لنفسه وأثبته له نبيه المصطفى ﷺ.

وقولُ هؤلاء المعطلة يوجب أنّ كلّ من يقرأ كتاب الله ويؤمن به إقراراً باللسان وتصديقاً بالقلب فهو مشبِّه، لأن الله ما وصف نفسه في محكم تنزيله بزعم هذه الفرقة، ومن وصف يدَ خالقه فهو يشبِّه الخالق بالمخلوق؟! فيجب على قود مقالتهم أن يُكْفَرَ بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ، عليهم لعائن الله، إذ هم كفار منكرون لجميع ما وصف الله به نفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ غير مقرين بشيء منه، ولا مصدقين بشيء منه.

نقول: لو شبه بعض الناس يد قوي الساعدين شديد البطش، عالم بكثير من الصناعات، جيد الخط، سريع الكتابة، بيد ضعيف البطش، من الآدميين، خلو من الصناعات والمكاسب، أخرق، لا يحسن أن يخط بيده كلمة واحدة، أو شبَّه يد من ذكرنا أولاً بالقوة والبطش الشديد، بيد صبي في المهد، أو كبير هرم، يرعش، لا يقدر على قبض ولا بسط ولا بطش.

أو يقول له: يدك شبيهة بيد قود، أو خنزير، أو دب، أو كلب، أو غيرها من السباع، أمَا يقول له سامع هذه المقالة[1] –إن كان من ذوي الحجا والنهي–: أخطأت يا جاهل التمثيلَ، ونكست التشبيه، ونطقت بالمحال من المقال، ليس كل ما وقع عليه اسم اليد جاز أن يشبه ويمثل إحدى اليدين بالأخرى، وكل عالم بلغة العرب، فالعلم عنده محيط أن الاسم الواحد قد يقع على الشيئين مختلفي الصفة، متبايني المعاني.

وإذا لم يجز إطلاق اسم التشبيه، إذا قال المرء: لابن آدم (يدان)[2]،

---

(١) في (ش) هكذ: (أما ما يقوله سامع ...) فلعله خطأ مطبعي، والمثبت من (هـ) و (ز).

(٢) زيادة من (هـ) و (ز).

وللقرد يدان، وأيديهما مخلوقتان، فكيف يجوز أن يسمَّى مشبِّها من يقول: لله يدان، على ما أعلم في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ.

ونقول: لبني آدم يدان، ونقول: ويدا الله بهما خلق آدم، وبيده كتب التوراة لموسى عليه السلام، ويداه مبسوطتان، ينفق كيف يشاء، وأيدي بني آدم مخلوقة على ما بيَّنتُ وشرحتُ قبلُ في باب الوجه والعينين وفي هذا الباب.

وزعمت الجهمية المعطلة أن معنى قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (المائدة: من الآية٦٤) أي: نعمتاه، وهذا تبديلٌ لا تأويل[1].

والدليل على نقض دعواهم هذه: أن نعم الله كثيرة لا يحصيها إلا الخالق البارئ، ولله يدان لا أكثر منهما، كما قال لإبليس عليه لعنة الله : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [2](صّ: من الآية٧٥) فأعلمنا –جل وعلا– أنه خلق آدم بيديه، فمن زعم أنه خلق آدم بنعمته كان مبدلاً لكلام الله.

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: من الآية٦٧)، أفلا يعقل أهل الإيمان أنَّ الأرض جميعاً لا تكون قبضة إحدى نعمتيه يوم القيامة، ولا أن السموات مطويات بالنعمة الآخرى.

ألا يعقل ذوو الحجا من المؤمنين أنَّ هذه الدعوى التي يدَّعيها الجهمية جهل، أو تجاهل شر من الجهل، بل الأرض جميعاً قبضة ربنا –جلَّ وعلا– بإحدى يديه يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، وهي اليد الأخرى، وكلتا يدي ربنا يمين، لا شمال فيهما، جلَّ ربنا وعزَّ عن أن يكون له يسار، إذ كون

---

(١) لأن اليد بمعنى النعمة أو القدرة لا تثنى، ولا يصح كذلك وصفها بالانبساط والسعة. (هراس).

(٢) ولو كانت اليد بمعنى القدرة هنا لاستطاع إبليس أن يردَّ بقوله: وأنا أيضاً خلقتني بيدك – يعني بقدرتك– فأي امتياز لآدم علي؟ ولكن إبليس كان أفقه من هؤلاء المعطلة، فأدرك أن هذه خصوصية لآدم ليست لغيره من الخليقة. (هراس).

إحدى اليدين يساراً إنما يكون من علامات المخلوقين[١]، جلّ ربنا وعزّ عن شبه خلقه.

وافهم ما أقول من جهة اللغة، تفهم وتستيقن أن الجهمية مبدّلة لكتاب الله، لا متأوّلة قولَه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (المائدة: من الآية٦٤) لو كان معنى اليد النعمة كما ادَّعت الجهمية لقُرئت: بَل يداه مبسوطة، أو منبسطة، لأن نعم الله أكثر من أن تحصى، ومحال أن تكون نعمه نعمتين لا أكثر.

فلمَّا قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ كان العلم محيطاً أنه ثبّت لنفسه يدين لا أكثر منهما، وأعلم أنهما مبسوطتان ينفق كيف يشاء.

والآية دالة أيضاً على أن ذكر اليد في هذه الآية ليس معناه النعمة، حكى الله -جلّ وعلا- قولَ اليهود فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ فقال الله -عزَّ وجلَّ- رداً عليهم: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وبيقين يعلم كل مؤمن أنَّ الله لم يُرِدْ بقوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: غلّت نعمهم، لا، ولا (أراد)[٢] اليهودُ أنَّ نعم الله مغلولة، وإنما ردَّ الله عليهم مقالتهم وكذهم في قولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ وأعلمَ المؤمنين أنَّ يديه مبسوطتان، ينفق كيف يشاء، وقد قدمنا ذكر إنفاق الله -عزَّ وجلَّ- بيديه في خبر همام ابن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: (يمين الله ملأى، سحاء لا يغيضها نفقة)[٣]. فأعلمَ النبي ﷺ أن الله ينفق بيمينه، وهما يداه التي أعلم الله أنه ينفق هما كيف يشاء.

وزعم بعض الجهمية أنَّ معنى قوله: (خلق الله آدم بيده) أي: بقوته فزعم أن اليد هي القوة، وهذا من التبديل أيضاً، وهو جهل بلغة العرب، والقوة إنما تسمى: الأيد في لغة العرب، لا اليد، فمن لا يفرق بين اليد والأيد فهو إلى

(١) ينظر: التعليق قي باب (١٤).

(٢) زيادة من (هـ) و (ز).

(٣) ينظر حديث رقم (٢٦).

التعليم والتسليم إلى الكتاتيب أحوج منه إلى الترؤس والمناظرة.

قد أعلمنا الله -عزَّ وجلَّ- أنه خلق السماء بأيد، واليد واليدان غير الأيد، إذ لو كان الله -عزَّ وجلَّ- خلق آدم بأيد كخلقه السماء، دون أن يكون الله خصَّ خلقَ آدم بيديه لَمَّا قال لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص: من الآية٧٥).

ولا شك ولا ريب أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- قد خلق إبليس -عليه لعنة الله- أيضاً بقوته، أي: إذا كان قوياً على خلقه فما معنى قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ عند هؤلاء المعطلة؟ والبعوض والنمل وكل مخلوق، فالله خلقهم عنده بأيدٍ وقوة.

وزعم من كان يضاهي بعضُ مذهبه مذهبَ الجهمية في بعض عمره -لَمَّا لم يقبله أهلُ الآثار، فترك أصلَ مذهبه عصبيةً-: زعم أنَّ خبر ابن مسعود الذي ذكرناه إنما ذكر اليهودي أن الله يمسك السموات على إصبع... الحديث بتمامه[1]، وأنكر أن يكون النبي ﷺ ضحك تعجبا وتصديقا له.

(فقال: إنما هذا من قول ابن مسعود، لأن النبي ﷺ إنما ضحك تعجبا لا تصديقا لليهودي)[2] وقد كثر تعجبي من إنكاره، ودفعه هذا الخبر، وكان يثبت الأخبار في ذكر الأصبعين، قد احتج في غير كتاب من كتبه بإخبار النبي ﷺ: (ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع رب العالمين)[3]، فإذا كان هذا عنده ثابتاً يحتج به، فقد أقرَّ وشهد أنَّ لله أصابع، لأن مفهوماً في اللغة إذا قيل: أصبعين من الأصابع، أن الأصابع أكثر من أصبعين، فكيف ينفي الأصابع مرة ويثبتها أخرى؟ فهذا تخليط في المذهب والله المستعان.

---

(١) تقدم برقم (٣١).

(٢) ما بين القوسين سقط من (ز).

(٣) تقدم برقم (٣٢).

وقد حكيت مراراً عن بعض من كان يطيل مجالسته أنّه قد انتقل في التوحيد منذ قَدِم نيسابور ثلاث مرات، وقد وصفت أقاويله التي انتقل من قول إلى قول، وقد رأيته في بعض كتبه يحتج بخبر ليث بن أبي سليم، عن عبدالرحمن ابن سابط، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ،

وبخبر خالد بن اللجلاج عن عبدالرحمن بن عائش، عن النبي ﷺ، قال: (رأيت ربي في أحسن صورة) فيحتج مرة بمثل هذه الأسانيد الضعاف الواهية، التي لا تثبت عند أحد له معرفة بصناعة الحديث، ثم يعمد[1] إلى أخبار ثابتة صحيحة من جهة النقل، مما هو أقل شناعةً عند الجهمية المعطلة من قوله: (رأيت ربي في أحسن صورة)، فيقول: هذا كفر بإسناد، ويُشنِّع على علماء الحديث بروايتهم تلك الأخبار الثابتة الصحيحة، والقولُ بها قلة رغبة وجهل بالعلم وعناد، والله المستعان، وإن كان قد رجع عن قوله، فالله يرحمنا وإياه.

٢٠- باب ذكر إثبات الرجل لله عز وجل [هـ٩٠/ ش٢٠٢/ ز٢٠٣/ ق١٦٩] وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية، الذين يكفرون بصفات خالقنا – عزَّ وجلَّ– التي أثبتها لنفسه في محكم تتريله وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ.

قال الله –عزَّ وجلَّ– يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ (الأعراف: من الآية١٩٥).

فأعلَمنا ربنا –جلَّ وعلا– أن من لا رجل له، ولا يد، ولا عين، ولا سمع فهو كالأنعام بل هو أضل. فالمعطلة الجهمية الذين هم شر من اليهود والنصارى والمجوس، كالأنعام بل أضل.

٣٣- [عن]أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمستكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فما لي

(١) هكذا في (ز)، وفي (هـ) و (ش): (ثم عمد).

لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم، قال الله للجنة: إنما أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادى، وقال للنار: إنما أنت عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادى، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله رجله فيها فتقول: قط، قط، قط، فهنالك تمتلئ، ويزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله -عزَّ وجلَّ- من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله -عزَّ وجلَّ- ينشيء لها خلقا)(١) قال أبو بكر: ولم أجد في التصنيف هذه اللفظة مقيدة لا بنصب القاف ولا بخفضها(٢).

٣٤- عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: (لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ فيترل رب العالمين فيضع قدمه فيها، فيتروي بعضها إلى بعض فتقول: بعزتك قط، قط، وما يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا آخر فيسكنه الجنة في فضل الجنة)(٣).

قال أبو بكر: اختلف رواة هذه الأخبار في هذه اللفظة في قوله: (قَط) أو (قِط) فروى بعضهم بنصب القاف، وبعضهم بخفضها، وهم أهل اللغة، ومنهم يقتبس هذا الشأن. ومحال أن يكون أهل الشعر أعلم بلفظ الحديث من علماء الآثار، الذين يُعنون بهذه الصناعة، يروونها ويسمعونها من ألفاظ العلماء ويحفظونها، وأكثر طلاب العربية إنما يتعلمون العربية من الكتب المشتراة أو المستعارة من غير سماع. ولسنا ننكر أن العرب تنصب بعض حروف الشيء، وبعضَها يخفض ذلك الحرف لسعة لسانها.

قال المطلبي رحمة الله عليه: " لا يحيط أحد علماً بألسنة العرب جميعاً غير

(١) متفق عليه: البخاري: (١٨٣٦/٤)(ح (٤٥٦٩) ومسلم: (١٨٧/١٧) ح (٢٨٤٦).

(٢) يقصد لفظة: (قط) وسيذكر قريباً أن هذه اللفظة بنصب القاف وخفضها، فلعله اطلع على ذلك بعد.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٨٩/٦) ح (٦٩٤٩) ومسلم (١٨٩/١٧) ح (٢٨٤٨).

نبي" فمن ينكر من طلاب العربية هذه اللفظة بخفض القاف على رواة الأخبار، مغفل ساه، لأن علماء الآثار لم يأخذوا هذه اللفظة من الكتب غير المسموعة، بل سمعوها بآذانهم من أفواه العلماء.

فأما دعواهم أن (قط) أنها: الكتاب، فعلماء التفسير قد اختلفوا في تأويل هذه اللفظة[1]، ولسنا نحفظ عن أحد منهم أنهم تأولوا (قط): الكتاب.

٢١- باب: ذكر استواء خالقنا -العلي الأعلى الفعال لما يشاء- على عرشه [هـ١٠١/ ش٢٣١/ ز٢٣٠/ ق١٨٨]

فكان فوقه، وفوق كل شيء عالياً، كما أخبر الله -جلَّ وعلا- في قوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ (طـه:٥) وقال ربنا عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الأعراف: من الآية٥٤).

وقال في تنزيل السجدة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (السجدة: من الآية٤). وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (هود: من الآية٧).

فنحن نؤمن بخبر الله -جلَّ وعلا- أن خالقنا مستوٍ على عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقول قولا غير الذي قيل لنا، كما قالت المعطلة الجهمية: أنه استولى على عرشه، لا استوى، فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود لَمَّا[2] أُمروا أن يقولوا: حطة، فقالوا: حنطة، مخالفين لأمر الله -جلَّ وعلا- كذلك الجهمية.

٣٥- عن العباس بن عبد المطلب: أنه كان جالساً في البطحاء في عصابة، ورسول الله ﷺ جالس فيهم، إذ علَتهم سحابة فنظروا إليها، فقال: (هل تدرون ما اسم هذه؟) قالوا: نعم هذا السحاب، فقال رسول الله ﷺ: (والمزن؟) فقالوا:

---

(١) أي: عند قوله تعالى: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ (ص: من الآية١٦)

(٢) وقع في (ش) و (ق): (كما) بدل: (لما)، والمثبت من (هـ) و (ز).

والمزن. فقال رسول الله ﷺ (والعنان) ثم قال: (وهل تدرون كم بعد ما بين السماء والأرض؟) قالوا: لا والله ما ندرى، قال: (فإن بعد ما بينهما: إما واحدة، وإما اثنتان، وإما ثلاث وسبعون سنة، إلى السماء التي فوقها كذلك) حتى عدَّهن سبع سموات كذلك، ثم قال: (فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال ما بين أظلافهن وركبهن كما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ظهورهن العرش، بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء، والله فوق ذلك)(١)

قال أبو بكر: يدل هذا الخبر على أن الماء الذي ذكره الله في كتابه أن عرشه كان عليه هو البحر الذي وصفه النبي ﷺ في هذا الخبر، وذكرَ بُعد ما بين أسفله وأعلاه. ومعنى قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ كقوله: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾، ﴿وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾.

٣٦– عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أتاه رجل وقال: أرأيت قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللهُ﴾ ﴿وَكَانَ اللهُ﴾ فقال ابن عباس: كذلك كان لم يزل.

قال أبو بكر: في خبر فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عبد الرحمن ابن أبي عمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (وإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلا الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة)(٢)

قال أبو بكر: فالخبر يصرح أنَّ عرش ربنا –جلَّ وعلا– فوق جنته، وقد

---

(١) أخرجه أبو داود (عون ١٣/٤) ح (٤٧٠٨) والترمذي: (تحفة ٢٣٣/٩) ح (٣٣٧٦) وقال: "هذا حديث حسن غريب" وضعفه الألباني كما في ضعيف سنن أبي داود (٤٦٨) ح (١٠١٤) وضعيف سنن الترمذي (٤٢٧) ح (٦٥٤). وقد أثبتُّه مع ضعفه لأن المؤلف سيجمع بينه وبين أثر ابن مسعود الآتي قريبا.

(٢) أخرجه البخاري: (٢٧٠٠/٦) ح (٦٩٨٧).

أعلمنا -جلّ وعلا- أنه مستوٍ على عرشه، فخالقنا عالٍ فوق عرشه الذي هو فوق جنته.

٣٧- عن عبد الله قال: " ما بين كل سماء إلى أخرى مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام، وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله على العرش ويعلم أعمالكم "(١)

٣٨- عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "الكرسي: موضع القدمين، والعرش لا يُقدر قدره"(٢).

قال أبو بكر: ولعله يخطر بِبال بعض مقتبسي العلم أنّ خبر العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ في بُعد ما بين السماء إلى التي تليها خلاف خبر ابن مسعود، وليس كذلك هو عندنا، إذ العلم محيط أن السير يختلف (باختلاف)(٣) سير الدواب من الخيل والهجن، والبغال والحمر، والإبل، وسابق بني آدم يختلف أيضاً. فجائزٌ أن يكون النبي المصطفى ﷺ، أراد بقوله: (بعد ما بينهما اثنتان، أو ثلاث وسبعون سنة) أي: بسير جواد الركاب، من الخيل، وابن مسعود أراد: مسيرة الرجّالة من بني آدم، أو مسيرة البغال والحمر أو الهجن من البراذين، أو

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٥٥) ح (٨١) والطبراني في الكبير (٩/٢٠٢) ح (٨٩٨٧) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٢٩٠) ح (٨٥١) وقال المحقق: "إسناده حسن" وأورده الهيثمي في المجمع (١/٨٦) وقال: "رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح".

(٢) أخرجه الحاكم (٢/٣١٠) ح (٣١١٦) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، وأخرجه الدارقطني في الصفات (٤٩) ح (٣٦) وابن مندة في الرد على الجهمية (٤٤) ح (١٥) وأورده الهيثمي في المجمع (٦/٣٢٣) وقال: "رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح".

(٣) زيادة من (هـ) و (ز).

غير الجواد من الخيل[1].

فلا يكون أحد الخبرين مخالفاً للخبر الآخر، وهذا مذهبنا في جميع العلوم، أنّ كل خبرين يجوز أن يؤلّف بينهما في المعنى، لم يجز أن يُقال: هما متضادان، متهاتران، على ما قد بيّناه في كتبنا.

٢٢- باب: ذكر البيان أن الله عزَّ وجلَّ في السماء: [هـ١١٠/ ش٢٥٤/ ز٢٤٦/ ق٢٠٤] كما أخبرنا في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه عليه السلام، وكما هو مفهوم في فطرة المسلمين، علمائهم وجهالهم، أحرارهم ومماليكهم، ذكرانهم وإناثهم، بالغيهم وأطفالهم، كل من دعا الله -جلَّ وعلا- فإنما يرفع رأسه إلى السماء ويمد يديه إلى الله، إلى أعلى لا إلى أسفل.

قال أبو بكر: قد ذكرنا استواء ربنا على العرش، في الباب قبلُ، فاسمعوا الآن ما أتلو عليكم من كتاب ربنا الذي هو مسطور بين الدفتين، مقروء في المحاريب والكتاتيب، مما هو مصرح في التنزيل، أن الرب -جلَّ وعلا- في السماء، لا كما قالت الجهمية المعطلة: إنه في أسفل الأرضين -كهو[2] في السماء- عليهم لعائن الله المتتابعة. قال الله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ (الملك: من الآية١٦). وقال الله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ (الملك: من الآية١٧). أفليس قد أعلَمنا -يا ذوى الحجا- خالقُ السموات والأرض وما بينهما في هاتين الآيتين أنه في السماء.

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: من

---

(١) وبهذا الجمع قال البيهقي وابن القيم وابن حجر [ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/٢٨٨-٢٨٩) وتهذيب سنن أبي داود لابن القيم، مطبوع بهامش عون المعبود (١٣/٧-٨) والفتح (١٣/٤١٣)].

(٢) وقع في (هـ) و (ش): (فهو) بدل: (كهو)، وما أثبته من (ز) وهو الموافق لمذهب الجهمية، وسيذكره المصنف قريبا.

الآية١٠) أفليس العلم محيطاً –يا ذوى الحجا والألباب– أنّ الرب –جلّ وعلا– فوق من يتكلم بالكلمة الطيبة، فتصعد إلى الله كلمته؟ لا كما زعمت المعطلة الجهمية أنّه قمبط إلى الله الكلمة الطيبة كما تصعد إليه.

ألم تسمعوا يا طلاب العلم قوله تبارك وتعالى لعيسى ابن مريم: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: من الآية٥٥)؟ أليس إنما يُرفع الشيء من أسفل إلى أعلى، لا من أعلى إلى أسفل؟

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء: من الآية١٥٨) ومحال أن يهبط الإنسان من ظهر الأرض إلى بطنها، أو إلى موضع أخفض منه وأسفل، فيُقال: رفعه الله إليه، لأن الرفعة في لغة العرب الذين بلغتهم خوطبنا لا تكون إلا من أسفل إلى أعلى وفوق.

ألم تسمعوا قول خالقنا –جلّ وعلا– يصف نفسه: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (الأنعام: من الآية١٨)؟ أو ليس العلم محيطاً أن الله فوق جميع عباده من الجن والإنس، والملائكة، الذين هم سكان السموات جميعاً؟ أولم تسمعوا قول الخالق البارئ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل:٤٩–٥٠)؟

فأعلَمنا الجليل –جلّ وعلا– في هذه الآية أيضاً أنّ ربنا فوق ملائكته، وفوق ما في السموات، وما في الأرض من دابة، وأعلَمنا أنّ ملائكته يخافون رهم الذي فوقهم.

والمعطلة تزعم أن معبودهم تحت الملائكة (كما هو فوقهم)[1].

ألم تسمعوا قولَ خالقنا: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ (السجدة: من الآية٥)؟ أليس معلوما في اللغة السائرة بين العرب التي خوطبنا (بها، و)[2]

(١) زيادة من (ز).

(٢) سقطت من (ز) وهي زيادة يقتضيها السياق.

بلسانهم نزل الكتاب، أن تدبير الأمر من السماء إلى الأرض، إنما يدبره المدبر، وهو في السماء لا في الأرض.

وكذلك مفهوم عندهم أنَّ المعارج: المصاعد، قال الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (المعارج: من الآية٤) وإنما يعرج الشيء من أسفل إلى أعلى وفوق، لا من أعلى إلى دون وأسفل، فتفهموا لغة العرب لا تغالطوا.

وقال جلَّ وعلا: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (الأعلى:١) والأعلى مفهوم في اللغة: أنَّه أعلى كل شيء، وفوق كل شيء، والله قد وصف نفسه في غير موضع من تنزيله ووحيه، وأعلَمنا أنه العلي العظيم.

أفليس العلي –ياذوي الحجا– ما يكون عالياً[1]، لا كما تزعم المعطلة الجهمية: أنَّه أعلى وأسفل، ووسط، ومع كل شيء، وفي كل موضع من أرض وسماء، وفي أجواف جميع الحيوان، ولو تدبروا آية من كتاب الله، ووفقهم الله لفهمها لعقلوا أنهم جهال، لا يفهمون ما يقولون، وبان[2] لهم جهل أنفسهم وخطأ مقالتهم.

وقال الله –تعالى– لما سأله كليمه موسى عليه السلام أن يريه ينظر إليه: ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ (الأعراف: من الآية١٤٣) إلى قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أفليس العَلم محيطاً ياذوي الألباب أنَّ الله –عزَّ وجلَّ– لو كان في كل موضع، ومع كل بشر وخلق كما زعمت المعطلة، لكان متجلياً لكل شيء. وكذلك جميع ما في الأرض، لو كان متجلياً لجميع أرضه سهلها ووعرها، وجبالها وبراريها ومفاوزها، ومدنها وقراها، وعمرانها وخرابها، وجميع ما فيها من نبات وبناء لجعلها دكاً، كما جعل الله الجبل الذي تجلّى له دكاً، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾.

---

(١) هكذا في (هـ) و (ز)، وفي (ش): (عليا).

(٢) هكذا في (هـ) و (ز)، وفي (ش): (وبأن) ولعله خطأ مطبعي.

٣٩- عن ثابت عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ قال: بإصبعه هكذا -وأشار بالخنصر من الظفر يمسكه بالإبهام- قال: فقال حميد لثابت: يا أبا محمد دع هذا، ما تريد إلى هذا، قال: فضرب ثابت منكب حميد وقال: ومن أنت يا حميد؟، وما أنت يا حميد، حدثني به أنس ابن مالك عن رسول الله ﷺ، وتقول أنت: دع هذا[١].

٤٠- عن أنس أنَّ النبي ﷺ تلا هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ قال: فحكاه النبي ﷺ[٢]: فوضع خنصره على إبهامة فساخ الجبل فتقطع[٣]. فاسمعوا ياذوى الحجا دليلاً آخر من كتاب الله: أنَّ الله -جلَّ وعلا- في السماء، مع الدليل على أنَّ فرعون مع كفره وطغيانه قد أعلمه موسى عليه السلام بذلك، وكأنه قد علم أنَّ خالق البشر في السماء، ألا تسمع قول الله يحكي عن فرعون قوله: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَاب . أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ (غافر:٣٦- ٣٧).

ففرعون -عليه لعنة الله- يأمر ببناء صرح، يحسب[٤] أنه يطلع إلى إله موسى، وفي قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ (غافر: من الآية٣٧) دلالة على أن موسى قد كان أعلمه أنَّ ربه -جلَّ وعلا- أعلى وفوق.

وأحسب أن فرعون إنما قال لقومه: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ استدراجاً منه لهم،

---

(١) أخرجه الترمذي (٤٥١/٨) ح (٥٠٦٩) وقال: "هذا حديث حسن صحيح" وأحمد (٢٨١/١٩) ح (١٢٢٦٠) والحاكم (٣٥١/٢) ح (٣٢٤٩) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم" ووافقه الذهبي، وصححه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي (٥١/٣) ح (٢٤٥٨).

(٢) يعني: وصف لأصحابه ذلك التجلي، بأنه لم يظهر منه إلا مقدار أنملة إصبع، فلم يطق الجبل تجليه.

(٣) إسناده صحيح، وينظر ما قبله.

(٤) هكذا في (ز)، وفي (هـ) و (ش): (فحسب).

كما خبَّرنا جلّ وعلا في قوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: من الآية١٤) فأخبر الله تعالى أنَّ هذه الفرقة جحدت –يريد بألسنتهم– لمَّا استيقنتها قلوبهم، فشبه أن يكون فرعون إنما قال لقومه: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ وقلبه (مستيقن)[1] أنَّ كليم الله من الصادقين، لا من الكاذبين، والله أعلم أكان فرعون مستيقناً بقلبه –على ما أوَّلتُ– أم مكذباً بقلبه ظاناً أنه غير صادق. وخليل الله –إبراهيم عليه السلام– عالمٌ في ابتداء النظر إلى الكواكب والقمر والشمس أنَّ خالقه عالٍ فوق خلقه حين نظر إلى الكواكب والقمر والشمس، ألا تسمع قوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ (الأنعام: من الآية٧٦) ولم يطلب معرفة خالقه من أسفل، إنما طلبه من أعلى، مستيقناً عند نفسه أنَّ ربه في السماء لا في الأرض.

٢٣– باب: ذكر سنن النبي ﷺ المثبتة أنَّ الله –جلا وعلا– فوق كل شيء، وأنَّه في السماء. [ه١١٥/ ش٢٦٥/ ز٢٥٥/ ق٢١٢]

كما أعلمنا في وحيه، على لسان نبيه، إذ لا تكون سنته أبداً المنقولة عنه بنقل العدل عن العدل موصولا إليه إلا موافقةً لكتاب الله لا مخالفةً له.

٤١– عن أبي هريرة، قال: أتت فاطمة رسول الله فسألته خادماً فقال لها قولي: (اللهم رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل، –وقال مرة: والقرآن العظيم– فالق الحب والنوى، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنَّا الدين وأغننا من الفقر)[2]

٤٢– [عن] أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الملائكة يتعاقبون فيكم: ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر

(١) زيادة من (ز).

(٢) أخرجه مسلم: (١٧/٤٠) ح (٢٧١٣).

وصلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ قالوا: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون)[١]

٤٣- عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ في قسمة الذهب التي بعث بها علي بن أبي طالب من اليمن، قال النبي ﷺ: (أنا أمين من في السماء)[٢].

قال أبو بكر: قد أمليت أخبار المعراج في غير هذا الكتاب: أنَّ النبي ﷺ أُتي بالبراق قال: (فحملت عليه، ثم انطلقت حتى أتينا السماء الدنيا..) الحديث بطوله[٣]. وفي الأخبار دلالة واضحة أن النبي ﷺ عرج به من الدنيا إلى السماء السابعة، وأن الله تعالى فرض عليه الصلوات على ما جاء في الأخبار، فتلك الأخبار كلها دالة على أن الخالق الباري فوق سبع سمواته، لا على ما زعمت المعطلة: أن معبودهم هو معهم في منازلهم، وكنفهم على ما هو على عرشه قد استوى.

٢٤- باب ذكر الدليل على أن الإقرار بأنَّ الله -عز وجل- في السماء من الإيمان. [ه١٢١/ ش٢٧٨/ ز٢٦٦/ ق٢٢٠]

٤٤- [عن] معاوية بن الحكم السلمي، قال: وكانت غُنَيْمَةٌ لي ترعاها جارية لي قبل أحد، والجوانية، فوجدت الذئب قد أخذ منها شاة، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، فصككتها صكة، ثم انصرفتُ إلى رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليَّ، فقلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: (بلى[٤]، ائتني بها) فجئت بها إلى رسول الله ﷺ فقال لها: (أين الله؟) قالت: في السماء، قال: (فمن أنا؟) قالت: أنت رسول الله، قال: (إنها مؤمنة فأعتقها)[٥].

---

(١) متفق عليه: البخاري: (٢٠٣/١) ح (٥٣٠) ومسلم: (١٣٨/٥) ح (٦٣٢).

(٢) متفق عليه: البخاري: (١٥٨١/٤) ح (٤٠٩٤) ومسلم: (١٦٨/٧) ح (١٠٦٤).

(٣) البخاري: (١١٧٣/٣) ح (٣٠٥٣) ومسلم: (٥٦٧/٢) ح (١٦٢).

(٤) في (ز): (بل).

(٥) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم: (٢٣/٥) ح (٥٣٧).

٢٥- باب: ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام، رواها علماء الحجاز والعراق، عن النبي ﷺ في نزول الرب -جلَّ وعلا- إلى السماء الدنيا كل ليلة [هـ١٢٥/ ش٢٨٩/ ز٢٨٥/ ق٢٢٧]

نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب، من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفيه نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل. والله -جلَّ وعلا- لم يترك، ولا نبيه عليه السلام بيانَ ما بالمسلمين الحاجة إليه، من أمر دينهم.

فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول.

وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح: أنَّ الله -جلَّ وعلا- فوق سماء الدنيا، الذي أخبرنا نبينا ﷺ أنه ينزل إليه، إذ محال في لغة العرب أن يقول: نزل من أسفل إلى أعلى، ومفهومٌ في الخطاب أنَّ النزول من أعلى إلى أسفل.

٤٥- عن الأغر -أبي مسلم- قال: أشهد على أبي هريرة رضي الله عنه وأبي سعيد: أنهما شهدا على رسول الله ﷺ -وأنا أشهد عليهما بذلك-: أن رسول الله ﷺ قال: (إنَّ الله يمهل، حتى إذا ذهب ثلث الليل نزل إلى سماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر؟ هل من داع؟ هل من سائل؟ حتى يطلع الفجر)(١).

٤٦- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ : (إنَّ الله يمهل، حتى يذهب شطر الليل الأول، ثم ينزل إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، حتى ينشق الفجر)(٢).

٤٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (ينزل الله

(١) أخرجه مسلم: (٢٨٥/٦) ح (٧٥٨).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢١٩/١) ح (٥٠٠) وقال الألباني: "إسناده جيد" وأخرجه مسلم (٢٨٥/٦) ح (٧٥٨) لكن بلفظ: (حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول..).

تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ ومن يستغفرني فأغفر له؟)[١].

٤٨– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا مضى شطر الليل الأول، أو ثلثاه[٢] يترل الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا فيقول: هل

(١) متفق عليه: البخاري: (٣٨٤/١) ح (١٠٩٤) ومسلم: (٢٨٢/٦) ح (٧٥٨).

(٢) اختلفت الروايات في تحديد وقت نزول الرب تبارك وتعالى:

ففي بعضها: (إذا ذهب ثلث الليل نزل...) كما في حديث رقم (٤٥). وفي بعضها: (حتى يذهب شطر الليل الأول، ثم يترل...) كما في حديث رقم (٤٦). وفي بعضها: (حين يبقى ثلث الليل الآخر...) كما في حديث رقم (٤٧). وفي بعضها: (إذا مضى شطر الليل الأول، أو ثلثاه ...) كما في هذا الحديث رقم (٤٨). وجاءت بعضها مطلقة من غير تحدبد، كما في حديث جبير بن مطعم، رقم (٤٩). وقد اتفق أهل العلم على أن أصح هذه الروايات ما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم، من أنه عزَّ وجلَّ يترل حين يبقى ثلث الليل الآخر. قال الترمذي: " وقد رُوي هذا الحديث من أوجه كثيرة عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: (يترل الله تبارك وتعالى حين يبقى ثلث الليل الآخر) وهذا أصحُ الروايات" [جامع الترمذي (تحفة٢/٥٢٥)]. وقال القاضي عياض: "الصحيح الرواية الأخرى: (حين يبقى ثلث الليل الآخر) قال شيوخ الحديث: وهو الذي تتظاهر الأخبار بمعناه ولفظه" [إكمال المعلم (١١١/٣) ويُنظر: شرح النووي على مسلم (٢٨٣/٦)].

وقال ابن تيمية: "الترول المذكور في الحديث النبوي –على قائله أفضل الصلاة والتسليم– الذي اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم، واتفق علماء الحديث على صحته، هو: (إذا بقي ثلث الليل الآخر)، وأما رواية النصف والثلثين، فانفرد بها مسلم في بعض طرقه ... والذي لا شك فيه: (إذا بقي ثلث الليل الآخر) فإن كان النبي ﷺ قد ذكر الترول إذا مضى ثلث الليل الأول، وإذا انتصف الليل، فقوله حق، وهو الصادق المصدوق، ويكون الترول أنواعاً ثلاثة ..." [شرح حديث الترول (٣٢٢-٣٢٣)].

وقد تعددت أقوال أهل العلم في توجيه هذه الروايات: فمنهم من رجَّح رواية الثلث الآخر على غيرها من الروايات. ومنهم من سلك سبيل الجمع، ومما قيل من أوجه الجمع: =

من سائل يُعطى؟ هل من داعٍ يُستجاب له؟ هل من مستغفر يُغفر له؟ حتى ينفجر الصبح)[1].

٤٩- عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: قال رسول ﷺ: (ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: هل من سائل؟ فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له)[2]

٢٦- باب ذكر تكليم الله كليمه موسى: خصوصيةً خصَّه الله بها من بين الرسل. بذكر آي مجملة غير مفسَّرة، فسَّرها آياتٌ مفسرات. [ه١٣٦/ ش٣٢٨/ ز٢٩٩/ ق٢٤٨]

قال أبو بكر: نبدأ بذكر تلاوة الآي المجملة غير المفسرة، ثم نثني بعون الله وتوفيقه بالآيات المفسرات. قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ...﴾ الآية (البقرة: من الآية٢٥٣).

= أن هذا الاختلاف في الروايات محمول على اختلاف البلدان، فأوقات الليل تختلف في الزمان، وفي الآفاق باختلاف دخول الليل عند قوم وتأخره عند آخرين، وعلى هذا فيكون النزول في وقت واحد، وهو ثلث الليل الآخر عند قوم، ووسطه عند آخرين، وثلثه الأول عند غيرهم. [يُنظر: مختصر الصواعق (١١٣١/٣) والفتح (٣١/٣)].

- وقيل: يحتمل أن يكون النزول في جميع الأوقات التي وردت بها الأخبار، ويُحمل ذلك على أن النبي ﷺ أُعلم بأحد الأمور في وقت فأخبر به، ثم أُعلم بالآخر في وقت فأعلم به، فنقل الصحابة ذلك. [ينظر: شرح النووي على مسلم (٢٨٤/٦) وفتح الباري (٣١/٣)].

(١) أخرجه مسلم: (٢٨٣/٦-٢٨٤) ح (٧٥٨).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى: (١٨١/٩) ح (١٠٢٤٨) وأحمد (٣١٠/٢٧) ح (١٦٧٤٥) وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٢/١) ح (٥٠٧) وأورده ابن القيم في مختصر الصواعق (١١٣٦/٣) وقال: "هذا حديث صحيح" والهيثمي في المجمع (٢٣٥/١٠-٢٣٦) وقال: " رواه أحمد والبزار وأبو يعلى، ورجالهم رجال الصحيح، ورواه الطبراني" وقال الألباني في تخريجه للسنة: "إسناده صحيح على شرط مسلم"

فأجمل الله –تعالى– ذكرَ من كلّمه الله في هذه الآية، فلم يذكره باسم ولا نسب، ولا صفة، فيَعرف المخاطَبُ بهذه الآية التالي لها، أو سامعها من غيره، أيّ الرسل الذي كلّمه الله من بين الرسل.

وكذلك أجمل الله أيضاً في هذه الآية الجهات التي كلم الله عليها من عُلم أنه كلمهم من الرسل، فبيَّن في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ (الشورى: من الآية٥١) الجهاتَ التي كَلَّم الله عليها بعض البشر.

فأَعلَم أنَّه كلم بعضهم وحياً، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء. وبيَّن في قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ (النساء: من الآية١٦٤) أنَّ موسى ﷺ كلمه تكليما، فبين لعباده المؤمنين في هذه الآية ما كان أجمله في قوله: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ فسمَّي في هذه الآية كليمه، وأَعلم أنه موسى الذي خصَّه الله بكلامه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ (الأعراف: من الآية١٤٣) مُفسِّر للآية الأولى، سَمَّى الله في هذه الآية كليمه، وأَعلم أنه موسى الذي خصه الله بالتسمية من بين جميع الرسل صلوات الله عليهم، وأَعلم –جلَّ ثناؤه– أنَّ ربه الذي كلمه.

وأَعلم الله تعالى (في آية أخرى)[1] أنه اصطفى موسى برسالته وبكلامه، فقال عز وجل: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف: من الآية١٤٤) ففي هذه الآية زيادة بيان، وهي: إعلام الله في هذه الآية بعض ما به كَلَّم موسى.

ألا تسمع قوله: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي﴾ إلى قوله: ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

---

(١) زيادة من (هـ) و (ز).

وبيَّن في آيٍ أخرَ بعضَ ما كلمه الله –عز وجل– به، فقال في سورة طه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى . وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى . إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ...﴾ (طـه: ١١–١٤) إلى آخر القصة. وقال في سورة النمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ (النمل: من الآية٧) إلى قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (النمل: من الآية٨) إلى قوله: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (النمل: ٩).

وقال في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص: ٣٠) إلى آخر القصة.

فبيَّن الله في الآي الثلاث بعضَ ما كلم الله به موسى، مما لا يجوز أن يكون من ألفاظ ملَك مقرب، ولا ملَك غير مقرب.

غير جائز أن يخاطب ملَك مقرب موسى فيقول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أو يقول: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ . قال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ (الأعراف: من الآية١٣٧) فأعلم الله في هذه الآية أن له –جل وعلا– كلمةً يتكلم بها.

فاسمعوا الآن سنن النبي ﷺ الصريحة، بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه، المبيِّنة أنَّ الله اصطفى موسى بكلامه، خصوصية خصه بها من بين سائر الرسل عليهم السلام.

٥٠– عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لقي موسى آدم...) فذكروا الحديث بتمامه، وفي الخبر: (فقال آدم: ألست موسى اصطفاك الله على الناس برسالاته وبكلامه...)[١].

وأما الأخبار التي فيها ذكر الشفاعة الأولى: (فيأتون موسى فيقولون: أنت الذي كلمك الله تكليماً) فأخرجتها في باب الشفاعات، فأغنى ذلك عن تكراره

(١) تقدم تخريجه، ينظر حديث رقم (٤، ٢١).

في هذا الموضع.

٢٧- باب ذكر البيان: أنّ الله -جلّ وعلا- كلم موسى -عليه السلام- من وراء حجاب، من غير أن يكون بين الله -تبارك وتعالى- وبين موسى عليه السلام رسول يبلغه كلامَ ربه، ومن غير أن يكون موسى -عليه السلام- يَرى ربه -عز وجل- في وقتِ كلامه إياه. [ه١٤٣/ ش٣٤٦/ ز٣١١/ ق٢٥٩]

٥١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب، أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة، فأراه الله آدم، فقال: أنت أبونا آدم؟ قال له آدم: نعم، قال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، وأمر ملائكته فسجدوا لك؟ قال: نعم، قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ قال له آدم: ومن أنت؟ قال: أنا موسى، قال: نبي بني إسرائيل، الذي كلمك الله من وراء حجاب، لم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه؟ قال: نعم، قال: فما وجدت في كتاب الله أن ذلك كان في كتاب الله -عز وجل- قبل أن يُخلق آدم؟ قال نعم، قال: فبم تلومني في شيء سبق من الله -عز وجل- فيه القضاء قبلي؟) قال رسول الله ﷺ عند ذلك: (فحج آدم موسى، فحج آدم موسى، عليهما السلام)[1].

٢٨- باب من صفة تَكلُّم الله -عز وجل- بالوحي[2] [ه١٤٥/

(١) أخرجه أبو داود (عون ٣٠٧/١٢) ح (٤٦٨٨) وحسن إسناده الألباني كما في السلسلة الصحيحة (٢٧٧/٤-٢٧٦) ح (١٧٠٢) وصحيح سنن أبي داود (٨٩١/٣) ح (٣٩٣٥).

(٢) الباب الذي قبل هذا عنوانه: (باب: صفة تكلم الله بالوحي، وشدة خوف السموات منه، وذكر صعق أهل السموات وسجودهم لله عز وجل) ولم أذكره لأنه لم يورد تحته إلا حديثاً واحداً، وهو حديث النواس بن سمعان، وهو ضعيف [ينظر: السنة لابن أبي عاصم بتخريج الألباني (٢٢٦/١) ح (٥١٥)] وفيما ذكره المؤلف في باب (٢٨) غنية عنه.

ش٣٤٩/ ز٣١٥/ ق٢٦٢]

والبيان: أن كلام ربنا لا يشبه كلام المخلوقين، لأن كلام الله كلام متواصل، لا سكت بينه، ولا سمت[1]، لا ككلام الآدميين الذي يكون بين كلامهم سكت وسمت، لانقطاع النفس، أو التذاكر، أو العي، منزهٌ الله مقدسٌ من ذلك أجمع تبارك وتعالى.

٥٢- عن مسروق، عن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصة كجر السلسلة على الصفا، قال: فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا أتاهم جبريل فزّع عن قلوبهم، فيقولون: يا جبريل: ماذا قال ربك؟ قال: يقول: الحق، قال: فينادون: الحق الحق)[2].

٥٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ، قال: (إذا قضى الله في السماء أمراً ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنها سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع وهم -هكذا- واحد فوق الآخر) وأشار سفيان بأصابعه (وربما أدرك الشهاب المستمع فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي أسفل منه، ويرميها الآخر على من هو أسفل منه، فيلقيها على فم الساحر، أو الكاهن، فيكذب عليها ما يريد، فيحدث بها الناس، فيقولون: قد أخبرنا بكذا وكذا فوجدناه حقا، فيُصدَّقُ بالكلمة التي سمعت من السماء)[3].

---

(١) لعلّ هذا دخولٌ في الكيفية، والأولى -كما هو منهج أهل السنة والجماعة- الوقوف عند حدود ما ورد.

(٢) أخرجه أبو داود (عون ١٣/٤٧) ح (٤٧٢٣) وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (٣/٨٩٧) ح (٣٩٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤/١٧٣٦) ح (٤٤٢٤).

٢٩- باب: صفة نزول الوحي على النبي ﷺ والبيان أنه قد كان يسمع بالوحي في بعض الأوقات صوتاً كصلصة الجرس.

[هـ١٤٨/ ش٣٥٨/ ز٣٢٢/ ق٢٦٨]

٥٤-عن عائشة رضي الله عنها: أن الحارث[١] بن هشام سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: (أحياناً في مثل صلصة الجرس، فهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول). قالت عائشة: "ولقد رأيته يترل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً"[٢].

٣٠- باب: (البيان)[٣] أن الله -جل وعلا- يكلم عباده يوم القيامة من غير ترجمان يكون بين الله -عز وجل- وبين عباده بذكر لفظ عام مراده خاص. [هـ١٤٩/ ش٣٥٩/ ز٣٢٤/ ق٢٦٩]

٥٥- عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه[٤] ربه ليس بينه وبينه ترجمان، ثم ينظر من أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، ثم ينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، ثم ينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة)[٥].

٣١- باب: ذكر بعض ما يكلم به الخالق -جل وعلا- عباده، مما ذكر النبي ﷺ أن الله يكلمهم به من غير ترجمان يكون بين العزيز العليم وبين عباده، والبيان: أن الله -عز وجل- يكلم الكافر والمنافق أيضاً تقريراً وتوبيخاً.

---

(١) هكذا في (هـ) و(ز)، وهو الموافق لما في الصحيحين وفي (ش): (الحرث) فلعله خطأ مطبعي.

(٢) متفق عليه: البخاري (١/٤) ح (٢) ومسلم: (٩٥/١٥) ح (٢٣٣٣).

(٣) زيادة من (ز)، وقد أشار الشهوان إلى وجودها في بعض النسخ.

(٤) في (ش): (سيكلم ربه ...) والمثبت من (ز) وهو الموافق لما ذكره المصنف في الترجمه.

(٥) متفق عليه: البخاري: (٢٧٢٩/٦) ح (٧٠٧٤) ومسلم: (١٠٦/٧) ح (١٠١٦).

[هـ١٥١/ ش٣٦٥/ ز٣٣٢/ ق٢٧٣]

٥٦- عدي بن حاتم، قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل فشكا إليه الحاجة، وجاء آخر فشكا قطع السبيل، فقال لي رسول الله ﷺ: (هل رأيت الحيرة؟) قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، فقال: (لئن طالت بك حياة ليفتحن علينا كنوز كسرى) [١] قلت: يا رسول الله، كسرى بن هرمز؟! قال: (كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة، لترى أن الرجل يجيئ بملء كفه ذهباً، أو فضة يلتمس من يقبله فلا يجد أحداً يقبله، وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فيقول: ألم أرسل إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول بلى، فيقول: ألم أعطك مالاً فأفضل عليك؟ فيقول بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم).

قال رسول الله ﷺ: (فاتقوا النار ولو بشق تمرة، وإن لم تجدوا فبكلمة طيبة). قال عدي: " فلقد رأيت الظعينة[٢] يرتحلون من الحيرة حتى يطوفوا بالكعبة آمنين لا يخافون إلا الله، ولقد كنت فيمن افتتح كنوز كسرى، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ: (يجيء الرجل بملء كفه ذهباً أو فضة لا يجد من يقبله منه)"[٣].

---

(١) هكذا في جميع النسخ، ويظهر أن في الكلام سقطاً، لأن الحديث في البخاري هكذا -بعد قول عدي: لم أرها وقد أُنبئت عنها-: (فإن طالت بك حياة لترَيَن الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحداً إلا الله، -قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَّار طيء الذين قد سعَّروا البلاد- ولئن طالت بك ...) ويدل على أن في الكلام سقطاً صدر الحديث وآخره. [ينظر: تعليق الدكتور الشهوان ص (٣٦٦)].

(٢) الظعن: النساء، واحدها ظعينة، وأصل الظعينة: الراحلة التي يُرحل ويُظعن عليها، أي: يُسار، وقيل الظعينة: المرأة في الهودج، ثم قيل للهودج بلا امرأة، وللمرأة بلا هودج: ظعينة. [ينظر: النهاية (١٥٧/٣) والفتح (٦١٣/٦)].

(٣) أخرجه البخاري (١٣١٦/٣) ح (٣٤٠٠).

٣٢– باب: ذكر البيان الشافي لصحة ما ترجمته للباب قبل هذا: أنَّ الله –جلَّ وعلا– يكلم الكافر والمنافق يوم القيامة تقريراً وتوبيخاً [هـ١٥٢/ ش٣٦٨/ ز٣٣٤/ ق٢٧٥]

وذكرِ إقرار الكافر في ذلك الوقت بكفره في الدنيا، وهو إقراره: أنه لم يكن يظن في الدنيا أنه ملاق ربه يوم القيامة، فمن كان غير مؤمن(١) في الدنيا، غير مصدق بأنه ملاق ربه يوم القيامة، فكافر غير مؤمن.

وذكر دعوى المنافق في ذلك الوقت: أنه كان مؤمنا بربه –عزَّ وجلَّ– وبنبيه وبكتابه، صائماً مصلياً مزكياً في الدنيا.

وإنطاق الله –عزَّ وجلَّ– فخذ المنافق ولحمه وعظامه بما كان يعمل في الدنيا تكذيباً لدعواه بلسانه.

٥٧– [عن] سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "سأل الناس رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: (هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ليس فيها سحاب؟) قالوا: لا يا رسول الله. قال: (فهل تضارون في الشمس عند الظهيرة ليست في سحاب؟) قالوا: لا يا رسول الله. قال: (فوا الذي نفسي بيده، لا تضارون في رؤية ربكم، كما لا تضارون في رؤيتهما). قال: (فيلقى العبد فيقول: أي فل –يعني يا فلان–: ألم أكرمك، ألم أسودك؟ ألم أزوجك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأتركك ترأس وتربع؟ قال: بلى يا رب. قال: فظننت أنك ملاقي؟ قال: لا يا رب، قال: فاليوم أنساك كما نسيتني. قال: ثم يلقى الثاني فيقول: ألم أكرمك، ألم أسودك، ألم أزوجك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأتركك ترأس وتربع؟ قال: بلى يا رب. قال: فظننت أنك ملاقي؟ قال: لا يا رب. قال: فاليوم أنساك كما نسيتني. قال: ثم يلقى الثالث فيقول: ما أنت؟ فيقول: أنا عبدك، آمنت بك وبنبيك وبكتابك،

---

(١) في بعض النسخ: (موقن).

وصمت وصليت، وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع. فيقال له: أفلا نبعث عليك شاهدنا. قال: فينكر في نفسه من ذا الذي يشهد عليه، قال: فيختم على فيه، ويقال لفخذه انطقي، قال: فتنطق فخذه ولحمه، وعظامه بما كان يعمل، فذلك المنافق، وذلك ليعذر من نفسه وذلك الذي سخط الله عليه[1]. قال: (ثم ينادي مناد: ألا اتَّبعتْ كل أمة ما كانت تعبد ...) فذكر الحديث بطوله.

سمعت محمد بن ميمون يقول: "سئل سفيان عن تفسير حديث سهيل بن أبي صالح: (ترأس وتربع) فقال: " كان الرجل إذا كان رأس القوم كان له المرباع، وهو الربع".

وقال: قال النبي ﷺ لعدي بن حاتم حين قال: يا رسول الله، إني على دين، قال: (أنا أعلم بدينك منك، إنك تستحل المرباع، ولا يحل لك)[2].

٥٨- عن أبي سعيد الخدري، قال: قلنا يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟. فذكر الحديث بطوله. وقال: (ثم يتبدى الله لنا في صورة غير صورته التي رأيناه فيها أول مرة، فيقول: أيها الناس لحقت كل أمة بما كانت تعبد، وبقيتم؟ فلا يكلمه يومئذ إلا الأنبياء: فارقنا الناس في الدنيا ونحن كنا إلى صحبتهم فيها أحوج، لحقت كل أمة بما كانت تعبد، ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد. فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، فيقول: هل بينكم وبين الله آية تعرفونها. فنقول: نعم، فيكشف عن ساق فنخر سجداً أجمعون، ولا يبقى أحدٌ كان يسجد في الدنيا سمعة ولا رياء ولا نفاقاً إلا على ظهره طبقاً واحداً[3]، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، قال: ثم نرفع رؤوسنا، وقد عاد لنا على صورته التي رأيناه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فنقول: نعم أنت ربنا ثلاث

(١) أخرجه مسلم (٣١٣/١٨) ح (٢٩٦٨).

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد (١٩٦/٣٠)ح (١٨٢٦٠).

(٣) في مسلم (إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد ...)

مرات). ثم ذكر باقي الحديث[١].

قال أبو بكر: فخبر أبي سعيد، وأبي هريرة يصرحان: أنّ الله -عز وجل- يكلم المؤمنين، والمنافقين يوم القيامة بلا ترجمان بين الله وبينهم، إذ غير جائز أن يقول غير الله الخالق البارئ لبعض عباده أو لجميعهم: (أنا ربكم)، ولا يقول: (أنا ربكم) غير الله. إلا أن الله تعالى يكلم المنافقين على غير المعنى الذي يكلم المؤمنين، فيكلم المنافقين على معنى التوبيخ والتقرير. ويكلم المؤمنين -يبشرهم بما لهم عند الله عز وجل- كلامَ أوليائه وأهل طاعته.

٣٣- باب (ذكر)[٢] الفرق بين كلام الله -تباركت أسماؤه، وجل ثناؤه- المؤمنَ الذي قد ستر الله عليه ذنوبه في الدنيا، وهو يريد مغفرتها له في الآخرة، وبين كلام الله الكافرَ، الذي كان في الدنيا غير مؤمن بالله العظيم، كاذباً على ربه، ضالاً عن سبيله، كافراً بالآخرة. [هـ١٦٠/ ش٣٨٦/ ز٣٥٠/ ق٢٧٢]

٥٩- عن صفوان بن محرز، قال: كنت آخذاً بيد ابن عمر، فأتاه رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله عز وجل يدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه، ثم يقول: أي عبدي: تعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم، أي ربي، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه (قد)[٣] هلك، قال: فإني قد سترها عليك في الدنيا، وغفرها لك اليوم، ثم يُعطى كتاب حسناته.

وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠/٣) ح (١٨٣) وأخرجه الحاكم: (٦٢٦/٤) ح (٨٧٣٦) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة ..." وينظر: صحيح البخاري (٢٧٠٦/٦) ح (٧٠٠١).

(٢) زيادة من (هـ) و (ز).

(٣) زيادة من (هـ) و (ز).

﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (هود: من الآية١٨). [وفي رواية]: (وأما الكفار: فينادى على رؤوس الأشهاد: أين الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين؟)[1].

٣٤- باب ذكر البيان من كتاب ربنا المنزل على نبيه المصطفى ﷺ، ومن سنة نبينا محمد ﷺ، على: الفرق بين كلام الله -عز وجل- الذي به يكوِّن خلقه، وبين خلقه الذي يكوِّنه بكلامه وقوله، والدليل على نبذ[2] قول الجهمية الذين يزعمون أن كلام الله مخلوق، جلَّ ربنا وعزَّ عن ذلك.[هـ١٦١/ ش٣٩٠/ ز٣٥٤/ ق٢٨٩] قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: من الآية٥٤). ففرَّق الله بين الخلق والأمر، الذي به يخلق الخلق بواو الاستئناف[3]. وعلَّمنا الله -جلَّ وعلا- في محكم تنزيله أنه يخلق الخلق بكلامه وقوله، (فقال)[4]: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (النحل: ٤٠).

فأَعلَمنا -جلَّ وعلا- أنه يكوِّن كل مكوَّن من خلقه بقوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، وقوله: ﴿كُنْ﴾: هو كلامه الذي به يكوِّن الخلق. وكلامه -عزَّ وجلَّ- الذي به يكوِّن الخلق غير الخلق الذي يكون مكوَّناً بكلامه، فافهم ولا تغلط ولا تغالط. ومن عقل عن الله خطابه علم -أن الله سبحانه لما أعلم عباده المؤمنين أنه يكوِّن الشيء بقوله: (كن)- أن القول الذي هو: (كن) غير المكوَّن بـ(كن) المقول له: (كن). وعقل عن الله أن قوله: (كن)، لو كان خلقاً -على ما زعمت الجهمية المفترية على الله- كان الله إنما يخلق الخلق ويكوِّنه بخلق، لو كان قوله (كن) خلقاً.

فيقال لهم: يا جهلة! فالقول الذي يكون به الخلق -على زعمكم- لو

---

(١) متفق عليه: البخاري: (٨٦٢/٢) ح (٢٣٠٩) ومسلم: (٩٣/١٧) ح (٢٧٦٨).

(٢) في (ز): (ضد) بدل: (نبذ).

(٣) لعلّه يعني: واو العطف، وهي تقتضي المغايرة أيضاً بين المعطوف والمعطوف عليه، فتدل على أن الخلق غير الأمر. (هراس).

(٤) زيادة من (ز).

كان خلقاً، ثم يكونه على أصلكم، أليس قود مقالتكم الذي تزعمون أن قوله: (كن) إنما يخلقه بقول قبله؟ وهو عندكم خلق، وذلك القول يخلقه بقول قبله، وهو خلق، حتى يصير إلى ما لا نهاية له ولا عدد ولا أول، وفي هذا إبطال تكوين الخلق وإنشاء البرية، وإحداث ما لم يكن، قبل أن يُحدِث الله الشيء وينشئه ويخلقه.

وهذا قول لا يتوهمه ذو لب لو تفكر فيه، ووُفق لإدراك الصواب والرشاد. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ (الأعراف: من الآية٥٤). فهل يتوهم مسلم يا ذوى الحجا أن الله سخر الشمس والقمر والنجوم مسخرات بخلقه؟! أليس مفهوماً عند من يعقل عن الله خطابه أن الأمر الذي سَخَّر به المُسَخَّر غير المسخَّر بالأمر، وأن القول غير المقول له. فتفهموا يا ذوى الحجا عن الله خطابه، وعن النبي المصطفى ﷺ بيانه، لا تصدوا عن سواء السبيل، فتضلوا كما ضلت الجهمية عليهم لعائن الله.

فاسمعوا الآن الدليل الواضح البين غير المشكل من سنة النبي ﷺ بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه، على الفرق بين خلق الله وبين كلام الله.

٦٠– عن ابن عباس أن النبي ﷺ حين خرج إلى صلاة الصبح –وجويرية جالسة في المسجد– فرجع حين تعالى النهار فقال: (لم تزالي جالسةً بعدي؟) قالت: نعم، قال: (قد قلت بعدك أربع كلمات، لو وُزنت بهن لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ومداد كلماته، ورضا نفسه، وزنة عرشه)[1].

قال أبو بكر: فالنبي ﷺ الذي ولاه الله بيان ما أنزل الله عليه من وحيه قد أوضح لأمته، وأبَان لهم أن كلام الله غير خلقه، فقال: (سبحان الله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته). ففرَّق بين خلق الله، وبين كلماته، ولو كانت كلمات الله من خلقه لما فرَّق بينهما.

(١) تقدم تخريجه برقم (٢).

ألا تسمعه حين ذكر العرش الذي هو مخلوق نطق ﷺ بلفظة لا تقع على العدد فقال: (زنة عرشه). والوزن غير العدد، والله –جلّ وعلا– قد أعلم في محكم تنزيله أن كلماته لا يعادلها ولا يحصيها محصٍ من خلقه.

ودلّ ذوي الألباب من عباده المؤمنين على كثرة كلماته، وأن الإحصاء من الخلق لا يأتي عليها، فقال عزّ وجلّ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف:١٠٩)

وهذه الآية من الجنس الذي نقول: مجملة غير مفسرة، معناها: قل يا محمد لو كان البحر مداداً لكلمات ربي فكتبت به كلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي، ولو جئنا بمثله مددا.

والآية المفسرة لهذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان:٢٧) .

فلَمَّا ذكر الله الأقلام في هذه الآية، دلّ ذوي العقول بذكر الأقلام أنه أراد: لو كان ما في الأرض من شجرة أقلام، يُكتب بها كلمات الله، وكان البحر مداداً فنفد ماء البحر –لو كان مداداً– لم تنفد كلمات ربنا.

وفي قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ أيضاً ذكرٌ مجملٌ، فسَّره بالآية الأخرى. لم يُرِد في هذه الآية: أن لو كتبت بكثرة هذه الأقلام بماء البحر كلمات الله، وإنما أراد: لو كان ماء البحر مداداً كما فسَّره في الآية الأخرى.

وفي قوله جلّ وعلا: ﴿لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا . . .﴾ الآية، قد أوقع اسم البحر على البحار كلها، في هذه الآية، واسم البحر قد يقع على البحار كلها كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ . . .﴾ الآية (يونس: من الآية٢٢). وكقوله: ﴿وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ (الحج: من الآية٦٥) والعلم محيط أنه لم يُرِد في هاتين (الآيتين)[1] بحراً واحداً من البحار، لأن الله يسير من

(١) زيادة من (ز).

أراد من عباده في البحار.

وكذلك الفلك تجري في البحار بأمر الله، لا أنها (تجري)[١] في بحر واحد.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ يشبه أن يكون من الجنس الذي يُقال: إن السكت ليس خلاف النطق،لم يدل الله بهذه الآية أن لو زِيد من المداد على ماء سبعة أبحر لنفدت كلمات الله، جلّ الله عن أن تنفد كلماته.

والدليل على صحة ما تأوّلتُ هذه الآية: أنّ الله –جلّ وعلا– قد أعلم في هذه الآية الأخرى، أن لو جِيئ بمثل البحر مداداً لم تنفد كلمات الله.

معناه: لو جيئ بمثل البحر مداداً، فكتُب به أيضاً كلمات الله لم تنفد.

واسم البحر كما علمت يقع على البحار كلها، ولو كان معنى قوله –في هذا الموضع–: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ بحراً واحداً، لكان معناه في هذا الموضع: (أنه لو كتب به ببحر واحد، فكان)[٢] مداداً لكلمات الله، وجئ بمثله –أي: ببحر ثان– لم تنفد كلمات الله.

فلم يكن في هذه الآية دلالة أن المداد[٣] لو كان أكثر من بحرين فكتب بذلك أجمع كلمات الله نفدت كلمات الله، لأن الله قد أعلم في الآية الأخرى: أنّ السبعة الأبحر لو كُتب بهن جميعاً كلمات الله لم تنفد كلمات الله.

فاسمع الآن الأخبار الثابتة الصحيحة، بنقل العدل عن العدل، موصولاً إلى النبي ﷺ، الدالة على أن كلمات ربنا ليست بمخلوقة، على ما زعمت المعطلة الجهمية عليهم لعائن الله.

٦١– عن خولة بنت حكيم، أنها سمعت رسول الله يقول: (لو نزل

(١) وقع في (هـ) و (ش): (كذا) بدل: (تجري)، والمثبت من (ز).

(٢) في (هـ) و (ش) هكذا: (أنه لو كان به بحر واحد، لو كان مدادا ...) وما أثبته من (ز)، وأشار الشهوان إلى وجوده في بعض النسخ.

(٣) في (ز): (المراد) بدل: (المداد).

أحدكم منزلاً فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، فإنه لا يضره شيء حتى يرحل منه)[1].

٦٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة. فقال له رسول الله ﷺ: (أما إنك لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك)[2].

قال أبو بكر: أفليس العلم محيطاً، يا ذوي الحجا أنه غير جائز أن يأمر النبي ﷺ بالتعوذ بخلق الله من شر خلقه؟ هل سمعتم عالماً يجيز أن يقول الداعي: أعوذ بالكعبة من شر خلق الله؟ أو يجيز أن يقول: أعوذ بالصفا والمروة؟ أو أعوذ بعرفات ومنى، من شر ما خلق الله؟ هذا لا يقوله ولا يجيز القول به مسلم يعرف دين الله، محال أن يستعيذ مسلم بخلق الله من شر خلقه.

٣٥- باب: من الأدلة التي تدل على أن القرآن كلام الله الخالق[3]، وقوله غير مخلوق، لا كما زعمت الكفرة من الجهمية المعطلة. [هـ١٦٦/ ش٤٠٤/ ز٣٦٥/ ق٢٩٧]

٦٣- عن عروة بن الزبير عن نيار بن مكرم الأسلمي، صاحب رسول الله ﷺ قال: لما نزلت: ﴿الٓمٓ . غُلِبَتِ ٱلرُّومُ . فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ (الروم: ١-٣) إلى آخر الآيتين، خرج رسول الله ﷺ فجعل يقرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿الٓمٓ . غُلِبَتِ ٱلرُّومُ . فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ . فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ فقال رؤساء مشركي مكة: يا ابن أبي قحافة: هذا مما أتى به صاحبك، قال: لا والله، ولكنه كلام الله وقوله.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤/١٧) ح (٢٧٠٨).

(٢) أخرجه مسلم (٣٥/١٧) ح (٢٧٠٩).

(٣) كان الحديث فيما تقدم عن مطلق كلام الله تعالى، وهنا يتكلم عن فردٍ من أفراده، وهو القرآن.

فقالوا: فهذا بيننا وبينك، إن ظهرت الروم على فارس في بضع سنين، فتعال نناحبك -يريدون: نراهنك- وذلك قبل أن يترل في الرهان ما نزل.

قال: فراهنوا أبا بكر ووضعوا رهالهم على يدي فلان.

قال: ثم بكّروا، فقالوا: يا أبا بكر، البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فاقطع بيننا وبينك شيئاً ننتهي إليه.(١)

٣٦- باب ذكر البيان أن الله -عزَّ وجلَّ- ينظر إليه جميع المؤمنين يوم القيامة، برُّهم وفاجرهم، وإن رغمت أنوف الجهمية المعطلة المنكرة لصفات خالقنا جلَّ ذكره. [هـ١٦٧/ ٤٠٦/ ز٣٦٧/ ق٢٩٩]

٦٤- عن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: (إنكم سترون ربكم -عزَّ وجلَّ- كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ (طـــه: من الآية١٣٠)(٢).

٦٥- عن أبي سعيد قال: قلنا يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: (هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة من غير سحاب؟) قال: قلنا لا، قال: (فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ليس في سحاب؟) قال: قلنا: لا، قال: (فإنكم لا تضارون في رؤيته كما لا تضارون في رؤيتهما)(٣).

(١) أخرجه الترمذي بلفظ مقارب (تحفه٩/٥٢) ح (٣٢٤٦) وقال: "هذا حديث صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد" وحسنه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي (٣/٨٨) ح (٢٥٥٢). لكن ليس عند الترمذي قول أبي بكر: "لا والله، ولكنه كلام الله وقوله".

(٢) متفق عليه: البخاري: (١/٢٠٣) ح (٥٢٩) ومسلم: (٥/١٣٨) ح (٦٣٣).

(٣) أخرجه البخاري: (٤/١٦٧١) ح (٤٣٠٥) و (٦/٢٧٠٦) ح (٧٠٠١) ومسلم: (٣/٣٠) ح (١٨٣).

٦٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سأل الناس رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: (هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيها سحاب؟) قالوا: لا يا رسول الله، قال: (فهل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس فيها سحاب؟) قالوا: لا يا رسول الله، قال: (فوا الذي نفسي بيده، لا تضارون في رؤية ربكم كما لا تضارون في رؤيتهما)[١].

٣٧- باب ذكر البيان أن جميع أمة النبي ﷺ: برّهم وفاجرهم، مؤمنهم ومنافقهم، وبعض أهل الكتاب يرون الله -عزَّ وجلَّ- يوم القيامة.[هـ١٧٣/ ش٤٢٠/ ز٣٧٩/ ق٣٠٧] يراه بعضهم رؤية امتحان، لا رؤية سرور وفرح وتلذذ بالنظر في وجه ربهم عزَّ وجلَّ، ذي الجلال والإكرام.

وهذه الرؤية قبل أن يوضع الجسر بين ظهري جهنم. ويخص الله -عزَّ وجلَّ- أهل ولايته من المؤمنين بالنظر إلى وجهه، نظر فرح وسرور وتلذذ.

٦٧- عن أبي سعيد الخدري، قال: سألنا رسول اللهﷺ فقلنا: يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: (هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟) قال: قلنا لا، فقال: (هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟) قال: قلنا: لا، فقال: (فإنكم ترون ربكم -عزَّ وجلَّ- كذلك يوم القيامة.

قال: يُقال: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع الذين كانوا يعبدون الشمس الشمس فيتساقطون في النار. ويتبع الذين كانوا يعبدون القمر القمر فيتساقطون في النار، ويتبع الذين كانوا يعبدون الأوثان الأوثان، والأصنام الأصنام، وكل من كان يعبد من دون الله، فيتساقطون في النار. ويبقى المؤمنون ومنافقوهم بين أظهرهم، وبقايا من أهل الكتاب يقلّلهم بيده.

فيُقال لهم: ألا تتبعون ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد الله ولم نر الله. قال: فيكشف عن ساق، فلا يبقى أحد كان يسجد لله إلا خرَّ ساجداً، ولا يبقى

---

(١) أخرجه البخاري: (٢٤٠٣/٥) ح (٦٢٠٤) ومسلم: (٢١/٣) ح (١٨٢).

أحد كان يسجد رياء وسمعة إلا وقع على قفاه.

ثم يوضع الصراط بين ظهري جهنم)[١] ثم ذكر الحديث بطوله.

٦٨- [عن] أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا للنبي: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال النبي ﷺ : (هل تمارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟) قالوا: لا يا رسول الله، قال: (هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟) قالوا: لا يا رسول الله، قال: (فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة، فيقال: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير صورته، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أول من يجيز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحدٌ إلا الرسل)[٢]. فذكر الحديث.

قال أبو بكر: في هذه الأخبار دلالة على أن قوله جلّ و علا: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين:١٥) إنما أراد الكفار الذين كانوا يكذبون بيوم الدين بضمائرهم، وينكرون ذلك بألسنتهم، دون المنافقين[٣] الذين كانوا

(١) تقدم تخريجه، ينظر: حديث رقم (٦٥).

(٢) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه برقم (٦٦).

(٣) الحق أنّ الآية عامة في جميع الكفار والمنافقين، وذلك بعد أن يدخلوا النار، وأما في عرصات القيامة فيرونه جميعاً. (هراس).

قلت: ورؤيته تعالى في هذا الموقف -أعني عرصات القيامة- ليست من النعيم والثواب، كما نص على ذلك بعض أهل العلم، كابن خزيمة في هذا الكتاب. [وينظر: بيان تلبيس الجهمية، القسم السابع (١٢٢/١) ومجموع الفتاوى (٤٨٥/٦) كلاهما لابن تيمية].

بخلاف رؤيته تعالى في الجنة -والتي اختُص بها المؤمنون بدلالة الكتاب والسنة- فإنها رؤية =

= لذة ونعيم،، وهي أعلى مراتب نعيم الجنة، وغاية مطلوب المؤمنين. وقد اختلف أهل العلم في رؤية الموقف، هل هي عامة في أهل الموقف كلهم بما في ذلك الكفار، أم أنها خاصة في بعض دون بعض، على ثلاثة أقوال:

الأول: أن الكفار لا يرون ربهم بحال لا المظهر للكفر ولا المسر له، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين وعليه يدل عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

والثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها، وغبرات من أهل الكتاب، وذلك في عرصة القيامة، ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك، وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أهل السنة وذكر نحوه القاضي أبو يعلى.

والثالث: أن جميع الخلائق يرون ربهم في عرصات القيامة بما في ذلك الكفار، وذلك في أول الأمر، وتكون رؤية الكفار لربهم رؤية تعريف وتعذيب – كاللص إذا رأى السلطان – ثم يحتجب الله عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم، ثم يراه المسلمون بمن معهم من المنافقين، ثم بعد ذلك يتميز المؤمنون، وهم الذين يرونه رؤية تنعم، وإلى هذا القول ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم عليهما رحمة الله. [ينظر في هذه الأقوال وأدلتها: مجموع الفتاوى (٤٨٧/٦) وما بعدها، و (٤٦٦/٦) و بيان تلبيس الجهمية، القسم السابع (١٢٢/١-١٢٣) و (١/ ١٠٩) وما بعدها، وحادي الأرواح (٣٦٣-٣٦٤) والتوحيد لابن خزيمة (٤٢٩/٢-٤٣٣) تحقيق الشهوان].

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية –وهو ممن يرجح القول الثالث– إلى أمور تجب مراعاتها في هذه المسألة وهي:

١- أن الرؤية أنواع متباينة تبايناً عظيماً لا يكاد ينضبط طرفاها، وبناءً عليه فإن هذا النوع من الرؤية الذي هو عام للخلائق كلهم، قد يكون ضعيفاً، فلا يكون من جنس الرؤية التي يختص بها المؤمنون.

٢-أنه ليس لأحد أن يطلق القول بأن الكفار يرون ربهم من غير تقييد، وذلك لأمرين:

أحدهما: أن الرؤية المطلقة قد صار يفهم منها الكرامة والثواب، وفي إطلاقها على الكفار إيهام وإيحاش، وليس لأحد أن يطلق لفظاً يوهم خلاف الحق، إلا أن يكون مأثوراً عن السلف، وهذا اللفظ ليس مأثورا. =

يكذبون بضمائرهم ويقرون بألسنتهم بيوم الدين رياء وسمعة، ألا تسمع إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين:٤–١٥) أي: المكذبون بيوم الدين.

ألا ترى أن النبي ﷺ قد أعلم أن منافقي هذه الأمة يرون الله حين يأتيهم في صورته التي يعرفون، هذا في خبر أبي هريرة.

وفي خبر أبي سعيد (فيكشف عن ساق فيخرون سجداً أجمعون). وفيه ما دلَّ على أن المنافقين يرونه للاختبار والامتحان، فيريدون السجود فلا يقدرون عليه. وفي خبر أبي سعيد: (فلا يبقي من كان يعبد صنماً ولا وثناً ولا صورة إلا ذهبوا حتى يتساقطون في النار). فالله سبحانه وتعالى يحتجب (عن)[1] هؤلاء الذين يتساقطون في النار، ويبقى من كان يعبد الله وحده من بر وفاجر ومنافق وبقايا أهل الكتاب.

ثم ذكر في الخبر أيضاً: أنَّ من كان يعبد غير الله من اليهود والنصارى

= والثاني: أن الحكم إذا كان عاماً، وفي تخصيص بعضه باللفظ خروج عن القول الجميل فإنه يمنع من التخصيص، فإن الله خالق كل شيء ومريد لكل حادث، ومع هذا يمنع الإنسان أن يخص ما يستقذر من المخلوقات، وما يستقبحه الشرع من الحوادث، بأن يقول على الانفراد: يا خالق الكلاب، ويا مريداً للزنا، ونحو ذلك. [ينظر: مجموع الفتاوى (٦/٥٠٣–٥٠٤)].

٣- أن الخلاف في هذه المسألة لا يوجب نزاعاً أو فرقة أو مقاطعةً، لأنها مسألة خفيفة، فليست هي من المهمات التي ينبغي كثرة الحديث عنها، ومفاتحة عوام المسلمين فيها، مما قد يوجب تفرق القلوب وتشتت الأهواء، بخلاف اعتقاد رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، فإن هذا فرض واجب لازم كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة. [ينظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٤٥٨، ٥٠٢، ٥٠٤)]

(١) وقع في (ش): (على)، والمثبت من (هـ) و (ز).

يتساقطون في النار، ثم يتبدَّى الله -عزَّ وجلَّ- لنا في صورة غير الصورة التي رأيناه فيها.

وفي هذا الخبر ما بان وثبت وصح أنَّ جميع الكفار قد تساقطوا في النار وجميع أهل الكتاب الذين كانوا يعبدون غير الله. وأنَّ الله -جلَّ وعلا- إنما يتراءى لهذه الأمة برها وفاجرها ومنافقها بعد ما تساقط أولئك في النار.

فالله جلَّ وعلا كان محتجبا عن جميعهم لم يره منهم أحدٌ، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ . ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ . ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (المطففين:١٥-١٧).

فأعلمنا الله -عزَّ وجلَّ- أنَّ من حجب عنه يومئذ، هم المكذبون بذلك في الدنيا، ألا تسمع قوله تعالى: ﴿هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾

وأما المنافقون فإنما كانوا يكذبون بذلك بقلوبهم ويقرون بألسنتهم رياء وسمعة. فقد يتراءى لهم رؤية امتحان واختبار، وليكون[١] حجبه إياهم بعد ذلك عن رؤيته حسرة عليهم وندامة إذ لم يصدقوا به بقلوبهم وضمائرهم، وبوعده ووعيده، وما أمر به ونهى عنه، وبيوم الحسرة والندامة.

وفي حديث سهيل، عن أبيه عن أبي هريرة قال: (فيلقى العبدَ فيقول: أي فل: ألم أكرمك؟..) إلى قوله: (فاليوم أنساك كما نسيتني)[٢]. فاللقاء الذي في هذا الخبر غير التراءي، لا أن[٣] الله -عزَّ وجلَّ- يتراءى لمن قال له هذا القول.

وهذا الكلام الذي يكلم به الرب -جلَّ ذكره- عبدَه الكافر يوم القيامة

---

(١) هكذا في (هـ) و (ز)، وفي (ش) : (وليكن) فلعله خطأ مطبعي.

(٢) تقدم برقم (٥٧).

(٣) في جميع النسخ: (لأن الله...) والعبارة لا تستقيم بذلك، والمثبت مستفاد من كلام ابن تيمية حين نقل هذه العبارة عن ابن خزيمة كما في مجموع الفتاوى (٦/٤٩١) [وينظر: تحقيق الزهيري (١/٣٩٠) هامش (٢)].

كلام من وراء حجاب، من غير نظر الكافر إلى خالقه في الوقت الذي يكلّم به ربه عزّ وجلّ.

وإن كان كلام الله إيّاه كلام توبيخ وحسرة وندامة للعبد، لا كلام بشر وسرور وفرح ونضرة وبهجة. ألا تسمعه يقول في الخبر بعد ما يتبع أولياء الشياطين واليهود والنصارى أولياءهم إلى جهنم قال: (ثم نبقى أيها المؤمنون فيأتينا ربنا، فيقول: على ما هؤلاء قيام؟ فيقولون: نحن عباد الله المؤمنون، وعبدناه وهو ربنا وهو آتينا ويثبتنا، وهذا مقامنا، فيقول: أنا ربكم، ويضع الجسر).

أفلا تسمع أنّ قوله: (فيأتينا ربنا) إنما ذكره بعد تساقط الكفار واليهود والنصارى في جهنم. فهذا الخبر دالٌّ: أنّ قوله: (فيلقى العبدَ) وهو لقاءٌ غير رؤية. قال الله عزوجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية (يونس: من الآية٧)، وقال: ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (يونس: من الآية١١) وقال: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ الآية (الكهف: من الآية١١٠)، و﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ (يونس: من الآية١٥).

والعلم محيط أنّ النبي ﷺ لم يُرِد بقوله: (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقي الله يشرك شيئاً به دخل النار) لم يُرِد: مَن يرى الله وهو يشرك به شيئاً. واللقاء غير الرؤية والنظر.

ولا شك ولا ارتياب أنّ قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ (الأعراف: من الآية١٤٧) ليس معناه: ورؤية الآخرة.

٣٨– باب ذكر البيان أن جميع المؤمنين يرون الله يوم القيامة مخلياً به عزَّ وجلّ، وذكر تشبيه النبي ﷺ برؤية القمر خالقَهم ذلك اليوم بما يدرك عليه في الدنيا عياناً ونظراً ورؤية. [ه١٧٨/ ش٤٣٧/ ز٣٩٣/ ق٣١٦]

٦٩– عن أبي رزين قال: قلت: يا رسول الله: أكلنا نرى الله مخلياً به؟

قال: (نعم) قال: وما آية ذلك في خلق الله؟ قال: (أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر، وإنما هو خلق من خلق الله، فالله أجلُّ وأعظم)[1].

٣٩- باب ذكر البيان أن رؤية الله التي يختص بها أولياؤه يوم القيامة، هي التي ذكر في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة:٢٢-٢٣) [هـ١٨٠/ ش٤٤٣/ ز٣٩٣/ ق٣١٩]

ويُفضِّل بهذه الفضيلة أولياءه من المؤمنين، ويحجب جميع أعدائه عن النظر إليه، من مشرك ومتهود ومتنصر ومتمجس ومنافق، كما أعلم في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾. وهذا نظر أولياء الله إلى خالقهم جل ثناؤه بعد دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيزيد الله المؤمنين كرامة وإحساناً إلى إحسانه -تفضلاً منه، وجوداً- بإذنه إياهم النظر إليه، ويحجب عن ذلك جميع أعدائه.

٧٠- عن صهيب، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: من الآية٢٦) قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، نادى منادٍ: يا أهل الجنة إنَّ لكم عند ربكم موعداً، قالوا: ألم تبيض وجوهنا وتنجنا من النار وتدخلنا الجنة؟ قال: فيكشف الحجاب، قال: فوا الله ما أعطاهم شيئاً هو أحب إليهم من النظر (إليه)[2])[3].

٧١- عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة: أُعطُوا فيها ما سألوا، قال: يُقال لهم: إنه قد بقي من حقكم شيء لم تعطوه، قال: فيتجلى لهم تبارك وتعالى. قال: وتلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى ربهم، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد

---

(١) أخرجه أبو داود (عون١٣/٤٠) ح (٤٧١٦) وحسنه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (٣/٨٩٦) ح (٣٩٥٧).

(٢) زيادة من (هـ) و (ز).

(٣) أخرجه مسلم: (٣/٢٠) ح (١٨١).

نظرهم إلى ربهم"[١].

٧٢- عن حذيفة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ قال: "النظر إلى وجه الله عز وجل"[٢].

٧٣- عن عامر بن سعد: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ قال: "النظر إلى وجه الله"[٣]

٧٤- [عن] عوف عن الحسن، قال: "بلغني أن رسول الله ﷺ سُئل، قيل: يا رسول الله، هل يرى الخلق ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: (يراه من شاء أن يراه) فقالوا: يا رسول الله، فكيف يراه الخلق مع كثرتهم والله واحد؟ فقال رسول الله ﷺ: (أرأيتم الشمس والقمر في يوم صحو لا غيم دونهما، هل تضارون في رؤيتهما؟) قالوا: لا، قال: (إنكم لا تضارون في رؤيته كما لا تضارون في رؤيتهما).

قال أبو بكر: إنما أمليت هذا الخبر مرسلاً لأن بعض الجهمية ادعى بأن الحسن كان يقول: إن الزيادة: الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف[٤]، تمويهاً على بعض الرعاع والسفل، أنّ الحسن كان ينكر رؤية الرب عزّ وجلّ.

ففي رواية عوف عن الحسن بيان أنه كان مؤمناً مصدقاً بقلبه، مقراً بلسانه، أن المؤمنين يرون خالقهم في الآخرة، لا يضارون في رؤيته كما لا

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١١٨) ح (١٩٢) والطبري في التفسير (١٥٨/١٢، ١٥٩).

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١١٨) ح (١٩١) وابن أبي عاصم في السنة (٢٠٦/١) ح (٤٧٣) وقال الألباني في تعليقه على السنة: "حديث موقوف صحيح".

(٣) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١١٩) ح (١٩٤) والطبري في التفسير (١٥٦/١٢، ١٥٧).

(٤) روى هذا الأثر ابن جرير في تفسيره (١٦٣/١٢) وفيه قتادة بن دعامة، وهو مدلس، و لم يصرح بالسماع. (الزهيري).

يضارون في رؤية الشمس والقمر في الدنيا، إذا لم يكن دونهما غيم.

وأنَّ علمنا بأنَّ هذا كان قول الحسن، فإن بحر بن نصر بن سابق الخولاني قال: ثنا أسد يعني ابن موسى، قال: ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن في قوله تعالى: قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ الناظرة: الحسنة، حسَّنها الله بالنظر إلى ربها، وحُقَّ لها أن تَنضَّرَ، وهي تنظر إلى ربها.

٧٥– عن قتادة في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى . . .﴾ الجنة، والزيادة –فيما بلغنا–: النظر إلى وجه الله عز وجل[١].

قال أبو بكر: فاسمعوا الآن خبراً ثابتاً صحيحاً من جهة النقل يدل على أن المؤمنين يرون خالقهم –جلَّ ثناؤه– بعد الموت، وأنهم لا يرونه قبل الممات، ولو كان معنى قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (الأنعام: من الآية١٠٣): على ما تتوهمه الجهمية المعطلة الذين يجهلون لغة العرب، فلا يفرِّقون بين النظر وبين الإدراك، لكان معنى قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي: أبصار أهل الدنيا قبل الممات[٢].

٧٦– عن أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوماً، وكان أكثر خطبته ذكر الدجال، فأخذ يحدثنا عنه، حتى فرغ من خطبته...، فذكر الحديث بطوله، خرجته في "كتاب الفتن".

وقال في الخبر: (فيقول –يعني الدجال–: أنا نبي ولا نبي بعدي، قال: ثم يثني، فيقول: أنا ربكم، وهو أعور، وربكم ليس بأعور، ولن تروا ربكم حتى تموتوا...) وذكر الحديث بطوله[٣].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦١/١٢).

(٢) يعني: لو كان الإدراك بمعنى الرؤية لوجب التخصيص في الآية، حتى تتفق مع أحاديث الرؤية. (هراس).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٣٥٩/٢) ح (٤٠٧٧) وضعفه الألباني كما في ضعيف سنن ابن ماجه (٣٢٩) ح (٨٨٧)، لكن لبعض فقرات هذا الحديث شواهد صحيحه، فالشاهد =

قال أبوبكر: في قوله: (لن تروا ربكم حتى تموتوا) دلالة واضحة[١].

٤٠– باب ذكر الأخبار المأثورة في إثبات رؤية النبي ﷺ خالقه العزيز العليم[٢]، المحتجب عن أبصار بريته قبل اليوم الذي تجزى فيه كل نفس بما

= الذي من أجله ساق المصنف هذا الحديث قد جاء عند مسلم (٢٨٦/١٨) ح (١٦٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال وهو يحذر أُمته من الدجال: (تعلمون أنه لن يرى أحد منكم ربه عزَّ وجلَّ حتى يموت).

(١) يعني: "على أن المؤمنين يرون خالقهم جلَّ ثناؤه بعد الموت، وأنهم لا يرونه قبل الممات" كما قال المصنف آنفاً. (الزهيري).

(٢) هذه المسألة –أعني رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج– مما وقع فيه الخلاف بين أهل العلم، وقبل ذكر شيء من ذلك لا بدَّ من الإشارة إلى أن الأمة قد أجمعت على أنه لا يَرى اللهَ أحدٌ في الدنيا بعينه، باستثناء ما حصل من النزاع في رؤية النبي ﷺ ربه تعالى، وقد نقل هذا الإجماع عدد من أهل العلم كالدارمي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن أبي العز، وغيرهم.[ينظر على الترتيب: نقض الدارمي على المريسي (٤٦٠) ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٨٩/٣) و(٤٩٠/٥) و (٥١٠/٦) و شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢٢٢)]. وهو ما نصَّ عليه النبي ﷺ بقوله –كما في صحيح مسلم (٢٦٨/١٨) ح (١٦٩) من حديث ابن عمر– وهو يحذر أمته من الدجال : (تعلمون أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت).

وأما رؤية النبي ﷺ ربه تعالى فإن الخلاف فيها قديم منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم.

وقد جاءت الروايات الصحيحة في هذه المسألة على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : إثبات الرؤية مطلقة غير مقيدة ببصر أو فؤاد .

الوجه الثاني : إثبات الرؤية مقيدة بالفؤاد أو القلب .

الوجه الثالث : نفي الرؤية مطلقة غير مقيدة ببصر أو فؤاد.

وقد جاءت الآثار في هذه الأبواب التي عقدها المصنف على هذه الأوجه.

والقسمة العقلية تقتضي وجهاً رابعاً وهو : إثبات رؤية مقيدة بالبصر، ولكن هذا الوجه لم يثبت من طريق صحيح عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، كما نص على ذلك عدد =

كسبت يوم الحسرة والندامة. [هـ١٩٧/ ش٤٧٧/ ز٤١٨/ ق٣٣٦]

وذكر اختصاص الله نبيه محمداً ﷺ بالرؤية كما خصَّ نبيه إبراهيم بالخلة من بين جميع الرسل (والأنبياء جميعاً، وكما خصَّ نبيه موسى بالكلام، خصوصية

= من أهل العلم المحققين كالقاضي عياض، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والذهبي، وابن كثير، وابن أبي العز، عليهم رحمة الله. [ينظر على الترتيب: الشفا (٢٦٥/١) ومجموع الفتاوى (٣٨٩/٣) و (٥٠٧/٦، ٥٠٩، ٥١٠) والسير (١٦٧/٢) وتفسير ابن كثير (٣٨٧/٤) وشرح العقيدة الطحاوية (٢٢٤)].

وأما ما ذهب إليه بعض أهل العلم -كابن خزيمة في كتابه هذا- من إثبات الرؤية البصرية فإنما هو فهم فهموه من الوجه الأول وهو: الروايات التي فيها إطلاق الرؤية، والله أعلم. [ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٠٩/٦)]. وقد قال بهذا القول غير ابن خزيمة: الطبري كما نقل ذلك عنه ابن كثير في البداية والنهاية (١١٠/٣، ١١١)، وأبو الحسن الأشعري كما نقل ذلك عنه عدد من اهل العلم، كالقاضي عياض في الشفا (٢٦١/١) والنووي في شرحه لصحيح مسلم (٧/٣) وابن حجر في الفتح (٦٠٨/٨) وقال بهذا القول أيضاً: أبو يعلى الفراء كما في إبطال التأويلات (١١١، ١١٢) والهروي كما في الأربعين في دلائل التوحيد (٨١) والنووي كما في شرحه على صحيح مسلم (٩/٣). والذي يظهر – والله تعالى أعلم – أن النبي ﷺ لم يرَ ربه بعيني رأسه، أي لم يره رؤية بصرية، وإنما رآه بفؤاده، كما قال ابن عباس وغيره، وعلى هذا فتُحمل الروايات المطلقة في الرؤية عن ابن عباس على الروايات المقيدة عنه بالفؤاد، ويُحمل إنكار عائشة رضي الله عنها -كما سيأتي برقم (١٠٤)- على نفي الرؤية البصرية، وبهذا تجتمع الأدلة.

والقول بنفي الرؤية البصرية هو صريح حديث أبي ذر رضي الله عنه -كما في صحيح مسلم، وقد ذكره المصنف برقم(٩٢)- حيث سأل النبي ﷺ فقال: هل رأيت ربك؟ قال: (نور أنّى أراه) فهذا صريح في نفي الرؤية البصرية لأنها هي المسؤول عنها، وما ذهب إليه ابن خزيمة رحمه الله، من التشكيك في صحة هذا الحديث، أو صرفه عن ظاهره فغير مقبول، وقد أورد رحمه الله أثراً عن أبي ذر رضي الله عنه برقم (٩٦) ينفي فيه الرؤية البصرية، ويثبت الرؤية الفؤادية، ومثله عن عبد الله بن الحارث بن نوفل برقم (٩٨).

خصَّه الله بها من بين جميع الرسل)[١] وخصَّ الله كل واحد منهم بفضيلة وبدرجة سنية، كرماً منه وجوداً. كما أخبرنا –عزَّ وجلَّ– في محكم تنزيله في قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ (البقرة: من الآية٢٥٣).

٧٧– عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ"[٢].

٧٨– [عن] الحكم بن أبان قال: سمعت عكرمة يقول: سمعت ابن عباس رضي الله عنه سُئل: هل رأى محمد ﷺ ربه؟ قال: "نعم" قال: فقلت لابن عباس: أليس الله يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ...﴾ (الأنعام: من الآية١٠٣) قال: "لا أمَّ لك، ذلك نوره إذا تجلى بنوره لم يدركه شيء"[٣].

٧٩– عن عبدالله بن أبي سلمة أن عبدالله بن عمر بن الخطاب بعث إلى عبدالله بن العباس يسأله: "هل رأى محمد ﷺ ربه؟" فأرسل إليه عبدالله بن العباس: "أنْ نعم" فردَّ عليه عبدالله بن عمر رسوله: "أن كيف رآه؟" فأرسل إليه: "أنه رآه في روضة خضراء، دونه فراش من ذهب على كرسي من ذهب، تحمله أربعة من الملائكة: ملك في صورة رجل، وملك في صورة ثور، وملك في صورة نسر، وملك في صورة أسد"[٤].

---

(١) زيادة من (هـ) و (ز).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ح (٤٤٢) والحاكم في مستدركه (٢/٥٠٩) ح (٣٧٤٧) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه" ووافقه الذهبي، وقال الألباني في تعليقه على السنة: "إسناده صحيح على شرط البخاري".

(٣) أخرجه الترمذي (٩/١٦٨) ح (٣٣٣٣) وابن أبي عاصم في السنة (١/١٩٠) ح (٤٣٧) وقال: "فيه كلام" وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب" وضعفه الألباني، كما في ضعيف سنن الترمذي (٤١٩) ح (٦٤٧) وفي تعليقه على السنة.

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (٣/١٥٤٣-١٥٤٤) ح (١٠٣٤، ١٠٣٥) والبيهقي في =

٨٠– عن ابن عباس، قال: "إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، ومحمداً بالرؤية"(١).

٨١– عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: "رأى محمد ﷺ ربه"(٢).

٨٢– عن أنس بن مالك قال: "رأى محمد ربه"(٣).

٨٣– عن المبارك بن فضالة، قال: "كان الحسن يحلف بالله لقد رأى محمد ربه"(٤). قال أبو بكر: وقد اختلف عن ابن عباس في تأويل قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (النجم:١٣) فروى بعضهم عنه أنه قال: رآه بفؤاده.

٨٤– عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قال: "رآه بفؤاده"(٥).

٨٥– عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "رآه مرتين"(٦).

قال أبو بكر: احتجَّ بعض أصحابنا بهذا الخبر أن ابن عباس رضي الله عنهما وأبا ذر كانا يتأوَّلان هذه الآية أن النبي ﷺ رأى ربه بفؤاده، لقوله بعد ذكر ما بيَّنا: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (النجم: ١٠–١١) .

= الأسماء والصفات (٢/٣٦١–٣٦٢) ح (٩٣٤) وأعلّه، وقال المحقق –الحاشدي–: "إسناده ضعيف ومتنه منكر".

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ح (٤٣٦) وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/٢٩٨) ح (٥٧٧) والآجري في الشريعة (٣/١١١٤) ح (٦٨٦) وقال الألباني في تعليقه على السنة: "إسناده صحيح موقوف".

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ح (٤٣٥) وقال الألباني: "إسناده صحيح موقوف".

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ح (٤٣٢) وقوى الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح (٨/٦٠٨) وقال الألباني في تعليقه على السنة: "إسناده ضعيف".

(٤) رجاله كلهم ثقات. (الزهيري).

(٥) أخرجه مسلم: (٣/٨) ح (١٧٦) بلفظ: "رآه بفؤاده مرتين" وفي رواية قال: "رآه بقلبه".

(٦) أخرجه مسلم، ينظر: التخريج السابق.

وتأول[١] أن قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (النجم:٨) إلى قوله: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ أن النبي ﷺ دنا من خالقه –عزَّ وجلَّ– قاب قوسين أو أدنى[٢]، وأن الله –عزَّ وجلَّ– أوحى إلى النبي ﷺ ما أوحى، وأن فؤاد النبي ﷺ لم يكذّب ما رأى، يعنون رؤيته خالقَه جل وعلا.

قال أبو بكر: وليس هذا التأويل الذي تأوَّلوه لهذه الآية بالبيِّن، وفيه نظر، لأن الله إنما أخبر في هذه الآية أنه رأى منْ آيات ربه الكبرى، ولم يُعلِم الله في هذه الآية أنه رأى ربه جلَّ وعلا. وآيات ربنا ليس هو ربنا جلَّ وعلا، فتفهموا لا تغالطوا في تأويل هذه الآية.

واحتج آخرون من أصحابنا على الرؤية بما:

٨٦– قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ (الإسراء: من الآية٦٠) قال: "رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسرى به"[٣].

قال [أبو بكر]: وليس الخبر بالبيِّن أيضاً، أن ابن عباس أراد بقوله: (رؤيا عين): رؤية النبي ﷺ ربَه بعينه، لست أستحلّ أن أحتج بالتمويه، ولا أستجيز أن أموِّه على مقتبسي العلم. فأما خبر قتادة[٤]، والحكم بن أبان[٥]، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وخبر عبدالله بن أبي سلمة[٦]، عن ابن عباس رضي الله عنهما فبيِّنٌ واضح أن ابن عباس كان يثبت أن النبي ﷺ قد رأى ربه.

---

(١) في (ز): (وتأوَّلان).

(٢) هذا غير صحيح، فإن الدنو والتدلي في الآيات هو دنو جبريل وتدليه، وهو غير الدنو والتدلي المذكور في حديث الإسراء. (هراس). قلتُ: يعني: في رواية شريك لحديث الإسراء.

(٣) أخرجه البخاري: (١٧٤٨/٤) ح (٤٤٣٩).

(٤) تقدم برقم (٧٧).

(٥) تقدم برقم (٧٨).

(٦) تقدم برقم (٧٩).

٨٧- عن كعب قال: " إنَّ الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد صلوات الله عليهما، فرآه محمد مرتين، وكلَّم موسى مرتين"(١).

قال أبو بكر: والدليل على صحة ما ذكرت: أنَّ آيات ربنا الكبرى غير جائز أن يُتَأول أن آيات ربنا هي ربنا.

أخبار عبدالله بن مسعود: [هـ٢٠٢/ ش٤٩٧/ ز٤٣١/ ق٣٤٦]

٨٨- عن الشيباني، قال: سألت زر بن حبيش عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (النجم:٩) قال: فقال: أخبرني ابن مسعود أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح"(٢).

٨٩- عن ابن مسعود، في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى﴾ (النجم:١٣-١٤) قال: قال رسول الله ﷺ: (رأيت جبريل عند سدرة المنتهى عليه ستمائة جناح، يتناثر منها التهاويل: الدر والياقوت)(٣).

٩٠- عن زر عن عبدالله، في قوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (النجم:١٨) قال: "رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح"(٤).

٩١- عن عبدالله في هذه الآية: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قال: "رأى رفرفاً أخضر، قد سد أفق السماء"(٥).

قال أبو بكر: فأخبار ابن مسعود دالة على أنَّ قوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ

(١) أخرجه الترمذي بأطول من هذا السياق، وفيه قصة (تحفة ١٦٦/٩) ح (٣٣٣٢) وضعف إسناده الألباني كما في ضعيف سنن الترمذي (٤١٨) ح (٣٥٠٩) وحكم الزهيري على إسناد ابن خزيمة بالحسن كما في تحقيقه للكتاب.

(٢) متفق عليه: البخاري: (١١٨١/٣) ح (٣٠٦٠) ومسلم: (٦/٣) ح (١٧٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٨٤/٦) ح (٤٣٩٦) والنسائي في الكبرى (٢٧٧/١٠) ح (١١٤٧٨) وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند: "إسناده صحيح".

(٤) أخرجه مسلم: (٦/٣) ح (١٧٤).

(٥) أخرجه البخاري: (١١٨١/٣) ح (٣٠٦١).

﴿الْكُبْرَى﴾ تأويله: أي: رأى جبريل على الصفة التي ذكرت في هذه الأخبار.

وأما قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ فغير مستنكر أن يكون معنى هذه الآية على ما قال ابن عباس: أن النبي ﷺ رأى ربه مرتين[1]، لا تأويل قوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾.

وقد رُوى عن أبي ذر خبر قد اختلف علماؤنا في تأويله، لأنه رُوي بلفظ يحتمل النفي والإثبات جميعاً، على سعة لسان العرب.

٩٢- عن عبدالله بن شقيق العقيلي، قال: قلت لأبي ذر: "لو رأيتُ رسول الله ﷺ لسألته، قال: عما كنت تسأله؟ قال: إذن لسألته: هل رأى ربه؟ فقال: قد سألته أنا، قلت: فما قال؟ قال: (نور أنّى أراه)[2].

قال أبو بكر: في القلب من صحة سند هذا الخبر شيء، لم أر أحداً من أصحابنا من علماء أهل الآثار فطن لعلة في إسناد هذا الخبر، فإن عبدالله بن شقيق كأنه لم يكن يثبت أبا ذر، ولا يعرفه بعينه واسمه ونسبه[3].

٩٣- عن عبدالله بن شقيق، قال: أتيت المدينة، فإذارجل قائم على غرائر سود، يقول: "ليبشر أصحاب الكنوز (بكيٍ في الجباه والجنوب)[4]" فقالوا: هذا أبو ذر، صاحب رسول الله ﷺ.

قال أبو بكر: فعبدالله بن شقيق يذكر بعد موت أبي ذر، أنه رأى رجلاً

---

(١) لا بل هو بعيد جداً، وتقطيع لأوصال الآيات، فإن الكلام لا يزال في شأن جبريل ومحمد عليهما السلام، والتأويل الصحيح لهذه الآية: ولقد رأى محمد جبريل مرة أخرى، عند سدرة المنتهى، وكانت المرة الأولى عندما جاور بحراء شهرا ثم هبط، كما في حديث جابر. (هراس). قلتُ: وعليه يدل حديث عائشة رضي الله عنها، وسيأتي برقم (١٠٤).

(٢) أخرجه مسلم: (١٥/٣) ح (١٧٨).

(٣) يشير إلى الحديث الآتي.

(٤) وقع في (هـ): (بكرة في الحساء والجنوب) ووقع في (ش): (بكرة في الحياة والموت) وهما تحريف، والمثبت من (ز).

يقول هذه المقالة، وهو قائم على غرائر سود، خُبِّرَ أنه أبو ذر، كأنه لا يثبته ولا يعلم أنه أبو ذر[1].

وقوله: (نور أنَّى أراه) يحتمل معنيين: أحدهما: نفي؛ أي: كيف أراه، وهو نور؟. والمعنى الثاني: أي: كيف رأيته، وأين رأيته وهو نور؟ فهو نور لا تدركه الأبصار إدراك ما تدركه الأبصار من المخلوقين، كما قال عكرمة: إن الله إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء[2]. والدليل على صحة هذا التأويل الثاني: أن إمام أهل زمانه في العلم والأخبار: محمد بن بشار بندار ثنا بهذا الخبر:

٩٤- قال: حدَّثنا معاذ بن هشام قال: حدَّثني أبي عن قتادة عن عبدالله ابن شقيق، قال: قلت لأبي ذر: "لو رأيت رسول الله لسألته، فقال: عن أي شيء كنت تسأله؟ فقال: كنت أسأله، هل رأيت ربك؟ فقال أبو ذر: قد سألته، فقال: (رأيت نوراً)[3].

قال أبو بكر: قوله: (أنَّى): يحتمل معنيين: أحدهما: النفي، والآخر الإثبات[4]: قال الله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ (البقرة: من الآية٢٢٣) فمعنى (أنَّى): أين[5] شئتم فيجوز أن يكون معنى خبر أبي ذر:أنا

(١) الحق أن هذه ليست بعلّة، ولا ترد الأخبار الصحيحة بمثل هذا، وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى محاولة ابن خزيمة رحمه الله توهينَ هذا الحديث فقال: "وحاول ابن خزيمة أن يدَّعي انقطاعه بين عبد الله ابن شقيق وبين أبي ذر" [التفسير (٣٩١/٤) وينظر: التعليق في أول هامش في هذا الباب].

(٢) تقدم برقم (٧٨).

(٣) أخرجه مسلم: (١٥/٣) ح (١٨٧).

(٤) هذا غير محتمل للنفي والإثبات، بل هو صريح في النفي، وقد جاء على صورة الاستفهام الإنكاري، الذي هو أبلغ من النفي الصريح. (هراس ص٢٠٥).

(٥) في (ش) و (ز) جاءت العبارة هكذا (أي : شئتم) بدل: (أين شئتم)، والمثبت من (هـ) وأشار الشهوان إلى وجوده في إحدى النسخ كما في هامش العبارة المذكورة، وهو أوضح =

أراه[١]. فمعنى (أنّى) في هذا الموضع: أي: كيف شئتم، وأين شئتم.

ويجوز أن يكون معنى خبر أبي ذر: (أنّى أراه) أي: أين أراه، أو كيف أراه، فهو نور[٢] كما رواه معاذ بن هشام عن أبيه، خبر أبي ذر: (رأيت نورا) فعلى هذا اللفظ يكون معنى قوله: (أنّى أراه) أي: أين أراه، أو كيف أراه؟ فإنما أرى نوراً، والعرب قد تقول: (أنّى) على معنى النفي، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا...﴾ الآية (البقرة: من الآية٢٤٧).

يريدون: كيف يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه، فلو كان معنى قول أبي ذر (أنّى أراه) على معنى: نفي الرؤية، فمعنى الخبر: أنه نفى رؤية الرب، لأن أبا ذر قد ثبت عنه أن النبي ﷺ قد رأى ربه بقلبه".

٩٥- عن أبي ذر، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (النجم:١٣) قال: "رآه بقلبه.." يعني النبي ﷺ[٣].

٩٦- عن أبي ذر قال: "رآه بقلبه ولم يره بعينه"[٤].

٩٧- عن إبراهيم التيمي[٥] في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قال: "رآه بقلبه

= في الدلالة على المراد، وعليه يدل السياق، فإنه قال بعد: "أي: كيف شئتم، وأين شئتم" وكأنه بهذا يشير إلى الاحتمال الثاني، وهو الإثبات، والله أعلم.

(١) هكذا في (ز)، وعليه يدل السياق، لأنه في معرض الحديث عن احتمال معنى الإثبات، وفي (ه) و (ز): (أنى أراه) وهي بهذا لا تشير إلى معنى معين يريده المؤلف، والله أعلم.

(٢) يشير هنا إلى الاحتمال الأول، وهو النفي.

(٣) أخرجه الدارقطني في الرؤية (٣٤٣) ح (٢٥٩) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥٧٤/٣) ح (٩١٥) وقال الزهيري محقق كتاب التوحيد: "إسناده صحيح".

(٤) أخرجه الدارقطني في الرؤية (٣٤٢) ح (٢٥٨) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥٧٤/٣) ح (٩١٤) وقال الزهيري محقق كتاب التوحيد: "إسناده صحيح".

(٥) وقع في إتحاف المهرة (٢١٠/١٤) زيادة: (عن أبيه)، وينظر تحقيق القفيلي (٣٥٧) هامش (٥).

ولم يره ببصره"[1].

٩٨– عن عبدالله بن الحارث بن نوفل أنه قال: "رأى النبي ﷺ ربه بفؤاده ولم يره بعينه"[2].

قال أبو بكر: فلو كان أبو ذر سمع النبي ﷺ ينكر رؤية ربه –جلّ وعلا– بقلبه وعينه جميعاً في قوله: (نور أنّى أراه) لما تأوّل الآية التي تلاها، قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ خلافَ ما سمع النبي ﷺ يقول.

إذ العلمُ محيطٌ أن النبي ﷺ لا يقول خلاف الكتاب، ولا يكون الكتاب خلاف (خبر النبي ﷺ)[3] الثابت عنه، وإنما يكون خبر النبي ﷺ أبداً موافقاً لكتاب الله، لا مخالفاً لشيء منه.

ولكن قد يكون لفظ الكتاب لفظاً عاماً مراده خاص، وقد يكون خبر النبي ﷺ لفظه لفظ عام مراده خاص، (فبيّن النبي ﷺ بسنته أن بعض ما كان لفظ عام: مراده خاص،)[4] من الكتاب والسنة.

قد بيّنا جميعاً من هذا الجنس في كتبنا المصنفة ما في بعضها الغنية والكفاية عن تكراره في هذا الموضع.

ولولا أن تأويل هذه الآية قد صح عندنا وثبت عن النبي ﷺ أنه على غير ما تأوّله أبو ذر رحمه الله، فجاز أن يكون خبرا أبي ذر اللذان ذكرناهما[5] من الجنس الذي يقال: جائز أن يكون النبي ﷺ سأله أبو ذر في بعض الأوقات، هل رأى ربه –جلّ وعلا، ولم يكن قد رآه بعدُ، فأعلمه أنه لم يره، ثم رأى ربه –جلّ

---

(١) قال الزهيري في تحقيقه لكتاب التوحيد: "إسناده حسن".

(٢) قال الزهيري في تحقيقه لكتاب التوحيد:" مرسل صحيح الإسناد".

(٣) زيادة من (هـ) و (ز).

(٤) زيادة من (ز).

(٥) يقصد حديث: (نور أنّى أراه) وحديث: (رأيت نورا).

وعلا– بعد ذلك، فتلا عليه الآية وأعلمه أنه رآه بقلبه.

ولكن قد ثبت عن النبي ﷺ أنه سُئل عن هذه الآية فأخبر أنه إنما رأى جبريل على صورته، فثبت أن قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾: إنما هو رؤية النبي ﷺ جبريل، لا رؤية النبي ﷺ ربه عزَّ وجلَّ. وجائز أن يكون النبي ﷺ قد رأى ربه، على ما أخبر ابن عباس رضي الله عنهما، ومن قال ممن حكينا قوله: إن محمداً ﷺ قد رأى ربه لا لتأويل[1] هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾

قال أبو بكر: فأما قوله جلّ وعلا: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (النجم:٨–٩) ففي خبر شريك بن عبدالله بن أبي نمر، عن أنس بن مالك، بيانٌ ووضوحٌ، أن معنى قوله: ﴿دَنَا فَتَدَلَّى﴾ إنما دنا الجبار رب العزة، لا جبريل[2].

---

(١) في (هـ) و (ش): (لتأويل) بدل: (لا لتأويل) والمثبت من (ز)، وأشار الشهوان إلى وجوده في ثلاث نسخ، وهو الذي يقتضيه المعنى، والله أعلم.

(٢) الدنو والتدلي المذكور في قصة الإسراء هو غير الدنو والتدلي الوارد في سورة النجم، فإن المراد به في سورة النجم جبريل عليه السلام قطعاً. قال ابن القيم في زاد المعاد (٤٨/٣): "وأما قوله تعالى في سورة النجم: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ فهو غير الدنو والتدلي في قصة الإسراء، فإن الذي في سورة النجم هو دنو جبريل وتدليه، كما قالت عائشة وابن مسعود، والسياق يدل عليه، فإنه قال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ وهو جبريل ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى . وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلّم الشديد القوى، وهو ذو المِرَّة، أي: القوة، وهو الذي استوى بالأفق الأعلى، وهو الذي دنى فتدلى، فكان من محمد ﷺ قدر قوسين أو أدنى" وقال ابن كثير في كتابه: الفصول في سيرة الرسول ﷺ (٢٧٢) بعد ذكره لآية النجم: "الصحيح من قول المفسرين، بل المقطوع به: أن المتدلي في هذه الآية هو جبريل عليه السلام، كما أخرجاه في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أنها سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: (ذاك جبريل) فقد قطع هذا الحديث النّزاع، وأزاح الإشكال" [وانظر: البداية والنهاية (١١٠/٣) وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢٧٦)].

٩٩- [فعن] شريك بن عبدالله بن أبي نمر، قال: " سمعت أنس بن مالك، يحدثنا عن ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة..." [فذكر الحديث، وفيه:] "ثم علا به فيما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء به سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى[١]، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله إليه ما أوحى"[٢]

---

(١) ذهب بعض السلف إلى القول بما تضمنه هذا الحديث من إثبات صفة الدنو والتدلي لله تعالى، وممن ذهب إلى هذا -ابن خزيمة كما ترى- وابن القيم وابن أبي العز [ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢٧٦)]

قال ابن القيم في زاد المعاد (٣٨/٣): "فأما الدنو والتدلي الذي في حديث الإسراء، فذلك صريح في أنه دنو الرب تبارك وتدليه" وأما ابن كثير فقد أثبت ذلك في كتابه الفصول (٢٦٧) حيث قال: "ودنا الجبار، رب العزة فتدلى، كما يشاء على ما ورد في الحديث" وأما في كتابه البداية والنهاية فقد جوَّز أن يكون ذلك من فهم الراوي، فقال (١١٠/٣): "فأما قول شريك عن أنس في حديث الإسراء: (ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى) فقد يكون من فهم الراوي، فأقحمه في الحديث، والله أعلم"

وجدير بالتنبيه هنا أن هؤلاء -عدا ابن خزيمة- يقولون: إن الدنو والتدلي المذكور في قصة الإسراء هو غير الدنو والتدلي الوارد في سورة النجم، وقد أشرت إلى كلامهم في الهامش السابق. قلت: أما صفة الدنو فهي ثابتة لله تعالى في غير هذا الحديث، كما في صحيح مسلم (١٢٥/٩) ح (١٣٤٨) من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟) وعلى إثبات هذه الصفة لله تعالى معتقد أهل السنة والجماعة. وأما صفة التدلي فليس فيها -فيما وقفت عليه بعد البحث- إلا رواية شريك هذه، وهي مما تفرد به، فقد روى هذا الحديث -عن أنس- أئمة أثبات، هم أوثق وأحفظ من شريك، كقتادة وثابت والزهري، ولم يذكروا هذه اللفظة فيه، ولذا كانت هذه اللفظة مما استنكره أهل العلم على شريك. [وينظر: التعليق في الهامش التالي].

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٠/٦) ح (٧٠٧٩) وساق مسلم طرفا منه (٥٧٥/٢) ح (١٦٢) =

وقد روى الوليد بن مسلم خبراً يتوهم كثير من طلاب العلم ممن لا يفهم

= وقال: "وقدم فيه شيئاً وأخر، وزاد ونقص".

وقد وقع في رواية شريك هذه عدة مخالفات، خالف فيها شريك غيره من الحفاظ، ممن روى هذا الحديث عن أنس، كثابت البناني والزهري وقتادة، وقد أشار إلى شيء من هذا مسلم فيما تقدم، وإليك بعض النقول عن بعض أهل العلم ممن تكلم عن رواية شريك وانتقدها: قال البيهقي في الأسماء والصفات (٣٥٧/٢): "ذكر شريك بن عبد الله بن أبي نمر في روايته هذه ما يُستدل به على أنه لم يحفظ الحديث كما ينبغي: من نسيانه ما حفظه غيره، ومن مخالفته في مقامات الأنبياء –الذين رآهم في السماء– مَن هو أحفظ منه"

وقال عبد الحق الإشبيلي في الجمع بين الصحيحين (١٢٧/١): "وقد زاد فيه زيادة مجهولة، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة، وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين، والأئمة المشهورين، كمثل ابن شهاب وثابت البناني وقتادة، فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث، والأحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعوَّل عليها" يعني طريق قتادة وثابت والزهري.

وقال القاضي عياض في إكمال المعلم (٤٩٧/١): "وقد جاء في مسلم من رواية شريك في هذا الحديث اضطراب وأوهام، أنكرها عليه العلماء، وقد نبه مسلم على ذلك"

وقال ابن القيم في زاد المعاد (٤٢/٣): "وقد غلَّط الحفَّاظ شريكا في ألفاظ من حديث الإسراء، ومسلم أورد المسند منه ثم قال: فقدم وأخر وزاد ونقص، ولم يسرد الحديث فأجاد رحمه الله" وقال الذهبي في السير (١٦٠/٦) عن شريك: "في حديث الإسراء من طريقه: ألفاظ لم يُتابع عليها" وقال أيضاً في ميزان الاعتدال (٣٧٢/٣) عن حديث شريك: "هذا من غرائب الصحيح" وقال ابن كثير في تفسيره (٧/٣): "شريك بن عبد الله ابن أبي نمر اضطرب في هذا الحديث، وساء حفظه ولم يضبطه" وقال ابن رجب في فتح الباري (٣١١/٢) عن حديث شريك: "فيه ألفاظ استُنكرت على شريك، وتفرد بها"

وقال ابن حجر في الفتح (٣٤١/١١) عن شريك: "هو راوي حديث المعراج الذي زاد فيه ونقص، وقدم وأخر، وتفرد فيه بأشياء لم يُتابع عليها" وقال أيضاً في هدي الساري (٣٨٣): "خالف فيه شريك أصحاب أنس في إسناده ومتنه"

علم[1] الأخبار أنه خبر صحيح من جهة النقل، وليس كذلك هو عند علماء أهل الحديث، وأنا مبين علله إن وفق الله لذلك، حتى لا يغتر بعض طلاب الحديث به، فيلتبس الصحيح بغير الثابت من الأخبار، وقد أعلمت ما لا أحصي من مرة أني لا أستحلُّ أن أموِّه على طلاب العلم بالاحتجاج بالخبر الواهي، وإني خائف من خالقي -جلَّ وعلا- إذا موهت على طلاب العلم بالاحتجاج بالأخبار الواهية، وإن كانت (الأخبار)[2] حجة لمذهبي.

١٠٠- روى الوليد، قال: حدثني عبدالرحمن بن يزيد بن جابر قال: ثنا خالد بن اللجلاج، قال: حدثني عبدالرحمن بن عائش الحضرمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (رأيت ربي في أحسن صورة، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قال: قلت: (لاأدري)[3] أي ربي، أي ربي -مرتين- فوضع كفه بين كتفي، فوجدت بردها بين ثديي، فعلمت ما في السموات والأرض ثم تلا: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام:٧٥). قال: فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: في الكفارات يا رب، قال: وما هن؟ قلت: المشي إلى الجمعات، والجلوس في المساجد، وانتظار الصلوات، وإسباغ الوضوء على المكاره، فقال الله: من فعل ذلك يعش بخير ويموت بخير، ويكون من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومن الدرجات: إطعام الطعام وطيب الكلام، وأن تقوم بالليل والناس نيام، فقال: اللهم إني أسألك الطيبات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون) قال رسول الله ﷺ: (تعلموهن، فوا الذي نفسي بيده إنهن لحق)[4].

(١) في (ز): (علل) بدل: (علم)، وأشار الشهوان إلى أنه كذلك في ثلاث نسخ.

(٢) زيادة من (هـ) و (ز).

(٣) زيادة من (ز).

(٤) ينظر التعليق على حديث رقم (٢٠٢).

قال أبو بكر: قوله في هذا الخبر: " قال سمعت رسول الله ﷺ" وهمٌ لأن عبدالرحمن بن عائش لم يسمع من النبي ﷺ هذه القصة، وإنما رواه عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، ولا أحسبه أيضاً سمعه من الصحابي، لأن يحيى بن أبي كثير رواه عن زيد بن سلام، عن عبدالرحمن الحضرمي، عن مالك بن يخامر عن معاذ.

وقال يزيد بن جابر، عن خالد بن اللجلاج، عن عبدالرحمن بن عائش، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ. قال أبو بكر: وجاء قتادة بلون آخر:

١٠١– فرواه معاذ بن هشام، قال: حدثني أبي عن قتادة، عن أبي قلابة، عن خالد بن اللجلاج، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما(١).

قال أبو بكر: رواية يزيد وعبدالرحمن ابني(٢) يزيد بن جابر أشبه بالصواب –حيث قالا: عن عبدالرحمن بن عائش– من رواية من قال: عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، فإنه قد روي:

١٠٢– عن يحيى ابن أبي كثير عن زيد بن سلام، أنه حدثه عبدالرحمن الحضرمي –وهو ابن عائش إن شاء الله تعالى– حدثنا مالك بن يخامر السكسكي أن معاذ بن جبل قال: "احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة، عن صلاة الصبح حتى كدنا أن نتراءى قرن الشمس، فخرج رسول الله ﷺ سريعاً، فثوب بالصلاة، فصلى وتجوز في صلاته فلما سلم دعا بصوته: (على مصافكم كما أنتم) ثم أقبل إلينا قال: (إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي، فنعست في مصلاي، حتى استثقلت، فإذا أنا بربي في أحسن صورة، فقال: يا محمد، فقلت: لبيك يا رب، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا أدري، قالها ثلاثاً، قال فرأيته وضع كفه بين كتفي، حتى وجدت برد أنامله بين ثديي، فتجلى لي كل شيء وعرفته، فقال: يا محمد،

(١) ينظر: التعليق على حديث رقم (٢٠٢).

(٢) في (ش): (بن) والمثبت من (ز)، وأشار الشهوان إلى وجوده في بعض النسخ.

قال: قلت: لبيك، قال: يا محمد: قلت: لبيك رب، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: في الكفارات، قال: وما هن؟، قلت: المشي على الأقدام إلى الجماعات، وجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء حين الكريهات، قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة والناس نيام، قال: سل، فقلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك) فقال رسول الله ﷺ: (إنها حق فتعلموها، وادرسوها).

حدثناه أبو موسى، فقال: ثنا معاذ بن هانئ، أبو هانئ، قال: ثنا جهضم بن عبدالله القيسي، قال: ثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام[1] أنه حدثه عبدالرحمن الحضرمي –قال أبو موسى: وهو ابن عائش– بالحديث على ما أمليته[2].

---

(١) قال الهراس (٢١٩) هامش (٢): قال في هامش نسخة ت : "هكذا روى ابن خزيمة، والصواب: عن زيد بن سلام عن جده أبي سلام عن عبد الرحمن بن عائش، كما في رواية الإمام أحمد والترمذي وغيرهما".

(٢) هذا الحديث يعرف بحديث المنام، لأن فيه رؤية النبي ﷺ ربه في المنام، وقد أخرجه الترمذي (١٠٦/٩) ح (٣٢٨٨) وقال: "هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل -يعني البخاري- عن هذا الحديث فقال: هذا صحيح" وانظر: العلل الكبير للترمذي (٨٩٦/٢)، وأخرجه أحمد في المسند (٤٢٢/٣٦) ح (٢٢١٠٩) والطبراني في الكبير (١٠٩/٢٠) ح (٢١٦) وأيضاً في (١٤١/٢٠) ح (٢٩٠) والدارقطني في الرؤية (٣١١-٣١٣) ح (٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١) والحاكم مختصراً (٧٠٢/١)

وهذا الحديث مروي عن معاذ من عدة طرق أصحها ما رواه جهضم بن عبد الله عن يحيى ابن أبي كثير عن زيد بن سلام عن أبي سلاّم عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمي أنه حدثه عن مالك بن يخامر السكسكي عن معاذ ابن جبل -وهو هذا الطريق- وهي الطريق التي صححها الترمذي والبخاري -كما تقدم- وقال البيهقي في الأسماء والصفات (٧٩/٢): =

= "وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف".
وقال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية، القسم السابع، تحقيق د/ محمد البريدي (٢٦١/١) عن هذه الطريق: "هذه الطريق أتم الطرق إسناداً ومتناً".
وقد جاء هذا الحديث -أيضاً- من عدة طرق عن عدد من الصحابة كابن عباس وأنس وعبد الرحمن بن عائش وأبي أمامة الباهلي وعمران بن حصين وعبد الله بن عمر وثوبان وأبي هريرة وأبي رافع وجابر بن سمرة وأبي عبيدة بن الجراح، وهو بمجموع هذه الطرق حديث صحيح صححه جمع من أهل العلم والحديث.
قال الإمام أحمد عن حديث معاذ -كما في الكامل لابن عدي (٣٤٤/٦) ترجمة موسى ابن خلف-: "هذا أصحها" وانظر: الإصابة لابن حجر (٢٧٣/٤) ترجمة عبد الرحمن بن عائش. وقال ابن مندة في الرد على الجهمية (٩١): "وروي هذا الحديث عن عشرة من أصحاب النبي ﷺ ونقلها عنهم أئمة البلاد من أهل الشرق والغرب". وقال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية، القسم السابع (٢٦٢/١) بعد سياقه روايات هذا الحديث: "فهذه الروايات يصدق بعضها بعضاً، إذ قد رواه عن كل شخص أكثر من واحد، ولكن بمجموع هذه الطرق انكشف ما وقع في بعضها من غلط في بعض طرقه" وقال الذهبي في السير (١٦٧/٢): "فأما رؤية المنام فجاءت من وجوه متعددة مستفيضة".
وذهب عدد من أهل العلم إلى تضعيف هذا الحديث كابن خزيمة والدارقطني والمروزي عليهم رحمة الله.
أما ابن خزيمة فقد قال -كما سيأتي-: "فليس يثبت من هذه الأخبار شيء من عند ذكرنا عبد الرحمن بن عائش إلى هذا الموضع، فبطل الذي ذكرنا لهذه الأسانيد ولعل بعض من لم يتحر العلم يحسب أن خبر يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام ثابت، لأنه قيل في الخبر: عن زيد أنه حدثه عبد الرحمن الحضرمي، ويحيى بن أبي كثير رحمه الله أحد المدلسين لم يخبر أنه سمع هذا من زيد" وقال الدارقطني في العلل (٦/ ٥٧) بعد ذكره لأوجه الخلاف في هذا الحديث: "ليس فيها صحيح وكلها مضطربة" وقال المروزي في قيام الليل (المختصر ٥٦): "هذا حديث قد اضطربت الرواة في إسناده -على ما بيَّنا- وليس يثبت إسناده عند أهل المعرفة بالحديث". قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد نقله تضعيف ابن خزيمة المتقدم، وكذا =

= قول الإمام أحمد عن هذا الحديث -كما في رواية الأثرم-: "يضطرب في إسناده وأصل الحديث واحد، وقد اضطربوا فيه" قال ابن تيمية: "هذا كلام صحيح، فإنهم اضطربوا في إسناده بلا ريب، لكن لم يقل: إن هذا يوجب ضعف متنه، ولا قال: إن متنه غير ثابت، بل إن مثل هذا الاضطراب يوجد في أحاديث كثيرة وهي ثابتة، وهذه الطرق مع ما فيها من الاضطراب -لمن يتدبر الحديث ويحسن معرفته- تدل دلالة واضحة على أن الحديث محفوظ صحيح الأصل، لاريب في ذلك، بل قد يوجب له القطع بذلك...وأما ما ذكره ابن خزيمة من كون يحيى مدلساً لم يذكر السماع، فهذا لايضر هنا، لأن غاية ما فيه أن يكون أخذه من كتاب زيد بن سلاّم، كما حكي عنه أنه كان يحدث من كتاب أبي سلاّم، إما لمعرفته بخطه، وإما لأن الذي أعطاه قال له: هذا خطه، وهذا مما يزيد الحديث قوة، حيث كان مكتوباً...والذي ذكر ابن خزيمة من أنه لم يثبت طريق معيَّن من هذه الطرق، هذا فيه نزاع بين أهل الحديث، لكن إذا ضمت بعضها إلى بعض صدَّق بعضها بعضاً، وهذا مما لا يتنازعون فيه.

لكن ابن خزيمة جرى على عادته أنه لا يحتج إلا بإسناد يكون وحده ثابتاً...فما قاله لا ينافي ما اتفق عليه أهل العلم، فثبت صحة الاحتجاج به من طريقين:

أحدهما: من جمع الطرق، لكن ابن خزيمة لم يسلك هذا.

والثاني: من جهة ثبوت الاحتجاج بالكتاب، لكن ابن خزيمة لم يذهب إلى هذا" [بيان تلبيس الجهمية، القسم السابع (١/٣٧١-٣٧٥) باختصار وتصرف يسير، وانظر إبطال التأويلات (١/١٤٠)].

قلت: إعلال ابن خزيمة رحمه الله هذا الطريق -طريق معاذ المتقدم- بتدليس يحيى بن أبي كثير، مدفوع بكون يحيى قد صرح بالتحديث عن زيد في إسناد الإمام أحمد رحمه الله، انظر: المسند (٣٦/٤٢٢) والله أعلم. [وانظر للوقوف على طرق هذا الحديث: التوحيد لابن خزيمة (٢/٥٣٣-٥٤٥) والرؤية للدارقطني (٣٠٨-٣٤٢) ولابن رجب رحمه الله رسالة في شرح هذا الحديث بعنوان: (اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى)]. وهذا الحديث يفيد أن الله تعالى قد يُرى في المنام، لكن ليس على حقيقته التي هو عليها الآن سبحانه وتعالى. =

١٠٣- [وعن] ثوبان مولى رسول الله ﷺ: أن النبي ﷺ أخر صلاة الصبح حتى أسفر، فقال: (إنما تأخرت عنكم أن ربي قال لي: يا محمد، هل تدري فيما يختصم الملأ الأعلى؟

قلت: لا أدري يا رب، فرددها مرتين أو ثلاثاً، ثم حسست بالكف بين كتفي، حتى وجدت بردها بين ثديي، ثم تجلّى لي كل شيء وعرفت، قال: قلت: نعم يا رب، يختصمون في الكفارات والدرجات.

والكفاراتُ: المشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في الكريهات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة.

والدرجات: إطعام الطعام وبذل السلام والقيام بالليل والناس نيام، ثم قال: يا محمد، اشفع تشفع، وسل تعط، قال: فقلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني وأنا غير مفتون، اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك،

= قال الدارمي في النقض على المريسي (٧٣٨/٢): "وفي المنام يمكن رؤية الله تعالى على كل حال وفي كل صورة" وقد نقل القاضي عياض اتفاق العلماء على جواز رؤية الله في المنام وصحتها. [انظر: إكمال المعلم (٢٢٠/٧) ومسلم بشرح النووي (٣١/١٥) وفتح الباري (٣٨٧/١٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد يَرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق" [مجموع الفتاوى (٣٩٠/٣)]. وقال أيضاً: "ورؤية الله تعالى في المنام جائزة بلا نزاع بين أهل الإثبات، وإنما أنكرها طائفة من الجهمية، وكأنهم جعلوا ذلك باطلاً، وإلا فما يمكنهم إنكار وقوع ذلك" [بيان تلبيس الجهمية، القسم السابع (٤٣١/١) وانظر: (٧٣/١-٧٤) من الكتاب نفسه، طبعة محمد ابن قاسم، وإبطال التأويلات لأبي يعلى (١٢٧/١)].

وحباً يبلغني حبك)[1]

وروى شيخ من الكوفيين يقال له: سعيد بن سويد القرشي، عن عبدالرحمن بن إسحاق، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل، هذه القصة بطولها تشتبه بخبر يحيى بن أبي كثير.

قال أبو بكر: وهذا الشيخ سعيد بن سويد لست أعرفه بعدالة ولا جرح، وعبد الرحمن بن إسحاق هذا: هو أبو شيبة الكوفي، ضعيف الحديث، الذي روى عن النعمان بن سعد، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أخباراً منكرة. وعبدالرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ بن جبل؛ مات معاذ في أول خلافة عمر بن الخطاب بالشام –رضي الله عنه– مع جماعة من أصحاب النبي ﷺ، منهم: بلال بن رباح مولى أبي بكر رضي الله عنه، في طاعون عَمواس، قد رأيت قبورهم أو بعضها قرب عمواس بين الرملة وبيت المقدس، عن يمين الطريق إذا قصد من الرملة بيت المقدس.

فليس يثبت من هذه الأخبار شيء من عند ذكرنا عبدالرحمن بن عائش، إلى هذا الموضع، فبطل الذي ذكرنا لهذه الأسانيد، ولعل بعض من لم يتحر العلم يحسب أن خبر يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلاّم ثابت، لأنه قيل في الخبر: عن زيد أنه حدثه عبدالرحمن الحضرمي. يحيى بن أبي كثير رحمه الله أحد المدلسين، لم يخبر أنه سمع هذا من زيد بن سلاّم.

٤١- باب ذكر أخبار رويت عن عائشة رضي الله عنها: [ه٢٢١/ ٥٤٨/ ز٤٦٧/ ق٣٧٩]

في إنكارها رؤية النبي ﷺ تسليماً، قبل نزول المنية بالنبي ﷺ، إذ أهل قبلتنا من الصحابة والتابعات والتابعين ومن بعدهم إلى من شاهدنا من العلماء من أهل عصرنا، لم يختلفوا ولم يشكوا ولم يرتابوا أن جميع المؤمنين يرون خالقهم

(١) ينظر: التعليق على حديث رقم (١٠٢).

يوم القيامة عياناً.

وإنما اختلف العلماء: هل رأى النبي ﷺ خالقه عزَّ وجلَّ قبل نزول المنية بالنبي ﷺ؟ لا أنهم قد اختلفوا في رؤية المؤمنين خالقهم يوم القيامة، فتفهموا المسألتين، لا تغالطوا فتصدوا عن سواء السبيل.

١٠٤- عن مسروق، قال:"كنت متكئاً عند عائشة رضي الله عنها فقالت: يا أبا عائشة: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: وما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين: انظريني ولا تعجلين[1]، ألم يقل الله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (التكوير:٢٣) ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (النجم:١٣)؟ فقالت رضي الله عنها: أنا أول هذه الأمة، سأل عن هذا رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: (جبريل[2] لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض) قالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[3] (الأنعام:١٠٣) . قالت: أولم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ قرأت إلى قوله: ﴿عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى:٥١).

قالت: ومن زعم أن محمداً ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ﴾ قرأت إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة:٦٧).

قالت: ومن زعم أنه يخبر النّاس بما يكون في غد فقد أعظم على الله

(١) في مسلم: (ولا تعجليني).

(٢) في مسلم: (إنما هو جبريل).

(٣) لا حجة في الآية على نفي الرؤية، فإن الإدراك رؤية خاصة، وهي الرؤية على جهة الإحاطة، فنفيه لا يستلزم نفي مطلق الرؤية. (هراس).

الفرية، والله تعالى يقول: ﴿لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللهُ﴾ (النمل: من الآية٦٥)"[1].

قال أبو بكر: هذه لفظة أحسب عائشة تكلمت بها في وقت غضب، كانت لفظة أحسن منها يكون فيها دركاً لبغيتها، كان أجمل بها.

ليس يحسن في اللفظ أن يقول قائل أو قائلة: فقد أعظم ابن عباس الفرية، وأبو ذر، وأنس بن مالك، وجماعات من الناس الفرية على ربهم[2]، ولكن قد يتكلم المرء عند الغضب باللفظة التي يكون غيرها أحسن وأجمل منها.

أكثر ما في هذا: أن عائشة رضي الله عنها، وأبا ذر، وابن عباس رضي الله عنهما، وأنس بن مالك رضي الله عنه قد اختلفوا: هل رأى النبي ﷺ ربه؟.

فقالت عائشة رضي الله عنها: لم ير النبيﷺ ربه.

وقال أبو ذر وابن عباس رضي الله عنهما: قد رأى النبي ﷺ ربه.

وقد أعلمتُ –في مواضع في كتبنا– أن النفي لا يوجب علماً، والإثبات هو الذي يوجب العلم[3]، ولم تحك عائشة عن النبيﷺ أنه خبرَّها أنه لم ير ربه – عزَّ وجلَّ–، وإنما تلت قوله عز وجل: ﴿لاتُدْرِكُهُ الأبصَارُ﴾ وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلا وَحْياً...﴾ ومن تدبر هاتين الآيتين ووفق لإدراك الصواب علم أنه ليس في واحدة من الآيتين ما يستحق من قال: إن محمداً رأى ربه الرميَ بالفرية على الله، فكيف بأن يقال: قد أعظم الفرية على الله؟.

لأن قوله: ﴿لاتُدْرِكُهُ الأبصَارُ﴾ قد يحتمل معنيين على مذهب من يثبت رؤية

(١) أخرجه مسلم: (١٠/٣) ح (١٧٧) والبخاري بلفظ مقارب: (١٨٤٠/٤) ح (٤٥٧٤).

(٢) عائشة رضي الله عنها لم تُعيِّن في كلامها أحداً، ولكن قالت: من زعم، بصيغة العموم. (هراس).

(٣) هذا صحيح فيما كان الأصل فيه الإثبات، أما هنا فالأصل النفي، ولا بدَّ لتقديم الإثبات عليه من دليل قاطع، كيف وقد قام الدليل على النفي كما في حديث أبي ذر المتقدم.

النبي ﷺ خالقَه، عزَّ وجلَّ: قد يحتمل بأن يكون معنى قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ على ما قال ترجمان القرآن لمولاه عكرمة: ذاك نوره الذي هو نوره، إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء[١].

والمعنى الثاني: أي: لا تدركه الأبصار: أبصار الناس، لأن الأعم والأظهر من لغة العرب أن الأبصار إنما يقع على أبصار جماعة، لا أحسب (عربياً يخبر)[٢] من طريق اللغة: أن يُقال لبصر امرئ واحد: أبصار، وإنما يقال لبصر امرئ واحد: بصر، ولا سمعنا (عربياً)[٣] يقول: لعيني امرئ واحد بصرين، فكيف أبصار.

ولو قلنا إن (سائر)[٤] الأبصار ترى ربنا في الدنيا لكنا قد قلنا الباطل والبهتان، فأما من قال: إن النبي ﷺ قد رأى ربه دون سائر الخلق، فلم يقل: إن (سائر)[٥] الأبصار قد رأت ربها في الدنيا.

فكيف يكون–يا ذوى الحجا– من يثبت أن النبي ﷺ قد رأى ربه دون سائر الخلق مثبتاً أن الأبصار قد رأت ربها، فتفهموا يا ذوى الحجا هذه النكتة تعلموا أن ابن عباس رضي الله عنهما وأبا ذر وأنس بن مالك ومن وافقهم لم يعظموا الفرية على الله، ولا خالفوا حرفاً من كتاب الله في هذه المسألة.

فأما ذكرها: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ فلم يقل أبو ذر وابن عباس رضي الله عنهما وأنس بن مالك، ولا واحد منهم، ولا أحد ممن يثبت رؤية النبي ﷺ خالقَه –عزَّ وجلَّ– أن الله كلمه في ذلك الوقت الذي كان يرى ربه فيه، فيلزم أن يُقال: قد خالفتهم هذه الآية.

---

(١) تقدم برقم (٧٨).

(٢) في (هـ) و (ش): (غريباً يجيء) والمثبت من (ز)، وأشار الشهوان إلى وجوده في بعض النسخ، وبه يتضح المعنى، والله أعلم.

(٣) في (هـ) و (ش): (غريبا) والمثبت من (ز)..

(٤) زيادة من (ق).

(٥) زيادة من (ز).

ومن قال: إن النبي ﷺ قد رأى ربه لم يخالف قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ وإنما يكون مخالفاً لهذه الآية من يقول: رأى النبي ﷺ ربه فكلمه الله في ذلك الوقت.

و ابن عمر مع جلالته وعلمه وورعه وفقهه وموضعه من الإسلام والعلم يلتمس علم هذه المسألة من ترجمان القرآن ابن عم النبي ﷺ يرسل إليه ليسأله: هل رأى النبي ﷺ ربه؟ علماً منه بمعرفة ابن عباس بهذه المسألة[١]، يقتبس هذا منه. فقد ثبت عن ابن عباس إثباته أن النبي ﷺ قد رأى ربه، وبيقين يعلم كل عالم أن هذا من الجنس الذي لا يدرك بالعقول، والآراء والجنان والظنون، ولا يدرك مثل هذا العلم إلا من طريق النبوة، إما بكتاب أو بقول نبي مصطفى، ولا أظن أحداً من أهل العلم يتوهم أن ابن عباس قال: رأى النبي ﷺ ربه، برأي وظن، لا، ولا أبو ذر، لا، ولا أنس بن مالك.

نقول كما قال معمر بن راشد لما ذكر اختلاف عائشة رضي الله عنها وابن عباس رضي الله عنهما في هذه المسألة: "ما عائشة عندنا أعلم من ابن عباس". نقول: عائشة الصديقة بنت الصديق، حبيبة حبيب الله عالمة فقيهة.

كذلك ابن عباس رضي الله عنهما، ابن عم النبي ﷺ، قد دعا النبي ﷺ له أن يرزق الحكمة والعلم –أوهذا المعنى من الدعاء– وهو المسمى بترجمان القرآن. وقد[٢] كان الفاروق رضي الله عنه يسأله عن بعض معاني القرآن فيقبل منه وإن خالفه غيره، ممن هو أكبر سناً منه، وأقدم صحبةً للنبي ﷺ.

وإذا اختلفا[٣] فمحال أن يقال: قد أعظم ابن عباس الفرية على الله، لأنه

(١) تقدم برقم (٧٩).

(٢) في (ش) و (ز): (ومن) بدل: (وقد) والمثبت من (هـ) وهو أوضح، وأشار المحققان إلى وجوده في بعض النسخ.

(٣) يعني عائشة وابن عباس رضي الله عنهما.

قد أثبت شيئاً نفته عائشة رضي الله عنها، والعلماء لا يطلقون هذه اللفظة وإن غلط بعض العلماء في معنى آية من كتاب الله أو خالف سنة أو سنناً من سنن النبي ﷺ لم تبلغ المرء تلك السنن، فكيف يجوز أن يقال: أعظم الفرية على الله من يثبت شيئاً لم ينفه كتاب ولا سنة، فتفهموا هذا، لا تغالطوا.

وقد كنت قديماً أقول: لو أنَّ عائشة حكت عن النبي ﷺ ما كانت تعتقد في هذه المسألة أن النبيﷺ لم ير ربه –جلَّ وعلا– وأنَّ النبي ﷺ أعلمها ذلك، وذكر ابن عباس رضي الله عنهما، وأنس بن مالك، وأبو ذر عن النبي ﷺ أنه رأى ربه، لعلم كل عالم يفهم هذه الصناعة أن الواجب من طريق العلم والفقه قبول قول من روى عن النبي ﷺ أنه رأى ربه. إذ جائز[١] أن تكون عائشة سمعت النبي ﷺ يقول: لم أر ربي، قبل أن يرى ربه –عزَّ وجلَّ– ثم سمع[٢] غيرها أن النبي ﷺ يخبر أنه قد رأى ربه، بعد رؤيته ربه، فيكون الواجب من طريق العلم قبول خبر من أخبر أن النبي ﷺ رأى ربه؛ وقد بينت هذا الجنس في المسألة التي أمليتها في ذكر بسم الله الرحمن الرحيم.

٤٢– باب ذكر إثبات ضحك ربنا عز وجل: [هـ٢٣٠/ ش٥٦٣/ ز٤٨٣/ ق٣٩١] بلا صفة تصف ضحكه –جلَّ ثناؤه– لا ولا يُشبَّه ضحكه بضحك المخلوقين، وضحكهم كذلك، بل نؤمن بأنه يضحك، كما أعلم النبي ﷺ، ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا، إذ الله –عزَّ وجلَّ– استأثر بصفة ضحكه، فلم يطلعنا على ذلك، فنحن قائلون بما قال النبي ﷺ، مصدقون بذلك بقلوبنا، منصتون عما لم يبين لنا، مما استأثر الله بعلمه.

---

(١) في (هـ) و (ش) و (ق) هكذا: (إذ غير جائز) بزيادة (غير)، وهي غير موجودة في (ز)، وإثباتها يقلب المعنى، والله أعلم.

(٢) في (هـ) و (ش) و (ق) هكذا: (تسمع)، والمثبت من (ز) وأشار الشهوان إلى وجوده في ثلاث نسخ خطية.

١٠٥- عن أنس بن مالك، عن عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: (إن آخر من يدخل الجنة لرجل يمشي على الصراط، فينكب مرة، ويمشي مرةً ...) فذكر الحديث بطوله، وفي آخر الخبر: (فيقول ربنا تبارك وتعالى: ما يصريني[١] منك أي عبدي، أيرضيك أن أعطيك من الجنة مثل الدنيا ومثلها معها؟ قال: فيقول: أقمزأ بي وأنت رب العزة) قال: فضحك عبد الله حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا تسألوني لم ضحكت؟ قالوا: لم ضحكت؟ قال: لضحك رسول الله ﷺ، ثم قال لنا رسول الله ﷺ: (ألا تسألوني لم ضحكت؟) قالوا: لم ضحكت يا رسول الله؟ قال: (لضحك الرب تبارك وتعالى، حين قال: أقمزأ بي وأنت رب العزة)[٢].

١٠٦- [عن] سعيد بن المسيب، وعطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة رضي الله عنه أخبرهما: أن الناس قالوا للنبي ﷺ: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فذكر الحديث بطوله، قال: (ويبقى رجل بين الجنة والنار، وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، مقبل بوجهه على النار، فيقول: يا رب: اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها، فيقول الله عزَّ وجلَّ: فهل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غير ذلك، فيقول: لا وعزتك، فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النار). فذكر الحديث وقال: (فيقول: أو لست أعطيت العهود والمواثيق ألا تسأل غير الذي أُعطيت؟، فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فيضحك الله عز وجل منه)[٣]. ثم ذكر باقي الحديث.

قال أبو بكر: هذا الخبر (هو)[٤] عن أبي هريرة –رضي الله عنه– وأبي

---

(١) أي: ما يقطع مسألتك ويمنعك من سؤالي. [ينظر: النهاية (٢٧/٣)].

(٢) أخرجه مسلم: (٤٤/٣) ح (١٨٧).

(٣) متفق عليه: البخاري: (٢٧٧/١) ح (٧٧٣) ومسلم: (٢١/٣) ح (١٨٢).

(٤) زيادة من (ز).

سعيد جميعاً، لأن في الخبر أن أبا سعيد قال لأبي هريرة: أشهد أن النبي ﷺ قد قال: (قال الله: ذلك لك وعشرة أمثاله).

فهذه المقاله تُثبت أن أبا سعيد قد حفظ هذا الخبر عن النبيﷺ على ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، إلا أنه حفظ هذه الزيادة قوله: (ذلك لك وعشرة أمثاله) وأبو هريرة إنما حفظ (ذلك لك ومثله معه). وهذه اللفظة التي ذكرها أبو هريرة: (ومثله معه) لا تضاد اللفظة التي ذكرها أبو سعيد. وهذا من الجنس الذي ذكرته في كتابي –عوداً وبدءاً– أنّ العرب قد تذكر العدد للشيء ذي الأجزاء والشعب، لا تريد نفياً لما زاد على ذلك العدد، وهذا مفهوم في لغة العرب.

لو أنّ مقراً قال لآخر: "لك عندي درهم معه درهم" ثم قال بعد هذه المقالة: "لك عندي درهم معه عشرة دراهم" لم تكن الكلمة الثانية تكذيباً لنفسه للكلمة الأولى، لأن من كان معه عشرة دراهم، فمعه درهم من العشرة دراهم وزيادة تسعة دراهم على الدرهم.

وإنما يكون التكذيب لو قال في الابتداء: "لك عندي درهم لا أكثر منه" أو قال في الابتداء: "ليس لك عندي أكثر من درهمين" ثم قال: "لك عندي عشرة دراهم" كان بقوله الثاني مكذباً لنفسه في الكلمة الأولى، لا شك ولا امتراء. ومن كان له أربع نسوة فقال لمخاطَب يخاطبُه[1]: "لي امرأة معها أخرى" ثم قال له أو لغيره: "لي أربع نسوة" لم تكنْ كلمته الآخرة تكذيباً منه نفسَه للكلمة الأولى. هذا باب يفهمه من يفهم العلم والفقه.

وإنما ذكرت هذا البيان لأن أهل الزيغ والبدع لا يزالون يطعنون في الأخبار لاختلاف ألفاظها.

قال أبو بكر: قد بينت معنى هاتين اللفظتين في موضع آخر، أعلمت[2] أن

(١) في (ش) هكذا: (فقال مخاطب لمخاطبه) والمثبت من (ز)، وهو أوضح.

(٢) في (هـ) و (ش) و (ق) هكذا: (علمت) والمثبت من (ز)، وهو أوضح.

النبي ﷺ قال في الابتداء: (إن الله عزَّ وجلَّ يقول له: أترضى أن أعطيك مثل الدنيا ومثلها معها) ثم زاد بعد ذلك حتى بلغ أن قال: (لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها).

١٠٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: (إن الله عزَّ وجلَّ يضحك إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما داخل الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله، فيستشهد، ثم يتوب الله على قاتله، فيسلم، فيقاتل في (سبيل)[١] الله فيستشهد)[٢].

[عود على إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، ورؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج]

قال أبو بكر: قد كنت أعلمت قبل هذا الباب: أن العلماء لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم القيامة، جلَّ ربنا وعزَّ. وأن النبيﷺ -أفضل المؤمنين- يرى خالقه -جلَّ وعزَّ- يوم القيامة، وإنما اختلفوا هل رأى النبي ﷺ ربه عز وجل قبل نزول المنية بالنبيﷺ.

وأعطاني بعض أصحابي كتاباً منذ أيام منسوباً إلى بعض الجهمية، رأيت في ذلك الكتاب: عن محمد بن جابر عن أبي إسحاق عن هبيرة بن يريم، عن ابن مسعود قال: "من زعم أن الله يُرى جهرة فقد أشرك، ومن زعم أن موسى سأل ربه أن يراه جهرة فقد أشرك".

واحتج الجهمي بهذا الخبر، ادّعى: أن الله تعالى لا يُرى، وأن النبيﷺ لا يَرى ربه يوم القيامة، ولا المؤمنون.

وهذا الخبر كذب موضوع، باطل، وضعه بعض الجهمية. وعندنا بحمد الله ونعمته خبران، بإسنادين متصلين عن ابن مسعود، خلاف هذا الخبر الموضوع.

---

(١) زيادة من (هـ) و (ز).

(٢) متفق عليه: البخاري: (١٠٤٠/٣) ح (٢٦٧١) ومسلم: (٣٩/١٣) ح (١٨٩٠).

في خبر أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبدالله بن مسعود، قال: "يجمع الله الناس يوم القيامة، فينادي مناد: يا أيها الناس، ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم وصوركم ورزقكم أن يولي كل إنسان ما كان يعبد في الدنيا ويتولى؟ أليس ذلك عدل من ربكم؟ قالوا: بلى، قال: فلينطلق كل إنسان منكم إلى ما كان يتولى في الدنيا، قال: ويمثل لهم ما كانوا يعبدون في الدنيا، قال: ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيراً شيطان عزير، حتى يمثل لهم الشجرة والعود والحجر، ويبقى أهل الإسلام جثوماً، فيقول لهم: ما لكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ فيقولون: إن لنا رباً ما رأيناه بعد، قال: فيقول: بم تعرفون ربكم إن رأيتموه؟ قالوا: بيننا وبينه علامة إن رأيناه عرفناه، قال: وما هي؟ قال: فيكشف عن ساق، قال: فيخر كل من كان لظهره طبق ساجداً، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر[1]". الحديث بطوله.

وفي الخبر: أن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يحدث مراراً، فلما بلغ هذا المكان من الحديث ما ذكر موضعاً من الحديث إلا ضحك.

١٠٨- حدثناه يوسف بن موسى، قال: ثنا مالك بن إسماعيل البصري، قال: ثنا عبدالسلام بن حرب، قال: ثنا يزيد بن عبدالرحمن أبو خالد الدالاني، قال: ثنا المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة عن مسروق، عن عبدالله بن مسعود ... فذكر الحديث بطوله[2].

١٠٩- وفي خبر سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن عبدالله بن مسعود، في الحديث الطويل، قال: "ثم يتمثل الله -عزَّ وجلّ- للخلق فيقول:

(١) أي: قرونها. [ينظر: النهاية (٦٧/٣)].

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٥٧/٩) ح (٩٧٦٣) والحاكم في المستدرك (٤٠٨/٢) ح (٣٤٢٤) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه بهذا اللفظ" ووافقه الذهبي، وأخرجه الحاكم أيضا في موضع آخر مطولاً (٦٣٢/٤) ح (٨٧٥١).

من تعبدون؟" وذكر بعض الحديث، وقال: "حتى يبقى المسلمون، فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبدالله لا نشرك به شيئاً، فيقول: هل تعرفون ربكم؟ فيقولون: سبحانه إذا اعترف لنا عرفناه، فعند ذلك يكشف عن ساق، فلا يبقى مؤمن ولا مؤمنة إلا خرّ لله ساجداً"(١).

قال أبو بكر: فهذا الخبر، وخبر مسروق عن ابن مسعود، يصرحان أن ابن مسعود كان يُقرُّ أن المسلمين يرون خالقهم -عزَّ وجلَّ- يوم القيامة إذا كشف عن ساق، وأن المؤمنين يخرون لله سجداً إذا رأوه في ذلك الوقت، فكيف يُكَفَّر من يقول بما هو عنده حق وصدق وعدل؟.

ولو ثبت هذا الخبر عن ابن مسعود لكان للخبر عندنا معنى صحيح لا كما توهمه الجهمي، عليه لعائن الله.

نحن نقول: إنَّ من زعم أن الله يُرى جهرة في الدنيا فقد كذب وافترى، لأن ما يُرى جهرةً يراه كل بصير، لا حجاب بينه وبينه. وإنما سأل قوم موسى موسى أن يريهم الله جهرة، فأما موسى فإنما سأل على لفظ الكتاب ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ (الأعراف: من الآية١٤٣) ولم يقل: أرني أنظر إليك جهرةً، لأن الرؤية جهرةً: هي الرؤية التي يراه كل من كان بصره مثل بصر الناظر إلى الشيء(٢)، والله -عزَّ وجلَّ- يحتجب عن أبصار أهل الدنيا في الدنيا، لا يرى أحد ربه في الدنيا جهرةً.

وقد أعلمنا قبلُ معنى قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وأنه جائز أن يكون النبي

---

(١) ينظر ما قبله.

(٢) هذا فرق لا معنى له ولا دليل عليه، فإن موسى عليه السلام عندما سأل الرؤية لم يُرِد أن تكون من وراء حجاب، بل أراد أن تكون جهرة، أي: عياناً، كما سأل القوم تماماً، ولكن الفرق بينه وبينهم: أن سؤالهم الرؤية كان على سبيل التعنت -كما سأل المشركون رسول الله ﷺ- وأما موسى فطلبها تلذذاً وشوقا. (هراس).

ﷺ مخصوصاً برؤية خالقه وهو في السماء السابعة، لا أن النبيﷺ رأى ربه وهو في الدنيا(١).

وقد أعلمتُ قبل أن العلماء لم يختلفوا أن جميع المؤمنين يرون خالقهم (يوم المعاد)(٢) في الآخرة لا في الدنيا، ومن أنكر رؤية المؤمنين خالقهم يوم المعاد، فليسوا بمؤمنين عند المؤمنين، بل هم أسوأ حالاً في الدنيا عند العلماء من اليهود والنصارى والمجوس، كما قال ابن المبارك: "نحن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نقدر أن نحكي كلام الجهمية".

٤٣- باب ذكر أبواب شفاعة النبي ﷺ التي قد خُص بها دون الأنبياء سواه -صلوات الله عليهم- لأمته(٣)، وشفاعة بعض أمته لبعض أمته، ممن قد أوبقتهم خطاياهم وذنوبهم فأدخلوا النار، ليخرجوا منها بعد ما قد عذبوا فيها بقدر ذنوبهم وخطاياهم التي لا يغفرها الله لهم، ولم يتجاوز لهم عنها، بفضله وجوده. بالله نتعوذ من النار. [هـ٢٤١/ ش٥٨٨/ ز٥٠٥/ ق٤٠٨]

٤٤- باب: ذكر الشفاعة التي خَصَّ الله بها النبي ﷺ:

دون غيره من الأنبياء صلى الله عليهم، (ودون سائر المؤمنين)(٤) وهي الشفاعة الأولى التي يشفع بها لأمته(٥)، ليخلصهم الله من الموقف الذي قد جمعوا

(١) هذا كلام عجيب، أفليست السماء السابعة من الدنيا؟ إن الدنيا اسم للزمان الذي يكون في الخلق قبل القيامة، وليست اسماً للمكان حتى تطلق على الأرض دون السماء. (هراس).

(٢) زيادة من (ز).

(٣) وقع في (هـ) و (ش) في هذا الموضع: "وشفاعة النبي ﷺ دون غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم" ووقع في (ز) بدل هذه الزيادة: "وشفاعته" وقد رأيت أنه يمكن الاستغناء عن ذلك كله، لأن هذه الإضافة قد تحدث لبساً، والمعنى والسياق مستقيم بدونها.

(٤) زيادة من (هـ) و (ز).

(٥) ليست هذه الشفاعة خاصة بأمته، وإنما هي شفاعة في عموم الخلق. (هراس)، قلتُ: وقد صرَّح بذلك المصنف في الباب الذي يلي هذا الباب.

فيه يوم القيامة مع الأولى[1] وقد دنت الشمس منهم فآذهم، وأصابهم من الغم والكرب مالا يطيقون، ولا يحتملون. [هـ٢٤١/ ش٥٨٩/ ز٥٠٦/ ق٤٠٩]

وهذه الشفاعة هي سوى الشفاعة التي يشفع النبي ﷺ بعد، لإخراج من قد أدخل النار من أمته، بما قد ارتكبوا من الذنوب والخطايا في الدنيا، التي لم يشأ الله أن يعفو عنها ويغفرها لهم، تفضيلاً وكرماً وجوداً.

وما ذكر من خصوصية الله نبيه محمداً بالنظر إليه –عزَّ وجلَّ– عند الشفاعة داخل في هذا الباب.

١١٠– عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتِيَ النبي ﷺ (يوماً)[2] بلحم، فدفع إليه الذراع، وكان يعجبه، فنهش منه نهشةً، ثم قال: (أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون لم ذلك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الكرب والغم ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم عليه السلام، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسمّاك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله

(١) هكذا في جميع النسخ, قال الهراس: "ولعلها (مع الأمم)".

(٢) زيادة من (ز).

مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم: أنت نبي الله، وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى: أنت رسول الله، فضلك برسالاته، وبتكليمه على الناس، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أُومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى ابن مريم، فيأتون عيسى ابن مريم، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا، فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ.

فيأتوني، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم قال: يا محمد: ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: رب أمتي أمتي، ثلاث مرات، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه، من الباب الأيمن، من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، قال: والذي نفسي بيده: إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى)[1]

(١) متفق عليه: البخاري: (١٧٤٥/٤) ح (٤٤٣٥) ومسلم: (٦٦/٣) ح (١٩٤).

٤٥– باب: ذكر الدليل أن هذه الشفاعة التي وصفنا أنها أول الشفاعات هي التي يشفع بها النبي ﷺ ليقضي الله بين الخلق، فعندها يأمره الله –عزَّ وجلَّ– أن يُدخل من لا حساب عليه من أمته الجنة من الباب الأيمن، فهو أول الناس دخولاً الجنة من المؤمنين. [هـ٢٤٤/ ش٥٩٦/ ز٥١٢/ ق٤١٢]

١١١– [عن] عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم) وقال: (إن الشمس تدنو، حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم –عليه السلام– فيقول: لست بصاحب ذلك، ثم بموسى فيقول كذلك، ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة، فيومئذٍ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم)(١).

١١٢– عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (للأنبياء منابر من ذهب، فيجلسون عليها قال: ويبقى منبري، لا أجلس عليه ولا أقعد عليه، قائم بين يدي ربي مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول الله عزَّ وجلَّ: يا محمد ما تريد أن نصنع بأمتك؟ فأقول: يا رب عجل حسابهم، فيدعى بهم فيحاسبون، فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي، فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكاً برجال قد بعث بهم إلى النار، وحتى إن مالكاً –خازن النار– يقول: يا محمد ما تركت للنار لغضب ربك في أمتك من نقمة)(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٦/٢) ح (١٤٠٥) وفيه: "فيأخذ بحلقة الباب" وأخرج مسلم الطرف الأول منه: (١٣٦/٧) ح (١٠٤٠).

(٢) حديث منكر، أخرجه الطبراني في الكبير (٣١٧/١٠) ح (١٠٧٧١) والحاكم في مستدركه (١٣٥/١) ح (٢٢٠) وأورده الهيثمي في المجمع (٣٨٠/١٠) وقال: "رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه محمد بن ثابت البناني، وهو ضعيف" وقال الذهبي: " ضعفه غير واحد – يعني محمد بن ثابت البناني– والحديث منكر". قلت: لم أحذفه من هذا =

٤٦– باب ذكر البيان أن هذه الشفاعة التي ذكرت أنها أول الشفاعات

إنما هي قبل مرور الناس على الصراط حين تزلف الجنة، فإن الله قال: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الشعراء: ٩٠) [هـ٢٤٥/ ش٦٠٠/ ز٥١٦/ ق٤١٥]

١١٣– عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وعن ربعي بن حراش[١] عن حذيفة قالا: قال رسول الله ﷺ: (يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون، حين تزلف الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم؟ لست بصاحب ذلك[٢]، إنما كنت خليلاً من وراء وراء، اعمدوا إلى ابني موسى، الذي كلمه الله تكليماً، فيأتون موسى فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى كلمة الله وروحه عيسى، قال: فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له، وترسل معه الأمانة والرحم، فيقفان على الصراط، يمينه وشماله، فيمر أولكم كمر البرق) قلت: بأبي أنت وأمي: أي شيء مر البرق؟ قال: (ألم تر إلى البرق كيف يمر ثم يرجع في طرفة عين؟ وكمر الريح، ومر الطيور، وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم ﷺ قائم على الصراط، يقول: رب سلّم، سلّم، قال: حتى تعجز أعمال الناس، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع أن يمر إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار).

= التهذيب –رغم أنه ظاهر الضعف– لأن المصنف سيشير إليه في باب (٤٧) مرتين، في أوله وآخره.

(١) في (ش): (خراش).

(٢) زاد مسلم في هذا الموضع: (اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلاً ...) وهي زيادة يقتضيها السياق لأن إبراهيم عليه السلام هو الموصوف بالخلّة. ولهذا قال الشيخ الهراس: "الكلام هنا فيه سقط كبير، فإنه لم يذكر نوحاً، ولا ذهابهم لإبراهيم، وإنما ذكر ردُّه عليهم".

والذي نفس أبي هريرة بيده: إن قعر جهنم لسبعين خريفاً[1].

٤٧- باب ذكر البيان: أن للنبي ﷺ شفاعات يوم القيامة في مقام واحد، واحدة بعد أخرى. [ﻫ٢٤٦/ ش٦٠٢/ ز٥١٨/ ق٤١٧]

أولها: ما ذكر في خبر أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه[2]، وخبر ابن عمر[3]، وابن عباس[4].

وهي شفاعته لأمته ليخلصوا من ذلك الموقف، وليعجل الله حسابهم ويقضي بينهم، ثم ما بعدها من الشفاعات في ذلك الموقف إنما هي لإخراج أهل التوحيد من النار بشفاعته، فرقة بعد أخرى، وعوداً بعد بدء.

ونذكر خبراً مختصراً حذف منه أول المتن، كما حذف في خبر أبي هريرة رضي الله عنه وابن عمر آخر المتن، واختُصر الحديث اختصاراً. قال النبي ﷺ: (واختصر لي الحديث اختصاراً)[5] فأصحاب النبي ﷺ ربما اختصروا أخبار النبي ﷺ إذا حدثوا بها، وربما اقتصُّوا الحديث بتمامه، وربما كان اختصارٌ بعد الإخبار[6]، أو بعض السامعين يحفظ بعض الخبر ولا يحفظ جميع الخبر، وربما نسي بعد الحفظ بعض المتن، فإذاجمعت الأخبار كلها عُلم حينئذٍ جميع المتن[7]،

(١) أخرجه مسلم (٧٠/٣) ح (١٩٥).

(٢) تقدم برقم (١١٠).

(٣) تقدم برقم (١١١).

(٤) تقدم برقم (١١٢).

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٤/٤) ح (١٣٦٧) من حديث عمر بن لبخطاب رضي الله عنه، وقال المحقق: "إسناده ضعيف" وأورده الهيثمي في المجمع (١٧٣/١، ١٨٢) وقال: "رواه أبو يعلى، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي ضعفه أحمد وجماعة". [وينظر: تحقيق القفيلي لكتاب التوحيد (٤١٧)].

(٦) في (ش) و (ق) هكذا: " بعض الأخبار" والمثبت من (ﻫ) و (ز).

(٧) في (ﻫ) و (ش) زيادة: (والسند).

واستُدِلَّ ببعض المتن على بعض، كذكرنا أخبار النبيﷺ في كتبنا، نذكر المختصر منها والمتقصى منها، والمجمل والمفسر، فمن لم يفهم هذا الباب لم يحل له تعاطي علم الأخبار، ولا ادعاءها.

١١٤– [عن] شعبة قال: ثنا قتادة عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: (يجمعون يوم القيامة فيوهمون[١] لذلك، قال: فيقولون: ألا نأتيَ من يشفع لنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا هذا؟ قال: فيأتون آدم، فيقولون: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسكنك جنته، اشفع لنا إلى ربك، قال: فيقول: لست هناك، ويذكر خطيئته، ولكن ائتوا نوحاً، أول نبي بعثه الله إلى العالمين فيأتون نوحاً، فيقولون: انطلق فاشفع لنا إلى ربك، قال: فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ولكن ائتوا إبراهيم –عليه السلام– عبداً اتخذه الله خليلاً، قال: فيأتون إبراهيم فيقولون: انطلق فاشفع لنا إلى ربك، قال: فيقول: لست هناكم –ويذكر ثلاث كذبات– ولكن ائتوا موسى عبداً كلمه الله تكليماً، قال: فيأتون موسى فيقولون: انطلق فاشفع لنا إلى ربك، قال: فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته وعبده ورسوله، فيأتون عيسى فيقولون: انطلق فاشفع لنا إلى ربك، قال: فيقول: لست هناكم –ولا يذكر خطيئته– ولكن ائتوا محمداً ﷺ، عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: فيأتوني، فأقوم فآخذ بحلقة الباب، فأستأذن فيؤذن لي، فإذا رأيته وقعت ساجداً، قال: فيقول: ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه، قال: فيخرج لي حدّاً من النار، ثم أقع ساجداً، فيقول لي: ارفع رأسك وقل: يسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه، قال: فيخرج لي حداً من النار، حتى أقول: يا رب إنه لم يبق في النار إلا من حبسه القرآن)[٢].

(١) ينظر التعليق في الحديث الذي يليه. ووقع في (ق): "فيهتمون بذلك" وأشار المحقق إلى أنه أثبتها من إتحاف المهرة.

(٢) ينظر ما بعده.

وقال: رسول الله ﷺ: (إن لكل نبي دعوة، قد دعا بها في أمته، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة...)[1].

١١٥- عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ (يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيهتمون لذلك، أو يلهمون به[2] فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا عز وجل فأراحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك، حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم ذنبه الذي أصابه، فيستحيي[3] ربه من ذلك، ولكن ائتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً، فيقول: لست هناكم ويذكر سؤاله[4] ربه ما ليس له به علم، فيستحيي ربه من ذلك، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا موسى، عبداً كلمه الله، وأعطاه التوراة، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر قتله للنفس بغير نفس، فيستحيي ربه من ذلك، ولكن ائتوا عيسى، عبد الله ورسوله، وكلمة الله وروحه، فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأنطلق)

قال الحسن: (فأمشي بين سماطين[5] من المؤمنين) ثم رجع إلى حديث

---

(١) هكذا عند المصنف جاء مع حديث أنس الطويل في سياق واحد، وقد جاء عند غيره – كالبخاري ومسلم- مستقلاً، وسيورده المصنف على هذا الوجه، كما سيأتي.

(٢) قال النووي في شرحه على مسلم (٣/٥٤): "معنى اللفظتين متقارب، فمعنى الأولى: أنهم يعتنون بسؤال الشفاعة وزوال الكرب الذي هم فيه، ومعنى الثانية: أن الله تعالى يلهمهم سؤال ذلك".

(٣) في (هـ) و (ش): "فيستحي) في جميع المواضع من هذا الحديث، والمثبت من (ز) و (ق).

(٤) في (هـ) و (ش): "سؤالاته" والمثبت من (ز) و (ق).

(٥) السِّماط: الجماعة من الناس والنخل، والمراد به في الحديث هنا: الجماعة من المؤمنين عن =

أنس[١]. (فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل يسمع وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد (ربي)[٢]بتحميد يعلمنيه، فأشفع، فيحد لي حدّاً، فيدخلهم الجنة، ثم أعود الثانية، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل يسمع، سل تعطه، واشفع تشفع فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع، فيحد لي حدّاً، فيدخلهم الجنة، ثم أعود في الثالثة، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل يسمع، سل تعطه، اشفع تشفع فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع، فيحد لي حدّاً، فيدخلهم الجنة، ثم آتيه الرابعة –أو أعود الرابعة– فأقول: يارب ما بقي إلا من حبسه القرآن)[٣].

قال أبو بكر: قوله في هذا الخبر–أعني خبر شعبة في أول ذكر الشفاعة[٤]: (فيخرج لي حدّاً من النار) دال على أن الشفاعة ليست الشفاعة الأولى التي في خبر أبي هريرة رضي الله عنه[٥] ليخلصوا من ذلك الموقف الذي ذكر في خبر ابن عمر[٦] أنه سأل ربه عز وجل أن يقضي بين الخلق، وفي خبر ابن عباس[٧]: أنه

= جانبيه، أي: فأمشي بين صفين من المؤمنين. [ينظر: النهاية (٢/٤٠١)].

(١) يعني من طريق قتادة، والحسن هو البصري، وهو ممن يروي هذا الحديث عن أنس كما سيأتي في حديث رقم (١٤٠).

(٢) زيادة من (ز).

(٣) متفق عليه: البخاري: (٤/١٦٢٤) ح (٤٢٠٦) ومسلم: (٣/٥٤) ح (١٩٣).

(٤) هو حديث رقم (١١٤).

(٥) هو حديث رقم (١١٠).

(٦) هو حديث (١١١).

(٧) هو حديث (١١٢).

سأل أن يعجل حسابهم ابتداءً، وهو القضاء بينهم.

فمن ذكر أنه يدخل الجنة برحمته هم الذين يدخلون الجنة ممن لا حساب عليهم، الذين ذكرهم في خبر أبي هريرة، وهم الذين يدخلون الجنة من الباب الأيمن، وأعلمَ في خبر ابن عباس أنه يشفع كذلك، ولا يزال يشفع، كما ذكر في الخبر. و"لا يزال" عند العرب لا يكون إلا مرة بعد أخرى، وثالثة بعد ثانية. وفي خبر الحسن عن أنس قال: (ما زلت أشفع) خرجته بعد في باب آخر[1].

وقوله في خبر سعيد بن أبي عروبة: (فيحد لي حدّاً فيدخلهم الجنة) في الابتداء. وقد يجوز أن يكون أراد من ذكرهم في خبر أبي هريرة رضي الله عنه الذين لا حساب عليهم، ممن يدخلون الجنة من الباب الأيمن. ويجوز أن يكون أراد من ذكرهم في رواية شعبة، ممن يخرجون من النار. فإن كان أراد الذي ذكرهم في خبر أبي هريرة، فخبر سعيد منقصاً[2] لأول الحديث وآخره، كخبر ابن عباس رضي الله عنهما، وإن كان أراد من ذكرهم في خبر شعبة ممن يخرجون من النار، فخبر سعيد أيضاً مختصر كرواية شعبة.

٤٨- ذكر البيان أن النبي ﷺ أول شافع وأول مشفَّع، يوم القيامة، وفيه دلالة أن يوم القيامة قد يشفع بعد نبينا غيره على ما سأبينه بعد ذلك، إن شاء الله، إذ غير جائز في اللغة أن يقال: أول لما لا ثاني له بعدُ ولا ثالث. [هـ٢٥٥/ ش٦١٨/ ز٥٤١/ ق٤٣١]

١١٦- عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا أول شفيع في الجنة،

---

(١) سيأتي الحديث برقم (١٣٥).

(٢) في (هـ) و (ش) و (ق) هكذا: "مناقض" وفي (ز): "متقصى"، والمثبت أشار الشيخ أحمد القفيلي -في تحقيقه كتاب التوحيد- إلى وجوده في المخطوطة، قلت: وهو الذي يقتضيه كلام المصنف، وذلك بالنظر إلى ما أشار إليه من هذه الروايات، ويدل عليه أيضاً قوله بعدُ: "فخبر سعيد أيضاً مختصر كرواية شعبة" والله أعلم.

وقال: ما صُدق نبي ما صدقت، وإن من الأنبياء نبي لم يصدقه من أمته إلا رجل واحد)[١].

١١٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفّع)[٢]

قال أبو بكر: والأخبار التي قدمنا ذكرها: (يأتي الناس آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربنا...) الأخبار بطولها، فيها بينا أن نبينا محمداً ﷺ أول شافع وأول مشفّع.

٤٩- باب ذكر شدة شفقة النبي ﷺ ورأفته ورحمته بأمته، وفضل شفقته على أمته على شفقة الأنبياء –صلوات الله وسلامه عليهم– على أممهم.[ه٢٥٦/ ش٦٢٢/ ز٥٤٥/ ق٤٣٣]

إذ الله عز وجل أعطى كل نبي دعوة وعد إجابتها، فعجل[٣] كل نبي منهم ﷺ مسألته فأعطى سؤله في الدنيا، وأخر نبينا ﷺ دعوته ليجعلها شفاعة لأمته، لفضل شفقته ورحمته ورأفته بأمته، فجزى الله نبينا محمداً ﷺ أفضل ما جزى رسولاً عمن أرسل إليهم، وبعثه المقام المحمود الذي وعده ليشفع فيه لأمته، فإن ربنا –عزَّ وجلَّ– غير مخلف وعده، ومنجز نبيه ﷺ ما أخر من مسألته في الدنيا وقت شفاعته لأمته يوم القيامة.

١١٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، فتستجاب له، فيؤتاها، وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي)[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢/٣) ح (١٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (٤٢/١٥) ح (٢٢٧٨).

(٣) في ش: (فجعل) والمثبت من (ه) و (ز) و (ق).

(٤) أخرجه البخاري (٢٣٢٣/٥) ح (٥٩٤٥) ومسلم (٧٤/٣) ح (١٩٨).

قال أبو بكر: هذه اللفظة التي في هذه الأخبار: (إن لكل نبي دعوة) فيها اختصار كلمة، أي: كانت لكل نبي دعوة.

وقوله في هذه الأخبار: (يدعو بها فتستجاب له) هو من الجنس الذي قد أعلمت في مواضع من كتبي أن العرب قد تقول: يفعل كذا، ويكون كذا، على معنى فعل كذا، وكان كذا، وبيقين يُعلم أن الأنبياء الذين نزلت بهم مناياهم قبل خطاب النبي ﷺ أمته بهذا الخطاب، لو كانت دعواتهم باقية، قد وعد الله استجابتها لهم، لم يكن لقوله ﷺ: (وإني اختبأت دعوتي) معنى.

إذ لو كان الأنبياء قد تركوا دعوتهم قبل نزول المنايا بهم، وأنهم يدعون بها يوم القيامة فتستجاب لهم دعوتهم، لكانوا جميعاً قد أخروا دعوتهم إلى يوم القيامة، فتستجاب لهم دعوتهم في ذلك اليوم، فيكونون جميعاً في الدعوة والإجابة كالنبي ﷺ.

٥٠- باب ذكر الدليل على صحة ما أولتُ قوله: (يدعو بها) أن معناها: قد دعا بها، على ما حكيته عن العرب أنها تقول: "يفعل" في موضع "فعل".[هـ٢٦٠/ ش٦٣٠/ ز٥٥٢/ ق٤٣٨]

١١٩- عن جابر أن النبي ﷺ قال: (إن لكل نبي دعوة دعا بها، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة) وقال زيد مرة: (دعوة يدعو بها، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)(١).

١٢٠- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات منكم لا يشرك بالله شيئاً)(٢).

٥١-باب ذكر ما كان من تخيير الله -عزَّ وجلَّ نبيه محمداً ﷺ بين إدخال

(١) أخرجه مسلم (٧٧/٣) ح (٢٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٥/٣) ح (١٩٩).

نصف أمته الجنة وبين الشفاعة فاختار النبي ﷺ لأمته الشفاعة، إذ هي أعم وأكثر وأنفع لأمته –خير الأمم– من إدخال بعضهم الجنة.[هـ٣٦٣/ ش٦٣٧/ ز٥٥٩/ ق٤٤٣]

١٢١– [عن] عوف بن مالك الأشجعي قال: نزلنا مع رسول الله ﷺ منزلاً فاستيقظت من الليل، فإذا لا أرى في المعسكر شيئاً أطول من مؤخرة رحل، قد لصق كل إنسان وبعيره بالأرض، فقمت أتخلل الناس، حتى دفعت إلى مضجع رسول الله ﷺ، فإذا هو ليس فيه، فوضعت يدي على الفراش فإذا هو بارد، فخرجت أتخلل الناس وأقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذُهب برسول الله ﷺ حتى خرجت من العسكر كله، فنظرت سواداً، فمضيت، فرميت بحجر، فمضيت إلى السواد، فإذا معاذ بن جبل، وأبو عبيدة بن الجراح، وإذا بين أيدينا صوت كدوي الرحى، أو كصوت القصباء حين تصيبها الريح، فقال بعضنا لبعض: يا قوم أثبتوا حتى تصبحوا، أو يأتيكم رسول الله ﷺ، فلبثنا ما شاء الله، ثم نادى (أثمّ معاذ بن جبل، وأبو عبيدة، وعوف بن مالك؟)

فقلنا: –يعني نعم– قال أبو بكر: لم أجد في كتابي: نعم– فأقبل إلينا، فخرجنا نمشي معه لا نسأله عن شيء، ولا يخبرنا، حتى قعدنا على فراشه فقال: (أتدرون ما خيّرني به ربي، الليلة؟) قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: (فإنه خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة) فقلنا: يا رسول الله: ادع الله أن يجعلنا من أهلها، قال: (هي لكل مسلم)[١].

٥٢– باب ذكر الدليل على أن الأنبياء، قبل نبينا محمد ﷺ وعليهم أجمعين، إنما دعا بعضهم فيما كان الله جعل لهم من الدعوة المجابة، سألوها ربهم،

(١) أخرجه ابن ماجه بدون ذكر القصة (٢/١٤٤٤) ح (٤٣١٧) وابن أبي عاصم في السنة (٣٧٦) ح (٨٢٠) وصححه الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه (٣/٤٠٦) ح (٣٥٠٣).

ودعا بعضهم بتلك الدعوة على قومه ليهلكوا في الدنيا.

والدليل على أنه لم يكن أحد منهم أرأف بأمته من نبينا محمد ﷺ تسليمًا، لأنه اختبأ دعوته، شفاعة لأمته، يوم القيامة.

[هـ٢٦٩/ ش٦٤٩/ ز٥٧٠/ ق٤٥٣]

١٢٢- عن عبدالرحمن ابن أبي عقيل الثقفي قال: قدمت على رسول الله ﷺ في (وفد)[١] ثقيف فعلقنا طريقاً من طرق المدينة حتى أنخنا بالباب، وما في الناس رجل أبغض إلينا من رجل نلج عليه منه، فدخلنا وسلمنا وبايعنا، فما خرجنا من عنده حتى ما في الناس رجل أحب إلينا من رجل خرجنا من عنده، فقلت له: يا رسول الله، ألا سألت ربك مُلْكاً كملك سليمان؟ فضحك وقال: (فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان، إن الله لم يبعث نبيًا إلا أعطاه الله دعوة، فمنهم من اتخذ بها دنيا فأعطيها، ومنهم من دعا بها على قومه فأهلكوا بها، وإن الله تعالى أعطاني دعوة فاختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة)[٢].

٥٣- باب ذكر لفظة رويت عن النبي ﷺ في ذكر الشفاعة، حسبت المعتزلة والخوارج وكثير من أهل البدع وغيرهم -لجهلهم بالعلم وقلة معرفتهم بأخبار النبي ﷺ- أنها تضاد قول النبي ﷺ عند ذكر الشفاعة (إنها لكل مسلم) وليست كما توهم هؤلاء الجهال بحمد الله ونعمته، وسأبين بتوفيق خالقنا عز وجل أنها ليست متضادة.[هـ٢٧٠/ ش٦٥٠/ ز٥٧٣/ ق٤٥٥]

١٢٣- عن أنس، عن النبي ﷺ قال: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[٣].

---

(١) سقطت من (ش).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٧٩) وقال الألباني: "حديث صحيح" وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/٣٧١) وقال: "رواه الطبراني والبزار، ورجالهما ثقات".

(٣) أخرجه الترمذي (تحفة٧/١٢٧) ح (٢٥٥٢) وأبو داود (عون١٣/٥١) ح (٤٧٢٦) =

١٢٤– عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبدالله، أن النبيﷺ قال: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) وقال لي جابر: يا محمد من لم يكن من أهل الكبائر فما له والشفاعة[١].

قال أبو بكر: قوله ﷺ في ذكر الشفاعة –في الأخبار التي قدمناها في الباب قبل هذا الباب[٢]–: (هي لكل مسلم) يريد أني أشفع لجميع المسلمين في الابتداء: للنبيين، والشهداء، والصالحين وجميع المسلمين، فيخلصهم الله من الموقف الذي قد أصابهم فيه من الغم والكرب ما قد أصابهم في ذلك الموطن، ليقض الله بينهم ويعجل حسابهم على ما قد بُيِّن في الأخبار التي قد أمليتها بطولها. فأما قوله: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) فإنما أراد شفاعتي بعد هذه الشفاعة التي قد عمَّت جميع المسلمين، هي شفاعة لمن قد أدخل النار من المؤمنين بذنوب وخطايا قد ارتكبوها، لم يغفرها الله لهم في الدنيا، فيخرجوا من النار بشفاعته.

فمعنى قولهﷺ: (شفاعتي لأهل الكبائر) أي: من ارتكب من الذنوب الكبائر، فأدخلوا النار بالكبائر، إذ الله عزَّ وجلَّ وعد تكفير الذنوب الصغائر باجتناب الكبائر، على ما قد بينت[٣]، في قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (النساء: من الآية٣١) وقد سأل رسول اللهﷺ خالقه وبارءه

= وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه" وصححه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٩٤) ح (١٩٨٣).

(١) أخرجه الترمذي (تحفة٧/١٢٨) ح (٢٥٥٣) والحاكم (١/١٤٠) ح (٢٣٢) وقال الترمذي: "هذا حديث غريب من هذا الوجه" وصحح الألباني المرفوع منه كما في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٩٤) ح (١٩٨٣).

(٢) يعني باب: (٥١).

(٣) في بعض النسخ: "ثبت".

–عزَّ وجلَّ– أن يوليه شفاعةً فيمن سفك بعضهم دماء بعض من أمته، فأجيب إلى مسألته وطلبه(١).

وسفكُ دماء المسلمين من أعظم الكبائر، إذا سُفكت بغير حق، ولا كبيرة –بعد الشرك بالله والكفر– أكبر من هذه الحوبة.

١٢٥– عن أم حبيبة عن النبيﷺ أنه قال: (أُرِيْتُ ما تَلْقَى أمتي بعدي، وسفك بعضهم دماء بعض، وسبق ذلك من الله كما سبق على الأمم قبلهم، فسألته أن يوليني شفاعةً يوم القيامة فيهم، ففعل)(٢).

٥٤– باب ذكر الدليل على أن النبيﷺ إنما أراد بالكبائر في هذا الموضع ما هو دون الشرك من الذنوب. [هـ٢٧٣/ ش٦٥٨/ ز٥٧٩/ ق٤٦٠]

إن النبي ﷺ قد أخبر أن الشرك أكبر الكبائر، فمعنى قوله: (لأهل الكبائر من أمتي) إنما أراد: أمته الذين أجابوه فآمنوا به وتابوا من الشرك.

إذ اسم الأمة قد يقع على من بعث إليه أيضاً، أي: إنهم أمته الذين بعث إليهم، ومن آمن وتاب من الشرك فهم أمته في الإجابة، بعد ما كانوا أمته في الدعوة إلى الإيمان، ذكره في خبر الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ: (فهي نائلة إن شاء الله من مات منهم لا يشرك بالله شيئاً)(٣).

٥٥– باب ذكر البيان: أن شفاعة النبيﷺ التي ذكرتُ أنها لأهل الكبائر، وهي على ما تأولتُه، وأنها لمن قد أُدخل النار من غير أهل النار، والذين هم

---

(١) كما في الحديث الآتي.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/١٣٨) ح (٢٢٧) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٥٨) ح (٨٠٠) وقال الألباني: "إسناده صحيح على شرط البخاري".

(٣) تقدم برقم (١٢٠).

أهلها، أهل الخلود فيها، بل لقوم من أهل التوحيد ارتكبوا ذنوبا وخطايا، فأدخلوا النار ليصيبهم سفعًا منها.[هـ٢٧٤/ ش٦٥٩/ ز٥٨٠/ ق٤٦١]

١٢٦- عن أبي سعيد الخدري، عن النبيﷺ قال: (إن أهل النار الذين هم أهل النار، لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكنها تصيب أقواماً بذنوبهم وخطاياهم، حتى إذا ما صاروا فحماً أذن في الشفاعة، قال: فيخرجون ضبائر[١]، فيلقون على أنهار الجنة فيقال: يا أهل الجنة، أهريقوا عليهم من الماء، فينبتون كما تنبت الحبة[٢] في حميل السيل[٣])[٤].

١٢٧- عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ قال: (ليصيبن قومًا سفعة من النار بذنوب عملوها، ثم يدخلهم الله الجنة، يقال لهم: الجهنميون)[٥].

١٢٨- عن عمران عن النبي ﷺ قال: (ليخرجن قوم من النار بالشفاعة يسمون: الجهنميون)[٦].

١٢٩- قال حماد بن زيد: قلت لعمرو بن دينار: أسمعت جابر بن عبدالله يحدث عن النبي ﷺ: (إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة)؟ قال: نعم[٧].

٥٦- باب ذكر إرضاء الله تعالى نبيه محمداً ﷺ في الشفاعة يوم القيامة،

(١) أي: جماعات، واحدها: ضبارة، مثل: عمارة وعمائر. [ينظر: النهاية (٣/٧١)].

(٢) الحِبة بالكسر: بذور البقول، وحب الرياحين، وقيل: هو نبت صغير ينبت في الحشيش. [النهاية (١/٣٢٦)].

(٣) هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره، فعيل بمعنى مفعول، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شطّ مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبّه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها. [النهاية (١/٤٤٢)].

(٤) أخرجه مسلم (٣/٣٩) ح (١٨٥).

(٥) أخرجه البخاري (٦/٢٧١١) ح (٧٠١٢).

(٦) أخرجه البخاري (٥/٢٤٠١) ح (٦١٩٨).

(٧) متفق عليه: البخاري (٥/٢٣٩٩) ح (٦١٩٠) ومسلم (٣/٥١) ح (١٩١).

مرة بعد أخرى، حتى يقر بأنه قد رضي بما قد أعطى في أمته من الشفاعة. [هـ٢٧٩/ ش٦٧٢/ ز٥٩٣/ ق٤٧٠]

١٣٠- [عن] حرب بن سريج البزار، قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: جعلت فداك، أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق، أحق هي؟ قال: شفاعة ماذا؟ قال: شفاعة محمد ﷺ، قال: حق والله، أي والله، حدثني عمي محمد بن علي ابن الحنفية، عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال: (أشفع لأمتي، حتى يناديني ربي فيقول: أرضيت يا محمد؟ فأقول: رب رضيت) ثم أقبل علي فقال: إنكم تقولون معشر أهل العراق: إن أرجى آية في كتاب الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ قرأ إلى قوله: ﴿جَمِيعاً﴾ (الزمر: من الآية٥٣) قلت: إنا لنقول ذلك. قال: ولكنا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الضحى:٥) [(١)].

٥٧- باب ذكر البيان: أن من قضى الله عز وجل إخراجهم من النار من أهل التوحيد بالشفاعة يصيرون فيها فحما، يميتهم الله فيها إماتة واحدة، ثم يؤذن بعد ذلك في الشفاعة، وصفة إحياء الله إياهم بعد إخراجهم من النار وقبل دخولهم الجنة بلفظة عامة مرادها خاص. [هـ٢٧٩/ ش٦٧٤/ ز٥٩٥/ ق٤٧١]

٥٨- باب ذكر البيان أن هؤلاء الذين ذكروا في هذه الأخبار أنهم يخرجون من النار، فيدخلون الجنة، إنما يخرجون من النار بالشفاعة.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٠٧/٢) ح (٢٠٦٢) وأورد المرفوع منه الهيثمي في المجمع (٣٧٧/١٠) وقال: "رواه البزار والطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن أحمد بن زيد المداري ولم أعرفه، وبقية رجاله وُثقوا على ضعف في بعضهم" وأورده الشيخ مقبل الوادعي في كتابه: الشفاعة (١٠٠) ح (٦٨) وحكم عليه بالضعف.

في خبر ابن علية: (أذن بالشفاعة فجيئ بهم)(١). [ه٢٨٢/ ش٦٧٨/ ز٦٠٠/ ق٤٧٦]

٥٩- باب(٢) ذكر البيان: أن من قضى الله إخراجهم من النار من أهل التوحيد الذين ليسوا بأهل النار أهل الخلود فيها يموتون فيها إماتة واحدة، تميتهم النار إماتة، ثم يخرجون منها، فيدخلون الجنة، لا أنهم يكونون أحياء يذوقون العذاب، ويألمون من حرِّ النار حتى يخرجوا منها. [ه٢٨٦/ ش٦٨٥/ ز٦٠٨/ ق٤٨٢]

١٣١- [عن] ابن عُلَيَّة عن سعيد بن يزيد عن أبي نَضْرة، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون ولا يحيون، ولكن أناس -أو كما قال- تصيبهم النار بقدر ذنوبهم -أو كما قال: خطاياهم- فيميتهم الله إماتة، حتى إذا صاروا فحما أذن في الشفاعة، فجيئ بهم، ضَبَائر ضَبَائر، فبُثوا على أنهار الجنة، فيقال: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، قال: فينبتون كما تنبت الحبَّة في حَمِيل السيل) فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية(٣)

١٣٢- حدثنا أبو موسى، ومحمد بن بشار، قالا: ثنا سالم بن نوح عن الجُرَيْري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (أما أهل النار الذين هم أهل النار لا يموتون فيها ولا يحيون، وأما الذين يريد الله إخراجهم منها، فتميتهم النار إماتة، حتى يكونوا فحما، ثم يخرجون ضَبَائر،

---

(١) هو الحديث الآتي.

(٢) هذه الأبواب جعلتها على التوالي لأن دليلها واحد، والفصل بينها يفضي إلى تكرار ذلك الدليل، كما أن الباب الثالث -رقم (٦٠)- هو في الأصل بعد الباب الذي يليه، وقد قدمته لاتحاد دليله مع هذين البابين.

(٣) أخرجه مسلم، وقد تقدم برقم (١٢٦).

فيلقون على أنهار الجنة، ويرش عليهم من مائها، فينبتون كما تنبت الحِبّة، في حميل السيل). قال بندار: (بفناء الجنة)[1] وقال أبو موسى: (فيدخلون الجنة) وقالا جميعاً: (فيسميهم أهل الجنة الجهنميون، فيدعون الله فيذهب ذلك الاسم عنهم)[2].

قال أبو بكر: قد كنت أحسب زماناً أن الاسم لا يقع على مثل هذه اللفظة. كنت أحسب زماناً أن هذا من الصفات لا من الأسامي.

كنت أحسب أنَّ غير جائز أن يقال لأهل المحلة: أنَّ هذا اسم لهم، وأن أهل المدينة، أو أهل قرية كذا، أو أصحاب السجون، إيقاع الاسم على مثل هذا. لأنه محال عندي –في قدر ما أفهم من لغة العرب– أن يقال: أهل كذا اسمهم أهل قرية كذا، أو أهل مدينة كذا، وإن اسم أهل السجون، هذه صفات أمكنتهم. والاسم اسم الآدميين كمحمد وأحمد، والحسن والحسين، وغير ذلك.

وقد أوقع في هذا الخبر الاسم على الجهنميين، يسمون الجهنميون نسبة لسان العرب. وقد كنت أعلمت أصحابي مذ دهر طويل أن الأسامي إنما وضعت بمعنيين: أحدهما: للتعريف، ليُعرف الفرق بين عبدالله وعبدالرحمن، ويُعلم مَن محمد، ومَن أحمد، ومَن الحسن ومَن الحسين، فيفرق بين الاثنين، وبين الجماعة بالأسامي. وهذه الأسامي ليست من أسماء الحقائق، وقد يسمى المرء حسنا وهو قبيح، ويسمى محمود وهو مذموم، ويسمى المرء صالح وهو طالح.

والمعنى الثاني، هو أسامي الصفات على الحقائق، إذا كان المرء صالحا، فقيل: هذا صالح، فإنما يراد صفته (التي هي صفته)[3] على الحقيقة، كذلك إنما

---

(١) في (هـ) و (ش): (يعني: الحبة)، والمثبت من (ز) وأشار الشهوان إلى أنها كذلك في بعض النسخ. وبندار هو: محمد بن بشار.

(٢) ينظر ما قبله.

(٣) زيادة من (ز).

يقال لمحمود المذهب: فلان محمود على هذه الصفة، كذلك يقال للعالم: عالم، وللفقيه: فقيه، وللزاهد: زاهد، هذه أسامي على الحقائق وعلى الصفات.

٦٠- باب ذكر الدليل على أن النبي ﷺ إنما أراد بقوله: (فيصيرون فحماً) أي: أبدانهم خلا صورهم وآثار السجود منهم. [هـ٢٨٤/ ش٦٨٢/ ز٦٠٤/ ق٤٧٩] إن الله -عزَّ وجلَّ- حرم على النار أكل أثر السجود من أهل التوحيد بالله، فنعوذ به من النار وعذابها.

١٣٣- [عن] أبي هريرة رضي الله عنه، أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ ... فذكر الحديث بطوله وقال: (حتى إذا أراد رحمة من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجوهم، ويعرفوهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار وقد امتحشوا[1]، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل بين الجنة والنار، وهو آخر أهل الجنة دخولا ...) ثم ذكر باقي الحديث[2].

١٣٤- عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا خلص المؤمنون من النار، فأَمِنوا[3]، فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا بأشد من مجادلة المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أُدخلوا النار.

قال: يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا ويحجون معنا، فأدخلتهم النار، فيقول: اذهبوا فأخرجوا من قد عرفتم، فيأتونهم، فيعرفونهم بصورهم، لا تأكل النار صورهم ...) فذكر الحديث بطوله[4].

---

(١) أي: احترقوا، والمحش: احتراق الجلد وظهور العظم. [النهاية (٣٠٢/٤)].

(٢) تقدم برقم (١٠٦).

(٣) في (ش): (فأمثوا)، والتصحيح من (هـ) و (ز).

(٤) أخرجه النسائي (٤٨٦/٨-٤٨٧) ح (٥٠٢٥) وابن ماجة في المقدمة (٢٣/١) ح (٦٠) =

٦١- باب ذكر خبر روى عن النبي ﷺ في إخراج شاهد أن لا إله إلا الله من النار.[ه٢٨٩/ ش٦٩٣/ ز٦١٥/ ق٤٨٧] أفْرَقُ أن يسمع به بعض الجهال، فيتوهم أن قائله بلسانه من غير تصديق قلب يخرج من النار، جهلاً، وقلة معرفة بدين الله وأحكامه، ولجهله بأخبار النبي ﷺ مختصرها ومتقصاها. وأنا لتوهم بعض الجهال أن شاهد لا إله إلا الله من غير أن يشهد أن لله رسلاً وكتباً، وجنة، ونارا، وبعثا وحسابا يدخل الجنة أشد فَرَقاً، إذ أكثر أهل زماننا لا يفهمون هذه الصناعة، ولا يميزون بين الخبر (المختصر، وبين الخبر المتقصى، فيحتجون بالخبر المختصر، ويَدَعون الخبر المتقصى)[١]، وربما خفي عليهم الخبر المتقصى، فيحتجون بالخبر المختصر، يترأسون قبل التعلم، قد حرموا الصبر على طلب العلم، ولا يصبروا حتى يستحقوا الرياسة فيبلغوا منازل العلماء.

١٣٥- عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: (ما زلت أشفع إلى ربي ويشفعني حتى قلت: أي ربي شفعني فيمن قال لا إله إلا الله، فقال: يا محمد هذه ليست لك ولا لأحد، وعزتي وجلالي ورحمتي لا أدع في النار أحداً قال: لا إله إلا الله)[٢].

٦٢- باب ذكر البيان: أن النبي ﷺ يشفع للشاهد لله بالتوحيد، الموحد لله بلسانه إذا كان مخلصاً ومصدقاً بذلك بقلبه، لا لمن تكون شهادته بذلك منفردة عن تصديق القلب. [ه٢٩٠/ ش٦٩٦/ ز٦١٨/ ق٤٩١]

١٣٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله من أسعد

= وصححه الألباني كما في صحيح سنن النسائي (٣/١٠٣١) ح (٤٦٣٧).

(١) في (ه) و (ش): "ولا يميزون بين الخبر المتقصى وغيره، وربما خفي ..." وما بين القوسين زيادة من (ز)، وأشار الشهوان إلى وجودها في بعض النسخ.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٨٢) ح (٨٢٨) وقال الألباني: "حديث صحيح" وأخرجه مسلم بمعناه في حديث الشفاعة الطويل (٣/٦٢-٦٥) ح (١٩٣).

الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال النبي ﷺ: (لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من نفسه)(١).

٦٣– باب ذكر خبر دال على صحة ما تأولتُ: إنما يخرج من النار شاهد أن لا إله إلا الله، إذا كان مصدقا بقلبه بما شهد به لسانه، إلا أنّه كنى عن التصديق بالقلب بالخير. فعاند بعض أهل الجهل والعناد، وادَّعى أنَّ ذِكر الخير في هذا الخبر ليس بإيمان، قلة علم بدين الله وجرأة على الله في تسمية المنافقين مؤمنين. [هـ٢٩٢/ ش٦٩٩/ ز٦٢٥/ ق٤٩٤]

١٣٧– عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: (يقول الله: أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، أخرجوا من النار من قال لا إله إلا اله، وفي قلبه من الخير ما يزن برة، أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه من الخير ما يزن دودة، أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه من الخير ما يزن ذرة)(٢).

١٣٨– عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج منها من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج منها من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة)(٣).

٦٤– باب ذكر الأخبار المصرحة عن النبي ﷺ أنه قال: إنما يخرج من النار من كان في قلبه في الدنيا إيمان دون من لم يكن في قلبه في الدنيا إيمان، ممن

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠٢/٥) ح (٦٢٠١).

(٢) أخرجه أحمد (٣٧٣/٢١) ح (١٣٩٢٨) وابن منده في الإيمان (٨٤٠/٢) ح (٨٧٢) وأخرجه بلفظ مقارب البخاري ومسلم كما في الحديث الذي بعده.

(٣) أخرجه البخاري (٢٤/١) ح (٤٤) ومسلم (٦٠/٣) ح (١٩٣).

كان يقر بلسانه بالتوحيد، خالياً قلبه من الإيمان، مع البيان الواضح أن الناس يتفاضلون في إيمان القلب، ضد قول من زعم من غالية المرجئة أن الإيمان لا يكون في القلب.

وخلاف قول من زعم من غير المرجئة أن الناس إنما يتفاضلون في إيمان الجوارح، الذي هو كسب الأبدان، فإنهم زعموا أنهم متساوون في إيمان القلب الذى هو التصديق، وإيمان اللسان الذى هو الإقرار، مع البيان أن للنبي ﷺ شفاعات يوم القيامة، على ما قد بينتُ قبلُ، لا أن له شفاعة واحدة فقط. [ه٢٩٣/ ش٧٠٢/ ز٦٢٩/ ق٤٩٧]

١٣٩- عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: (يدخل أهل الجنة الجنة، يُدْخِل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، قال: فيخرجون منها حمماً قد امتحشوا، فيُلقون في نهر الحياة أو الحيا، فينبتون كما تنبت الحبّة أو الحبّة – شك الربيع – إلى جانب السيل) قال رسول الله ﷺ: (ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية)(١).

قال أبو بكر: ليس خبر قتادة عن أنس: (أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه من الخير ما يزن برة) خلاف هذه الأخبار التي فيها: (في قلبه من الإيمان ما يزن كذا) إذ العلم محيط أن الإيمان من الخير لا من الشر، ومن زعم من الغالية المرجئة أنَّ ذِكر الخير في هذا الخبر ليس بإيمان، كان مكذبا لهذه الأخبار التي فيها: (أخرجوا من النار من كان في قلبه من الإيمان كذا) فيلزمهم أن يقولوا: هذه الأخبار كلها غير ثابتة، أو يقولوا: إن الإيمان ليس بإيمان، أو يقولوا: إن الإيمان ليس بخير، وما ليس بخير فهو شر، ولا يقول مسلم: إن الإيمان ليس بخير، فافهمه لا تغالط.

---

(١) متفق عليه: البخاري (١/١٦) ح (٢٢) ومسلم (٣/٣٧) ح (١٨٤).

١٤٠- [عن] معبد بن هلال العنزي، قال: انطلقنا إلى أنس بن مالك في زمن الثمرة، ومعنا ثابت البناني لهذا الحديث، فاستأذن ثابت، فأذن لنا، ودخلنا عليه، وأجلس ثابتاً معه على سريره، أو قال: على فراشه، قال: فقلت لأصحابنا: لا تسألوه عن شيء إلا عن هذا الحديث، فإنا خرجنا له، قال ثابت: يا أبا حمزة، إن إخوانك من أهل البصره، جاءوك يسألونك عن حديث رسول الله ﷺ في الشفاعة، فقال: نعم، حدثنا محمد رسول الله ﷺ، قال: (إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض قال: فَيُؤتى آدم عليه السلام، فيقال: ياآدم، اشفع في ذريتك قال: فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم، فإنه خليل الله، فَيُؤتى إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم الله، فيؤتى موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى، فإنه روح الله وكلمته، فيؤتى عيسى، فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمدﷺ، فأوتى، فأقول: أنا لها فأنطلق، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي عليه، فأقوم بين يديه، ويلهمني محامد لا أقدر عليها الآن، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر ساجداً، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، قال: فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه – إما أن قال: مثقال برة، وإما أن قال: مثقال شعيرة – من الإيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أعود، فأحمده بتلك المحامد، وأخرّ ساجدا، قال: فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، قال: فيقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة خردل من الإيمان فأخرجه من النار – ثلاث مرّات – فأنطلق، فأفعل).

قال معبد: فأقبلنا حتى إذا كنّا بظهر الجبّان، قلت: لو ملنا إلى الحسن وهو مستخف في منزل أبي خليفة، قال: فدخلنا عليه، فقلنا: يا أبا سعيد، جئنا من عند أخيك أبي حمزة، وحدثناه حتى إذا فرغنا، قال: ما حدثكم إلا بهذا؟ قلنا: ما

زادنا على هذا، قال: فقال الحسن: لقد حدثني منذ عشرين سنة، فما أدري أنسي الشيخ، أم كره أن يحدثكم فتتكلوا، قال: فقالوا: يا أبا سعيد حدّثنا، فضحك، قال: خلق الإنسان عجولا، إني لم أذكره إلا وأنا أُريد أن أحدثكموه، حدثني كما حدثكم منذ عشرين سنة ثم قال: (فأقوم الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجدا، قال: فيقال لي: ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، قال: فأرفع رأسي، فأقول: ياربي ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، قال فيقال: ليس لك ذلك، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله)[1].

٦٥- باب ذكر البيان أن المقام الذي يشفع فيه النبي ﷺ لأمته هو المقام المحمود الذي وعده الله عز وجل في قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ (الإسراء: من الآية٧٩). وهذه اللفظة عندي من الجنس الذي قال بعض العلماء: (عسى) من الله واجب، لا على الشك والارتياب مما يجوز ألا يكون. [هـ٣٠٥/ ش٧٢٤/ ز٦٥٢/ ق٥١٥]

١٤١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ قال: (هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي)[2].

١٤٢- عن ابن عباس في قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ قال: المقام المحمود مقام الشفاعة[3].

(١) متفق عليه: البخاري (٢٧٢٧/٦) ح (٧٠٧٢) ومسلم (٦٢/٣) ح (١٩٣).

(٢) أخرجه الترمذي (تحفة٥٧٢/٨) ح (٥١٤٥) وابن أبي عاصم في السنة (٣٥٠) ح (٧٨٤) وقال الترمذي: "هذا حديث حسن" وصححه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي (٦٨/٣) ح (٢٥٠٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٤/١٥) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٢٠/٩) إلى الطبري والطبراني وابن مردويه، وفيه رشدين بن كريب، وهو ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب (٣٠١/١).

١٤٣- [عن] عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (ما يزال الرجل يسأل، حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم) وقال: (إن الشمس تدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبيناهم كذلك استغاثوا بآدم، فيقول: لست صاحب ذلك، ثم بموسى، فيقول كذلك، ثم بمحمد ﷺ فيشفع بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً، يحمده أهل الجمع كلهم)[1].

٦٦- باب ذكر الدليل أن جميع الأخبار التي تقدم ذكري لها إلى هذا الموضع في شفاعة النبي ﷺ في إخراج أهل التوحيد من النار إنما هي ألفاظ عامة مرادها خاص . [هـ٣٠٦/ ش٧٢٧/ ز٦٥٧/ ق٥١٨]

قوله: (أخرجوا من النار من كان في قلبه وزن كذا من الإيمان) أن معناه: بعض من كان في قلبه قدر ذلك الوزن من الإيمان، لأن النبي ﷺ قد أعلم أنه يشفع ذلك اليوم أيضاً غيره، فيشفعون، فيأمر الله أن يخرج من النار بشفاعة غير نبينا محمد ﷺ من كان في قلوبهم من الإيمان، قَدْرُ ما أعلم أنه يخرج بشفاعة نبينا محمد ﷺ، اللهم إلا أن يكون من يشفع من أمة النبي ﷺ إنما يشفع بأمره، كخبر آدم بن علي عن ابن عمر[2].

وجائز أن تنسب الشفاعة إلى النبي ﷺ لأمره بها، كما بينت في مواضع من كتبي، أن العرب تضيف الفعل إلى الآمر كإضافتها إلى الفاعل.

ومعروف أيضاً في لغة العرب الذين بلغتهم خوطبنا أن يقال: أخرج الناس من موضع كذا وكذا، أوالقوم أو من كان معه كذا، أو عنده كذا، وإنما يراد بعضهم لا جميعهم، لا ينكر من يعرف لغة العرب أنها بلفظ عام يريد الخاص.

قد بيّنا من هذا النحو من كتاب ربنا وسنة نبينا المصطفى ﷺ، في كتاب:

---

(١) تقدم برقم (١١١).

(٢) سيأتي برقم (١٤٧).

(معاني القرآن) وفي كتبنا المصنفة من المسند في الفقه ما في بعضه الغنية والكفاية لمن وُفِّق لفهمه. كان معنى الأخبار التي قدمت ذكرها في شفاعة النبي ﷺ عندي خاصة معناها: أخرجوا من النار من كان في قلبه من الإيمان كذا، أي: غير من قضيت إخراجهم من النار بشفاعة غير النبي ﷺ، من الملائكة والصديقين (والشهداء)[1] والشفعاء غيره، ممن كان لهم إخوة في الدنيا يصلون معهم، ويصومون معهم، ويحجون معهم، ويغزون معهم، قد قضيت أني أشفعهم فيهم، فأخرجوهم من النار بشفاعتهم.

١٤٤– عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ ... فذكر الحديث بطوله، وقال: (ثم يضرب الجسر على جهنم) قلنا: وما الجسر يا رسول الله، بأبينا أنت وأمّنا؟ قال: (دحض مزلة، له كلاليب وخطاطيف، وحسكة تكون بنجد، عقيفاً يقال لها: السعدان فيمر المؤمنون كلمح البرق، وكالطرف وكالريح، وكالطير، وكأجود الخيل والراكب: فناج مسلّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم، والذي نفسي بيده ما أحدكم بأشد مناشدةً في الحق يراه من المؤمنين في إخوانهم، إذا رأوا أن قد خلصوا من النار، يقولون: أي ربنا، إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا[2] (ويحجون معنا ويجاهدون معنا)[3] قد أخذتهم النار، فيقول الله لهم: اذهبوا فمن عرفتم صورته فأخرجوه، وتحرَّم صورهم، فيجد الرجل قد أخذته النار إلى قدميه، وإلى أنصاف ساقيه، وإلى ركبتيه، وإلى حقويه، فيُخرجون منها بشراً كثيراً، ثم يعودون، فيتكلمون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال قيراط خير

(١) زيادة من (ز).

(٢) هذه الجملة (ويصومون معنا) هكذا جاءت في جميع النسخ، لكن وقعت في (ق) بعد قوله: (ويجاهدون معنا)

(٣) زيادة من (هـ) و (ز) و (ق).

فأخرجوه، فيخرجون منها بشرًا كثيراً، ثم يعودون، فيتكلمون، فيقول: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف قيراط من خير فأخرجوه، فيخرجون منها بشراً كثيراً، ثم يعودون، فيتكلمون فلا يزال يقول ذلك لهم، حتى يقول: اذهبوا، فأخرجوا من وجدتم في قلبه مثقال ذرة فأُخرِجوا(١)).

فكان أبو سعيد إذا حدَّث بهذا الحديث يزيد: يقول – قال أبو بكر: لم أجد في كتابي يقول– إن لم تصدقوا فاقرءوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ قرأ إلى قوله: ﴿عَظِيماً﴾ (النساء:٤٠) (فيقولون: ربنا لم نذر فيها خيرا، فيقول: هل بقي إلا أرحم الراحمين، قد شفعت الملائكة، وشفع الأنبياء، وشفع المؤمنون فهل بقي إلا أرحم الراحمين، قال: فيأخذ قبضة من النار فيخرج قوماً قد صاروا حمماً لم يعملوا له عمل خير قط، فيطرحون في نهر يقال له: نهر الحياة، فينبتون فيه – والذي نفسي بيده– كما تنبت الحِبّة في حَمِيْل السيل)(٢)

قال أبو بكر: هذه اللفظة: (لم يعملوا خيراً قط) من الجنس الذي يقول العرب: يُنفي الاسم عن الشيء لنقصه عن الكمال والتمام، فمعنى هذه اللفظة على هذا الأصل: لم يعملوا خيرا قط على التمام والكمال، لا على ما أُوجِب عليه وأُمر به، وقد بينت هذا المعنى في مواضع من كتبي.

٦٧– باب ذكر البيان: أن الصديقين يتلون النبي ﷺ في الشفاعة يوم القيامة، ثم سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يتلون الصديقين، ثم الشهداء يتلون الأنبياء عليهم السلام إن صح الحديث.[هـ٣١٠/ ش٧٣٤/ ز٦٦٣/ ق٥٢٣]

١٤٥– عن والان، عن حذيفة عن أبي بكر الصديق، قال: أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم، فصلى الغداة، ثم جلس، حتى إذا كان من الضحى ضحك

(١) في (هـ) و (ش) و (ق): "فأخرجوه" والمثبت من (ز).

(٢) متفق عليه: البخاري (٢٧٠٦/٦) ح (٧٠٠١) ومسلم (٣٠/٣) ح (١٨٣).

رسول الله ﷺ، ثم جلس مكانه، حتى صلى الأولى، والعصر، والمغرب، كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الآخرة، ثم قام إلى أهله، فقال الناس لأبي بكر: سل رسول الله ﷺ ما شأنه، صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط، فقال: نعم، فسأله، فقال: (عرض علي ما هو كائن من أمر الدنيا و(أمر)[1] الآخرة، يُجمع الأولون والآخرون بصعيد واحد، ففظع الناس بذلك، حتى انطلقوا إلى آدم، والعرق يكاد يلجمهم، فقالوا: يا آدم، أنت أبو البشر، وأنت اصطفاك الله، اشفع لنا إلى ربك، فقال: لقد لقيت مثل الذي لقيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم إلى نوح، ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران:٣٣) فينطلقون إلى نوح فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فأنت اصطفاك الله، واستجاب لك في دعائك، ولم يَدَعْ على الأرض من الكافرين ديارا، فيقول: ليس ذاكم عندي، انطلقوا إلى إبراهيم، فإن الله اتخذه خليلا، فيأتون إبراهيم، فيقول: ليس ذاكم عندي، ولكن انطلقوا إلى موسى، فإن الله كلمه تكليماً، فيقول موسى: ليس ذاك عندي، ولكن انطلقوا إلى عيسى ابن مريم، فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، فيقول عيسى: ليس ذاك عندي، ولكن انطلقوا إلى سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، انطلقوا إلى محمد ﷺ، فليشفع لكم إلى ربكم، قال: فينطلق فيأتي جبريل ربه، فيقول الله تبارك وتعالى: ائذن له وبشره بالجنة، قال: فينطلق به جبريل، فيخرّ ساجداً قدر جمعة، ثم يقول الله عز وجل: ارفع رأسك يا محمد، وقل يسمع، واشفع تشفع، قال: فيرفع رأسه، فإذا نظر إلى ربه عز وجل خرَّ ساجداً قدر جمعة أخرى، ثم يقول الله: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، واشفع تشفع، قال: فيذهب ليقع ساجداً، قال: فيأخذ جبريل بضبعيه[2]، فيفتح الله عليه من الدعاء شيئاً لم يفتحه على

(١) زيادة من (هـ) و (ز).

(٢) الضّبْع بسكون الباء: وسَط العضد، وقيل: هو ما تحت الإبط. [النهاية (٧٣/٣)].

بشر قط، فيقول: أي رب، جعلتني سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، حتى إنه ليرد عليَّ الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة، ثم يقال: ادع الصديقين ليشفعوا، ثم يقال: ادع الأنبياء(١)، قال: فيجيء النبي ومعه العصابة، والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي وليس معه أحد، ثم يقال: ادع الشهداء، فيشفعون لمن أرادوا، فإذا فعلت الشهداء ذلك، قال: يقول الله تبارك وتعالى: أنا أرحم الراحمين، أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بالله شيئاً، قال: فيدخلون الجنة قال: فيقول الله تبارك وتعالى: انظروا في النار هل تلقون من أحد عمل خيرا قط قال: فيجدون في النار رجلا، فيقال له: هل عملت خيرا قط؟ فيقول: لا، غير أني كنت أسامح الناس في البيع والشراء قال: فيقول الله عز وجل: اسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبيدي، ثم يخرجون من النار رجلا آخر فيقال له: هل عملت خيرا قط؟ قال: لا، غير أني أمرت ولدى: إذا أنا متّ فأحرقوني بالنار، ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بي إلى البحر، فاذروني في الريح والله لا يقدر عليَّ رب العالمين أبداً، فقال الله: لم فعلت ذلك؟ قال: من مخافتك، قال: فيقول تعالى: انظر إلى مُلْك أعظم مَلِك، فإن لك عشرة أضعاف ذلك، قال: فيقول: أتسخر بي وأنت الملك؟ فذاك الذي ضحكت منه من الضحى(٢))(٣).

---

(١) لو صح هذا الحديث فمعناه والله أعلم: أن الصديقين من هذه الأمة يُدعون ليشفعوا لمن بقي في النار من هذه الأمة بعد شفاعة نبيِّها، ثم يُدعى الأنبياء ليشفعوا في أُممهم، ثم الصديقون من أُممهم يشفعون بعدهم...وهكذا، وإلا فلا يُعقل تقدم أحد على الأنبياء، لا في شفاعة ولا في غيرها. (هراس)، ويُنظر: تعليق ابن خزيمة على هذا الموضع في الباب الذي يلي هذا الباب.

(٢) (من الضحى) ليست في (ز) ولا (ق).

(٣) أخرجه أحمد (١٦١/١) ح (١٥) وقال أحمد شاكر: "إسناده صحيح" وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/٣٧٤-٣٧٥) وقال: " رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبزار ورجالهم ثقات ".

قال أبو بكر: إنما استثنيت صحة الخبر في الباب، لأني في الوقت الذي ترجمت الباب لم أكن أحفظ في ذلك الوقت عن والان خبراً غير هذا الخبر، فقد روى عنه مالك بن عمير الحنفي، غير أنه قال: العجلي لا العدوي.

٦٨- باب ذكر كثرة من يشفع له الرجل الواحد من هذه الأمة، مع الدليل على صحة ما ذكرت قبل أن يشفع يوم القيامة غير الأنبياء عليهم السلام. [هـ٣١٣/ ش٧٣٩/ ز٦٦٩/ ق٥٢٨]

١٤٦- عن عبدالله بن شقيق، قال: جلست إلى قوم أنا رابعهم، فقال أحدهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم) قال: قلنا: سواك يا رسول الله، قال: (سواي) قلت: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ، قال: نعم، فلما قام قلت: من هذا، قال: هذا ابن أبي الجدعاء[1].

١٤٧- حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال: حدثنا يحيى ابن يمان، عن سفيان، عن آدم بن علي، عن ابن عمر قال: "يقول النبي ﷺ للرجل: يا فلان قم فاشفع، فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة، ولأهل البيت، وللرجل، وللرجلين، على قدر عمله"[2]

قال أبو بكر: إن للفظة التي في خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه[3] قبل

---

(١) أخرجه الترمذي (تحفة٧/١٣٠) ح (٢٥٥٥) وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب" والحاكم (١/١٤٢) ح (٢٣٧) وقال: "هذا حديث صحيح" ووافقه الذهبي، وصححه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٩٥) ح (١٩٨٥).

(٢) هذا الحديث فيه: يحيى بن يمان العجلي، قال عنه الحافظ في التقريب (٢/٣١٩): "صدوق عابد، يخطئ كثيراً، وقد تغيَّر" وحكم القفيلي في تحقيقه كتاب التوحيد (٥٣٠) على هذا الحديث بالضعف .

(٣) ينظر الحديث رقم (١٤٥). واللفظة هي قوله: (...ادعُ الصديقين ليشفعوا، ثم يُقال: ادعُ الأنبياء ...)

ذكر الأنبياء، معنيين: أحدهما: الصديقون من الأنبياء، أي الأفضل منهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ (الإسراء: من الآية٥٥) فيكون منهم صديقون[1] بعد نبينا المصطفى ﷺ، ثم يقال: ادع الأنبياء، أي غير الصديقين الذين قد شفعوا قبل.

والمعنى الثاني: أي الصديقين من هذه الأمة ممن يأمرهم النبي ﷺ بأن يشفعوا، فتكون هذه الشفاعة التي يشفعها الصديقون من أمة النبي ﷺ بأمره، شفاعة للنبي ﷺ مضافة إليه، لأنه الآمر –كما قد أعلمت في مواضع من كتبي: أن الفعل يضاف إلى الآمر كإضافته إلى الفاعل– فتكون هذه الشفاعة مضافة إلى النبي ﷺ، لأمره بها، ومضافة إلى المأمور بها، فيشفع، لأنه الشافع بأمر النبي ﷺ.

١٤٨– [عن] أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: (إن الرجل يشفع للرجلين والثلاثة، والرجل للرجل)[2].

٦٩– باب ذكر ما يعطي الله عز وجل من نعم الجنة وملكها –تفضلاً منه عزَّ وجلَّ، وسعة رحمته– آخرَ من يخرج من النار فيدخل الجنة ممن يخرج من النار حبواً وزحفاً لا من يخرج منها بالشفاعة بعد ما محشتهم النار وأماتتهم فصاروا فحماً قبل مَن[3] يخرجه الله بتفضله وكرمه وجوده. [هـ٣١٧/ ش١٥٧/ ز٦٧٨/ ق٥٣٥]

١٤٩– عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (إني لأعلم آخر

---

(١) وهل يعقل أن يكون نبي غير صديق، وقد عطف القرآن الصديقين على النبيين، فدلَّ على أنهم غيرهم، وأنهم متأخرون عنهم في الرتبة، قال تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ الخ الآية. (هراس).

(٢) أخرجه البزار برقم (٣٤٧٣) وأورده الهيثمي في المجمع (٣٨٢/١٠) وقال: "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح:

(٣) وقع في (ش) و (ق): (أن) بدل: (مَن)، والمثبت من (هـ) و (ز).

أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً، رجل يخرج من النار حبواً فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع، فيقول: يا رب وجدتها ملأى قال: فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع، فيقول: يا رب وجدتها ملأى، قال: فيقول تبارك وتعالى: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو: إن لك عشرة أمثال الدنيا. قال: فيقول: أتسخر بي -أو: تضحك بي- وأنت الملك؟) قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك، حتى بدت نواجذه قال: فكان يُقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة[1].

٧٠- باب ذكر البيان أن الرجل الذي ذكرنا صفته وخبَّرْنا أنه آخر أهل النار خروجاً من النار ممن يخرج من النار زحفاً، لا ممن يخرج بالشفاعة، هو[2] آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وأن من يخرج (من النار)[3] بالشفاعة يدخلون الجنة قبله، وأن هذا الواحد يبقى بعدهم بين الجنة والنار، ثم يُدخله الله بعد ذلك الجنة بفضله ورحمته، لا بشفاعة أحد، ويعطيه تفضلاً منه، وكرماً وجوداً ما ذُكر في الخبر من الجنة، مع الدليل على أن الله -عزَّ وجلَّ- يخرج من النار، ممن قد أحرقتهم النار -خلا آثار السجود منهم- قبل القضاء بين جميع الناس[4]. [هـ٣٢٣/ ش٧٦٢/ ز٦٩٠/ ق٥٤٤]

١٥٠- [عن] سعيد بن المسيب، وعطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة

(١) متفق عليه: البخاري (٥/٢٤٠٢) ح (٦٢٠٢) ومسلم (٣/٤١) ح (١٨٦).

(٢) في (هـ) و (ش) و (ق): (وهو) والمثبت من (ز)..

(٣) زيادة من (ز).

(٤) معلوم أن الناس لا يصيرون إلى الجنة أو النار إلا بعد فصل القضاء بينهم، فيُنْصَب لهم الصراط ويجوزون عليه، فكيف يدخلها رجل ثم يخرج منها قبل القضاء بين جميع الناس؟. (هراس).

رضى الله عنه أخبرهما أن الناس قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ ... فذكر الحديث بطوله، خرجته في كتاب الأهوال.

وفي الخبر (حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم، ويعرفونهم بآثار السجود، وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، قد امتحشوا، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد[1]، ويبقى رجل بين الجنة والنار، وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، مقبل بوجهه على النار، فيقول: يارب اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فيقول الله سبحانه: فهل عسيت إن فُعِلَ ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ ...) فذكر بعض الحديث وقال: (ثم يأذن الله في دخول الجنة، فيقال له: تمن، فيتمنى حتى إذا انتهت به الأماني، قال الله: لك ذلك، ومثله معه) قال أبو سعيد لأبي هريرة رضى الله عنه: إن النبي ﷺ قد قال: (قال الله تبارك وتعالى: لك ذلك، وعشرة أمثاله) قال أبو هريرة: لم أحفظ من النبي ﷺ إلا قوله: (لك ذلك ومثله معه) قال أبو سعيد: أشهد أني سمعته يقول: (وعشرة أمثاله)[2].

٧١- باب ذكر البيان: أن النار إنما تأخذ من أجساد الموحدين وتصيب منهم على قدر ذنوبهم وخطاياهم وحوباتهم التي كانوا ارتكبوها في الدنيا.

مع الدليل على ضد قول من زعم ممن لم يتحر العلم، ولا فهم أخبار النبي ﷺ أن النار لا تصيب أهل التوحيد ولا تمسهم، وإنما يصيبهم حرها وأذاها وغمها وشدتها.

---

(١) لا يُعقل أن تكون (ثم) هنا للترتيب الزمني، لأن رحمة الله للموحدين وإخراجهم من النار، ليست قبل الفراغ من القضاء بين العباد، فإنهم ما دخلوا النار إلا بعد الفراغ من ذلك، فكيف يكون خروجهم منها قبله؟! (هراس).

(٢) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه برقم (١٠٦).

مع الدليل على أنه قد يدخل النار بارتكاب المعاصي في الدنيا -إذا لم يتفضل الله ولم يتكرم بغفرانها- من كان في الدنيا يعمل الأعمال الصالحة، من الصيام والزكاة والحج والغزو. وكيف يأمن -يا ذوى الحجا- النارَ من يوحد الله ولا يعمل من الأعمال الصالحة شيئاً. [هـ٣٢٥/ ش٧٦٥/ ز٦٩٣/ ق٥٤٦]

١٥١- [عن] أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يوضع الصراط بين ظهراني جهنم، عليه حسك السعدان، ثم يستجيز الناس، فناج مُسلَّم مخدوج به، ثم ناج ومحتبس ومنكوس فيها، فإذا فرغ الله من القضاء بين العباد، يفقد المؤمنون رجالاً كانوا معهم في الدنيا، يصلون صلاتهم، ويزكون زكاتهم، ويصومون صيامهم، ويحجون حجهم، ويغزون غزوهم، فيقولون: أي ربنا عباد من عبادك كانوا معنا في الدنيا، يصلون صلاتنا، ويزكون زكاتنا، ويصومون صيامنا، ويحجون حجنا، ويغزون غزونا، لا نراهم؟ قال: فيقال: اذهبوا إلى النار، فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه، فيجدونهم قد أخذتهم على قدر أعمالهم، فمنهم من أخذتهم إلى قدميه، ومنهم من أخذته إلى ساقيه ومنهم من أخذته إلى ركبتيه، (ومنهم من أزَّرَتْه)[١] ومنهم من أخذته إلى ثدييه، ومنهم من أخذته إلى عنقه، ولم تغش الوجه، فيستخرجونهم منها، فيطرحونهم في ماء الحيا) قيل: وما ماء الحيا يا نبي الله؟ قال: (غُسُلُ أهل الجنة، فينبتون فيها كما تنبت الزرعة في غثاء السيل، ثم يشفع الأنبياء فيمن كان يشهد أن لا اله إلى الله مخلصاً، فيستخرجونهم منها، ثم يتجلى الله برحمته على من فيها، فما يترك فيها عبداً في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، إلا أخرجه منها)[٢].

---

(١) زيادة من (هـ) و (ز). ومعنى: أزَّرته، أي: أخذته إلى معقد إزاره. (هراس).

(٢) أخرجه ابن ماجة مختصرا (١٤٣٠/٢) ح (٤٢٨٠) والحاكم في مستدركه (٦٢٨/٤) ح (٨٧٣٨) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" وصححه الألباني =

قال أبو بكر: قد روينا أخباراً عن النبي ﷺ يحسب كثير من أهل الجهل والعناد أنها خلاف هذه الأخبار التي ذكرناها –مع كثرتها، وصحة سندها، وعدالة ناقليها– في الشفاعة، وفي إخراج بعض أهل التوحيد من النار بعدما أدخِلُوها بذنوبهم وخطاياهم، وليست بخلاف تلك الأخبار عندنا، بحمد الله ونعمته.

وأهل الجهل الذين ذكرتهم في هذا الفصل صنفان: صنف منهم: الخوارج والمعتزلة، أنكرت إخراج أحد من النار ممن يدخل النار، وأنكرت هذه الأخبار التي ذكرناها في الشفاعة. الصنف الثاني: الغالية من المرجئة التي تزعم أن النار حرمت على من قال لا اله إلا الله، تتأول هذه الأخبار التي رويت عن النبي ﷺ في هذه اللفظة على خلاف تأويلها.

فأول ما نبدأ بذكر الأخبار بأسانيدها، وألفاظ متونها، ثم نبين معانيها بعون الله ومشيئته، ونشرح ونوضح أنها ليست بمخالفة للأخبار التي ذكرناها في الشفاعة، وفي إخراج من قضى الله إخراجهم من أهل التوحيد من النار.

فمنها: الأخبار المأثورة عن النبي ﷺ: (لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان).

١٥٢– عن عبدالله، عن النبيﷺ، قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)(١).

١٥٣– عن عتبان بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: (لن يُوافي عبدٌ يومَ القيامة وهو يقول: لا اله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله، إلا حُرِّم على النار)(٢)

= كما في صحيح سنن ابن ماجه (٣/٣٩٣) ح (٣٤٧٢)..

(١) أخرجه مسلم (٢/٤٤٨) ح (٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٥/٢٣٦٠) ح (٦٠٥٩) وأخرجه بأطول من هذا السياق –وفيه قصة– البخاري (١/١٦٤) ح (٤١٥) ومسلم (١/٣٥٤) ح (٣٣) و (٥/١٦٤) ح (٦٥٧).

قال الزهري: ثم نزلت بعد ذلك فرائض وأمور، نرى أن الأمر انتهى إليها، فمن استطاع ألا يفتر فلا يفتر[1].

قال أبو بكر: فاسمعوا الدليل البين الواضح أن النبي ﷺ إنما اراد بقوله في هذا الخبر: (حُرِّم على النار) أي: حُرِّم على النار أن تأكله، لا أنه حُرِّم على النار أن تؤذيه أو تمحشه أو تمسه[2]، لأن النار إذا أكلت ما يُلقى فيها، يصير المأكول ناراً، ثم رماداً.

وأهل التوحيد -وإن دخلوا النار بذنوبهم وخطاياهم- لا تأكلهم النار أكلا يصيرون جمراً ثم رماداً[3]، بل يصيرون فحماً، كما ذكرنا في الأخبار التي قدمنا ذكرها في أبواب الشفاعات، والشيء إذا احترق كله فصار جمراً بعد احتراق الجميع، يصير بعد الجمر رماداً، لا يصير فحماً إذا احترق احتراقاً ناعماً، فافهموا هذا الفصل، لا تغالطوا فتصدوا عن سواء السبيل، وكل ما يذكر من الأخبار من هذا الجنس على هذا المعنى، فافهموه.

١٥٤- عن عثمان، عن النبي ﷺ، قال: (من مات وهو يشهد أن لا اله إلا الله دخل الجنة)[4].

١٥٥- عن أنس، أنه ذكر له أن النبي ﷺ قال لمعاذ: (من لقي الله لا

---

(١) في (ز): (فمن استطاع أن لا يغترَّ فلا يغترّ).

(٢) هذا تأويل بعيد، والظاهر المتبادر من التحريم هو عدم الدخول، كما فسرته الروايات الأخرى، أو يُراد من تحريمه على النار تحريم ملازمتها والخلود فيها، أو يكون هذا التحريم لمن قال: لا إله إلا الله، وقام بحقها.(هراس).

(٣) وكذلك الكفار لا تأكلهم النار حتى يصيروا رماداً، بل كلما نضجت جلودهم بدَّلهم الله عزَّ وجلَّ جلوداً غيرها، كما نطق القرآن، فليس هذا الأمر خاصاً في أهل التوحيد حتى يُفسَّر به تحريم النار عليهم. (هراس).

(٤) أخرجه مسلم (٣٣١/١) ح (٢٦) لكن بلفظ: (وهو يعلم) بدل: (وهو يشهد).

يشرك به شيئاً دخل الجنة) قال: يا نبي الله: أفلا أبشر الناس؟ قال: (لا، إني أخاف أن يتكلوا)[١].

١٥٦– عن الصنابحي، أنه قال: دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت، فبكيت، فقال: مهلاً لم تبكي؟ فوالله لئن استُشهدت لأشهدن لك، ولئن شُفعت لأشفعن لك، ولئن استطعت لأنفعنك، ثم قال: والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ –لكم فيه خير– إلا حدثتكموه، إلا حديثاً واحداً، وسوف أُحدثكموه اليوم، وقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من شهد أن لا اله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، حرمه الله على النار)[٢].

١٥٧– عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: (قل لا اله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة) قال: لولا أن تُعيِّرني قريش –إنما حمله عليه الجزع[٣]– لأقررت بها عينك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (القصص: من الآية٥٦)[٤].

١٥٨– عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: (قال لي جبريل: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ولم يدخل النار) قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: (وإن زنى وإن سرق) قال بندار: (أو لم يدخل النار) قال: وإن سرق وإن زنى؟ قال: (وإن سرق وإن زنى)[٥].

١٥٩– عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ كلمةً، وأنا أقول أخرى، قال: (من مات وهو يجعل لله نداً دخل النار) قال: وأنا أقول: وهو لا يجعل لله

---

(١) أخرجه البخاري (١/٦٠) ح (١٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/٣٤١) ح (٢٩).

(٣) في مسلم: (يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع).

(٤) أخرجه مسلم (١/٣٣٠) ح (٢٥).

(٥) أخرجه البخاري (٣/١١٧٨) ح (٣٠٥٠) ومسلم (٢/٤٥٥) ح (٩٤).

نداً دخل الجنة[1]. قال أبو بكر: قد كنت أمليت أكثر هذا الباب في كتاب "الإيمان" وبينت في ذلك الموضع معنى هذه الأخبار، وأن معناها ليس كما يتوهمه المرجئة. وبيقين يعلم كل عالم من أهل الاسلام: أن النبيﷺ لم يرد بهذه الأخبار: أن من قال لا إله إلا الله، أو زاد مع شهادة أن لا إله إلا الله: شهادة أن محمداً رسول الله، ولم يؤمن بأحد من الأنبياء غير محمد ﷺ ولا آمن بشيء من كتاب الله، ولا بجنة ولا نار، ولا بعث ولا حساب أنه من أهل الجنة، لا يعذب بالنار.

ولئن جاز للمرجئة الاحتجاج بهذه الأخبار -وإن كانت هذه الأخبار ظاهرها خلاف أصلهم، وخلاف كتاب الله وخلاف سنن النبي ﷺ- جاز للجهمية الاحتجاج بأخبارٍ رُويت عن النبي ﷺ إذا تُؤولت على ظاهرها استحق من يعلم أن الله ربه وأن محمداً نبيه الجنة، وإن لم ينطق بذلك لسانه.

ولا يزال يُسمع أهلُ الجهل والعناد يحتجون بأخبار مختصرة غير متقصاة، وبأخبار مجملة غير مفسرة، لا يفهمون أصول العلم، يستدلون بالمتقصى من الأخبار على مختصرها، وبالمفسر منها على مجملها.

قد ثبتت الأخبار عن النبي ﷺ بلفظة لو حُملت على ظاهرها -كما حملت المرجئة الأخبار التي ذكرناها في شهادة أنّ لا اله إلا الله على ظاهرها- لكان العالم بقلبه: أن لا اله إلا الله مستحقاً للجنة، وإن لم يقر بذلك بلسانه، ولا أقر بشيء مما أمر الله تعالى بالإقرار به، ولا آمن بقلبه بشيء أمر الله بالإيمان به، ولا عمل بجوارحه شيئاً أمر الله به، ولا انزجر عن شيء حرّمه الله: من سفك دماء المسلمين، وسبي ذراريهم، وأخذ أموالهم، واستحلال حُرَمِهم.

فاسمع الخبر الذي ذكرتُ أنه غير جائز أن يحمل على ظاهره، كما حملت المرجئة الأخبار التي ذكرناها على ظاهرها.

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٧/١) ح (١١٨١) ومسلم (٤٥٢/٢) ح (٩٢) والجزء الثاني جاء عند مسلم من حديث جابر مرفوعاً (٤٥٣/٢) ح (٩٣).

١٦٠– عن عثمان بن عفان عن النبي ﷺ قال: (من مات وهو يعلم أن لا اله إلا الله دخل الجنة)[١]

١٦١– عن ابن الديلمي[٢] قال: كنت ثالث ثلاثة ممن يخدم معاذ بن جبل، فلما حضرته الوفاة قلنا له: رحمك الله، إنما صحبناك، وانقطعنا إليك واتبعناك لمثل هذا اليوم، فحدثنا بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، ننتفع به، قال: نعم، وما ساعة الكذب هذه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من مات وهو يوقن بقلبه أن الله حق، وأن الساعة قائمة[٣]، وأن الله يبعث من في القبور) قال ابن سيرين: إما قال: (دخل الجنة) وإما قال: (نجا من النار)[٤].

لئن جاز للجهمي الاحتجاج بهذه الأخبار، أن المرء يستحق الجنة، بتصديق القلب بأن لا إله إلا الله، وبأن الله حق، وأن الساعة قائمة، وأن الله يبعث من في القبور، ويترك الاستدلال بما سنبينه بعدُ –إن شاء الله– من معنى هذه الأخبار، لم يُؤمَن أن يحتج جاهل لا يعرف دين الله، ولا أحكام الاسلام بخبر عثمان، عن النبي ﷺ (من علم أن الصلاة عليه حق واجب، دخل الجنة)[٥] (فيدَّعي أن جميع الإيمان: هو العلم بأن الصلاة عليه حق واجب)[٦]، وإن لم يقر بلسانه مما أمر الله بالإقرار به، ولا صدق بقلبه بشيء مما أمر الله بالتصديق به، ولا أطاع في شيء أمر الله به، ولا انزجر عن شيء حرَّمه الله، إذ النبي ﷺ قد

---

(١) أخرجه مسلم، وقد تقدم برقم (١٥٤).

(٢) وقع في (هـ) و (ش): (أبي الديلم) وهو تحريف، ولعله خطأ مطبعي.

(٣) هكذا في (هـ) و (ز)، وهو كذلك عند ابن أبي عاصم، ووقع في (ش): (وأن الساعة حق) وكلام ابن خزيمة بعد هذا الحديث يدل على ما أثبته، والله أعلم.

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ص (٤١٧) ح (٨٨٨) وصحح الألباني إسناده.

(٥) هذا الحديث ساقه المؤلف بسنده بعد هذا الكلام مباشرة.

(٦) ما بين القوسين سقط من (ز).

أخبر أن من علم أن الصلاة عليه حق واجب دخل الجنة، كما خبَّر أن من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة.

١٦٢– عن عثمان –وكان قليل الحديث عن رسول الله ﷺ– قال: قال رسول الله ﷺ: (من علم أن الصلاة حق مكتوب عليه، أو حق واجب دخل الجنة)[١]. قال أبو بكر: فإن جاز الاحتجاج بمثل هذا الخبر المختصر في الإيمان واستحقاق المرء به الجنة، وتُرِك الاستدلال بالأخبار المفسِّرة المتقصاة، لم يؤمَن أن يحتج جاهل معاند فيقول: بل الإيمان: إقامة صلاة الفجر وصلاة العصر، وأن مصليها يستوجب الجنة، ويعاذ من النار، وإن لم يأت بالتصديق، ولا بالإقرار بما أمر أن يصدق به ويقر به، ولا يعمل بشيء من الطاعات التي فرض الله على عباده، ولا انزجر عن شيء من المعاصي التي حرمها الله، ويحتج بخبر عمارة بن رويبة.

١٦٣– قال سمعت النبي ﷺ يقول: (من صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، حرمه الله على النار) فقال رجل من أهل البصره: وأنا سمعته عن رسول الله ﷺ[٢]. قال أبو بكر: وكل عالم يعلم دين الله وأحكامه يعلم أن هاتين الصلاتين لا يوجبان الجنة مع ارتكاب جميع المعاصي أيضاً، وأن هذه الأعمال كذلك[٣] –إنما رويت على ما بيننا في "كتاب الإيمان"– (إنما) [٤] رويت في

(١) رواه عبد الله في زوائد المسند (٣٤١/١) ح (٤٢٣) وقال أحمد شاكر: "إسناده ضعيف" وأورده الهيثمي في المجمع (٢٨٨/١) وقال: رواه عبد الله بن أحمد في زياداته، وأبو يعلى والبزار بنحوه، ورجاله موثقون.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٩/٥) ح (٦٣٤) ولفظه عنده: "لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس ..."

(٣) هكذا في (ز)، ووقع في (هـ) و (ش): "لذلك" بدل: "كذلك".

(٤) ليست في (ز).

فضائل هذه الأعمال. كذلك إنما رويت أخبار النبي ﷺ: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) فضيلةً لهذا القول، لا أن هذا القول كل الإيمان.

ولئن جاز لجاهل أن يتأول أن شهادة أن لا إله إلا الله جميع الإيمان، إذ النبي ﷺ خبرٌ أن قائلها يستوجب الجنة ويعاذ من النار، لم يؤمَن أن يدَّعي جاهل معاند أيضاً أن جميع الإيمان القتال في سبيل الله فُوَاقَ ناقة، فيحتج بقول النبي ﷺ: (من قاتل في سبيل الله فُوَاقَ [1]ناقة دخل الجنة)[2]

كاحتجاج المرجئة بقول النبيﷺ: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة).

ويقول معاند آخر جاهل: إن الإيمان بكماله: الماشي في سبيل الله حتى تغبر قدما الماشي، ويحتج بقول النبي ﷺ: (من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار)[3] وبقوله: (لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله، ودخان جهنم في منخري رجل مسلم أبدا)[4]

ويدَّعي جاهل آخر: أن الإيمان عتق رقبة مؤمنة، ويحتج بأن النبي ﷺ قال: (من أعتق رقبة مؤمنةً، أعتق[5] الله بكل عضو منه عضواً من النار)[6]

---

(١) هو قدر ما بين الحلبتين من الراحة، وتضم فاؤه وتفتح. [ينظر: النهاية (٤٧٩/٣)].

(٢) أخرجه من حديث معاذ: أبو داود (عون١٥٤/٧) ح (٢٥٣٨) والترمذي (تحفة ٢٩٧/٥) ح (١٧٠٧) وقال: "هذا حديث صحيح" وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (٤٨٣/٢) ح (٢٢١٦).

(٣) أخرجه من حديث أبي عبس رضي الله عنه: البخاري (٣٠٨/١) ح (٨٦٥) وفيه: "حرَّمه" بدل "حرمهما".

(٤) أخرجه من حديث أبي هريرة: النسائي (٣٢١/٦) ح (٣١١٣) وصححه الألباني كما في صحيح سنن النسائي (٦٥٢/٢) ح (٢٩١٦).

(٥) وقع في (ش): (أعتقه) بدل: (أعتق)، والمثبت من (هـ) و (ز) .

(٦) متفق عليه من حديث أبي هريرة: البخاري (٢٤٦٩/٦) ح (٦٣٣٧) ومسلم (٤٠٦/١٠) ح (١٥٠٩).

ويدَّعي جاهل آخر: أن جميع الإيمان البكاء من خشية الله تعالى، ويحتج بقول النبي ﷺ: (لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى)[1]

ويدَّعي جاهل آخر: أن جميع الإيمان، صوم يوم في سبيل الله، ويحتج بأن النبي ﷺ قال: (من صام يوماً في سبيل الله، باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا)[2] ويدَّعي جاهل آخر: أن جميع الإيمان قتلُ كافرٍ، ويحتج بقول النبي ﷺ: (لا يجتمع كافر وقاتلُه في النار أبداً)[3].

قال أبو بكر: وهذا الجنس من فضائل الأعمال، يطول بتقصيه الكتاب، وفي قدر ما ذكرنا غنية وكفاية لما له قصدنا أن النبي ﷺ إنما خبَّر بفضائل هذه الأعمال التي ذكرنا، وما هو مثلها، لا أن النبي ﷺ أراد أن كل عمل ذكره – أعلم أن عامله يستوجب بفعله الجنة، أو يعاذ من النار– أنه جميع الإيمان.

وكذلك: إنما أراد النبي ﷺ بقوله: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، أو حُرِّم على النار) فضيلةَ لهذا القول، لا أنه جميع الإيمان، كما ادَّعى من لا يفهم العلم، ويعاند، فلا يتعلم هذه الصناعة من أهلها.

ومعنى قولهﷺ: (لا يجتمع كافر وقاتله في النارأبدا)

هذا لفظةٌ مختصره، الخبر المتقصَّى لهذه اللفظة المختصرة ما:

١٦٤– حدثنا الربيع بن سليمان، قال: ثنا شعيب بن الليث، قال: ثنا الليث، عن محمد بن العجلان، عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة: الترمذي بمعناه (تحفة٥/٢٦٠) ح (١٦٨٣) وقال: "هذا حديث حسن صحيح" وصححه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي (٢/١٢٥-١٢٦) ح (١٣٣٣).

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: البخاري (٣/١٠٤٤) ح (٢٦٨٥) ومسلم (٨/٢٨١) ح (١١٥٣).

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: مسلم (١٣/٤٠-٤١) ح (١٨٩١).

رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: (لا يجتمعان في النار اجتماعاً، يعني: أحدهما مسلم قتل كافراً، ثم سدَّدَ المسلم وقارب)(١)

قال أبوبكر: كذاك نقول في فضائل الأعمال التي ذكرنا أن من عمل من المسلمين بعض تلك الأعمال، ثم سدد وقارب ومات على إيمانه دخل الجنة، ولم يدخل النار، موضع الكفار منها، وإن ارتكب بعض المعاصي.

كذاك لا يجتمع قاتل الكافر إذا مات على إيمانه مع الكافر المقتول في موضع واحد من النار، لا أنه لا يدخل النار، ولا موضعاً منها، وإن ارتكب جميع الكبائر، خلا الشرك بالله عزَّ وجلَّ، إذا لم يشأ الله أن يغفر له ما دون الشرك، فقد خبَّر الله –عزَّ وجلَّ– أن للنار سبعة أبواب، فقال لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر:٤٢) إلى قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ (الحَجر: من الآية٤٤) فأعلمنا ربنا –عزَّ وجلَّ أنه قسَّم تابعي إبليس من الغاوين سبعة أجزاء على عدد أبواب النار، فجعل لكل باب منهم جزءاً معلوماً، واستثنى عباده المخلصين من هذا القسم.

فكل مرتكب معصية زجر الله عنها، فقد أغواه إبليس، والله –عزَّ وجلَّ– قد يشاء غفران كل معصية يرتكبها المسلم دون الشرك، وإن لم يتب منها.

كذاك أعلمنا في محكم تنزيله في قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: من الآية٤٨) .

وأعلمنا خالقنا –عزَّ وجلَّ– أن آدم –خلقه بيده، وأسكنه جنته، وأمر ملائكته بالسجود له– عصاه فغوى، وأنه –عزَّ وجلَّ– برأفته ورحمته اجتباه بعد ذلك، فتاب عليه وهدى، ولم يحرمه الله بارتكاب هذه الحوبة، بعد ارتكابه إياها.

فمن لم يغفر الله له حوبته التي ارتكبها، وأوقع عليه اسم: "غاوٍ"، فهو داخل في الأجزاء، جزاءً وقسماً لأبواب النار السبعة.

(١) أخرجه مسلم (٤١/١٣) ح (١٨٩١).

وفي ذكر آدم ﷺ وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ (طـه: من الآية١٢١) ما يبين ويوضح أن اسم الغاوي قد يقع على مرتكب خطيئة، قد زجر الله عن إتيانها، وإن لم تكن تلك الخطيئة كفراً ولا شركاً، ولا ما يقاربها ويشبهها، ومحال أن يكون المؤمن الموحد لله –عزَّ وجلَّ– قلبه ولسانه، المطيع لخالقه في أكثر ما فرض الله عليه، وندبه إليه من أعمال البر غير المفترض عليه، المنتهي عن أكثر المعاصي –وإن ارتكب بعض المعاصي والحوبات– في قسم من كفر بالله ودعا معه آلهة، أو جعل له صاحبة أو ولدا، –تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا– ولم يؤمن أيضاً بشيء مما أمر الله بالإيمان به، ولا أطاع الله في شيء أمره به، من الفرائض والنوافل، ولا انزجر عن معصيةٍ نهى الله عنها، محال أن يجتمع هذان في درجة واحدة من النار.

والعقل مركب على أن يعلم أنَّ كل من كان أعظم خطيئة وأكثر ذنوبا –لم يتجاوز الله عن ذنوبه– كان أشد عذاباً في النار.

كما يعلم كل عاقل أنَّ كل من كان أكثر طاعة لله –عزَّ وجلَّ– وتقرباً إليه بفعل الخيرات واجتناب السيئات، كان أرفع درجة في الجنان، وأعظم ثواباً وأجزل نعمة، فكيف يجوز أن يتوهم مسلم أنَّ أهل التوحيد يجتمعون في النار – في الدرجة– مع من كان يفترى على الله –عزَّ وجلَّ–، فيدعو له شريكا أو شركاء، فيدعو له صاحبة وولدا، ويكفر به ويشرك، ويكفر بكل ما أمر الله –عزَّ وجلَّ– بالإيمان به، ويكذّب جميع الرسل، ويترك جميع الفرائض، ويرتكب جميع المعاصي، فيعبد النيران ويسجد للأصنام والصلبان، فمن لم يفهم هذا الباب لم يجد بداً من تكذيب الأخبار الثابتة المتواترة التي ذكرها عن النبي ﷺ في إخراج أهل التوحيد من النار. إذ محال أن يقال: أخرجوا من النار من ليس فيها، وأمحل من هذا أن يقال: يخرج من النار من ليس فيها.

وفي إبطال أخبار النبي ﷺ دروس الدين وإبطال الإسلام.

والله –عزَّ وجلَّ لم يجمع بين جميع الكفار في موضع واحد من النار، ولا سوَّى بين عذاب جميعهم، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النساء: من الآية١٤٥) وقال: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: من الآية٤٦).

قال أبو بكر: وسأبين بمشيئة خالقنا –عزَّ وجلَّ– معنى أخبار النبي ﷺ: لا يدخل النار من فعل كذا، ومعنى قوله: (يخرج من النار)، وأؤلف بين معنى هذه الأخبار تأليفاً بيِّناً مشروحاً بعد ذكري لأخبار النبي ﷺ إن حُملت على ظاهرها كانت دافعةً للأخبار (التي ذكرناها في فضائل الأعمال)[1] التي خبَّر النبي ﷺ (أن فاعل بعضها)[2] يستوجب الجنة، ويعاذ من النار.

٧٢– باب ذكر أخبار رُويت عن النبي ﷺ، ثابتةٌ من جهة النقل، جهل معناها فرقتان: فرقة المعتزلة والخوارج:واحتجوا بها، وادَّعوا أن مرتكب الكبيرة إذا مات قبل التوبة منها مخلد في النار، محرم عليه الجنان. والفرقة الأخرى: المرجئة: كفرت بهذه الأخبار وأنكرتها ودفعتها جهلاً منهم بمعانيها.

وأنا ذاكرها بأسانيدها وألفاظ متونها ومبين معانيها بتوفيق الله تعالى:

[هـ٣٥٥/ ش٨٣٦/ ز٧٥٣/ ق٥٩٦]

١٦٥– عن أبي عثمان، قال سمعت سعد بن أبي وقاص، وأبا بكرة قالا: سمعته أذناى ووعاه قلبي من محمد ﷺ يقول: (من ادَّعى إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام)[3].

قال أبو بكر: فاسمعوا الآن باباً آخر من هذا الجنس أيضاً في إعلام النبي ﷺ حرمان الجنة لمرتكب بعض الذنوب والخطايا، من الذي ليس بكفر، ولا

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ز).

(٢) وقع في (هـ) و (ش): "أن فعل صاحبها بعضها"، والمثبت من (ز) .

(٣) متفق عليه: البخاري (٦/٢٤٨٥) ح (٦٣٨٥) ومسلم (٢/٤١٢) ح (٦٣).

يزيل الإيمان بأسره، لا على ما تتوهمه الخوارج والمعتزلة.

١٦٦– عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يدخل الجنة قتات)[١].

قال أبو بكر: فاسمعوا الآن جنساً آخر في حرمان الجنة مرتكب الذنوب والخطايا، مما ليس بكفرٍ يزيل عن الملة، ليس معناه على ما يتوهمه الخوارج والمعتزلة.

١٦٧– عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة) فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً؟ قال: (وإن كان قضيباً من آراك)[٢].

٧٣– باب ذكر أخبار ثابتة السند، صحيحة القوام، قد يحسب كثير من أهل الجهل أنها خلاف هذه الأخبار التي قدمنا ذكرها، لاختلاف ألفاظها، وليست عندنا مخالفة.

سنبين[٣] معناها، ونؤلّف بين المراد من كلٍ منها، بعد ذكرنا الأخبار بألفاظها، إن الله وفق لذلك وشاءه. [ه٣٥٩/ ش٨٤٧/ ز٧٦٠/ ق٦٠١]

١٦٨– عن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من مات يشرك بالله دخل النار) وقلتُ أنا: من مات لا يشرك بالله دخل الجنة[٤]

١٦٩– عن جابر، أن رجلاً سأل النبي ﷺ ما الموجبتان؟ قال: (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله دخل النار)[٥].

٧٤– باب ذكر أخبار رويت أيضاً في حرمان الجنة على من ارتكب

(١) متفق عليه: البخاري (٥/٢٢٥٠) ح (٥٧٠٩) ومسلم (٢/٤٧٢) ح (١٠٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢/٥١٦) ح (١٣٧).

(٣) وقع في (ه) و (ش): "لسر" بدل: "سنبين" والمثبت من (ز).

(٤) أخرجه البخاري ومسلم، وقد تقدم برقم (١٥٩).

(٥) أخرجه مسلم (٢/٤٥٣) ح (٩٣) وفيه: "ومن مات يشرك بالله شيئاً ...".

بعض المعاصي، التي لا تزيل الإيمان بأسره، وجهل معناها المعتزلة والخوارج فأزالوا اسم المؤمن عن مرتكبها، ومرتكبي بعضها، أنا ذاكرها بأسانيدها، ومبين معانيها، ومؤلف بين معانيها ومعاني الأخبار التي قدمنا ذكرها، التي احتج بها المرجئة، وتوهمت أن مرتكب هذه الذنوب والخطايا كامل الإيمان، لا نقص في إيمانه، إن الله وفق لذلك وشاء.

[هـ٣٦٣/ ش٨٥٧/ ز٧٧٠/ ق٦٠٨]

١٧٠- عن عبدالله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: (لا يدخل الجنة منان، ولا عاق، ولا مدمن خمر)[١].

١٧١- عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: (لايدخل الجنة قاطع)[٢].

١٧٢- عن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: (من قتل نفساً معاهدةً بغيرحقها حرَّم الله عليه [الجنة][٣] أن يشم ريحها)[٤].

قال أبو بكر: معنى هذا الخبر ... ما قد أعلمت أصحابي منذ دهر طويل، أن معنى الأخبار إنما هو على أحد معنيين: أحدهما: لا يدخل الجنة: أي بعض الجنان، إذ النبي ﷺ قد أعلم أنها جنان في جنة، واسم الجنة واقع على كل جنة منها. فمعنى هذه الأخبار التي ذكرنا: من فعل كذا -لبعض المعاصي- حرَّم الله

(١) أخرجه النسائي (٧٢١/٨) ح (٥٦٨٨) وأحمد (٤٤/١٠) ح (٦٥٣٧) -لكن ليس فيه ذكر العاق- وصحح إسناده أحمد شاكر في تعليقه على المسند، كما صححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١١٤٨/٣) ح (٥٢٤١).

(٢) متفق عليه: البخاري (٢٢٣١/٥) ح (٥٦٣٨) ومسلم (٣٤٨/١٦) ح (٢٥٥٦).

(٣) سقطت من (ش)، والتصحيح من (هـ) و (ز).

(٤) أخرجه النسائي (٣٩٣/٨) ح (٤٧٦٢) وصححه الألباني كما في صحيح سنن النسائي (٩٨٥/٣) ح (٤٤٢٣) وأخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه (٢٥٣٣/٦) ح (٦٥١٦) .

عليه الجنة، أو لم يدخل الجنة، معناها: لا يدخل بعض الجنان التي هي أعلى وأشرف وأنبل، وأكثر نعيماً وسروراً وبهجة وأوسع، لا أنه أراد: لا يدخل شيئاً من تلك الجنان التي هي في الجنة[1].

وعبدالله بن عمرو قد بين خبرُه الذي روى عن النبي ﷺ: (لا يدخل الجنة عاقّ، ولا منانّ، ولا مدمن خمر) أنه إنما أراد: حظيرة القدس من الجنة على ما تأولتُ أحد المعنيين.

١٧٣- فعن عبدالله بن عمرو أنه قال: (لا يدخل حظيرة القدس سكّيرٌ، ولا عاقّ، ولا منانّ)[2].

والمعنى الثاني: ما قد أعلمت أصحابي ما لا أحصي من مرة، أن كل وعيد في الكتاب والسنة لأهل التوحيد فإنما هو على شريطة، أي: إلا أن يشاء الله أن يغفر ويصفح ويتكرم ويتفضل، فلا يعذب على ارتكاب تلك الخطيئة، إذ الله -

---

(١) أحسن من هذا التأويل أن يُقال: إن معنى قوله: (لا يدخل الجنة) أي: لا يستحق دخولها إذا جوزي بذنبه، وقد يعفو الله عنه فيدخلها، أو المراد: أنه لا يدخلها ابتداءً، بل يُعذب بقدر ذنوبه ثم يدخلها. (هراس). قلت: لعل أحسن من هذا كله ما ذكره ابن القيم -وغيره- بعد أن بين طرق الناس ومسالكهم في نصوص الوعيد، وهو أن يُقال: إن هذه النصوص وأمثالها -من نصوص الوعيد- مما ذكر فيه المقتضي للعقوبة لا يلزم من وجود مقتضي الحكم وجوده، فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء مانعه، وغاية ما في هذه النصوص: الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة ومقتضٍ لها، وقد قام الدليل على ذكر الموانع، فبعضها بالإجماع، وبعضها بالنص، فالتوبة مانع بالإجماع، والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا مدفع لها ... [ينظر: مدارج السالكين (٤٢٨/١)]. وهذا الذي ذكره ابن القيم قد قرره شيخ الإسلام ابن تيمية في عدة مواضع من كتبه. [ينظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام (٩٢) ومجموع الفتاوى (٣٢٩/١٠) و (٥٠٠/٢٨-٥٠١)].

(٢) هذا أثر ضعيف، في سنده نافع بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي، وهو مجهول الحال. [ينظر: تحقيق القفيلي لكتاب التوحيد (٦١٦) هامش (٣)].

عزَّ وجلَّ– قد خبَّر في محكم كتابه أنه قد يشاء أن يغفر ما دون الشرك من الذنوب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء: من الآية٤٨).

قد أمليت هذه المسألة في كتاب: (معاني القرآن)، الكتاب الأول.

واستدللت أيضاً بخبرٍ عن النبي ﷺ على هذا المعنى، لم أكن ذكرته في ذلك الموضع أن النبي ﷺ إنما أراد بقوله: (من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين، حرم الله عليه الجنة) أي: إلا أن يشاء الله أن يعفو عنه فلا يعاقبه.

١٧٤– عن عمرو بن يحيى بن سعيد بن العاص قال: حدثني قيس بن محمد[1] بن الأشعث، أن الأشعث وهب له غلاماً فغضب عليه وقال: والله ما وهبت لك شيئاً، فلما أصبح رده عليه، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(من حلف على يمين صبراً ليقتطع مال امرئ مسلم لقي الله يوم القيامة وهو مجتمع عليه غضبان، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه)[2].

قال أبو بكر: فاسمعوا الخبر المصرِّح بصحة ما ذكرت أن الجنة إنما هي جنان في جنة، وأن اسم الجنة واقع على كل جنة منها على الانفراد، لتستدلوا بذلك على صحة تأويلنا الأخبار التي ذكرنا عن النبي ﷺ: من فعل كذا وكذا – لبعض المعاصي– لم يدخل الجنة، إنما أراد بعض الجنان، التي هي أعلى وأشرف وأفضل وأنبل وأكثر نعيماً وأوسع.

إذ محال أن يقول النبي ﷺ: من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة، يريد: لا

(١) هكذا في (هـ) و (ز) و (ق)، وأشار الشهوان إلى أنه كذلك في ثلاث نسخ:"حدثني قيس ابن محمد بن الأشعث ..." لكن وقع في طبعته : "حدثني قيس بن محمد عن محمد بن الأشعث" وخطّأ ما في النسخ الأخرى. قلت: وقيس يروي عن أبيه وعن جده.

(٢) أخرج هذا الحديث عن ابن مسعود والأشعث بن قيس بلفظ مقارب –وبدون الزيادة: (إن شاء عفا عنه ...)– البخاري (٨٨٩/٢) ح (٢٣٨٠) ومسلم (٥١٨/٢) ح (١٣٨).

يدخل شيئاً من الجنان، ويُخبر أنه يَدْخل الجنة، فتكون إحدى الكلمتين دافعةً للأخرى، وأحد الخبرين دافعاً للآخر، لأن هذا الجنس مما لا يدخله التناسخ، ولكنه من ألفاظ العام الذي يُرَادُ بها الخاص.

١٧٥- عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك أن أم الرُّبَيِّع بنت البراء – وهي أم حارثه بن سراقة- أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة ابن سراقة –وكان قُتل يوم بدر أصابه سهمٌ غَرْبٌ[(١)]– فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه الثكل، قال: (يا أم حارثة: إنها جنانٌ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)[(٢)].

قال أبو بكر: قد أمليت أكثر طرق هذا الخبر في (كتاب الجهاد) وقد أمليت في (كتاب ذكر نعيم الجنة) ذكر درجات الجنة، وبعدُ ما بين الدرجتين (منها)[(٣)]، وأمليت أخبار النبي ﷺ: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما تراءون الكوكب الدرى في أفقٍ من آفاق السماء، لتفاضل ما بينها) وقول بعض أصحابه: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: (بلى، رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين)[(٤)].

وأمليت أخبار النبي ﷺ: (بين كل درجتين من درج الجنة مسيرة مائة عام). فمعنى هذه الأخبار التي فيها ذكر بعض الذنوب الذي يرتكبه بعض المؤمنين –فإن النبي ﷺ يعني قال: إن مرتكبه لا يدخل الجنة– معناها: أنه لا يدخل العالي من الجنان التي هي دار المتقين الذين لم يرتكبوا تلك الذنوب

---

(١) أي: لا يُعرف راميه. [النهاية: (٣/٣٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣/١٠٣٤) ح (٢٦٥٤).

(٣) زيادة من (هـ) و (ز).

(٤) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه البخاري (٣/١١٨٨) ح (٣٠٨٣) ومسلم (١٧/١٧٥) ح (٢٨٣١).

والخطايا والحوبات.

وقد كنت أقول وأنا حدث: جائز أن يكون معنى أخبار النبي ﷺ: (لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان) أي: لا يدخل النار دخول الأبد، كدخول أهل الشرك والأوثان، كما قال النبي ﷺ: (أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون) ...الأخبار التي قد أمليتها بتمامها[1].

أو يكون معناها أي: لا يدخلون النار موضع الكفار والمشركين من النار، إذ الله –عزَّ وجلَّ– قد أعلم أن للنار سبعة أبواب، وأخبر أن لكل باب منهم جزءاً مقسوماً، فقال: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ...﴾ (الحجر: من الآية٤٤).

فمعنى هذا الخبر: قد يكون أنهم لا يدخلون النار موضع الكفار منها، لأن العلم محيط أن من لم يدخل موضعاً لم يُقل: (يخرج)[2]، وقد أخبر النبي ﷺ في الأخبار المتواترة التي لا يدفعها عالم بالأخبار أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

فإذا استحال أن يخرج من موضع لم يدخل فيه، ثبت وبان وصح: أن يخرج من النار ممن كان في قلبه ذرة من إيمان، إنما أُخرج من موضع النار غير الموضع الذي خبَّر النبي ﷺ أنه لا يدخل ذلك الموضع من النار.

فالتأليف بين الأخبار المأثورة عن النبي ﷺ على ما قد بيَّنا، وبيقين يعلم كل عالم بلغة العرب: أن جائزاً أن يقول القائل: لا أدخل الدار، إنما يريد بعض الدور، كذلك يقول أيضاً: لا أدخل دار فلان –ولفلان دور ذوات عدد– إنما يريد: أني لا أدخل بعض دوره، لا أنه إنما يريد: لا أدخل شيئاً من دور فلان، والصادق عند السامع الذي لا يتهم بكذب إذا سمعه يقول: لا أدخل دار فلان،

(١) تقدمت برقم (١٢٦، ١٣١، ١٣٢).

(٢) هكذا في (هـ) و (ز) وهو الذي يقتضيه كلام المصنف بعدُ، ووقع في (ش): (لم يخرج) بزيادة: (لم).

ثم يقول بعد مدة قصيرة أو طويلة أدخل دار فلان، لم يتوهم من سمع من الصادق هاتين اللفظتين أن إحداهما خلاف الأخرى، إذا كان المتكلم بهاتين اللفظتين عندهم ورعاً، ديناً، فاضلاً صادقاً.

ويَعلم من سمعه –ممن يعلم أنه لا يكذب– أنه إنما أراد بقوله: لا أدخل دار فلان إذا سمع اللفظة الثانية: أدخل دار فلان، أنه أراد بالدار التي ذكر أنه لا يدخلها غير الدار التي ذكر أنه يدخلها.

فإذا كان معلوماً عند السامعين إذا سمعوا الصادق البار عندهم يتكلم بهاتين اللفظتين أنهما ليستا بمتناقضتين ولا متهاترتين، وأنهم يحملون اللفظتين جميعاً على الصدق، ويؤلفون بينهما، وأنه إنما أراد بالدار التي ذكر أنه لا يدخلها غير الدار التي ذكر أنه يدخلها، وجب على كل مسلم يقر بنبوة النبي ﷺ، ويستيقن أنه أبرّ الخلق، وأصدقهم وأبعدهم من الكذب، والتكلم بالتكاذب والتناقض أن يعلم ويستيقن أن النبي ﷺ يقول: (لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان) يريد: لا يدخل شيئاً من المواضع التي يقع عليها اسم النار، ثم يقول: (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان) لأن اللفظتين اللتين رُويتا عنه إذا حملتا على هذا: كانت إحداهما دافعة للأخرى، فإذا تُؤولتا على ما ذكرنا كانتا متفقتي المعنى، وكانتا من ألفاظ العام التي يراد بها الخاص، فافهموا هذا الفصل، لا تُخدعوا فتضلوا عن سواء السبيل.

ونقول أيضاً: معلوم متيقن عند العرب أن المرء قد يقول: لا أدخل موضع كذا وكذا، ولا يدخل فلان موضع كذا وكذا، يريد: مدة من المدد ووقتاً من الأوقات.

قد يجوز أن يقول ﷺ: من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة، يريد: لم يدخل الجنة في الوقت الذي يدخلها من لم يرتكب هذه الحوبة، لأنه يحبس عن دخول الجنة، إما للمحاسبة على الذنب، أو لإدخال النار ليعذب بقدر ذلك الذنب، إن

كان ذلك الذنب مما يستوجب به المرتكب النار، إن لم يعف الله ويصفح ويتكرم، فيغفر ذلك الذنب. فمعنى هذه الأخبار لم يخل من أحد هذه المعاني، لأنها إذا لم تحمل على بعض هذه المعاني كانت على التهاتر والتكاذب، وعلى العلماء أن يتأولوا أخبار رسول الله ﷺ على ما قال علي بن أبي طالب: "إذا حُدِّثتم عن رسول الله ﷺ فظنوا به الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه".

١٧٦– عن علي رضي الله عنه قال: "إذا حُدِّثتم عن رسول الله ﷺ، فظنوا به الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه"، وخرج علي وقد ثُوِّبَ بالصلاة فقال: نعم ساعة الوتر هذه(١).

٧٥– باب ذكر الدليل على أن قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾(٢) ليس ينفي أن الله –عزَّ وجلَّ– يحيي الإنسان أكثر من مرتين.

[هـ٣٧٤/ ش٨٧٩/ ز٧٨٨/ ق٦٢٦]

على أن من ادَّعى ممن أنكر عذاب القبر، وزعم أن الله لا يحيي أحداً في القبر قبل يوم القيامة، احتجاجاً بقوله: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ...﴾ (غافر: من الآية١١). وهذه الآية من الجنس الذي قد أعلمت في مواضع من كتبنا في ذكر العدد الذي لا يكون نفياً لما زاد على ذلك العدد، فافهموه لا تغالطوا.

قال الله عز وجل: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ (البقرة: من الآية٢٥٩) فقد أحيا الله –عزَّ وجلَّ– هذا العبد مرتين قبل البعث يوم القيامة، وسيُبعث يوم القيامة، فهذه الآية تصرح أن الله تعالى قد أحيا هذا العبد مرتين، إذ قد أحياه المرة الثانية بعد

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢١١/٢) ح (٩٨٧) وصحح إسناده أحمد شاكر، وأخرجه ابن ماجه (٩/١) ح (٢٠) دون قوله في الوتر.

(٢) الحج من الآية: (٦٦). تنبيه: وقع في جميع الطبعات الثلاث إيراد الآية هكذا: (وهو الذي يحييكم ثم يميتكم...) وهو خطأ.

مكثه ميتاً مائة سنة، وسيحييه يوم القيامة فيبعثه.

وقال جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ (البقرة: من الآية٢٤٣).

وقد كنت بينت في كتابي الأول: (كتاب معاني القرآن) أن هذا الأمر أمر تكوين، أماتهم الله بقوله: ﴿مُوتُوا﴾ لأن سياق الآية دال على أنهم ماتوا، والإحياء إنما كان بعد الإماتة، لأن قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ دال على أنهم قد كانوا ماتوا فأحياهم الله بعد الموت، فهذه الجماعة قد أحياهم الله مرتين قبل البعث، وسيبعثهم الله يوم القيامة أحياءً، فالكتاب دال على أن الله يحيي هذه الجماعة، مع ما تقدم من إحياء الله إياهم ثلاث مرات.

لو كان كما ادعت هؤلاء الجهلة أن الله -عزَّ وجلَّ- لا يحيي أحداً في القبر قبل وقت البعث فكيف وقد ثبت في كتاب الله وسنن نبيه ﷺ خلاف دعواهم الداحضة؟! خبَّر الله -عزَّ وجلَّ- أنَّ آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً، وسياق الآية دال على أن النار، إنما تعرض عليهم غدواً وعشياً قبل يوم القيامة، ومحال أن تعرض النار على جسد لا روح فيه ولا يَعلم أن النار تعرض عليه. والنبي ﷺ قد أخبر أيضاً أن النار تعرض على كل ميت إذا كان من أهلها، كذلك أخبر أن الجنة تعرض على كل ميت غدواً وعشياً إذا كان من أهلها.

١٧٧- عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: (إذا مات أحدكم يعرض عليه مقعدة بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى تبعث إليه[1])[2].

(١) جاء الحديث في (هـ) و (ش) هكذا: (إذا مات أحدكم يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل النار، فقالوا: هذا مقعدك حتى تبعث إليه) والمثبت من (ز)، وهو الذي يدل عليه كلام ابن خزيمة قبل هذا الحديث، كما أنه الموافق لما في الصحيحين.

(٢) متفق عليه: البخاري (١/٤٦٤) ح (١٣١٣) ومسلم (١٧/٢٨٦٦) ح (٢٨٦٦).

قال أبو بكر: قد أمليت طرق هذا الخبر في (كتاب الجنائز) في أبواب عذاب القبر، وهذا الخبر يبين ويوضح أن المقبور يحيا في قبره، ويبين ويوضح أيضاً: أن الجنة والنار مخلوقتان، لا كما ادعت الجهمية أنهما لم تخلقا بعد.

فاسمعوا خبراً يدل على مثل ما دلت عليه الآي التي تلوتها، والبيان أن الله -عزّ وجلّ- يحيى المقبور قبل البعث يوم القيامة مما لم أكن ذكرته في أبواب عذاب القبر، إذ ليس في الأخبار التي أذكرها ذكر العذاب، إنما فيها ذكر الإحياء في القبر دون ذكر العذاب.

١٧٨- عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (مررت على موسى وهو يصلي في قبره)[١].

٧٦- باب ذكر موضع عرش الله -عزّ وجلّ- قبل خلق السموات: [هـ٣٧٦/ ش٨٨٣/ ز٧٩٣/ ق٦٢٩]

١٧٩- عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين[٢] قال: دخل قوم على رسول الله ﷺ، فجعلوا يسألونه ويقولون: أعطنا حتى ساءه ذلك، ثم خرجوا من عنده، فدخل عليه قوم آخرون، فقالوا: جئنا لنسلّم على رسول الله ﷺ ونتفقه في الدين، ونسأل عن بدء هذا الأمر، قال: (فاقبلوا ببشرى الله) وقال ابن معمر: (بشرى الله) وقالا جميعاً[٣]: (إذلم يقبله أولئك) -يعني الذين خرجوا من عنده- قالوا: قد قبلنا يا رسول الله.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤١/١٥) ح (٢٣٧٥).

(٢) في أكثر النسخ : "عن بريدة بن حصيب" بدل: "عمران بن حصين" وهو كذلك عند الحاكم في المستدرك (٣٧١/٢) ح (٣٣٠٧) وكذا في إتحاف المهرة (٥٦٢/٢) وقد عزاه الحافظ لابن خزيمة في التوحيد والحاكم في المستدرك، ثم قال: "لكنه معلول، والصواب: عن صفوان عن عمران بن حصين".

(٣) أي: ابن معمر، وأبا غسان مالك بن سعد، اللذان رويا هذا الحديث.

فقال رسول الله ﷺ : (كان الله ولا شيء غيره، وكان العرش على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق الله سبع سموات) ثم أتاه آتٍ -يعني عمران- فقال: إن ناقتك قد ذهبت.

قال: فخرجت والسراب ينقطع -وقال ابن معمر: يتقطع- دونها، فلوددت أني كنت تركتها)[1].

انتهى التهذيب فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(١) أخرجه البخاري (١١٦٦/٣) ح (٣٠١٩) و (٢٦٩٩/٦) ح (٦٩٨٢).

فهرس المصادر والمراجع

١. إبطال التأويلات لأخبار الصفات. للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء. تحقيق ودراسة: محمد بن حمد الحمود النجدي. مكتبة دار الإمام الذهبي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٢. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة. للحافظ ابن حجر. تحقيق:د.محمود أحمد عبد المحسن، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى،١٤١٨هـ.

٣. اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى. لابن رجب. تحقيق: جاسم الفهيد الدوسري. مكتبة الأقصى، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٤. الأدب المفرد. للإمام محمد بن إسماعيل البخاري. خرج أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.

٥. الأربعين في دلائل التوحيد. لأبي إسماعيل الهروي. تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي. الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ

٦. الأسماء والصفات. للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي. مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٧. الإصابة في تمييز الصحابة. للحافظ ابن حجر العسقلاني. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وَعلي محمد معوَّض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٨. إكمال المعلم بفوائد مسلم المعروف بشرح القاضي عياض. للإمام عياض بن موسى اليحصبي. تحقيق د. يحيى إسماعيل.دار الوفاء، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ

٩. البداية والنهاية. للحافظ ابن كثير. تحقيق: د عبد الله التركي. دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٠. بلوغ المرام من أدلة الأحكام. للحافظ ابن حجر. اعتنى به: الشيخ محمد حامد الفقي. دار الفكر.

١١. بيان تلبيس الجهمية. لشيخ الإسلام ابن تيمية. عناية: الشيخ محمد بن قاسم. دار القاسم، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

١٢. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية. القسم السادس والسابع. تحقيق: الدكتور عبد العزيز اليحيى والدكتور محمد البريدي. في رسائل علمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ولم يطبع بعد.

١٣. تأويل مختلف الحديث. تأليف: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. الناشر دار الكتب

العلمية.
١٤. تفسير القرآن العظيم. للإمام الحافظ ابن كثير الدمشقي. اعتنى به حسين بن إبراهيم زهران. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
١٥. تقريب التهذيب. للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
١٦. تهذيب التهذيب. للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
١٧. تهذيب سنن أبي داود. لابن القيم. مطبوع بهامش عون المعبود. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
١٨. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. للحافظ أبي الحجاج المزي. تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
١٩. تهذيب اللغة. لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري. عناية: محمد عوض مرعب وزملائه. دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ.
٢٠. التوحيد الذي هو حق الله على العبيد . للإمام محمد بن عبد الوهاب . طبعة وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ١٤١٦.
٢١. التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل. للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة. دراسة وتحقيق: د. عبد العزيز الشهوان. مكتبة الرشد، الطبعة السادسة، ١٤١٨هـ.
٢٢. التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل. للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة. تحقيق: سمير أمين الزهيري. دار المغني، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٢٣. التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل. للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة. راجعه وعلّق عليه الشيخ محمد خليل هراس. دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ.
٢٤. التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل. للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة. تحقيق: الشيخ أحمد بن علي بن مثنى القفيلي الرياشي الرداعي. دار الآثار، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
٢٥. التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد. لابن منده. تحقيق: د. علي ابن محمد بن ناصر الفقيهي. مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
٢٦. جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٢٧. جامع الترمذي، مطبوع مع شرحه تحفة الأحوذي. دار الفكر.
٢٨. الجامع لشعب الإيمان. للإمام البيهقي. تحقيق: د.عبد العلي عبد الحميد حامد. الدار السلفية،

الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٩. الجمع بين الصحيحين لعبد الحق الإشبيلي. عناية: حمد الغماس. دار المحقق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٠. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. للإمام ابن قيم الجوزية. تحقيق: علي الشربجي وقاسم النوري. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣١. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة. لقوام السنة الأصبهاني. تحقيق: الدكتور محمد ابن ربيع بن هادي عمير المدخلي، ومحمد بن محمود أبو رحيِّم. دار الراية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٣٢. الدرر السنية في الأجوبة النجدية. جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ.

٣٣. دفاع أهل السنة والإيمان عن حديث خلق آدم على صورة الرحمن. للشيخ عبد الله بن محمد الدويش. وهو مطبوع ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ عبد الله الدويش.

٣٤. الرد على الجهمية. للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي. تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

٣٥. الرد على الجهمية. للإمام محمد بن إسحاق بن منده. تحقيق: د. علي بن ناصر الفقيهي. مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٣٦. رفع الملام عن الأئمة الأعلام. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: حسين الجمل. مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

٣٧. الرؤية. للإمام الدارقطني. تحقيق: إبراهيم العلي، أحمد الرفاعي. مكتبة المنار، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٣٨. زاد المعاد في هدي خير العباد. لابن قيم الجوزية. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط. الناشر: مكتبة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثالثة عشر، ١٤٠٦هـ.

٣٩. سبل السلام شرح بلوغ المرام . للشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني . اعتنى به فوّاز أحمد زمرلي، إبراهيم الجمل . الناشر دار الريان، دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٠٧هـ .

٤٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

٤١. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة. للعلامة محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٤٢. سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجه). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر دار الكتب العلمية.
٤٣. سنن أبي داود. مطبوع مع شرحه عون المعبود. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٤٤. السنن الكبرى. للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي. مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد، الطبعة الأولى، ١٣٥٤هـ.
٤٥. سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي. حققه: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
٤٦. السنة. للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحَّاك. ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة. للعلامة محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.
٤٧. السنة. للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني. رمادي للنشر، الدمام، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.
٤٨. سير أعلام النبلاء. للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: مجموعة من المختصين. إشراف: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ.
٤٩. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة. للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي. تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي. دار طيبة، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ.
٥٠. شرح حديث النزول. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس. دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٥١. شرح العقيدة الطحاوية. للإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي. تحقيق: د.عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
٥٢. شرح العقيدة الواسطية. للشيخ محمد بن صالح العثيمين. دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
٥٣. الشريعة. للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري. تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميجي. دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٥٤. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. للقاضي عياض. دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٥٥. الشفاعة للشيخ مقبل الوادعي، دار الأرقم، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
٥٦. صحيح البخاري. ضبطه ورقمه واعتنى به: د. مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير، دمشق، بيروت، اليمامة، دمشق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
٥٧. صحيح سنن ابن ماجه . محمد ناصر الدين الألباني . مكتب التربية العربي لدول الخليج،

المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ .
٥٨. صحيح سنن أبي داود. صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني. مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٥٩. صحيح سنن الترمذي. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٦٠. صحيح سنن النسائي. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٦١. صحيح مسلم، مطبوع مع شرحه للنووي. راجعه: الشيخ خليل الميس. دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٦٢. الصفات. للإمام الدارقطني. تحقيق: الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان. مكتبة لينة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
٦٣. ضعيف سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
٦٤. ضعيف سنن الترمذي . لمحمد ناصر الدين الألباني . المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ .
٦٥. عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن. للشيخ حمود بن عبد الله التويجري. دار اللواء، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
٦٦. العلل الكبير. للترمذي. مكتبة الأقصى، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٦٧. العلل الواردة في الأحاديث النبوية. للدارقطني. تحقيق: محفوظ عبد الرحمن زين الدين السلفي. دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٦٨. فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري. للحافظ أحمد بن علي بن حجر القسطلاني. تصحيح وتحقيق وإشراف: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.الناشر: دار الفكر.
٦٩. الفصول في سيرة الرسول ﷺ. لابن كثير. تحقيق: محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو. دار ابن كثير، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
٧٠. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر. لصديق حسن خان. حققه د. عاصم بن عبد الله القريوتي. طبع شركة الشرق الأوسط للطباعة.
٧١. الكامل في ضعفاء الرجال. للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني. حققه: لجنة من المختصين بإشراف الناشر. دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
٧٢. مجلة الجامعة السلفية، المجلد الثامن، العدد الرابع، في ذي القعدة سنة ١٣٩٦هـ.
٧٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي. دار الكتب العلمية،

بيروت.

٧٤. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي.

٧٥. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة. لسماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز. جمع: د. محمد بن سعد الشويعر. تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.

٧٦. المختار من الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية. للإمام أبي عبد الله عبد الله بن محمد بن بطه العكبري. تحقيق: الوليد محمد نبيه بن يوسف النصر. دار الراية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٧٧. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم. اختصره: محمد الموصلي. تحقيق: د. الحسن بن عبد الرحمن العلوي. أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٧٨. مختصر قيام الليل. لأبي عبد الله المروزي. اختصره: أحمد بن علي المقريزي. الناشر: حديث أكادمي، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٧٩. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. للإمام ابن القيم. دار الكتب العلمية.

٨٠. مذكرة في شرح كتاب التوحيد . لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز . قام بإعدادها مجموعة من طلبة العلم . لم تطبع .

٨١. المستدرك على الصحيحين. للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٨٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني. تحقيق مجموعة من المختصين، بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ

٨٣. المسند، للإمام أحمد بن حنبل. شرحه وصنع فهارسه: أحمد محمد شاكر. دار المعارف بمصر.

٨٤. المسند. لأبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

٨٥. المعجم الأوسط. للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. حققه: قسم التحقيق بدار الحرمين، دار الحرمين، ١٤١٥هـ.

٨٦. المعجم الكبير. للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. حققه: حمدي عبد المجيد السلفي. دار إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثانية.

٨٧. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. للذهبي. تحقيق: علي محمد معوض وزملاؤه. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٨٨. نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد. تحقيق: د. رشيد بن حسن الألمعي. مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٨٩. النهاية في غريب الحديث والأثر. لمجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. الناشر: دار الفكر.
٩٠. هدي الساري مقدمة فتح الباري. للحافظ ابن حجر العسقلاني. تحقيق الشيخ: عبد العزيز بن باز. دار الفكر.

فهرس المحتويات



اَلْأَمْوَالُ الزَّكَوِيَّةُ
الَّتِي يُضَمُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ
فِي تَكْمِيلِ النِّصَابِ

إِعْدادُ:

د. عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ سَالِمِ السُّحَيْمِيّ

الأُسْتَاذِ الْمُسَاعِدِ فِي كُلِّيَّةِ الشَّرِيْعَةِ فِي الْجَامِعَةِ

مقدّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد؛ فإن الزكاة أحد أركان الإسلام ودعائمه العظام المعلومة من الدين بالضرورة، وللزكاة أحكام كثيرة ومسائل متعددة تنبغي معرفتها والإحاطة بها، ومن أهم ما تجب معرفته والإحاطة به "الأموال الزكوية التي يضم بعضها إلى بعض في تكميل النصاب"؛ وهو موضوع يتعلق بأهم شروط الوجوب في الزكاة وهو المقدار الذي تجب به الزكاة وهو "النصاب" من ناحية ما يضم إليه من أموال أخرى بحيث تكمل النصاب، والحاجة ماسة إلى بيان الأحكام المتعلقة به مما يحتاج إلى الكشف والبيان، لذا فقد رأيت الكتابة في هذا الموضوع وتقريب مسائله بأسلوب علمي مع ربط ذلك بالفتاوى المعاصرة لاسيما فيما يتعلق بالعملات الورقية التي هي غالب ما يتعامل به الناس اليوم، ليتحقق الغرض من البحث وتحصل الفائدة المرجوة منه.

وقد سميت ما كتبت "الأموال الزكوية التي يضم بعضها إلى بعض في تكميل النصاب".

ويتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

المقدمة: وتحتوي على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة.

أسباب اختيار هذا الموضوع:

١- أهمية الموضوع.

٢- أنني لم أقف على من أفرد هذا الموضوع برسالة مستقلة متخصصة

تجمع شتاته وتقرّبه إلى القارئ.

٣- أن بعض مفردات هذا الموضوع تحتاج إلى من يجليها بدراسة مستقلة لأهميتها على وجه الخصوص وهي العملات الورقية حيث لم تكن متداولة في السابق، فيحتاج إلى معرفة حكم الزكاة فيها، وإلى معرفة تقدير النصاب، وإلى معرفة كيفية ضم بعضها إلى بعض وضمها إلى الأموال الزكوية الأخرى كالذهب والفضة وعروض التجارة، لاسيما أن الأوراق النقدية هي غالب ما يتعامل به الناس اليوم.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

المقدمة وتحتوي على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وأما التمهيد فيحتوي على تعريف الزكاة، وأدلة وجوبها، والحكمة من مشروعيتها، ووقت وجوبها وضابط ذلك.

وأما المبحث الأول: ففي الأموال الزكوية المتفق على ضم بعضها إلى بعض في تكميل النصاب، وفي الأموال الزكوية المتفق على عدم ضم بعضها إلى بعض في تكميل النصاب.

وأما المبحث الثاني: ففي الأموال الزكوية التي اختلف أهل العلم في ضم بعضها إلى بعض في تكميل النصاب وفيه ستة مطالب.

المطلب الأول: ضم الذهب إلى الفضة وضم الفضة إلى الذهب في تكميل النصاب وكيفية الضم وفيه فرعان:

الفرع الأول: ضم الذهب إلى الفضة وضم الفضة إلى الذهب.

الفرع الثاني: في كيفية ضم أحدهما إلى الآخر في تكميل النصاب.

المطلب الثاني: ضم العملات الورقية بعضها إلى بعض وكيفية ذلك.

المطلب الثالث: ضم المعدن والركاز بعضه إلى بعض في تكميل النصاب.

المطلب الرابع: ضم الحبوب بعضها إلى بعض وضم الزرع بعضه إلى بعض إذا اختلفت أوقات زرعه وكيفية ذلك وفيه فرعان:

الفرع الأول: ضم الحبوب بعضها إلى بعض.

الفرع الثاني: ضم زرع العام الواحد بعضه إلى بعض في تكميل النصاب.

المطلب الخامس: الخلطة في الأموال وتأثيرها في الزكاة وفيه فرعان.

الفرع الأول: الخلطة في الماشية. الفرع الثاني: الخلطة في غير الماشية.

المطلب السادس: ضم المال المستفاد إلى غيره وفيه ثلاثة فروع.

الفرع الأول: إذا كان المستفاد من نمائه كربح مال التجارة ونتاج السائمة.

الفرع الثاني: أن يستفيد مالا من جنس مال عنده.

الفرع الثالث: أن يستفيد مالا من غير جنس ما عنده.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج.

منهج البحث:

اتبعت المنهج العلمي المعروف في الأبحاث العلمية وقمت بما يلي:

١- جمعت المادة العلمية المتعلقة بهذا الموضوع من مصادرها الأصلية إلى جانب المصادر والمراجع الحديثة التي لها علاقة بالموضوع، ووثقت النقول بالرجوع إلى المصادر الأصلية في ذلك.

٢- صدّرت المباحث والمطالب والفروع بذكر الاتفاق إن وجد مع ذكر الدليل، ثم ذكرت الخلاف عند الأئمة الأربعة، وقد أذكر غيرهم من فقهاء الصحابة والتابعين رحمهم الله، ثم ذكرت الأدلة لكل قول مع مناقشة ما يحتاج إلى مناقشة، وذكر سبب الخلاف، ثم ختمت المبحث أو المطلب أو الفرع بذكر الراجح وسبب الترجيح.

٣- رقّمت الآيات القرآنية في البحث بذكر رقم الآية واسم السورة.

٤- خرّجت الأحاديث والآثار، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما، وإن لم يكن فيهما خرّجته من كتب السنة مع بيان درجته صحة وضعفا.

٥- علّقت على ما يحتاج إلى تعليق من بيان كلمة غريبة أو مصطلح علمي أو غير ذلك.

هل هناك دراسات سابقة لهذا الموضوع؟

بعد البحث والتنقيب تبيّن لي أن موضوع "الأموال الزكوية التي يضم بعضها إلى بعض في تكميل النصاب" لم تكتب فيه دراسة فقهية متخصصة تجمع مسائله في بحث مستقل مع أهمية ذلك وحاجة الناس إليه.

هذا وأرجو الله أن تكون هذه الكتابة وافية بالغرض ومحققة للمقصود، وأن أكون قد أوفيت الموضوع حقه ولا أدّعي الكمال، وأسأله سبحانه وتعالى أن يوفقني والمسلمين للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

تعريف الزكاة:

الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح[١]. وفي الشرع: حق واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص[٢].

أدلة وجوبها: الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة، وهي واجبة بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول.

فمن الكتاب قول الله تعالى ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾[٣]، وقول الله تعالى ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾[٤]، وقول الله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة﴾[٥].

ومن السنة قول النبي ﷺ لمعاذ لما بعثه لليمن «...ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»[٦].

وأما الإجماع: فقد أجمع المسلمون في جميع الأعصار على وجوبها، واتفق

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٣٠٧/٢، ومختار الصحاح ص ١٦٩، والمصباح المنير ٢٥٤/١ باب "زكا"، والقاموس المحيط ص ١٦٦٧ باب "زكا يزكو" ، ، والمطلع على أبواب المقنع ص ١٢٢.

(٢) ومغني المحتاج ٣٦٨/١، كشاف القناع ١٦٦/٢، ، والروض المربع مع حاشية ابن قاسم ١٦٤/٣.

(٣) آية ١٤١ من سورة الأنعام.

(٤) آية ١٠٣ من سورة التوبة.

(٥) آية ٥ من سورة البينة.

(٦) رواه البخاري في صحيحه "البخاري مع الفتح" ٢٦١/٣ كتاب الزكاة/ حديث رقم ١٣٩٥.

الصحابة ﷺ على قتال مانعيها[1].

وأما المعقول فمن وجوه:

أحدها: أن أداء الزكاة من باب إعانة الضعيف وإغاثة اللهيف، وإقدار العاجز وتقويته على أداء ما افترض الله عليه من التوحيد والعبادات، والوسيلة إلى أداء المفروض مفروض.

والثاني: أن الزكاة تطهّر نفس المؤدي عن أنجاس الذنوب، وتزكي أخلاقه بتخلق الجود والكرم، وترك الشح والضن، إذ الأنفس مجبولة على الضن بالمال، فتتعوّد السماحة وترتاض لأداء الأمانات وإيصال الحقوق إلى مستحقيها، وقد تضمن ذلك كله قول الله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾[2].

الثالث: أن الله تعالى قد أنعم على الأغنياء، وفضّلهم بصنوف النعمة والأموال الفاضلة عن الحوائج الأصلية، وخصهم بها، فيتنعمون ويستمتعون بلذيذ العيش، وشكر النعمة فرض عقلا وشرعا، وأداء الزكاة إلى الفقير من باب شكر النعمة فكان فرضا[3].

سبب مشروعية الزكاة والحكمة من ذلك:

سبب وجوب الزكاة على الإنسان ملكه لمال يحتمل المواساة، ومعنى ذلك أن يكون المال فاضلا عن قدر حاجته؛ يدل على ذلك أن الزكاة تضاف إلى المال فنقول: زكاة المال، والإضافة إنما تكون إلى السبب[4]، وقد قال الله تعالى: ﴿وفي أموالهم حقّ للسائل والمحروم﴾[5].

(١) الهداية ٩٦/١، وبدائع الصنائع ٢/٢، والمغني ٥/٤، ومغني المحتاج ٣٦٨/١.

(٢) آية ١٠٣ من سورة التوبة.

(٣) ذكر هذه الوجوه الثلاثة الكاساني في بدائع الصنائع ٣/٢.

(٤) الانتصار في المسائل الكبار ١٢٤/٣.

(٥) آية ١٩ من سورة الذاريات.

وأما الحكمة من مشروعية الزكاة: فلأنها تجب شكرا لنعمة المال كما يجب الصوم والصلاة شكرا لنعمة البدن[(١)]، وسدّا لخلّة الفقراء، وكمّل الله هذه الحكمة بتشريكه بين الأغنياء والفقراء في أعيان الأموال حتى لا تنكسر قلوب الفقراء باختصاص الأغنياء بتلك الأموال[(٢)].

الأموال التي تجب فيها الزكاة

تجب الزكاة في هذه الأموال:

١- السائمة من بهيمة الأنعام وهي: الإبل والبقر والغنم.

٢- الأثمان -الذهب والفضة- وما يقاس عليها من النقود والعملات العصرية.

٣- عروض التجارة[(٣)].

٤- الخارج من الأرض من الزروع والثمار.

٥- المعادن[(٤)]، والركاز[(٥)(٦)].

---

(١) الانتصار في المسائل الكبار ٣/١٢٤.

(٢) الذخيرة ٣/٧.

(٣) عروض التجارة هي غير الأثمان من المال على اختلاف أنواعه من النبات والحيوان والعقار وسائر المال، وتجب الزكاة فيه بشرطين: الأول: أن يملكه بفعله كالبيع والنكاح والخلع وقبول الهبة والوصية واكتساب المباحات؛ الثاني: أن ينوي بتملكه أنه للتجارة. المغني ٤/٢٥٠، ٢٥١، والروض المربع مع حاشية ابن قاسم ٣/٢٦٠.

(٤) المعدن ما كان في الأرض من غير جنسها يستنبط من الأرض وليس دفنا. المغني ٤/٢٣٩.

(٥) الركاز هو دفن الجاهلية ويعرف ذلك بأن توجد عليه أسماء ملوكهم أو صلبانهم ونحو ذلك. شرح الزركشي ٢/٥٠٥.

(٦) انظر لمعرفة الأموال التي تجب فيها الزكاة وهي التي تقدّم ذكرها في متن هذه الصفحة.
انظر: المقدمات الممهدات ١/٢٨٧، ٢٨٨، وتحفة الفقهاء ١/٢٦٣، ٢٦٤، والهداية ١/٩٦، والذخيرة ٣/٧، ، والـــمغني ٤/٧٣، ٧٤، ونهاية المحتاج ٣/٤٣ وما بعدها، =

وقت وجوبها والضابط في ذلك

أما وقت وجوبها وضابط ذلك؛ فمنها ما يكون الحول فيها شرطا إضافة إلى النصاب وهي: بهيمة الأنعام، والأثمان -الذهب والفضة- وقيم عروض التجارة، ومنها ما لا يعتبر فيه الحول وإنما يشترط فيه النصاب وهما ما يكال ويدخر من الزروع والثمار، والمعدن(١).

قال ابن قدامة: "والفرق بين ما اعتبر له الحول وما لم يعتبر له أن ما اعتبر له الحول مرصَّد للنماء، فالماشية مرصدة للدَّر والنسل، ليكون إخراج الزكاة من الربح فإنه أسهل وأيسر، ولأن الزكاة إنما وجبت مواساة ولم تعتبر حقيقة النماء لكثرة اختلافه وعدم ضبطه، ولأن ما اعتبرت مظنته لم يلتفت إلى حقيقته كالحكم مع الأسباب؛ ولأن الزكاة تتكرر في هذه الأموال فلابد لها من ضابط كيلا يفضي تعاقب الوجوب في الزمن الواحد مرات فينفذ مال المالك.

أما الزروع والثمار فهي نماء في نفسها تتكامل عند إخراج الزكاة، فتؤخذ الزكاة حينئذ ثم تعود في النقص لا في النماء، فلا تجب فيها زكاة ثانية لعدم إرصادها للنماء.

والخارج من المعدن مستفاد خارج من الأرض بمنزلة الزرع والثمر إلا أنه إن كان من جنس الأثمان ففيه الزكاة عند كل حول؛ لأنه مظنة للنماء من حيث أن الأثمان قيم الأموال وهي مخلوقة لذلك، فكانت بأصلها وخلقتها كمال التجارة المعدِّ لها"(٢).

= وكشاف القناع ١٦٧/٢، وفقه العبادات للشيخ محمد بن عثيمين ص ١٧٩-١٨٣، وفتاوى الزكاة للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين ص ٢٩ وما بعدها.

(١) المغني ٧٣/٤.

(٢) المغني ٧٤/٤.

المبحث الأول: الأموال الزكوية المتفق على أنه يضم بعضها إلى بعض في تكميل النصاب والأموال الزكوية المتفق على أنه لا يضم بعضها إلى بعض في تكميل النصاب

فأما الأموال الزكوية المتفق على أنه يضم بعضها إلى بعض في تكميل النصاب فلا خلاف بين العلماء أن أنواع الأجناس يضم بعضها إلى بعض في تكميل النصاب؛ فيضم الذهب بعضه إلى بعض، جيده ورديئه، وتضم الفضة بعضها إلى بعض، جيدها ورديئها، وتضم عروض التجارة على تنوعها بعضها إلى بعض، وتضم العروض إلى الأثمان –الذهب والفضة– أي إلى كل منهما، وتضم الأثمان إلى العروض.

كما أنه لا خلاف بين العلماء أن الجنس الواحد من الحبوب يضم بعضه إلى بعض، فتضم الحنطة بعضها إلى بعض، ويضم الشعير بعضه إلى بعض، ويضم أنواع التمر بعضه إلى بعض، ويضم أنواع الزبيب بعضه إلى بعض، ويضم الجنس الواحد من بهيمة الأنعام بعضه إلى بعض، فتضم أنواع الغنم من المعز والضأن بعضها إلى بعض، وتضم أنواع الإبل بعضها إلى بعض، وتضم أنواع البقر بعضها إلى بعض، وتضم فوائد الأموال إلى أصولها[1].

وأما الأموال المتفق على أنه لا يضم بعضها إلى بعض في تكميل النصاب؛ فلا خلاف بين العلماء في غير الحبوب والأثمان –الذهب والفضة– أنه لا يضم جنس إلى آخر في تكميل النصاب. فالماشية ثلاثة أجناس: الإبل، والبقر، والغنم، لا يضم جنس منها إلى الآخر.

والثمار أجناس، لا يضم جنس منها إلى غيره، فلا يضم التمر إلى الزبيب ولا إلى اللوز والفستق، ولا يضم شيء من هذه إلى غيره، ولا تضم الأثمان إلى

(١) سأفرد هذه المسألة ببحث مستقل لأن فيها تفصيلا.

شيء من الماشية، ولا إلى شيء من الحبوب والثمار[1].

والأدلة لذلك:

١- عمومات الأدلة الموجبة للزكاة من القرآن والسنة، فإنها تدل بمنطوقها على أن الجنس الواحد يضم بعضه إلى بعض، وتدل بمفهومها على عدم الضم عند اختلاف الجنس إلا ما دل عليه الدليل، وهذا سيأتي ذكره في الأجناس المختلف في ضم بعضها إلى بعض.

٢- الإجماع[2]. هذا بالنسبة للجنس الواحد فإنه يضم بعضه إلى بعض، وعند الاختلاف لا يضم بعضه إلى بعض -إلا ما دلّ عليه الدليل- ومن ذلك ضم العروض إلى الذهب وإلى الفضة، وضم الذهب والفضة إليها، قال ابن قدامة: «فإن عروض التجارة تضم إلى كل واحد من الذهب والفضة، ويكمل به نصابه، لا نعلم فيه اختلافا...» وعلل ذلك بقوله: «لأن الزكاة إنما تجب في قيمتها فتقوَّم لكل واحد منهما فتضم إلى كل واحد منهما»[3].

وقال العيني: «وتضم قيمة العروض إلى الذهب والفضة حتى يتم النصاب هذا بالإجماع، لأن الوجوب -أي وجوب الزكاة- في الكل، أي قيمة الذهب والفضة باعتبار التجارة وإن افترقت جهة الإعداد»[4].

---

(١) انظر: الإجماع لابن المنذر ص ٤٧، ومختصر اختلاف العلماء ٤٢٢/١، ٤٣٠، ٤٥٤، ومعالم السنن ١٥/٢، ١٦، والمعونة ٢٤٩/١، والمقدمات الممهدات ٢٨٥/١-٢٩٠، وبداية المجتهد ٦٥/٥، والمغني ٢٠٤/٤، والمجموع ٥١١/٥-٥١٤، ١٦/٦، ١٧، البناية ١١٧/٣-١٢٠، ومغني المحتاج ٣٨٩/١، ٣٩٠، ، والروض المربع مع حاشية ابن قاسم ٢٢٣/٣، ٢٢٤، ٢٤٨.

(٢) انظر المصادر المتقدمة في الإحالة السابقة.

(٣) المغني ٢١٠/٤.

(٤) البناية ١١٧/٣.

وقال القاضي عبد الوهاب: «لا يضم صنف إلى غيره لقوله: «ليس فيما دون خمسة أوسق[١] صدقة»[٢]، وقد علمنا أنه لم يُرِد بذلك من كل شيء فوجب حمله على الصنف الواحد، ولأنه لا خلاف أنه لا يضم صنف إلى صنف إذا لم يكن في وقته فكذلك إذا كان في وقته وكان من غير صنفه، ولا خلاف في ذلك؛ وإنما قلنا إن أنواع الصنف يضم بعضها إلى بعض؛ لأن الصنف قد جمعها؛ ولأن المنفعة واحدة لا تكاد تختلف فيها، كالضأن والمعز، والبخت والعراب، والبقر والجواميس، وكذلك الزبيب والقشمش»[٣].

---

(١) جمع وسق، والوسق ستون صاعاً، والصّاع يساوي أربعة أمداد، قال الشيخ ابن عثيمين: «والصاع النبوي بالوزن يساوي كيلوين وأربعين غراماً». وقدَّرت اللجنة الدائمة للإفتاء الصّاع بما يقارب ثلاثة كيلو غرام. فعلى تقدير الشيخ ابن عثيمين يكون الوسق= ٢٠٤٠×٦٠= ١٢٢٤٠٠غم = ١٢٢,٤كجم. وعلى تقدير اللجنة الدائمة الوسق= ٦٠×٣=١٨٠كجم. انظر: المصباح المنير مادة وسق ص ٦٦٠، والقاموس المحيط مادة وسق ص ١١٩٩، والشرح الممتع ٧٦/٦، وفتاوى اللجنة الدائمة ٣٧١/٩، فتوى رقم: ١٢٥٧٢.

(٢) الحديث بلفظ ((ليس فيما دون خمس أواق صدقة وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة)) رواه البخاري في صحيحه: البخاري مع الفتح ٣١٠/٣، حديث رقم ١٤٤٧ باب زكاة الورق، ومسلم في صحيحه: مسلم بشرح النووي ٥٠/٧.

(٣) المعونة ٢٤٩/١. والقشمش نوع من الزبيب كما يدل عليه كلام القاضي عبد الوهاب.

المبحث الثاني: الأموال الزكوية التي اختلف أهل العلم في ضم بعضها إلى بعض في تكميل النصاب

المطلب الأول: ضم الذهب إلى الفضة وضم الفضة إلى الذهب في تكميل النصاب وكيفية الضم

الفرع الأول: ضم الذهب إلى الفضة وضم الفضة إلى الذهب:

لا خلاف بين العلماء أنه إذا كان له ذهب وفضة وعروض فإنه يجب ضم الجميع بعضه إلى بعض في تكميل النصاب، لأن العروض مضموم إلى كل واحد منهما، فيجب ضمهما إليه وجمع الثلاثة[1]، فأما إذا كان له من كل واحد من الذهب والفضة ما لا يبلغ نصابا بمفرده، أو كان له نصاب من أحدهما وأقل من نصاب من الآخر، فهل يضم أحدهما إلى الآخر أم لا؟ اختلف العلماء في ذلك على قولين: أولهما: أنه لا يضم أحدهما إلى الآخر بل يعتبر كل واحد منهما بمفرده، فإذا أتم نصابا فحينئذ تجب فيه الزكاة وإلا فلا، وهو قول ابن أبي ليلى والحسن بن صالح وشريك والشافعي وأبي عبيد وأبي ثور[2]، وأحمد في إحدى الروايتين عنه[3].

ثانيهما: أنه يضم أحدهما إلى الآخر ويكمل به النصاب، وهو قول الحسن وقتادة والأوزاعي والثوري[4]، وأبي حنيفة[5]، ومالك[6]، وأحمد في الرواية

---

(١) المغني ٤/٢١٠.

(٢) الاصطلام ٢/٩٥، والوسيط ٢/٤٧٢، والمغني ٤/٢١٠، المجموع ٦/١٨، ومغني المحتاج ١/٣٨٩.

(٣) المستوعب ٣/٢٨٢، والمغني ٤/٢١٠، وشرح الزركشي ٢/٤٨٨، والإنصاف ٣/١٣٥.

(٤) المغني ٤/٢١١، والمجموع ٦/١٨.

(٥) تحفة الفقهاء ١/٢٦٦الهداية ١/١٠٥، ، والبناية ٣/١١٧.

(٦) التفريع ١/٢٧٤، والإشراف ١/٣٩٨، والمقدمات الممهدات ١/٢٨٨.

الثانية عنه[١]، قال في الإنصاف: هي الصحيح من المذهب وعليه أكثر الأصحاب[٢].

أدلة القول الأول:

١– قول النبي ﷺ: «ليس فيما دون خمس أواق صدقة»[٣].

وجه الدلالة منه: أنه حدّد النصاب في الفضة بخمس أواق فدلّ على أنها لا تضم للذهب، وإنما يعتبر نصابها بنفسها[٤].

٢– ولأنهما مالان يختلف نصابهما فلا يضم أحدهما إلى الآخر كأجناس الماشية[٥].

أدلة القول الثاني:

١– قوله ﷺ: «وفي الرقة ربع العشر»[٦].

أي أن المقدار الواجب إخراجه فيهما هو ربع العشر، وقيل إن الرقة تطلق على الذهب والفضة[٧]، وعلى هذا المعنى إذا بلغت قيمتهما بالضم ما تجب فيه الزكاة أخرج ربع العشر.

٢– أن أحدهما يضم إلى ما يضم إليه الآخر فيضم إلى الآخر كأنواع

(١) المستوعب ٣/٢٨٢، والمغني ٤/٢١١، وشرح الزركشي ٢/٤٨٨.

(٢) الفروع ٢/٤٥٩، الإنصاف ٣/١٣٤.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) معالم السنن ٢/١٥ وانظر المغني ٤/٢١١، والمجموع ٦/١٨، وشرح الزركشي ٢/٤٨٩.

(٥) المهذب ١/١٥٨، والاصطلام ٢/٩٦، والمغني ٤/٢١١، وشرح الزركشي ٢/٤٨٩، ومغني المحتاج ١/٣٨٩.

(٦) رواه البخاري في صحيحه: البخاري مع الفتح ٣/٣١٧ باب زكاة الغنم رقم الحديث ١٤٥٤.

(٧) فتح الباري ٣/٣٢١، والإشراف ١/٣٩٨.

الجنس[1].

٣- ولأن نفعهما واحد والمقصود منهما متحدّ، فإنهما قيَم المتلفات، وأروش[2] الجنايات، وأثمان البياعات، وحلي لمن يُرِدْهما لذلك[3].

٤- ولأنهما في معنى الثمنية والتجارة كشيء واحد، فيجب الضم تكميلا للنصاب نظرا لحاجة الفقراء، كما في مال التجارة بخلاف السوائم؛ لأنه ثمة الحكم متعلق بالصورة والمعنى، فلا يتحقق تكميل النصاب عند اختلاف الجنس[4].

وأجابوا عن الحديث «ليس فيما دون خمس أواق صدقة» بأنه مخصوص بعروض التجارة فنقيس عليه[5].

سبب الخلاف في المسألة: يقول ابن رشد: وسبب اختلافهم: هل كل واحد منهما -أي الذهب والفضة- تجب فيه الزكاة لعينه أم لسبب يعمهما وهو كونهما كما يقول الفقهاء رؤوس الأموال وقيم المتلفات؟ فمن رأى أن المعتبر في كل واحد منهما هو عينه ولذلك اختلف النصاب فيهما قال هما جنسان لا يضم أحدهما إلى الثاني كالحال في البقر والغنم، ومن رأى أن المعتبر

---

(١) الإشراف ٣٩٩/١، وتحفة الفقهاء ٢٦٧/١، والهداية ١٠٥/١، والمغني ٢١١/٤، وشرح الزركشي ٤٨٩/٢، والبناية ١١٨/٣، وشرح منتهى الإرادات ٢٦١/٢.

(٢) الأرش هو الذي يأخذه المشتري من البائع إذا اطلع على عيب في المبيع، وأرش الجنايات والجراحات من ذلك، لأنها جابرة لها عما حصل فيها من النقص، وسمّي أرشا لأنه من أسباب النزاع، يقال: أرَّشت بين القوم إذا أوقعت بينهم. المطلع ص ٢٣٧. والمراد أن الذهب والفضة هي مما يدفع قيمة لذلك.

(٣) المصادر المتقدمة في الإحالة رقم (١) من هذه الصفحة.

(٤) تحفة الفقهاء ٢٦٧/١.

(٥) المغني ٢١١/٤.

فيهما هو ذلك الأمر الجامع الذي قلناه أوجب ضم بعضهما إلى بعض[١].

الراجح: الذي يظهر لي رجحانه هو ضم أحدهما إلى الآخر؛ لأنهما في حكم الجنس الواحد إذ هما قيم المتلفات وأروش الجنايات ويجمعهما لفظ الأثمان[٢] قال تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾[٣]، فظاهر الآية يوجب الزكاة فيهما في عموم الأحوال[٤].

وأما قياسهما على السوائم فهو منتقض بضم العروض إلى العروض، وإلى الدراهم، ولا ترد السوائم، لأن علة الضم هي المجانسة، وهي ظاهرة بين الذهب والفضة لأنهما تقوَّم بهما الأشياء، وكذا بين عروض التجارة والذهب والفضة لأن الكل للتجارة بخلاف السوائم؛ لأنها لا مجانسة بينهما عند اختلاف الجنس فلا يضم بعضها إلى بعض، وكذا لا مجانسة بينها وبين الذهب والفضة؛ لأنها ليست للتجارة[٥].

الفرع الثاني: كيفية ضم الذهب والفضة أحدهما إلى الآخر في تكميل النصاب:

اختلف القائلون بالضم هل تضم بالأجزاء أم بالقيمة؟

الضم بالأجزاء مثل أن يكون معه عشرة مثاقيل ذهب فهي نصف نصاب الذهب، ومعه مائة درهم فهي نصف نصاب الفضة فقد كمل النصاب، $\frac{1}{2}$نصاب ذهب + $\frac{1}{2}$ نصاب فضة فيكون المجموع نصابا منهما.

وأما الضم بالقيمة فهو أن يضم قيمة أحدهما إلى وزن الآخر، ومعناه أن يقوِّم الغالي منهما بقيمة الرخيص، فإذا بلغت قيمتهما بالرخيص منهما نصابا

(١) بداية المجتهد ٤٢/٥.

(٢) شرح الزركشي ٤٨٨/٢.

(٣) آية ٣٤ من سورة التوبة.

(٤) انظر شرح الزركشي ٤٨٨/٢.

(٥) البناية ١١٨/٣.

وجبت الزكاة فيهما، فلو ملك مائة درهم وتسعة دنانير قيمتها مائة درهم، أو عشرة دنانير وتسعون درهما قيمتها عشرة دنانير وجبت الزكاة فيها[1]، وقد اختلف القائلون بالضم في ذلك على قولين:

أحدهما: أن الضم يكون بالأجزاء، وهو قول مالك وأحمد في الصحيح من المذهب وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وأبي حنيفة في رواية عنه، وهو قول الأوزاعي[2].

وثانيهما: أن الضم يكون بالقيمة لا بالأجزاء، وهو قول أبي حنيفة وأحمد في رواية عنه[3].

أدلة القول الأول:

١- أن كل واحد منهما لا تعتبر قيمته في وجوب الزكاة إذا كان منفردا فلا تعتبر إذا كان مضموما كالحبوب والثمار وأنواع الأجناس كلها[4].

٢- أن المعتبر فيهما القدر دون القيمة حتى لا تجب الزكاة في مصوغ وزنه أقل من مائتين وقيمته فوقها[5].

أدلة القول الثاني:

١- أن كل نصاب وجب فيه ضم الذهب إلى الفضة ضم بالقيمة

---

(١) انظر والتفريع ١/٢٧٤، والمستوعب ٣/٢٨٣، والمغني ٤/٢١١، ٢١٢.

(٢) التفريع ١/٢٧٤، والإشراف ١/٣٩٩، والمقدمات الممهدات ١/٢٨٨، والهداية ١/١٠٥، والمستوعب ٣/٢٨٣، والمغني ٤/٢١١، وشرح الزركشي ٢/٤٩٠، والبناية ٣/١١٨، والإنصاف ٣/١٣٦.

(٣) تحفة الفقهاء ١/٢٦٧، والهداية ١/١٠٥، وشرح الزركشي ٢/٤٩٠، والبناية ٣/١١٨، والإنصاف ٣/١٣٦.

(٤) الإشراف ١/٣٩٩، والمغني ٤/٢١١، ٢١٢.

(٥) الهداية ١/١٠٥.

كنصاب القطع في السرقة؛ ولأن أصل الضم لتحصيل حظ الفقراء فكذلك صفة الضم[١].

٢- ولأن الضم للمجانسة وهي تتحقق باعتبار القيمة دون الصورة فيضم بها[٢].

وأجاب أصحاب هذا القول عن الدليل الثاني من أدلة القول الأول: بأن في اعتبار الأجزاء اعتبار الصورة، ومسألة المصوغ ليست فيما نحن فيه، إذ ليس فيها ضم شيء إلى آخر حتى تعتبر القيمة، فإن القيمة في النقود إنما تظهر شرعا عند مقابلة أحدهما بالآخر، وهاهنا ليس كذلك فيضم بها -أي فيضم الذهب إلى الفضة- بالقيمة يعني باعتبارها[٣].

الراجح: الذي يظهر لي رجحانه هو القول الأول، وهو أن الضم يكون بالأجزاء؛ لأن الأثمان تجب الزكاة في أعيانها فلا تعتبر قيمتها كما لو انفردت[٤]، ويخالف نصاب القطع فإن نصاب القطع مختلف فيه، فقد قيل إن المعتبر هو الورق خاصة، وقيل إنه لا يجب في الذهب حتى يبلغ ربع دينار[٥].

المطلب الثاني: ضم العملات الورقية بعضها إلى بعض وكيفية ذلك

أصبحت العملات الورقية باعتماد الدول لها وجريان التعامل بها أثمان الأشياء ورؤوس الأموال، وبها يتم البيع والشراء والتعامل داخل كل دولة، ومنها تصرف الأجور والرواتب والمكافآت وغيرها، وعلى قدر ما يملك المرء

(١) المغني ٢١٢/٤.

(٢) الهداية ١٠٥/١.

(٣) البناية ١٢٠/٣.

(٤) المغني ٢١٢/٤، والإشراف ٣٩٩/١.

(٥) انظر المغني ٢١٢/٤.

منها يعتبر غناه، ولها قوة الذهب والفضة في قضاء الحاجات وتسيير المبادلات، وتحقيق المكاسب والأرباح، فهي بهذا الاعتبار أموال نامية أو قابلة للنماء شأنها شأن الذهب والفضة[١]، فتكون العملات الورقية ملحقة بالذهب والفضة، والنظر يكون إلى قيمتها، فإذا كان عند الإنسان من هذه العملات ما تساوي قيمته نصابا من الذهب أو الفضة فإن الزكاة تجب عليه، فتضم العملات الورقية بعضها إلى بعض بالقيمة، فإذا كان قيمة ما يملكه الشخص من هذه العملات تساوي نصابا بقيمة الذهب أو الفضة وحال عليها الحول وجبت عليه فيها الزكاة.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز: ((وفي حكم الذهب والفضة الأوراق النقدية التي يتعامل بها الناس اليوم سواء سُمِّيت درهما أو دينارا أو دولارا أو غير ذلك من الأسماء، إذا بلغت قيمتها نصاب الفضة أو الذهب وحال عليها الحول وجبت فيها الزكاة))[٢]. وقال الشيخ محمد بن عثيمين: ((ويلحق بالذهب والفضة ما جعل بدلا عنهما في كونه نقدا يتعامل به كالأوراق النقدية المعروفة بين الناس اليوم، فإذا كان عند الإنسان من هذه الأوراق ما تساوي قيمته نصابا من الذهب أو الفضة فإن الزكاة تجب عليه فيه؛ لأنها نقود وليست عروض تجارة، إذ إنها قِيَم الأشياء التي تقدَّر بها، وهي وسيلة التبادل بين الناس فكانت كالدنانير والدراهم وليست كعروض التجارة كما زعمه[٣]

(١) انظر فقه الزكاة للدكتور يوسف القرضاوي ٢٧٣/١.

(٢) رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام ص ١٨.

(٣) الشيخ يشير إلى بعض المعاصرين الذين لا يرون وجوب الزكاة في العملات الورقية وأنها تعتبر من العروض وتحتاج إلى نية التجارة لتجب الزكاة فيها، وهذا القول -أعني القائل- بعدم وجوب الزكاة في الأوراق النقدية أو أنها كعروض التجارة قول ترده عمومات الأدلة الموجبة للزكاة في المال النامي، وهي أعني العملات الورقية أصبحت مالا ناميا أو قابلا للنماء. يقول الشيخ عبد العزيز بن باز: ((وحكم من ترك زكاة العملة الورقية =

بعضهم))[١].

وبناء على ما تقدَّم فإنه إذا كان عند الشخص ريالات، ودولارات، وجنيهات مثلا، ولا تبلغ قيمة كل نوع منها بانفراده قيمة نصاب بالذهب أو الفضة لكن قيمتها مجتمعة أعني الدولارات والريالات والجنيهات تساوي قيمة نصاب بالذهب أو الفضة فإن الزكاة تجب عليه في هذه العملات التي وجدت عنده فيضم بعضها إلى بعض.

وأيضا فإن العملات الورقية تضم إلى الذهب والفضة في تكميل النصاب، وتضم أيضا إلى عروض التجارة.

المطلب الثالث:

في ضم المعدن والركاز بعضه إلى بعض في تكميل النصاب

اختلف الفقهاء رحمهم الله في معنى المعدن وفي معنى الركاز وفي الواجب فيهما، فيرى الجمهور: المالكية والشافعية والحنابلة في المشهور عنهم أن المعدن يطلق على كل ما يستخرج من الأرض مما يقع عليه اسم المعدن سواء كان ذهبا أو فضة أو غيرهما، ويرون أن الركاز هو ما كان من دفن الجاهلية، ويشترطون النصاب في المعدن، ولا يشترطونه في الركاز، ولا يشترطون الحول فيهما جميعا، ويرون في الركاز الخمس، وفي المعدن ربع العشر، إلا أن مالكا والشافعي يقصرون ما تجب فيه الزكاة ((ربع العشر)) على ما كان من الذهب والفضة دون بقية المعادن، ويرى

= وعروض التجارة حكم من ترك زكاة الذهب والفضة لأنها حلّت محلّها وقامت مقامها)). تحفة الإخوان ص ١٤٠.

(١) فقه العبادات ص ١٨١، وانظر فتاوى الزكاة للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين ص ٤٩.

أحمد الزكاة في جميع المعادن[1] المنطبع منها وغير المنطبع[2].

وأما الحنفية فيرون أن المستخرج من الأرض له أسامٍ ثلاثة: كنـــز، ومعدن، وركاز، فالكنـــز اسم لما دفنه بنو آدم، والمعدن اسم لما خلق الله في الأرض يوم خلق الأرض، والركاز اسم لهما جميعا، ويرون أن الواجب في ذلك كله الخمس، ولا يشترطون نصابا ولا حولا، إلا أنهم يشترطون في المعدن أن يكون مما ينبطع[3].

وأما بالنسبة لضم المعدن والركاز بعضه إلى بعض في تكميل النصاب.

فعند الحنفية يضم بعضه إلى بعض لأنهم لا يشترطون النصاب، وسواء كان من جنس واحد أم أجناس عدة.

وأما غير الحنفية فيتفق الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد في المشهور عنهم أنه إن كان المستخرج من جنس واحد، كأن يكون ذهبا أو فضة، أنه يضم بعضه إلى بعض في تكميل النصاب إن تتابع العمل كما يضم المتلاحق من الثمار[4].

وأما إن كان المعدن يشتمل على ذهب وفضة، فيرى المالكية ضم بعضه

(١) التفريع ١/٢٧٨-٢٧٩، والبـيان ٣/٣٣٣-٣٤٠، والإفصاح ١/٢١٥-٢١٧، وبدايـــة المجتهد ٥/٤٤، ٧٩ ، والمستوعب ٣/٢٧٣-٢٧٦، والمغني ٤/٢٣١-٢٤٣، والمجموع ٦/٩٠، والإنصاف ٣/١١٨-١٢٠، ومغني المحتاج ١/٣٩٤.

(٢) الذي ينطبع كالذهب والفضة والصفر والرصاص والحديد، والذي لا ينطبع كالياقوت والزبرجد والفيروزج والزمرد والعقيق والزئبق والمومياء والكحل والمغرة والزرنيخ والكبريت والقار والنفط والنورة وغير ذلك. انظر: البيان ٣/٣٣٤، وتحفة الفقهاء ١/٣٢٩، والمستوعب ٣/٢٧٤، والـــمغني ٤/٢٣٩، والإنصاف ٣/١١٩.

(٣) تحفة الفقهاء ١/٣٢٧-٣٣٢، والهداية ٢/١٠٨، وفتح القدير ٢/٢٣٢-٢٤٠، والاختيار ١/١١٧، وشرح العناية على الهداية مع فتح القدير ٢/٢٣٢.

(٤) انظر المصادر المتقدمة في الإحالة رقم (١) في الصفحة السابقة.

إلى بعض في تكميل النصاب، وهو رواية عن الإمام أحمد[١].

ويرى الشافعية عدم الضم[٢]، وقد تقدّمت الأدلة وهي الأدلة نفسها في جواز ضم الذهب والفضة أحدهما إلى الآخر في تكميل النصاب.

وأما إن كان المستخرج من المعدن فيه أجناس من غير الذهب والفضة، فيرى أبو حنيفة وأحمد في المذهب أنه يضم بعضها إلى بعض[٣]، لأن الواجب في قيمتها والقيمة واحدة فأشبهت عروض التجارة[٤][٥].

المطلب الرابع: ضم الحبوب بعضها إلى بعض وضم الزرع بعضه إلى بعض إذا اختلفت أوقات زرعه وكيفية ذلك

الفرع الأول: ضم الحبوب بعضها إلى بعض:

تقدّم ذكر اتفاق العلماء على ضم أنواع الجنس الواحد بعضها إلى بعض، فتضم الحنطة بعضها إلى بعض، ويضم الشعير بعضه إلى بعض، والذرة بعضها إلى بعض وهكذا، ولكن العلماء اختلفوا في ضم الحبوب بعضها إلى بعض مع اختلاف أجناسها على ثلاثة أقوال:

أولها: لا تضم الحبوب بعضها إلى بعض، ويعتبر النصاب في كل جنس منها منفردا، فلا تضم حنطة إلى شعير ونحو ذلك، ولا تضم أجناس القطنية[٦]

(١) التفريع ١/٢٧٨، والمغني ٤/٢٤٣.

(٢) انظر مصادر الشافعية المتقدمة بالإحالة رقم (١) في الصفحة السابقة.

(٣) انظر المصادر المتقدمة في الإحالة رقم (١) و (٣) في الصفحة السابقة.

(٤) المغني ٤/٢٤٣، والإنصاف ٣/١٢٠.

(٥) ولم ير المالكية والشافعية الضم، لما تقدّم من قصرهم الزكاة على معدن الذهب والفضة دون غيرهما.

(٦) جمعها قطنيات –بكسر القاف وفتحها وتشديد الياء وتخفيفها– هي حبوب كثيرة تقتات =

بعضها إلى بعض، فلا يضم الحمص إلى الباقلاء والعدس ونحو ذلك، وهذا قول عطاء والأوزاعي والثوري والحسن بن صالح والشافعي وأبي عبيد وأبي ثور وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وأحمد في رواية عنه وهي المذهب(١).

ثاني الأقوال: أن الحنطة والشعير والسلت(٢) تضم إلى بعضها، وكذلك

= وتختبز، فمنها الحمص والعدس والماش والجلبان واللوبيا والدخن والرز والباقلاء والقت، سُمِّيت هذه الحبوب قطنية لقطونها في بيوت الناس. المطلع على أبواب المقنع ص ١٣١. وانظر المصباح المنير ٥٠٩/٢ مادة قطن. وقيل: هي حبوب الأرض أو ما سوى الحنطة والشعير والزبيب والتمر، أو هي الحبوب التي تطبخ. القاموس المحيط ص ١٥٨١ مادة قطن. وانظر المعونة ٢٤٩/١، وشرح الزركشي ٤٨٧/٢.

(١) مختصر الطحاوي ص ٤٧، ومختصر اختلاف العلماء ٤٥٤/١، والوسيط ٤٦٠/٢، وبدائع الصنائع ٦٠/٢، ٦١، والمستوعب ٢٦١/٣، والمغني ٢٠٥/٤، والمجموع ٥١١/٦، ٥١٢، وشرح الزركشي ٤٨٦/٢، والإنصاف ٩٧/٣، ومغني المحتاج ٣٨٤/١.

ولا يجيء الضم على قول أبي حنيفة لأنه لا يشترط نصابا للحبوب والثمار، بل تجب الزكاة عنده في قليل الثمار وكثيرها وفي قليل الزروع وكثيره.

مختصر الطحاوي ص ٩٦، وتحفة الفقهاء ٣٢١/١، والبناية ١٥٥/٣.

وهناك خلاف بين الشافعية في ضم العلس إلى الحنطة، وفي ضم السلت إلى الشعير، فمن رأى الضم بناه على أن العلس نوع من الحنطة، والسلت نوع من الشعير، ومن منع الضم بناه على أن كل واحد منهما نوع فلا يضم إلى الآخر. انظر الوسيط ٤٦٠/٢، والمنهاج مع شرحه مغني المحتاج ٣٨٤/١.

وقد قال ابن قدامة في المغني ٢٠٦/٤: ((ولا خلاف فيما نعلمه في ضم الحنطة إلى العلس لأنه نوع منها، وعلى قياسه السلت يضم إلى الشعير لأنه منه)).

(٢) السُّلت –بالضم– الشعير أو ضرب منه أو الحامض منه، وقيل ضرب من الشعير ليس له قشر، وقيل حَبّ بين الحنطة والشعير ولا قشر له كقشر الشعير فهو كالحنطة في ملاسته وكالشعير في طبعه وبرودته. المصباح المنير ٢٨٤/١ مادة سلت، القاموس المحيط ص ١٩٧ =

القطنيات يضم بعضها إلى بعض، وهو قول مالك والليث وأحمد في رواية عنه[١].

ثالثها: تضم جميع الحبوب بعضها إلى بعض، وهو مروي عن عطاء وطاووس وعكرمة وبه قال أحمد في رواية عنه[٢].

استدل أصحاب القول الأول: القائل بعدم ضم الحبوب بعضها إلى بعض بأنها أجناس فاعتبر النصاب في كل جنس منها منفردا كالثمار والمواشي[٣].

ولأنها أجناس يجوز التفاضل فيها فلم يضم بعضها إلى بعض كالثمار[٤].

الدليل للقول الثاني: القائل بضم الحنطة والشعير والسلت بعضها إلى بعض وضم القطنيات بعضها إلى بعض أن هذا كله مقتات فيضم بعضه إلى بعض كأنواع الحنطة وأنواع الجنس الواحد بعضها إلى بعض[٥].

بل إن المالكية قالوا بأن الحنطة والشعير والسلت نوع واحد فتضم بعضها إلى بعض، وأن القطاني نوع واحد فيضم بعضها إلى بعض[٦].

الدليل للقول الثالث: القائل بضم جميع الحبوب بعضها إلى بعض:

= مادة سلت.

(١) التفريع ٢٩١/١، المعونة ٤٨٧/٢، والمستوعب ٢٦١/٣، والذخيرة ٨٠/٣، وشرح الزركشي ٤٨٧/٢، ، والإنصاف ٩٧/٣، قال ابن قدامة في المغني ٢٠٥/٤ عن هذه الرواية: قال القاضي وهذا هو الصحيح.

(٢) المستوعب ٢٦١/٣، والمغني ٢٠٥/٤، والمجموع ٥١٣/٦، والإنصاف ٩٧/٣.

(٣) المغني ٢٠٥/٤، ومغني المحتاج ٣٨٤/١.

(٤) المغني ٢٠٥/٤.

(٥) المغني ٢٠٥/٤.

(٦) التفريع ٢٩١/١، وبداية المجتهد ٦٥/٥.

١– استدل أصحاب هذا القول: بقول النبي ﷺ كما في حديث أبي سعيد الخدري «ليس فيما دون خمسة أوساق من تمر ولا حب صدقة»، وفي رواية «ليس في حب ولا تمر صدقة حتى يبلغ خمسة أوسق»[١]. ومفهومه وجوب الزكاة فيه إذا بلغ خمسة أوسق[٢] –أي ولو كان من عدة أصناف طالما أنه من الحبوب–.

٢– ولأنها تتفق في النصاب وقدر المخرج والمنبت والحصاد فوجب ضم بعضها إلى بعض كأنواع الجنس[٣].

لكن هذا الاستدلال منتقض بالثمار[٤].

سبب الخلاف في المسألة: قال ابن رشد: وسبب الخلاف هل المراعاة في الصنف الواحد هو اتفاق المنافع أم اتفاق الأسماء؟ فمن قال اتفاق الأسماء قال: كلما اختلفت أسماؤها فهي أصناف كثيرة، ومن قال اتفاق المنافع قال: كلما اتفقت منافعها فهي صنف واحد وإن اختلفت أسماؤها، فكل واحد يروم أن يقرر قاعدته باستقراء الشرع، أعني أن أحدهما يحتج لمذهبه بالأشياء التي اعتبر فيها الشرع الأسماء، والآخر بالأشياء التي اعتبر الشرع فيها المنافع، ويشبه أن يكون شهادة الشرع للأسماء في الزكاة أكثر من شهادته للمنافع وإن كان كلا الاعتبارين موجودا في الشرع، والله أعلم[٥].

الراجح: الذي يظهر لي رجحانه هو القول القائل بعدم الضم، لأن الحبوب أجناس يجوز التفاضل فيها فلم يضم بعضها إلى بعض كالثمار، ولا يصح

(١) كلتا الروايتين في صحيح مسلم: مسلم بشرح النووي ٥٢/٧ كتاب الزكاة.

(٢) المغني ٢٠٥/٤.

(٣) المغني ٢٠٥/٤.

(٤) المغني ٢٠٥/٤.

(٥) بداية المجتهد ٦٥/٥.

قياسها على أنواع الجنس لأن أنواعه كلها جنس واحد يحرم التفاضل فيها، ويثبت حكم الجنس في جميعها بخلاف الأجناس، وإذا انقطع القياس لم يجز إيجاب الزكاة بالتحكم، ولا بوصف غير معتبر، ثم هو باطل بالثمار فإنها تتفق فيما ذكروه –أي القائلون بالضم– ولا يضم بعضها إلى بعض؛ ولأن الأصل عدم الوجوب فما لم يرد بالإيجاب نص أو إجماع أو معناهما لا يثبت الإيجاب(١).

الفرع الثاني: ضم زرع العام الواحد بعضه إلى بعض في تكميل النصاب:

اتفق العلماء على أنه تضم ثمرة العام الواحد بعضها إلى بعض في تكميل النصاب، سواء اتفق وقت إطلاعها وإدراكها أو اختلف فتقدَّم بعضها على بعض في ذلك، ولو أن الثمرة جدّت ثم طلعت الأخرى وجدّت ضم إحداهما إلى الأخرى، واتفقوا على أنه لا يضم ثمر وزرع عام إلى عام آخر(٢).

واختلفوا في ضم زرع العام الواحد بعضه إلى بعض في تكميل النصاب عند اختلاف وقت زرعه وإدراكه على قولين:

القول الأول: أنه يضم زرع العام الواحد بعضه إلى بعض، سواء اتفق وقت زرعه وإدراكه أو اختلف، وهو قول الإمام أحمد والشافعي في المنصوص عليه وهو الذي عليه الأكثر(٣).

القول الثاني: أن ما اتفق في الزرع والنبات والحصاد من الجنس الواحد يضاف بعضه إلى بعض ويكمل به النصاب، وأما ما زرع بعد حصاد غيرها فلا

---

(١) المغني ٤/٢٠٦،٢٠٥.

(٢) انظر مختصر اختلاف العلماء ١/٤٤٦، والمقدمات الممهدات ١/٢٨٦، والمغني ٤/٢٠٧، وروضة الطالبين ٢/٢٤٠، ٢٤٢ والفروع ٢/٤١٦، والإنصاف ٣/٩٥، ومغني المحتاج ١/٣٨٤، وحاشية ابن قاسم ٣/٢٢٣.

(٣) الحاوي ٣/٢٤٦، والمغني ٤/٢٠٧، والكافي لابن قدامة ١/٣٠٣، وروضة الطالبين ٢/٢٤٢، والمجموع ٥/٥١٩.

يكمل بعضه ببعض ولو كان في عام واحد، وهو قول مالك وأبي يوسف ومحمد ابن الحسن والشافعي في رواية عنه[1].

الدليل للقول الأول:

١- أن الجميع زرع عام واحد فيضم بعضه إلى بعض كما لو تقارب زرعه وإدراكه[2].

٢- ولأنه لما وجب ضم ثمار العام الواحد بعضه إلى بعض اقتضى أن يجب ضم زرع العام الواحد بعضه إلى بعض[3].

الدليل للقول الثاني: أن ما زرع بعد حصاد الأولى كأنه إنما زرعه في سنة أخرى، ولا يضم زرع عام إلى عام آخر[4]، فهو يشبه ثمر عامين[5].

الراجح: الذي يظهر رجحانه هو القول الأول لعموم[6] قوله ﷺ: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة»[7]، فإن عموم الحديث يدل على أنه إذا بلغ هذا المقدار "خمسة أوسق" وهو النصاب تجب فيه الزكاة، وهو هنا قد بلغه بالضم وفي سنة واحدة فتجب فيه الزكاة، والله أعلم.

---

(١) ومختصر اختلاف العلماء ٤٤٥/١، والمقدمات الممهدات ٢٨٦/١، وعقد الجواهر الثمينة ٣٠٧/١، والمجموع ٥١٩/٥، والذخيرة ٨١/٣، ومغني المحتاج ٣٨٤/١. ولا تجيء هذه المسألة على قول أبي حنيفة لأنه لا يشترط النصاب في الحبوب والثمار والزروع.

(٢) المغني ٢٠٧/٤.

(٣) الحاوي ٢٤٨/٣.

(٤) المقدمات الممهدات ٢٨٦/١.

(٥) مغني المحتاج ٣٨٤/١.

(٦) انظر الروض المربع مع حاشية ابن قاسم ٢٢٣/٣.

(٧) تقدّم تخريجه.

المطلب الخامس: الخلطة في الأموال وتأثيرها في الزكاة

الفرع الأول: الخلطة في الماشية:

الخلطة بضم الخاء هي الشركة في المواشي(١).

وهي نوعان: خلطة اشتراك وخلطة جوار، وقد يعبر عن الأول بخلطة الأعيان وبخلطة الشيوع، وعن الثاني بخلطة الأوصاف.

والمراد بالأول: أن لا يتميز نصيب أحد الرجلين أو الرجال عن نصيب غيره كماشية ورثها قوم، أو ابتاعوها معاً فهي شائعة بينهم.

وبالثاني أن يكون مال كل واحد منهما متعينا متميزا عن مال غيره ولكن يجاوره مجاورة المال الواحد(٢).

فهل لهذه الخلطة تأثير في زكاة المواشي إيجابا وإسقاطا، وتغليظا وتخفيفا، وهو أن يصير حكم الخلطاء وإن كثروا في الزكاة حكم الواحد حتى لو كان لأربعين من أهل الزكاة أربعون شاة تجب عليهم شاة واحدة كما لو كانت لواحد، ولو كانوا منفردين لم يلزمهم شيء، ولو كان لثلاثة مائة وعشرين شاة لم يلزمهم أكثر من شاة واحدة، ولو كانوا منفردين لزمهم ثلاث شياه، وكذلك في بقية المواشي، وسواء كانت خلطة أعيان أم خلطة أوصاف؟

اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

الأول: وهو قول أكثر الفقهاء أن للخلطة تأثيرا في قدر الواجب من الزكاة، وهو قول مالك والشافعي وأحمد(٣).

---

(١) كشاف القناع ١٩٦/٢.

(٢) روضة الطالبين ١٧٠/٢، والمغني ٥١/٤، ٥٢.

(٣) الإفصاح ٢٠٤/١، وبداية المجتهد ٥٩/٥، والمغني ٥٢/٤، والذخيرة ٢٧/٣، والفروع ٣٨١/٢. قال ابن هبيرة في الإفصاح ٢٠٤/١: واتفقوا على أن الخلطة لها تأثير في وجوب =

إلا أن مالكا اشترط لتأثير الخلطة على الزكاة حصول النصاب في ملك كل خليط، فإذا كان لأحد الخليطين نصاب، وللثاني دون النصاب فلا زكاة على من نقص ملكه عن النصاب، ولا تأثير للخلطة في ذلك، وأما إذا كان لكل واحد منهما نصاب فإن ذلك يؤثر في الزكاة فيزكون زكاة المالك الواحد[1]، ولم يشترط ذلك الشافعي وأحمد، بل رأيا أن الخلطة تصيِّر المالين للخليطين أو المال للخلطاء حكم مال المالك الواحد بشرط أن يبلغ المال المختلط نصابا ويحول عليه الحول، وهو قول عطاء والأوزاعي والليث وإسحاق[2].

القول الثاني: أنه لا أثر للخلطة في زكاة بحال من الأحوال، وهو قول أبي حنيفة[3].

أدلة القول الأول:

١- حديث أنس ﷺ أن أبا بكر ﷺ كتب له التي فرض رسول الله ﷺ:

= الزكاة في المواشي إلا أبا حنيفة فإنه قال: لا تأثير لها في ذلك.

(١) التفريع ٢٨٦/١، بداية المجتهد ٥٩/٥، وعقد الجواهر الثمينة ٢٨٤/١، والذخيرة ١٢٧/٣.

(٢) الأم ١١٣/٢، والحاوي ١٣٦/٣، وروضة الطالبين ١٧٠/٢، ومغني المحتاج ٣٧٦/١، والمغني ٥١/٤، ٥٢ ، والفروع ٣٨١/١، والإنصاف ٦٧/٣، وكشاف القناع ١٩٦/٢، وقد اشترط الجمهور لتأثير الخلطة في الزكاة اشتراكهم في ستة أشياء: النصاب، والراعي، والفحل، والمسرح –وهو موضع الرعي– والمراح –وهو موضع المبيت– والحول. انظر المصادر المتقدمة في الإحالة (١، ٢)، كما يشترطون أن يكون المالك من أهل الزكاة، فلو كان أحدهما مكاتبا أو ذميا فلا أثر لها –أعني الخلطة– لأنه لا زكاة في ماله فلم يكمل به النصاب. انظر: كشاف القناع ١٩٦/٢.

(٣) تحفة الفقهاء ٢٩١/١، ورؤوس المسائل ص ٢٠٦، وبدائع الصنائع ٢٩/٢، والاختيار ١١٠/١.

«ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة»[١].

وعنه ﷺ أن أبا بكر ﷺ كتب له التي فرض رسول الله ﷺ: «وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسوية»[٢].

وقالوا في توجيه الحديث: إن قوله ﷺ: «وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسوية»، وقوله ﷺ: «ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع» يدل دلالة واضحة أن ملك الخليطين كملك رجل واحد[٣].

٢- قالوا بأن هذا الحديث -أي المتقدّم- مخصص[٤] لقوله ﷺ: «ليس فيما دون خمس من الإبل صدقة»[٥]، والأحاديث الأخرى التي بمعناه التي يدل ظاهرها على اشتراط النصاب في ملك كل شخص على انفراده لتجب عليه الزكاة.

٣- وبأنه لا يجيء التراجع إلا على القول في خلطة الأوصاف، وبأن قوله «لا يجمع بين متفرق» إنما يكون هذا إذا كان لجماعة فإن الواحد يضم ماله بعضه إلى بعض وإن كان في أماكن، وهكذا لا يفرق بين مجتمع[٦].

٤- ولأن للخلطة تأثيرا في تخفيف المؤونة فجاز أن تؤثر في الزكاة

(١) رواه البخاري في صحيحه: البخاري مع الفتح ٣/٣١٤ حديث رقم ١٤٥٠، باب لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع.

(٢) البخاري في صحيحه: البخاري مع الفتح ٣/٣١٥ حديث رقم ١٤٥١، باب ما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسوية.

(٣) انظر الحاوي ٣/١٣٧، بداية المجتهد ٥/٦٠، والمغني ٤/٥٢.

(٤) انظر المصادر المتقدّمة في الإحالة السابقة.

(٥) رواه البخاري في صحيحه: البخاري مع الفتح ٣/٣٢٢، باب ليس فيما دون خمس ذود صدقة.

(٦) المغني ٤/٥٢.

كالسوم والسقي[1].

أدلة القول الثاني:

١- استدل أصحاب هذا القول بعمومات الأدلة الموجبة للزكاة إذا بلغت نصابا، ومنها قوله ﷺ: «في صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاة»[2].

فمن لا يملك نصابا فلا تجب عليه الزكاة كما لو لم يختلط بغيره، ولو اختلطا في نصابين أن كل واحد منهما يملك نصابا فوجبت عليه الزكاة في ذلك[3].

٢- وبأنه حق الله فلا يتعلق بالشركة[4].

٣- وجهوا الحديث «ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة» بأن المراد من قوله: «ولا يجمع بين متفرق» أن المراد منه التفرق في الملك لا في المكان لإجماعنا على أن النصاب الواحد إذا كان في مكانين تجب الزكاة فيه فكان المراد منه التفرق في الملك، ومعناه إذا كان الملك متفرقا لا يجمع فيجعل كأنه لواحد لأجل الصدقة، كخمس من الإبل بين اثنين، أو ثلاثين من البقر أو أربعين من الغنم حال عليها الحول، وأراد المصدق أن يأخذ منها الصدقة ويجمع بين الملكين ويجعلهما كملك واحد ليس له ذلك، وكثمانين من الغنم بين اثنين حال عليها الحول إنه يجب فيها شاتان على كل واحد منهما شاة، ولو أرادا أن يجمعا بين الملكين فيجعلاهما ملكا واحدا خشية الصدقة فيعطيا المصدق شاة واحدة ليس لهما ذلك لتفرق ملكيهما فلا يملكان الجمع

---

(١) المصدر السابق الصفحة نفسها، والذخيرة ١٢٧/٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: البخاري مع الفتح ٣١٧/٣ باب زكاة الغنم.

(٣) تحفة الفقهاء ٢٩٢/١، وبدائع الصنائع ٢٩/٢، والاختيار ١١٠/١.

(٤) بدائع الصنائع ٢٩/٢.

لأجل الزكاة وقوله: «لا يفرق بين مجتمع» أي في الملك، كرجل له ثمانون من الغنم في مرعيين مختلفين أنه يجب عليه شاة واحدة، ولو أراد المصدّق أن يفرق المجتمع فيجعلهما كأنهما لرجلين فيأخذ منها شاتين ليس له ذلك، لأن الملك مجتمع فلا يملك تفريقه، وكذلك لو كان له أربعون من الغنم في مرعيين مختلفين تجب عليه الزكاة؛ لأن الملك مجتمع فلا يجعل كالمتفرقتين في الملك خشية الصدقة(١).

سبب الخلاف في المسألة:

قال ابن رشد: وسبب اختلافهم: اختلافهم في مفهوم ما ثبت في كتاب الصدقة من قوله عليه الصلاة والسلام: «ولا يجمع بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسوية» فإن كل واحد من الفريقين أنزل مفهوم هذا الحديث على اعتقاده، وذلك أن الذين رأوا للخلطة تأثيرا ما في النصاب والقدر الواجب أو في القدر الواجب فقط قالوا: إن قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يجمع بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع» يدل دلالة واضحة أن ملك الخليطين كملك رجل واحد، فإن هذا الأثر مخصص لقوله عليه الصلاة والسلام: «ليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة»، إما في الزكاة عند مالك وأصحابه أعني في قدر الواجب، وإما في الزكاة والنصاب معا عند الشافعي وأصحابه(٢)، وأما الذين لم يقولوا بالخلطة فقالوا إن الشريكين قد يقال لهما خليطان، ويحتمل أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع» إنما هو نهي للسعاة أن يقسم ملك الرجل الواحد قسمة توجب عليه كثرة الصدقة، مثل رجل يكون له مائة وعشرون شاة فيقسم عليه أربعين ثلاث مرات، أو يجمع ملك رجل واحد إلى ملك رجل

(١) بدائع الصنائع ٢/٢٩.

(٢) وأحمد كما تقدّم.

آخر حيث يوجب الجمع كثرة الصدقة، قالوا: وإذا كان هذا الاحتمال في هذا الحديث وجب أن لا تخصص به الأصول الثابتة المجمع عليها، أعني أن النصاب والحق الواجب في الزكاة يعتبر بملك الرجل الواحد[1]، وأما الذين قالوا بالخلطة فقالوا إن لفظ الخلطة هو أظهر في الخلطة نفسها منه في الشركة، وإذا كان ذلك كذلك فقوله عليه الصلاة والسلام فيهما: «إنهما يتراجعان بالسوية» مما يدل على أن الحق الواجب عليهما حكمه حكم رجل واحد، وأن قوله عليه الصلاة والسلام: «إنهما يتراجعان بالسوية» يدل على أن الخليطين ليسا بشريكين؛ لأن الشريكين ليس يتصور بينهما تراجع إذ المأخوذ هو من مال الشركة...»[2].

الراجح في المسألة:

الذي يظهر لي رجحانه هو قول الجمهور لما يلي:

١- أن الأحاديث الموجبة لاشتراط النصاب في حق كل واحد مخصصة بهذا الحديث «لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسوية».

٢- أن قياس المختلط على غير المختلط مخالف للنص، والقياس مع مخالفته للنص غير مسموع[3].

٣- أن قوله عليه الصلاة والسلام: «وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسوية» يدل على أن الخليطين ليسا بشريكين، ولا يجيء التراجع إلا على القول في خلطة الأوصاف، ولا يمكن حمل الحديث على الشريكين، لأن الشريكين لا فرق بين اجتماعهما وافتراقهما فلا معنى للنهيِ حينئذ، وكذلك المالك الواحد له أن يجمع ماله ويفرقه وان ذلك لا يغير من الحق الواجب عليه

---

(١) ما ذكره ابن رشد يوجد بمعناه في بدائع الصنائع ٢/٢٩، وقد تقدّم نقل ذلك.

(٢) بداية المجتهد ٥/٦٠-٦١.

(٣) المغني ٤/٥٣.

إجماعا[١].

الفرع الثاني: تأثير الخلطة في سائر الأموال غير الماشية:

إذا اختلطوا في غير الماشية كالذهب والفضة وعروض التجارة والزروع والثمار فهل تؤثر الخلطة في ذلك أم لا؟ اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول: أن الخلطة لا تؤثر ويكون حكم الخلطاء حكم المنفردين، وهو قول أكثر أهل العلم[٢]، وبه قال أبو حنيفة[٣]، ومالك[٤]، وأحمد في المذهب[٥]، والشافعي في أحد قوليه وهو القديم[٦].

والقول الثاني: أن الخلطة تؤثر في الثمر والزرع والنقد وعروض التجارة، وهو قول الشافعي في الجديد وهو الصحيح[٧]، وبه قال أحمد في رواية عنه[٨].

أدلة القول الأول:

١– قوله ﷺ: «والخليطان ما اشتركا في الحوض والفحل والراعي»[٩]،

---

(١) الذخيرة ١٢٧/٣.

(٢) الحاوي ١٤٢/٣، المغني ٦٤/٤، قال ابن قاسم في حاشيته على الروض المربع ٢١٣/٣ وحكي إجماعا.

(٣) مختصر الطحاوي ص ٤٤، مختصر اختلاف العلماء ٤٤٧/١، وتحفة الفقهاء ١٩١/١، والاختيار ١١١/١.

(٤) التفريع ٢٨٩/١، وعقد الجواهر ٢٨٦/١، والذخيرة ١٢٧/٣.

(٥) المغني ٦٥/٤، وشرح الزركشي ٤٠٩/٢، والإنصاف ٨٣/٣.

(٦) المهذب ١٥٣/١، والمجموع ٤٥٠/٥، ورحمة الأمة ص ٧٧.

(٧) الحاوي ١٤٢/٣، المهذب ١٥٣/١، والمجموع ٤٥٠/٥، ومغني المحتاج ٣٧٧/١.

(٨) المغني ٦٤/٤، وشرح الزركشي ٤٠٩/٢، والإنصاف ٨٣/٣.

(٩) رواه الدارقطني في سننه ١٠٤/٢، والبيهقي في سننه ١٠٦/٤، وذكره ابن أبي حاتم في العلل ٢١٩/١ برقم ٦٣٥ ونقل عن أبيه قال: حديث باطل لا أعلم رواه إلا ابن لهيعة، قال أبي: ويروى من كلام سعد فقط. أهـ.

فدل على أنه ما لم يوجد فيه ذلك لا يكون خلطة مؤثرة[1]، وهي معدومة في غير المواشي، فدل على أن الخلطة لا تصح في غيرها[2].

٢- قول النبي ﷺ: «لا يجمع بين مفترق خشية الصدقة» إنما يكون في الماشية؛ لأن الزكاة تقل بجمعها تارة وتكثر أخرى، وسائر الأموال تجب فيها فيما زاد على النصاب بحسابه فلا أثر لجمعها[3].

٣- ولأن الخلطة في الماشية تؤثر في النفع تارة وفي الضرر أخرى، ولو اعتبرناها في غير الماشية أثرت ضررا محضا برب المال فلا يجوز اعتبارها[4].

أدلة القول الثاني:

١- مفهوم قوله ﷺ: «ليس فيما دون خمسة أواق صدقة، وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة»[5]، مفهومه أنه إذا بلغها أن فيه صدقة، ولم يفرّق بين أن يكون المال لواحد أو لاثنين[6].

٢- عموم[7] قوله ﷺ: «لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين مفترق»[8].

٣- ولأنه مال تجب فيه الزكاة فأثرت الخلطة في زكاتها كالماشية؛ ولأن المالين كالمال الواحد في المؤن فهي كالمواشي[9].

---

(١) المغني ٤/٦٥.

(٢) الحاوي ٣/١٤٢، وشرح الزركشي ٢/٤١٠.

(٣) المهذب ١/١٥٣، والمغني ٤/٦٥، وشرح الزركشي ٢/٤١٠، وكشاف القناع ٢/٢٠١.

(٤) الحاوي ٣/١٤٢، والمهذب ١/١٥٣، والمغني ٤/٦٥.

(٥) تقدّم تخريجه.

(٦) شرح الزركشي ٢/٤٠٩.

(٧) الحاوي ٣/١٤٢، ومغني المحتاج ١/٣٧٧.

(٨) تقدّم تخريجه.

(٩) الحاوي ٣/١٤٢، والمهذب ١/١٥٣، والمغني ٤/٦٥، ومغني المحتاج ١/٣٧٧.

الراجح: الذي يظهر لي رجحانه هو عدم تأثير الخلطة في غير الماشية من زكاة الأموال؛ لأنه ﷺ ذكر زكاة الأموال وأفرد زكاة المواشي بالخلطة فقال: «وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسوية» وقال: «لا يجمع بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة» وقال: «الخليطان ما اجتمعا في الحوض والراعي والفحل» فدل ذلك على اختصاص هذا النوع[1]، ولأن الخبر لا يمكن حمله على غير الماشية لوروده فيها؛ ولأن الزكاة تقلّ بجمعها تارة وتكثر أخرى لما فيها من الوقص، فتؤثر نفعا تارة وضررا أخرى، وسائر الأموال لا وقص فيها، فلو أثرت لأثرت محضا برب المال[2].

المطلب السادس: ضم المال المستفاد إلى غيره

إن استفاد مالاً مما يعتبر له الحول، ولا مال له سواه وكان نصابا، أو كان له مال من جنسه لا يبلغ نصابا، فبلغ بالمستفاد نصابا انعقد عليه حول الزكاة من حينئذ، فإذا تم حول وجبت الزكاة فيه[3]، فالمال المستفاد بعد الحول لا يضم بالإجماع في حق السنة الماضية وإنما يُضم في حق الحول الذي استفيد فيه؛ لأن النصاب بعد الحول كالمتجدد حكما، لأنه يتجدد النماء بتجدد الحول، والنصاب هو المال الموصوف بالنماء دون مطلق المال، وإذا تجدد النماء حصل النصاب كالمتجدد، ويجعل النصاب الموجود في الحول الأول كالعدم، والمستفاد يجعل تبعا للنصاب الموجود دون العدم[4].

إذا تقرر هذا فإن كان عند الشخص نصاب لم يخل المستفاد من ثلاثة

---

(١) الإشراف لعبد الوهاب ١/٣٩٤، وكشاف القناع ٢/٢٠١.

(٢) كشاف القناع ٢/٢٠١، وحاشية ابن قاسم على الروض المربع ٣/٢١٣.

(٣) المغني ٤/٧٤.

(٤) تحفة الفقهاء ١/٢٧٧.

أقسام أحدها: أن يكون المستفاد من نمائه كربح مال التجارة ونتاج[1] السائمة. الثاني: أن يستفيد مالا من جنس نصاب عنده قد العقد عليه حول الزكاة بسبب مستقل، مثل أن يكون له أربعون من الغنم مضى عليها بعض الحول فيشتري أو يتّهب مائة. الثالث: أن يكون المستفاد من غير جنس ما عنده.

إذاً هذا المطلب فيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: أن يكون المال المستفاد من نماء ما عنده كربح مال التجارة ونتاج السائمة:

هذا يجب ضمه إلى ما عنده من أصله فيعتبر حوله بحوله.

قال ابن قدامة: لا نعلم فيه خلافا[2].

وقال صاحب تحفة الفقهاء: وأما إذا كان من جنسه، إن كان حاصلا بسبب التفرع والاسترباح فيضم بالإجماع كالأولاد والأرباح[3].

الدليل على ذلك: أنه تبع له من جنسه فأشبه النماء المتّصل وهو زيادة قيمة عروض التجارة وثمن العبد والجارية[4].

الفرع الثاني: إذا كان المال المستفاد من جنس نصاب عنده قد انعقد عليه حول الزكاة بسبب مستقل مثل أن يكون له أربعون من الغنم مضى عليها بعض

---

(١) النتاج بالكسر اسم يشمل وضع البهائم من الغنم وغيرها، يقال نتجت الناقة ولدا بمعنى ولدت. المصباح المنير مادة نتج.

(٢) المغني ٤/٧٥، وانظر البيان ٣/١٥٧، وعقد الجواهر الثمينة ١/٣٢٥، والمنهاج مع شرحه مغني المحتاج ١/٣٧٨، ١/٣٩٨، وشرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد مع حاشية العدوي ١/٤٢٦.

(٣) تحفة الفقهاء ١/٢٧٨، وانظر بدائع الصنائع ٢/١٣ فقد ذكر الإجماع على ذلك، وانظر فتح القدير ٢/١٩٦، والبناية ٣/٧٨-٨٠.

(٤) تحفة الفقهاء ١/٢٧٨، والمغني ٤/٧٥.

الحول فيشتري أو يتهب مائة:

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

أولهما: أنه يضمه إلى ما عنده في الحول فيزكيهما جميعا عند تمام حول المال الذي كان عنده إلا أن يكون عوضا مزكى، وهو قول أبي حنيفة في كل مال استفيد من جنس نصاب عنده[١]، وهو قول مالك في الماشية دون بقية الأموال[٢].

ثانيهما: أنه لا تجب فيه الزكاة حتى يمضي على المستفاد حول أيضا، وهو قول الشافعي وأحمد في كل مال[٣]، وهو قول مالك في غير الماشية[٤].

أدلة القول الأول:

١- الاستدلال بعمومات الأدلة في الزكاة التي تقتضي الوجوب مطلقا عن شرط الحول إلا ما خصه الدليل[٥].

٢- ولأن المستفاد من جنس الأصل تبع له؛ لأنه زيادة عليه إذ الأصل يزداد به ويتكثر، والزيادة تبع للمزيد عليه، والتبع لا يفرد بالشرط[٦] كما لا

---

(١) رؤوس المسائل ص ٢٠٣، وتحفة الفقهاء ٢٧٨/١، والهداية ١٠٢/١، وفتح القدير ١٩٥/٢، ١٩٦ ، والبناية ٧٩/٣.

(٢) الإشراف لعبد الوهاب ٣٨١/١، والكافي لابن عبد البر ٢٩٢/١، وعقد الجواهر الثمينة ٣٢٧/١، والذخيرة ٣٥/٣.

(٣) المهذب ١٤٣/١، وحلية العلماء ٢٧/٣، والمجموع ٣٦٥/٥، ومغني المحتاج ٣٧٩/١، والمستوعب ١٩٢/٣، والمغني ٧٦/٤، وكشاف القناع ١٧٧/٢.

(٤) الإشراف لعبد الوهاب ٣٨١/١، وعقد الجواهر الثمينة ٣٢٧/١، والذخيرة ٣٥/٣.

(٥) بدائع الصنائع ١٤/٢.

(٦) الشرط في اللغة عبارة عن العلامة، ومنه أشراط الساعة، والشروط في الصلاة، وفي الشريعة عبارة عما يضاف الحكم إليه وجودا عند وجوده لا وجوبا. التعريفات للجرجاني =

يفرد بالسبب[١]، لئلا ينقلب التبع أصلا فتجب الزكاة فيها بحول الأصل كالأولاد والأرباح، بخلاف المستفاد بخلاف الجنس[٢]؛ لأنه ليس بتابع بل هو أصل بنفسه، ألا ترى أن الأصل لا يزداد به ولا يتكثر[٣].

٣- ولأن إفراده بالحول يفضي إلى تشقيص[٤] الواجب في الماشية واختلاف أوقات الواجب، والحاجة إلى ضبط مواقيت التملك ومعرفة قدر الواجب في كل جزء منه، ووجوب القدر اليسير الذي لا يتمكّن من إخراجه ثم يتكرر ذلك في كل حول ووقت، وهذا فيه حرج، وما شرط الحول إلا للتيسير[٥].

أدلة القول الثاني: استدل أصحاب هذا القول بما يلي:

١- ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول»[٦].

= ص ١٢٦، وانظر المصباح المنير مادة شرط ٣٠٩/١.

(١) السبب في اللغة اسم لما يتوصل به إلى المقصود، وفي الشريعة: عبارة عما يكون طريقا للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه. التعريفات للجرجاني ص ١١٧، وانظر المصباح المنير مادة سبب ٢٦٢/١.

(٢) أي بغير الجنس.

(٣) بدائع الصنائع ١٤/٢.

(٤) أي تجزئة. انظر المصباح المنير ٣١٩/١، مادة شقص، القاموس المحيط ص ٨٠٢ مادة شقص.

(٥) انظر الإشراف لعبد الوهاب ٣٨١/١، والهداية١٠٢/١، وفتح القدير ١٩٦/٢، والبناية ٨٠/٣.

(٦) روي من حديث علي ومن حديث ابن عمر ومن حديث أنس ومن حديث عائشة ﷺ. من حديث علي ﷺ رواه أبو داود في سننه ١٠٠/٢ رقم الحديث ١٥٧٣ وأحمد في المسند ١٤٨/١، والبيهقي في سننه ١٠٣/٤، ومن حديث ابن عمر رواه الترمذي في سننه ١٠/٣ حديث رقم ٦٣٢ والدارقطني في سننه ٩٠/٢. ومن حديث أنس رواه الدارقطني =

٢- وبأنه قد روي القول باشتراط الحول عن أبي بكر وعثمان وعلي وعائشة[(١)].

٣- وبأنه قد أجمع المجتهدون على أنه لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول[(٢)].

٤- ولأنه مملوك أصلا فيعتبر فيه الحول شرطا كالمستفاد من غير الجنس، ولا تشبه هذه الأموال الزروع والثمار؛ لأنها تتكامل ثمارها دفعة واحدة ولهذا لا تتكرر الزكاة فيها، وهذه نماؤها بنقلها فاحتاجت إلى الحول، وأما الأرباح والنتاج فإنما ضمت إلى أصلها؛ لأنها تبع له ومتولدة منه ولم يوجد ذلك في

= ٩١/٢، ومن حديث عائشة رواه ابن ماجه في سننه ٥٧١/١ حديث رقم ١٧٩٢، والدارقطني ٩١/٢، والبيهقي ١٠٣/٤، من طرق مرفوعا وموقوفا، وقد اختلف العلماء في تصحيح هذا الحديث وتضعيفه. انظر: نصب الراية للزيلعي ٣٢٨/٢-٣٣٠، والتلخيص الحبير ١٥٦/٢، والتحقيق في أحاديث الخلاف لابن الجوزي ٢٧/٢، ٢٨، وتنقيح التحقيق ١٣٦٩/٢-١٣٧٢.

قال البيهقي: والاعتماد في هذا على الآثار الصحيحة فيه عن أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان وعبد الله بن عمر وغيرهم ﷺ. السنن ٩٥/٤. ونقل الزيلعي في نصب الراية ٣٢٨/٢ عن النووي في الخلاصة قوله: ((هو حديث صحيح أو حسن))، وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص ١٥٦/٢ قلت: حديث علي لا بأس بإسناده والآثار تعضده فيصلح للحجة والله أعلم. وقد استوفى الشيخ الألباني تخـريج هذا الحديث وذكر طرقه وشواهده في كتابه إرواء الغـليل ٢٥٤/٣-٢٥٨ وصححه حيث قال: ٢٥٨/٣: ثم وجدت للحديث طرقا أخرى بسند صحيح عن علي ﷺ خرّجته في صحيح أبي داود فصح الحديث والحمد لله. أهـ. وانظر صحيح سنن أبي داود ٢٩٦/١.

(١) موطأ مالك ٢٤٦/١،٢٤٥، ومصنف عبد الرزاق ٧٥/٤، ٧٦ وسنن البيهقي ١٠٧/٤، والمحلى ١٠٧/٦، ومصنف ابن أبي شيبة ١٥٨/٣، ١٥٩.

(٢) الإجماع لابن المنذر ص ٤٩، والانتصار في المسائل الكبار ٢١٨/٣.

مسألتنا[١].

مناقشة أدلة القول الأول:

ويمكن مناقشة أدلة القول الأول بما يلي:

١- أما الاستدلال بعمومات الزكاة التي تقتضي الوجوب مطلقا عن شرط الحول إلا ما خص بدليل.

فقد يقال: بأن هذه العمومات واردة لبيان مقادير الواجبات في تقادير النصب على الإطلاق من غير تعرض لمحال التفاصيل، فإذا جاءت التفاصيل فيطلب الدليل من موضع آخر، -وقد تقدَّم ذكر الأحاديث المشترطة للحول والإجماع على ذلك -أعني اشتراط الحول- فيدخل المال المستفاد في ذلك.

وأما القول بأن المستفاد من جنس الأصل تبع له لأنه زيادة عليه...الخ.

فيقال: إنه ليس بتبع لما عنده من النصاب لأنه مملوك بسبب مثل السبب الذي ملك به النصاب فلم يصلح أن يكون تبعا له؛ لأن مثل الشيء لا يكون تبعا له بحال، يدل عليه أن تبع الشيء ما يكون قيامه به بوجه ما، ومن ملك خمسا من الإبل ثم ملك خمسا من الإبل فلا قيام للثاني بالأول بوجه ما، فكيف يتصور إثبات تبعيته له فدل على أنه أصل بنفسه مثل الأول، والحول شرط الزكاة فما لم يوجد لم تجب ولم يوجد ففات الوجوب، مثل ما إذا لم يوجد في النصاب الذي عنده فإنه يفوت الوجوب فكذلك هاهنا[٢].

قال في الاصطلام: «والحرف الوجيز لنا هو فوات الحول في المستفاد حسا وعدم قيام الدليل على كون الحول المنعقد للأصل حولا له؛ لأنه لو كان هو التبعية وقد ذكرنا أنه لا تبعية، وإذا ثبت فوات الحول لم يجز إيجاب الزكاة بلا حول»[٣].

(١) الاصطلام ٣٢/٢، والانتصار ٢٢٣/٣، والمغني ٧٧/٤.

(٢) الاصطلام ٣٣/٢.

(٣) ٣٣/٢.

وأما القول بأن إفراده بالحول يفضي إلى التشقيص في الماشية واختلاف أوقات الواجب وما في ذلك من الحرج فيقال: إن سلّم أن علة ضم الأرباح والنتاج إلى أصلها ما فيه من الحرج فلا يوجد ذلك هنا؛ لأن الأرباح تكثر وتتكرر في الأيام والساعات ويعسر ضبطها وكذلك النتاج وقد يوجد ولا يشعر به، فالمشقة فيه أتم لكثرة تكرره، بخلاف هذه الأسباب المستقلة فإن الميراث والاغتنام والاتهاب ونحو ذلك يندر ولا يتكرر فلا يشق ذلك فيه، وإن شق فهو دون المشقة في الأرباح والنتاج، فيمتنع قياسه عليه، واليسر هنا أكثر لأن الإنسان يتخير بين التأخير والتعجيل، وما ذكروه -أي أصحاب القول الأول- يتعين عليه التعجيل، ولا شك أن التخيير بين شيئين أيسر من تعيين أحدهما، لأنه مع التخيير يختار أيسرهما عليه وأحبهما إليه، ومع التعيين يفوته ذلك، وأما ضمه إليه في النصاب فلأن النصاب معتبر لحصول الغنى وقد حصل الغنى بالنصاب الأول، والحول معتبر لاستنماء المال ليحصل أداء الزكاة من الربح، ولا يحصل ذلك بمرور الحول على أصله فوجب أن يعتبر الحول له[1].

الراجح في المسألة:

الذي يظهر لي رجحانه هو عدم وجوب الضم لما تقدّم من أدلة القول الثاني، وما ذكر من مناقشة أدلة القول الأول، ولفوات الحول في المستفاد حسا وعدم قيام الدليل على كون الحول المنعقد للأصل حولا له، وإذا ثبت فوات الحول لم يجز إيجاب الزكاة بلا حول[2].

الفرع الثالث: أن يكون المستفاد من غير جنس ما عنده كأن يكون عنده إبل واستفاد غنما فهل يضمها إليها؟:

---

(١) انظر: الاصطلام ٢/٣٧-٤٠، والانتصار ٣/٢٢٤-٢٣٢، والمغني ٤/٧٨.

(٢) الاصطلام ٢/٣٣.

قال ابن قدامة: وهذا له حكم نفسه فلا يضم إلى ما عنده في حول ولا نصاب، بل إن كان نصابا استقل به حولا وزكّاه وإلا فلا شيء عليه وهذا قول جمهور العلماء[1]. وذكر منهم أبا بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ[2].

وقال صاحب تحفة الفقهاء: وأما المستفاد في الحول فإن كان من خلاف جنسه كالإبل مع الشاة ونحوها لا يضم بالإجماع[3].

الدليل لذلك: أنه لا يضم؛ لأن الزيادة تجعل تبعا للمزيد عليه من وجه، وخلاف الجنس لا يكون زيادة، لأن الأصل لا يزداد به ولا يتكثر[4].

(١) المغني ٤/٧٥.

(٢) المغني ٤/٧٥.

(٣) تحفة الفقهاء ١/٢٧٧، وقد ذكر الكاساني في بدائع الصنائع ٢/١٣ أنه لا يضم بل يستأنف به الحول بلا خلاف، وذكر العيني في البناية ٣/٧٨ الاتفاق على ذلك.

(٤) تحفة الفقهاء ١/٢٧٨.

الخاتمة

وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث وأجملها فيما يلي:

١– أن أنواع الأجناس يضم بعضها إلى بعض في تكميل النصاب.

٢– أن العروض تضم إلى الأثمان –الذهب والفضة– وتضم الأثمان إليها.

٣– أنه لا يضم جنس إلى جنس آخر في غير الحبوب والثمار، والأثمان وما ألحق بها من العملات الورقية.

٤– أن المال المستفاد إن كان من نماء ما عند الإنسان كربح مال التجارة ونتاج السائمة فإنه يضم إلى ما عنده لتكميل النصاب، وإن كان من غير جنس ما عنده فإنه لا يضم إليه.

٥– إنه لا يضم زرع عام إلى عام آخر، وكذلك لا يضم ثمر عام إلى عام آخر.

وقد ترجح لي:

أ– ضم الذهب إلى الفضة وضم الفضة إلى الذهب في تكميل النصاب، وأن الضم يكون بالأجزاء لا بالقيمة؛ لأن الزكاة تجب في الأثمان بأعيانها.

ب– ضم العملات الورقية بعضها إلى بعض، وضمها إلى عروض التجارة، وضمها إلى الذهب والفضة، والضم يكون بالقيمة لأن النظر في وجوب الزكاة في العملات هو إلى قيمتها فكذلك يكون الضم.

ج– عدم ضم أجناس الحبوب بعضها إلى بعض، وإنما يضم الجنس الواحد منها بعضه إلى بعض.

د– ضم زرع العام الواحد وثمرته بعضها إلى بعض في تكميل النصاب، سواء اتفق وقت زرعها وإدراكه أو اختلف.

هـ– أن الخلطة تؤثر في الماشية دون بقية الأموال.

و- أن المال المستفاد وإن كان من جنس نصاب عنده قد انعقد عليه حول الزكاة بسبب مستقل فإنه لا يضمه إلى ما عنده في الحول وإنما يستأنف به حولا جديدا. والله أعلم.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإجماع: لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت٣١٨هـ) تحقيق: أبي حماد صغير حنيف. الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ دار طيبة للنشر. الرياض.

٢. الاختيار لتعليل المختار: لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي (ت٦٨٣هـ). الطبعة الثالثة ١٣٩٥هـ/ الناشر: دار المعرفة. بيروت.

٣. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: لمحمد ناصر الدين الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي/ الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٤. الإشراف على نكت مسائل الخلاف: للقاضي أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي (ت٤٢٢هـ) تحقيق الحبيب بن طاهر/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ. دار ابن حزم للطباعة والنشر. بيروت.

٥. الاصطلام في الخلاف بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله: لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني التميمي المروزي (ت٤٨٩هـ) تحقيق: الدكتور نايف بن نافع العمري. الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ دار المنار للطباعة والنشر بمصر.

٦. الإفصاح عن معاني الصحاح: للوزير عون الدين أبي المظفر يحي بن محمد بن هبيرة (ت٥٦٠هـ)/ الناشر: المكتبة السعدية بالرياض.

٧. الأم: للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ). أشرف على الطباعة والتصحيح: محمد زهري النجار. دار المعرفة بيروت.

٨. الانتصار في المسائل الكبار على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: لأبي الخطاب محفوظ ابن أحمد بن الحسن الكلوذاني الحنبلي (ت٥١٠هـ) تحقيق ودراسة: الدكتور عبد العزيز بن سليمان بن إبراهيم البعيمي. الجزء الثالث مسائل الزكاة/ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ. الناشر مكتبة العبيكان.

٩. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد: لعلاء الدين أبي الحسن علي ابن سليمان المرداوي (ت٨٨٥هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي. الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/ الناشر دار إحياء التراث العربي.

١٠. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: لعلاء الدين أبي بكر مسعود الكاساني (ت٥٨٧هـ) الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/ الناشر دار المعرفة بيروت.

١١. بداية المجتهد ونهاية المقتصد: لأبي محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت٥٩٥هـ) مطبوع مع الهداية في تخريج أحاديث البداية. تحقيق: علي نايف بقاعي. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/

عالم الكتب.

١٢. البناية في شرح الهداية: لأبي محمد محمود بن أحمد العيني (ت٨٥٥هـ) تصحيح: المولوي محمد عمر. الناشر دار القلم/ الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ.

١٣. البيان في مذهب الإمام الشافعي شرح كتاب المهذب: لأبي الحسين يحي بن أبي الخير بن سالم العمراني الشافعي اليمني (ت٥٥٨هـ) اعتنى به: قاسم محمد النوري. الناشر: دار المنهاج للطباعة والنشر والتوزيع بيروت/ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٤. تحفة الفقهاء: لعلاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي (ت٥٤٠هـ). الناشر: دار الكتب العلمية بيروت/ الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ.

١٥. التحقيق في أحاديث الخلاف: للعلامة أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) حققه وخرج أحاديثه: مسعد عبد الحميد محمد السعدني/ علق على المسائل الفقهية واللغوية: محمد فارس/ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ. دار الكتب العلمية بيروت.

١٦. التعريفات: للشريف علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ). الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ/ دار الكتب العلمية بيروت.

١٧. التفريع: لأبي القاسم عبد الله بن الحسين بن الحسن بن الجلاب (ت٣٧٨هـ). دراسة وتحقيق: د.حسين بن سالم الدهماني. الناشر: دار الغرب الإسلامي/ الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ.

١٨. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) عنى بتصحيحه والتعليق عليه: عبد الله هاشم اليماني المدني/ دار المعرفة بيروت.

١٩. تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق: للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد عبد الهادي الحنبلي (ت٧٤٤هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور عامر حسن صبري/ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ. الناشر: المكتبة الحديثة بالإمارات العربية المتحدة.

٢٠. حاشية ابن قاسم "حاشية الروض المربع على شرح زاد المستقنع": للشيخ عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم العاصمي النجدي (ت١٣٩٢هـ)/ الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

٢١. حاشية العدوي على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد القيرواني: للشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي (ت١١٨٩هـ). الناشر: دار المعرفة بيروت.

٢٢. الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي شرح مختصر المزني: لأبي الحسين علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت٤٥٠هـ) تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود/ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ دار الكتب العلمية بيروت.

٢٣.الذخيرة: لشهاب الدين إدريس القرافي (ت٦٨٤هـ) تحقيق: الدكتور محيي. دار الغرب الإسلامي/ الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

٢٤.رحمة الأمة في اختلاف الأئمة: لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي الشافعي (ت٧٨٠هـ). الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ دار الكتب العلمية بيروت.

٢٥.رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام: لسماحة الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز. اعتنى هما وخرّج أحاديثهما عبد العزيز بن مختار إبراهيم. الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ/ دار الامتياز للنشر والتوزيع الرياض.

٢٦.الروض المربع شرح زاد المستقنع: لمنصور بن يونس البهوتي الحنبلي (ت١٠٥١هـ) مع حاشية ابن قاسم.

٢٧.روضة الطالبين وعمدة المفتين: لأبي زكريا يحي بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)/ الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/ الناشر المكتب الإسلامي.

٢٨.رؤوس المسائل (المسائل الخلافية بين الحنفية والشافعية): للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) دراسة وتحقيق: عبد الله نذير أحمد/ الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ/ دار البشائر الإسلامية بيروت.

٢٩.سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ الناشر: در الفكر.

٣٠.سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد/ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.

٣١.سنن البيهقي: السنن الكبرى للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ) الناشر: دار الفكر بيروت.

٣٢.سنن الدارقطني للحافظ علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ) عنى بتصحيحه: عبد الله هاشم اليماني/ الناشر: دار المحاسن للطباعة بالقاهرة.

٣٣.شرح أبي الحسن المسمى كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني/ مطبوعة مع شرحها حاشية العدوي.

٣٤.شرح الزركشي على مختصر الخرقي في الفقه على مذهب الإمام أحمد: لشمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي (ت٧٧٢هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين/ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ الناشر: مكتبة العبيكان.

٣٥.الشرح الممتع على زاد المستقنع: لمحمد بن صالح العثيمين/ الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ/ مؤسسة أسام للنشر.

٣٦.شرح منتهى الإرادات: للشيخ منصور بن يونس البهوتي (ت١٠٥١هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي/ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ مؤسسة الرسالة.

٣٧.شرح النووي لمسلم: شرح صحيح مسلم لمحيي الدين يحي بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)/ نشر وتوزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

٣٨.صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) مع فتح الباري.

٣٩.صحيح سنن أبي داود: لمحمد ناصر الدين الألباني/ الطبعة الثانية/ الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج/ أشرف على الطبع المكتب الإسلامي.

٤٠.صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ) مع شرح النووي لمسلم.

٤١.عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة: لجلال الدين عبد الله بن نجم بن شاس (ت٦١٦هـ) تحقيق: د.محمد أبو الأجفان وعبد الحفيظ منصور/ دار الغرب الإسلامي/ الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ.

٤٢.فتاوى الزكاة: لفضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين/ إعداد: أبي أنس علي ابن حسين أبو لوز. دار الوطن للنشر علم ١٤١٧هـ.

٤٣.فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش/ طبع ونشر: مؤسسة الأميرة العنود بنت مساعد بن جلوي آل سعود الخيرية/ الطبعة الرابعة: ١٤٢٣هـ.

٤٤.فتح الباري شرح صحيح البخاري: لأحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) قرأ أصله وعلق عليه الشيخ عبد العزيز بن باز ورقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي. وقام بإخراجه وتصحيحه محيي الدين الخطيب/ دار المعرفة.

٤٥.فتح القدير: لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي السكندري المعروف بابن الهمام (ت٦٨١هـ). الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ/ الناشر: دار الفكر بيروت.

٤٦. الفروع: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي (ت٧٦٣هـ). راجعه عبد الستار أحمد فرج/ الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ/ عالم الكتب.

٤٧.فقه الزكاة: للدكتور يوسف القرضاوي/ الطبعة السادسة عام ١٤٠١هـ/ مؤسسة الرسالة بيروت.

٤٨.فقه العبادات: لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين/ أشرف عليه واعتنى به مصطفى أمين عطا الله/ الطبعة الثانية/ دار البصيرة. مصر الإسكندرية.

٤٩.القاموس المحيط: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ). الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ/ تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة/ بيروت.
٥٠.الكافي في فقه أهل المدينة المالكي: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت٤٦٣هـ) تحقيق: د.محمد بن محمد الموريتاني/ الناشر: مكتبة الرياض الحديثة.
٥١.كشاف القناع على متن الإقناع: لمنصور بن يونس البهوتي الحنبلي (ت١٠٥١هـ). الناشر: عالم الكتب/ طبع عام ١٤٠٣هـ.
٥٢.المجموع شرح المهذب: لأبي زكريا يحي بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ) الناشر: دار الفكر.
٥٣.المحلى: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٥٦هـ) تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي/ الناشر: دار الفكر.
٥٤.مختار الصحاح: لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ). طبعة جديدة مصححة وملونة أعدّها وقدّم لها محمد حلاق/ واعتنت بتصحيحها نجوى أنيس ضو/ دار إحياء التراث مؤسسة التاريخ العربي/ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٥٥.مختصر اختلاف العلماء: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت٣٢١هـ) اختصار أبي بكر أحمد بن علي الجصاص الرازي (ت٣٧٠هـ). دراسة وتحقيق: د. عبد الله نذير أحمد الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز/ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ دار البشائر الإسلامية بيروت.
٥٦.مختصر الطحاوي: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت٣٢١هـ) حققه وعلق عليه: أبو الوفاء الأفغاني/ دار إحياء العلوم بيروت/ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٥٧.المستوعب: لنصير الدين محمد بن عبد الله السامري (ت٦١٦هـ). دراسة وتحقيق: مساعد ابن قاسم الفالح/ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض.
٥٨.مسند الإمام أحمد: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ) المكتب الإسلامي بيروت/ الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ.
٥٩.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: تأليف: محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت٧٧٠هـ).
٦٠.مصنف ابن أبي شيبة: لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ). حققه وصححه: الأستاذ عامر العامري والأعظمي. ونشره مختار أحمد الندوي/ الدار السلفية بالهند/ الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.
٦١.مصنف عبد الرزاق: لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١٣هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي/ الناشر: المكتب الإسلامي.
٦٢.المطلع على أبواب المقنع: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلي (ت٧٠٩هـ)

المكتب الإسلامي. بيروت/ تاريخ النشر ١٤٠١هـ.

٦٣. معالم السنن شرح سنن أبي داود: لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت٣٨٨هـ)/ الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/ المكتبة العلمية بيروت.

٦٤. المعونة على مذهب عالم المدينة: للقاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي (ت٤٢٢هـ)/ تحقيق: محمد حسن محمد حسن بن إسماعيل الشافعي/ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ دار الكتب العلمية. بيروت.

٦٥. المغني شرح مختصر الخرقي: لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ) تحقيق: معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد عبد الفتاح الحلو/ الرياض دار عالم الكتب/ سنة ١٤١٩هـ.

٦٦. مغني المحتاج شرح المنهاج: لمحمد الشربيني الخطيب (ت٩٧٧هـ) دار الفكر.

٦٧. المقدمات الممهدات لما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات: لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت٥٢٠هـ) تحقيق: سعيد أحمد أعراب. الناشر: دار الغرب الإسلامي/ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٦٨. المنهاج: للنووي أبي زكريا يحي بن شرف النووي. مطبوع مع مغني المحتاج.

٦٩. المهذب في فقه الإمام الشافعي: لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت٤٧٦هـ) الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

٧٠. الموطأ: للإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت١٧٩) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ الناشر: دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

٧١. نصب الراية لأحاديث الهداية: لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت٧٦٢هـ)/ مصورة عن الطبعة الأولى عام ١٣٥٧هـ/ دار المأمون القاهرة.

٧٢. النهاية في غريب الحديث: لمجد الدين أبي السعادات مبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) تحقيق: محمود الطناحي وطاهر أحمد الزاوي/ دار الكتب العلمية بيروت.

٧٣. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة الرملي المصري (ت١٠٠٤هـ) الناشر: دار إحياء التراث بيروت.

٧٤. الهداية شرح بداية المبتدي: لبرهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني (٥٩٣هـ) الناشر: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٧٥. الوسيط في المذهب: لمحمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)/ حققه وعلق عليه: أحمد محمد إبراهيم ومحمد تامر/ الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ/ الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

فهرس الموضوعات



أَثَرُ الْعَوَاطِفِ فِي الْمَوَاقِفِ

إِعْدادُ:

د. مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الثُّوَيْنِيِّ

الأُسْتَاذ الْمُسَاعِد فِي جَامِعَةِ الْقَصِيمِ

المقدّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١).

أما بعد؛ فإن الإنسان ليس قالباً جامداً لا يتأثر ولا يؤثر، بل هو مفطور على التفاعل مع الآخرين، والتأثر بهم والتأثير فيهم، وكل بحسبه.

ولذا كانت عواطف الناس تتفاوت بحسب المؤثرات الخارجية، هذا يعني تنوع العواطف عند الإنسان، بل إن العاطفة الواحدة قد تتغير في أوقات متفاوتة ما بين إفراط وتفريط واعتدال تجاه أمرٍ واحد، وكثيراً ما يرى الإنسان عدداً من المواقف التي بنيت على عواطف مندفعة مما جعل نتائجها مخيبة للآمال، ولهذا سعى ذوو الحكمة والرأي إلى ضبط عواطف الناس تجاه ما يريدون تحقيقه أو الوصول إليه، وهذا ما يجعل لهذا الضبط أهمية خاصة، إذ في تركها وحدها مجال خصب ليكون أصحابها على شفا جرف هار.

وقد بحثت فيما أمكنني البحث فيه عن مؤلف يفصل في أهمية العواطف وتقديرها والعناية بضبطها، والنتائج المترتبة على الاعتماد عليها فلم اهتد إلى ذلك سبيلا.

ومن هنا رأيت المشاركة بهذا المؤلف لعله يسهم في إثارة هذا الموضوع وبيان أهميته.

إن أبناء المجتمع الواحد وهم يخالطون أناساً تتنوع عواطفهم قوة وضعفاً،

---

(١) النساء: ١.

ومشاربهم كذلك، يتعرضون لعدد من المواقف التي تتطلب منهم القرار المناسب في الوقت المناسب ومع أهمية هذا لعموم أبناء المجتمع فإن الدعاة إلى الله سبحانه حاجتهم إليه أكثر وبخاصة وهم يخالطون المدعوين الذين تتفاوت مواقفهم تجاه الدعاة وما يدعونهم إليه، ما بين رفض وقبول وتوقف، فكان الدعاة وهم المَعْنيُّون بالقلوب هم الأوْلى بضبط عواطفهم تجاه ما يصدر من سلبيات مخالفيهم، ولهم في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، وكذا أهمية قدرتهم على ضبط عواطف المدعوين وتوظيف ما يمكن توظيفه من عواطف لمصلحة الدعوة والمدعوين، فكان هذا البحث رافداً مهماً في بيان كيفية التعامل مع المواقف، وسميته " أثر العواطف في المواقف"، وجعلته في مقدمةوستة مباحث وخاتمة، أما المقدمة فبينت فيها أهمية الموضوع وسبب البحث وأما المباحث فهي على النحو التالي:

المبحث الأول: تعريف العاطفة وأنواع العواطف.

المبحث الثاني: العلاقة بين العقل والعاطفة.

المبحث الثالث: العلاقة بين الشرع والعاطفة.

المبحث الرابع: كبح جماح العواطف لدفع المفاسد وتحقيق المصالح.

المبحث الخامس: إثارة عواطف الآخرين.

المبحث السادس: أبرز ملامح أثر العواطف بالمواقف.

والخاتمة بينت فيها أهم نتائج البحث.

المبحث الأول: تعريف العاطفة وأنواعها

المطلب الأول: تعريف العاطفة

- في اللغة:

قال ابن فارس: (عطف) العين والطاء والفاء أصل واحد صحيح يدل على انثناء وعياج، يقال: عطفت الشيء إذا أَمَلْتَه، وانعطف إذا انعاج، ومصدر عطف العطوف، وتعطف بالرحمة تعطفاً، وعطف الله تعالى فلاناً على فلان عطفاً، والرجل يعطف الوسادة: يثنيها، عطفاً، إذا ارتفع بها [(١)].

قال ابن منظور: " عطف يعطف عطفاً: انصرف، ورجل عَطوف وعَطّاف يحمي المنهزمين، وعَطَف عليه يَعْطف عَطْفاً، رجع عليه بما يكره، أوله بما يريد، ورجل عاطف وعَطُوف: عائد بفضله حسن الخلق قال الليث: العَطّاف الرجل الحسن الخلق، العطوف على الناس بفضله.

وقال: "والعطوف: المحبة لزوجها، وامرأة عطيف: هَيِّنة لينة ذلول مطواع لا كِبْرَ لها، وإذا قلت امرأة عطوف، فهي الحانية على ولدها، وكذلك رجل عطوف: ويقال: عطف فلان إلى ناحية كذا يَعْطِف عطفاً إذا مال إليه وانعطف نحوه" [(٢)].

قال الفيومي: عطفت الناقة على ولدها (عطفاً) من باب ضرب حَنَّت عليه ودر لبنها و(عطفته) عن حاجته (عطفاً) صرفته عنها و(عَطَفْت) الشيء (عطفاً) ثَنَيْته أو أمَلْته [(٣)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (باب العين والطاء وما يثلثهما) ٣٥١/٤.

(٢) لسان العرب مادة عطف ٢٥٠/٩.

(٣) المصباح المنير، ٤١٦/٢ مادة عطف.

- **في الاصطلاح:**

هي استعداد وجداني للشعور بتجربة وجدانية، للقيام بسلوك معين إزاء شيء، أو شخص أو جماعة أو فكرة مجردة"[1].

وقالوا: " العاطفة هي تبلور الوجدان حول بعض الموضوعات الخارجية، وأن ذلك التبلور إما أن يكون تبلوراً إيجابياً فيتأتى عنه الحب، وإما أن يكون تبلوراً سلبياً فتتأتى عنه الكراهة[2].

وقالوا أيضاً هي: " شعور أليم أو سار، ثابت مستقر في أعماق النفس حول شيء معين، كلما رأته العين أو سمعت به الأذن أو خطر على البال، صاحبه ذلك الشعور السارّ أو المؤلم "[3].

المطلب الثاني: من أنواع العواطف

تتنوع عواطف الناس حسب المؤثرات الخارجية، فإما أن يكون التأثير إيجابياً كالحب أو الغضب أو الحزن المعتدل، أو سلبياً كالحب أو الغضب أو الحزن المبالغ فيه، ولا يعد شيئاً من هذه سلبيا إذا كان في حدوده الطبيعية، فالحزن مثلا فُطِر عليه الإنسان عند فَقْد محبوب أو عدم تحقق مطلوب، ولكنه يكون سلبياً إذا تجاوز طبيعته، وأنتج محذوراً شرعياً أو عطّل مصلحة معينة، وهكذا فالعواطف أنواع منها:

- **أولا: عاطفة الحب:**

---

(١) مبادئ علم النفس العام للدكتور يوسف مراد نقلا من الجانب العاطفي في شخصية عمر ابن الخطاب قبل الخلافة للدكتور إبراهيم عبدالفتاح، ص١١.

(٢) سيكولوجية العاطفة، يوسف ميخائيل أسعد، ص٧.

(٣) مجلة الأزهر، المجلة ٢٠ الجزء الرابع، ص٣٧٢، نقلا من العاطفة الإيمانية وأهميتها في الأعمال الإسلامية للدكتور: محمد موسى الشريف، ص١٥.

الحب من أسباب التآلف والتواصل بين المتحابين، كما أن فيه سرعة التجاوب لطلب المحبوب، لذا كان المحبوب الصادق والناصح للمحب غنيمة باردة، حيث توظيف هذه المحبة لما يسعد المحب لا اعتبارها نقطة ضعف عنده يستغلها المحبوب للإيقاع بالمحب ومساومته على ما يحب المحبوب، كما أن الحب قد يشتد في لحظات فينسى صاحبه حقائق كان يسلم بها قبل انفعال العواطف عنده، وشاهد هذا حال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند وفاة رسول الله ﷺ حيث: " إن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال: أما بعد " من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [(١)].

وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها. قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات"[(٢)].

وجاء في رواية أخرى أن ".. عمر في ناحية المسجد يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يقطع أيدي أناس من المنافقين كثير، وأرجلهم"[(٣)]، ولاشك أن الذي حَرَّك عمر رضي الله عنه هو عاطفة الحب الإيمانية التي بدأت

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته ١٤٥/٨، حديث رقم ٤٤٥٤.

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ ٥٢٠/١ حديث رقم ١٦٢٧، قال الألباني صحيح، صحيح سنن ابن ماجه ٥٣/٢، حديث رقم ١٣٢٩.

بالفوران فتسببت بنسيانه ما كان يعلمه يقيناً قبل هول الصدمة.

وحيث إن هناك حباً طبيعياً لا يلام عليه الإنسان وحباً غير طبيعي تطال صاحبه اللائمة من جراء نتائج هذا الحب فسأورد أمثلة على النوعين، ومن ذلك:

أ- الحب الفطري:

١ - محبة الله: محبة الله تعالى مقدمة على جميع محاب الإنسان، إذ محبة ما سواه سبحانه تبع لمحبته جل وعلا فهو الإله الذي تألهه القلوب حباً وتعظيماً، ومحبة الإنسان لله سبحانه تحتاج إلى حقائق تثبت حقيقة هذه المحبة وذلك بالاتباع الصحيح لرسول الله ﷺ قال تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [1]، هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادَّعى محبة الله تعالى وليس متبعاً لنبيه محمد ﷺ حق الاتباع، مطيعاً لــه في أمره ونهيه، فإنه كاذب في دعواه حتى يتابع الرسول ﷺ حق الاتباع[2].

٢ - محبة النبي ﷺ: إن رسول الله ﷺ القائل: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"[3]، هو القائل ﷺ " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبدالله ورسوله " [4].

وهكذا نجد في الجمع بين الحديثين أن محبة الرسول ﷺ وضعها هو عليه

(١) آل عمران: ٣١.

(٢) التفسير الميسر لنخبة من العلماء، ص٥٤.

(٣) متفق عليه رواه البخاري واللفظ لــه كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ٥٨/١، حديث رقم ١٥، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ ٦٧/١، حديث رقم ٤٤.

(٤) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله " واذكر في الكتاب مريم" ٤٧٨/٦، حديث رقم (٣٤٤٥).

الصلاة والسلام في محيطها الطبيعي، فكان الفضل بسبب المنزلة، والنهي عن تجاوز الحد لأنه يتجاوز المنْزلة التي أخبر عنها ﷺ.

ولذا فإن الحب الطبيعي لرسول الله ﷺ الذي هو من حقوقه "توقيره واحترامه وتعظيمه اللائق به من غير غلو ولا تقصير، فتوقيره في حياته توقير سنته وشخصه الكريم، وتوقيره بعد مماته توقير سنته وشرعه القويم.

وإن من حقوق النبي ﷺ تصديقه فيما أخبر به من الأمور الماضية والمستقبلة وامتثال ما به أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، والإيمان بأن هديه أكمل الهدي وشريعته أكمل الشرائع، وأن لا يقدم عليه تشريع أو نظام مهما كان مصدره، ومن حقوق النبي ﷺ الدفاع عن شريعته وهديه بما يستطيع الإنسان من قوة"(١).

٣ – محبة الصالحين: محبة الصالحين من أبرز مظاهر الولاء للمؤمنين، فقد أوجب سبحانه موالاة المؤمنين ومحبتهم، قال تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(٢) فالمؤمنون إخوة في الدين والعقيدة، وفي هذه الدائرة الواسعة للولاء للمؤمنين تأتي محبة الصالحين إذ هم ممن يحب محبة خالصة لا معاداة معها، ولا يبغض الصحابة وسلف هذه الأمة من في قلبه إيمان، وإنما يبغضهم أهل الزيغ والنفاق وأعداء الإسلام(٣).

والصالحون في هذه الأمة موجودون في كل زمان وإن كانوا يقلُّون ويزيدون في مكان دون مكان، وفي معاداة الصالحين خطر عظيم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد

---

(١) حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة للشيخ محمد صالح العثيمين، ص١٠، ١١.

(٢) المائدة: ٥٥.

(٣) ينظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ الدكتور صالح الفوزان، ص٣٠٨، ٣١٧، ٣١٨.

آذنته بالحرب.."الحديث[1]، قال ابن حجر: " المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته"[2].

وهذه المحبة هي محبة الاعتدال في حق هؤلاء فلا يرفعون فوق مترلتهم ولا يوضعون في أقل منها، مما يعني أهمية دور الدعاة إلى الله في تربية أنفسهم ومن تصله دعوقم على معرفة قدر هؤلاء بلا إفراط ولا تفريط.

٤ – حب الرجل لزوجته: والمراد به هنا الحب الطبيعي الذي لا يُلام عليه الإنسان، فالعدل فيما يملك إن كان لـــه أكثر من زوجة هو المطلب الأسمى والأوجب الذي لا يعذر فيه صاحبه وهل أعدل من رسول الله ﷺ فمع حبه لعائشة رضي الله عنها لم يكن ليدع الأخريات وحقوقهن رضي الله عنهن ليقيم عند عائشة مع مرضه وشدة حاجته إلى البقاء عندها ﷺ ورضي عنها.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: " إن كان رسول الله ﷺ ليتعذر في مرضه أين أنا اليوم، أين أنا غداً؟ استبطاء ليوم عائشة، فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري، ودفن في بيتي "[3].

و مما يؤكد أن هذا حبٌّ طبيعي هو عدم إقرارها على منكر فعلته دون قصد منها، فلم تتغلب عاطفة الحب فتتسبب بالتغاضي عن المنكر فهذا رسول الله ﷺ يزيل منكراً في مترل عائشة رضي الله عنها وضعته لم تعلم حكمه، وهي كذلك رضي الله عنها لم تعارض وتنادي بالويل والثبور، بل استجابت لأمر رسول الله ﷺ مع علمها بمحبة رسول الله ﷺ لها.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، ٣٤٠/١١، حديث رقم ٦٥٠٢ .

(٢) الفتح ٣٤٢/١١.

(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ ٢٥٥/٣، حديث رقم ١٣٨٩.

بقرام[١] لي على سهوة لي فيها تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه، وقال: أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله، قالت: فجعلناه وسادة أو وسادتين " [٢]، وعنها رضي الله عنها قالت: قدم النبي ﷺ من سفر وعلقت درنوكاً [٣] فيه تماثيل، فأمرني أنزعه فنزعته " [٤].

٥ – حب الوالد لولده: وهذا مما فطر عليه الإنسان لتسهل عليه النفقة ويجتهد في الرعاية وحسن التربية وإظهار الشفقة والحنو عليه.

فعن البراء رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه يقول: " اللهم إني أحبه فأحبه " [٥].

وإذا عارضت هذه المحبة ما يجب إزالته وإنكاره كان تقديم الواجب على هذه العاطفة مع بقائها في محيط الاعتدال الذي لم يؤد إلى مراعاة خاطر المحبوب على حساب الشرع الواجب.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ كخ كخ، ليطرحها ثم قال:

---

(١) القرام: الستر الرقيق وبعضهم يزيد فيه رقم ونقوش: ينظر المصباح المنير، مادة: القرام ٢/٥٠٠.

(٢) رواه البخاري كتاب اللباس، باب ما وطيء من التصاوير ١٠/٣٨٦، ٣٨٧، حديث رقم ٥٩٥٤.

(٣) الدرنوك: هو ثوب غليظ لــه خمل إذا فرش فهو بساط، وإذا علق فهو ستر، ينظر فتح الباري ١٠/٣٨٧.

(٤) رواه البخاري كتاب اللباس، باب ما وطئ من التصاوير ج ١٠/٣٨٦، ٣٨٧، حديث رقم ٥٩٥٥.

(٥) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ٧/٩٤، حديث رقم (٣٧٤٩).

أما شعرت أنّا لا نأكل الصدقة "[1].

ب – الحب غير الطبيعي: والمراد به أن يتجاوز المحب فيه الحدود الطبيعية في حق المحبوب وأمثلة ذلك:

١ – الغلو في حق الرسول ﷺ: كما بين النبي ﷺ حقه في المحبة أبان عما لا يجوز من إطرائه والغلو فيه صلى الله عليه وسلم كما سبق [2] ولكن غلاة الصوفية جاوزوا الحد في حقه عليه الصلاة والسلام فـ (منهم من يعتقد أن الرسول محمد هو قبة الكون وهو الله المستوي على العرش، وأن السموات والأرض والعرش والكرسي وكل الكائنات خلقت من نوره وأنه أول موجود وهو المستوي على عرش الله..) [3].

وهؤلاء الذين غلوا في حق النبي ﷺ رفعوه فوق المترلة التي وضعها لنفسه ﷺ وخالفوا أمره عليه الصلاة والسلام فغلوا فيه حتى قال قائلهم مستغيثاً بالنبي ﷺ:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذُ به   سِواك عند حلول الحادث العَمِم
فإن من جودك الدنيا وضرَّتَها ﷺ   ومن علومك علمَ اللوح والقلمِ[4]

٢ – الغلو في محبة الصالحين: محبة الصالحين من الدين الذي يتعبد المسلم ربه – سبحانه – بها ولكنها متى ما جاوزت الحد الشرعي أصبحت غلواً نهى الشارع عنه، ولذلك كان من فقه الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله جعله باباً يحذر فيه من هذا الغلو حيث قال: "باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم

(١) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ ٣/٣٥٤، حديث رقم ١٤٩١.

(٢) ص ٤١٨ فقرة الحب الفطري، رقم (٢).

(٣) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق ص٣٨.

(٤) ديوان البوصيري، ص٢٤٨.

وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين"[١]. ثم ذكر الأدلة على ذلك وأقوال السلف رحمهم الله.

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، شارحاً هذا الباب (أي باب ما جاء من الدليل والبرهان على أن سبب كفر بني آدم أو سبب أول كفر بني آدم، وتركهم دينهم الذي خلقوا له، ولا صلاح ولا فلاح لهم إلا به، هو الغلو في الصالحين من الأنبياء والأولياء وغيرهم، بالقول والاعتقاد فيهم، وضابط الغلو تعدي ما أمر الله به، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه، ولما ذكر بعض ما يفعله عباد القبور مع الأموات من الشرك[٢]، أراد أن يبين السبب في ذلك ليحذروا الغلو مطلقاً، لا سيما في الصالحين، فإنه أصل الشرك قديماً وحديثاً، لقرب الشرك بالصالحين من النفوس، فإن الشيطان يظهره في قالب المحبة والتعظيم [٣].

وعلى هذا فإن المحبة للصالحين بمقدار أهميتها ووجوبها يكون التحذير من أن يُتعدى فيها ما أمر الله به.

٣ – الإفراط في حب الولد: إذا تجاوز حب الولد حدود الطبيعة وأدى ذلك إلى مراعاة الولد ولو على حساب الواجبات الشرعية فإن في هذا الهلكة للوالدين.

ولذا جاء في خبر الغلام الذي ورد في قصة موسى والخضر حيث قتله الخضر ما يدل على خطورة ذلك كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا . فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[٤].

قال ابن كثير " أي يحملهما حبه على متابعته على الكفر، قال قتادة قد

---

(١) كتاب التوحيد ص٦٥.

(٢) يعني ما ذكره الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتابه التوحيد من الأبواب قبل هذا الباب.

(٣) حاشية كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ص١٤٦.

(٤) سورة الكهف، آيتا ٨٠– ٨١.

فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض امرؤ بقضاء الله فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب.. قوله: ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما﴾ أي ولداً أزكى من هذا وهما أرحم به منه.. " (١).

وكاد هذا الغلام يكون وبالا على والديه، لولا رحمة الله لهما وإبدالهما بصالح يعطفان عليه ولا يخرجان بذلك من دينهما.

٤ – الإفراط في حب الصديق: الصداقة أمر لازم لا غنى للإنسان عنها، ومتى ما كان في حدود المعقول فهي من الأمر المحمود، وإن تجاوزته إلى حد الإفراط والتنازل عن المسلمات من أجل استبقاء ود الصديق فهي من النوع المذموم ومع أن الاعتدال في كل شيء مطلوب فهو في الصداقة أعز مطلوب، ولذا صح موقوفاً على علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله "أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما" (٢).

وهذه القاعدة مهمة في ضبط علاقة الإنسان بالآخرين، وكم جرّت العلاقات المبالغ فيها إلى ويلات على الإنسان وبخاصة إذا كانت على حساب دين المرء كما أخبرنا الله عن خبر من أطاع صديقه فأصبح في النار رفيقه قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا {٢٧} يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلا {٢٨} لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولا﴾ (٣).

(١) تفسير القرآن العظيم ١٠٤/٣.

(٢) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض ٣١٦/٤ حديث رقم ١٩٩، ينظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٣٧٦/٢ حديث ١٩٩٧.

(٣) سورة الفرقان آيات ٢٧-٢٩.

قال ابن القيم رحمه الله عن هذه الآية: " فكل من اتخذ خليلا غير الرسول، يترك لأقواله، وآرائه ما جاء به الرسول ﷺ فإنه قائل هذه المقالة لا محالة، ولهذا هذا الخليل كنى عنه باسم فلان، إذ لكل متبع أولياء من دون الله فلان وفلان فهذه حال الخليلين المتخالين على خلاف طاعة الرسول ﷺ مآل تلك الخلة إلى العداوة واللعنة، كما قال تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾[(١)][(٢)].

وليس الحب بنوعيه منحصراً فيما ذكر فهناك حب المال، وحب الوطن، وحب الجاه والرئاسة وغير ذلك ولكن لعل فيما ذكر كفاية؛ إذ الهدف بيان الأمر بالتمثيل.

- ثانياً: عاطفة الغضب:

الغضب نوعان محمود ومذموم فالأول ما يكون لأمر الله وأمر رسوله ﷺ ولذا بوب البخاري باباً وهو قوله (باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله تعالى)[(٣)].

قال ابن حجر شارحاً هذا الباب: " كأنه يشير إلى أن الحديث الوارد في أنه صلى الله عليه وسلم كان يصبر على الأذى إنما هو فيما كان من حق نفسه، وأما إذا كان لله تعالى فإنه يمتثل فيه أمر الله من الشدة، وذكر فيه خمسة أحاديث تقدمت كلها وفي كل منها ذكر غضب النبي ﷺ في أسباب مختلفة مرجعها إلى أن ذلك كله كان في أمر الله، وأظهر الغضب فيها ليكون أوكد في الزجر

---

(١) سورة الزخرف آية ٦٧.

(٢) الرسالة التبوكية ص١٤٤، وينظر: بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، ليسري السيد محمد ٢٩٢/٣.

(٣) البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله تعالى رقم ٢٧٥١ ٥١٦/١٠.

عنها"[1]. أما الغضب المذموم فهو الذي يخرج المرء عن تفكيره ويسلبه ذلك، مما يعني ظهور تصرفاته منه لا يحمد بعد ذهاب الغضب عواقبها، ولذا عد الرسول ﷺ المعالج لغضبه والكاظم لغيظه من أشد الرجال وأقواهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " ليس الشديد بالصُّرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " [2].

وبالتمثيل لكلا النوعين من الغضب يتجلى الفرق بينهما، علماً أن الأحاديث التي سيمثل بها الغضب المذموم سيصاحبها علاج ذلك الغضب ومن ذلك:

أ – أمثلة الغضب المحمود:

١ – عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يُطيل بنا، قال فما رأيت رسول الله ﷺ قط أشد غضباً في موعظة منه يومئذ، قال فقال: يا أيها الناس إن منكم منفّرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم المريض والكبير وذا الحاجة[3].

٢ – وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ يصلي رأى في قبلة المسجد نخامة فحكها بيده، فتغيظ ثم قال: إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله حيال وجهه، فلا يتنخمن حيال وجهه في الصلاة [4].

---

(١) فتح الباري ٥١٨/١٠.

(٢) متفق عليه رواه البخاري كتاب الأدب باب الحذر من الغضب ٥١٨/١٠ حديث رقم ٦١١٤، ومسلم، كتاب البر والصلة والأداب ٢٠١٤/٤، حديث رقم ٢٦٠٩.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمره تعالى ٥١٧/١٠ حديث رقم ٦١١٠.

(٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمره تعالى ٥١٧/١٠ حديث رقم ٦١١١.

ب – أمثلة الغضب المذموم مع العلاج:

١– عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: استب رجلان عند النبي ﷺ فغضب أحدهما فاشتد غضبه حتى انتفخ وجهه وتغير، فقال النبي ﷺ: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد، فانطلق إليه الرجل فأخبره بقول النبي ﷺ وقال: تعوّذ بالله من الشيطان. فقال أترى بي بأس، أمجنون أنا؟ اذهب[١].

قال ابن حجر: قوله (اذهب) هو خطاب من الرجل للرجل الذي أمره بالتعوذ أي امضِ في شغلك. وأخلق بهذا المأمور أن يكون كافراً أو غلب عليه الغضب حتى أخرجه عن الاعتدال بحيث زجر الناصح الذي دله على ما يزيل عنه ما كان به من وهج الغضب بهذا الجواب السيئ، وقيل إنه كان من جفاة الأعراب، وظن أنه لا يستعيذ من الشيطان إلا من به جنون، ولم يعلم أن الغضب نوع من شر الشيطان ولهذا يخرج به عن صورته ويزين إفساد ماله كتقطيع ثوبه وكسر آنيته أو الإقدام على من أغضبه، ونحو ذلك مما يتعاطاه من يخرج عن الاعتدال[٢].

٢ – عن أنس رضي الله عنه قال: " كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام [٣] فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلَق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: غارت أَمكم، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كُسرت فيه[٤].

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن ٤٦٤/١٠ حديث رقم ٦٠٤٨.

(٢) فتح الباري ٤٦٧/١٠.

(٣) التي كان ﷺ في بيتها عائشة والتي أرسلت الطعام زينب بنت جحش.

(٤) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الغيرة ٣٢٠/٩ حديث رقم ٥٢٢٥.

قال ابن حجر " وقالوا: فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيراء بما يصدر منها لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة"[1].

٣ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان لرجل على رسول الله ﷺ حق فأغلظ له، فهمَّ به أصحاب النبي ﷺ فقال النبي ﷺ " إن لصاحب الحق مقالاً" فقال لهم " اشتروا له سناً فأعطوه إياه فقالوا: إنا لا نجد إلا سناً هو خير من سنه. قال " فاشتروه فأعطوه إياه فإن من خيركم – أو خيركم – أحسنكم قضاء"[2].

الرسول ﷺ هدأ من غضب الصحابة بأن ذكر الذي جبل عليه من حسن القضاء كما أبان عليه الصلاة والسلام أن هذا الرجل يتكلم بحق ولو أنه لم يحسن طريقة طلب القضاء، ولم يعنف النبيﷺ أصحابه بمطالبتهم للرجل بأهمية سلوك الطريقة الأمثل لطلب الحق –ولو أن هذا من الأخلاق الحسنة عند المسلم – ولكن قد يكون هذا مما يزيد الصحابة غضباً على هذا الرجل.

- ثالثا – عاطفة الحزن:

الحزن ضد الفرح وهو ما يصيب المرء من كآبة وتغير للمزاج بسبب عارض سبب له هذا الحزن، وهذا الحزن نتيجة لفقد محبوب أو عدم تحقق مرغوب، لذا فإن أعراضه ونتائجه تكون بعد الحدث لا قبله إذ ما قبله يسمى خوفاً أو هماً وما بعده يكون حزناً، وقد يكون الإنسان في حالة عادية لم يشرح نفسه فيها فرحٌ ولم يقبضها حزن ثم يشعر بشيء من تغير للمزاج فيعرض له الحزن بهذه الحال بدون سبب ظاهر.

---

(١) الفتح ٩/٣٢٥.

(٢) رواه مسلم، كتاب المساقاة، باب من استسلف شيئاً فقضى خيراً منه ٣/١٢٢٥ حديث رقم ١٦٠١.

الحزن مما فطر عليه الإنسان ولا يلام إذا لم يتجاوز الحد ولم يتسبب على الإنسان بإصدار تصرفات تخالف الشرع، وسأورد بعض الأمثلة على كلا النوعين من الحزن.

أ – الحزن الطبعي:

١ – عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين – وكان ظئراً لإبراهيم – فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمّه. ثم دخلنا عليه بعد ذلك – وإبراهيم يجود بنفسه – فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال يا ابن عوف إنها رحمة. ثم اتبعها بأخرى فقال صلى الله عليه وسلم: إن العين تدمع، والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون " [(١)].

٢ – عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: " اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم، فلما دخل عليه وجده في غاشية أهله فقال: قد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله. فبكى النبي ﷺ فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا. فقال: ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا – وأشار إلى لسانه – أو يرحم. وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه[(٢)].

ومما يدل على أن هذا الحزن في دائرة الجائز المعقول ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تأمر بالتلبينة للمريض وللمحزون، وكانت تقول إني

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ " إنا بك لمحزونون" ١٧٢/٣ حديث رقم ١٣٠٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض ١٧٥/٣، حديث رقم ١٣٠٤.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن التلبينة تجمّ[1] فؤاد المريض، وتذهب ببعض الحزن[2]. ومن الحزن الطبيعي عند فوات مصلحة على الإنسان ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: لما أراد النبي ﷺ أن ينفر إذا صفيّة على باب خبائها كئيبة حزينة. فقال "عقرى حلقى [3] إنك لحابستُنا " ثم قال لها: أكنت أفضت يوم النحر قالت: نعم. قال " فانفري" [4].

ب – الحزن غير الطبيعي:

هو ذاك الحزن الذي لا يعرف معه صاحبه تصرفاته، أو يكون سبباً لتعطل مصالحه وذلك بانكفائه على نفسه وجلوسه أسيراً لحزنه ومثال ذلك:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: اتقي الله واصبري، قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك: فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى[5].

---

(١) التلبينة: حساء يعمل من دقيق أو نخالة ويجعل فيه عسل سميت تلبينة تشبيهاً باللبن لبياضها ورقتها وتجم: المعنى أنها تريح فؤاده وتزيل عنه الهم وتنشطه، والجام بالتشديد المستريح، فتح الباري ١٠/١٤٦، اللسان ١٣/٣٧٦ مادة لبن.

(٢) رواه البخاري كتاب الطب باب التلبينة للمريض ١٠/١٤٦.

(٣) عقرى: أي عقرها الله أي جرحها، وقيل جعلها عاقراً لا تلد، وقيل عقر قومها. حلقى: حلق شعرها وهو زينة المرأة، أو أصابها وجع في حلقها، أو حلق قومها بشؤمها أي أهلكهم. وحكى القرطبي أنها كلمة تقولها اليهود للحائض، فهذا أصل هاتين الكلمتين، ثم اتسع العرب في قولهما بغير إرادة حقيقتهما كما قالوا قاتله الله وتربت يداه ونحو ذلك. ينظر: فتح الباري ٣/٥٨٩.

(٤) رواه مسلم، كتاب الحج، باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض ٢/٩٦٥ حديث رقم ١٢١١/٣٨٧.

(٥) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور ٣/١٤٨ حديث رقم ١٢٨٣.

قال ابن حجر قال الزين بن المنير: فائدة جواب المرأة بذلك أنها لما جاءت طائعة لما أمرها به من التقوى والصبر معتذرة عن قولها الصادر عن الحزن، بيّن لها أن حق هذا الصبر أن يكون في أول الحال[١].

ومن نتائج الحزن غير الطبيعي الجزع الذي هو (القول السيئ والظن السيئ)[٢] المؤدي إلى ما يحرم فعله مثل من قتل نفسه جزعاً كما روى: جندب ابن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ (كان فيمن كان قبلكم رجل به جُرحٌ فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده، فما رقأ الدمُ حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرَّمتُ عليه الجنة[٣].

قال ابن حجر وفيه " التحديث عن الأمم الماضية وفضيلة الصبر على البلاء وترك التضجر من الآلام لئلا يفضي إلى أشد منها[٤].

ولعل فيما ذكر من أنواع العواطف دلالة أكيدة على أهمية العاطفة بأنواعها وأنها مما فطر عليه الإنسان، ولكنها متى جاوزت الحد انقلبت إلى ضد المنشود منها، فأضحت مرضاً عند صاحبها يحتاج منها إلى علاج.

---

(١) الفتح ٣/١٥٠.

(٢) من كلام محمد كعب القرظي، ينظر الفتح ٣/١٦٩.

(٣) رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٦/٤٩٦ حديث رقم ٣٤٦٣.

(٤) الفتح ٦/٥٠٠.

المبحث الثاني: العلاقة بين العقل والعاطفة

هل العاطفة والعقل ضدان لا يمكن أن يجتمعا، أو أن كل واحد منهما محتاج إلى الآخر؟ إعمال العقل في مسائل عدة بحاجة إلى عاطفة تريه جوانب أخرى لابد من مراعاتها، وكذا انفراد العاطفة بالحكم والتقدير قد يجنح بالنتيجة حسب نوع العاطفة فلا يكون للوسطية في الحكم مجال.

و"يرى الدكتور محمد الصغير[1] إن الشخص السوي نفسياً يستطيع الموازنة بين الأمور العقلية والعاطفية فلا يغلب جانباً على جانب إلا بحسب ما تقتضيه الحكمة مما يتعلق بالظروف والملابسات المحيطة، فهو قادر على إعمال عقله في إطار مشاعره، وإعمال مشاعره في إطار عقله ولا ينساق مع العواطف والمشاعر على حساب العقل والتفكير كما لا يفعل العكس... ".

وفي هذا يقول الأستاذ عبد اللطيف السبكي: " ترى القرآن في تبليغ دعوته يناجي العقول، ويفتح أمامها مجال البحث مع الرواية، ويحضها على التأمل وحسن النظر.. وترى القرآن كذلك يناجي العاطفة، ويثير فيها الحنو، ويستنهضها إلى الاستجابة، ويعتمد عليها في موازنة العقل، إذا العقل وحده لا يسهل دائماً قياده، فقد يجمد إلى التقليد، أو يجنح إلى العصبية، أو تغمره الجهالة، أو يحيط به كل ذلك حتى ينحاز إلى غير ما يلائمه ويظل متخلفاً، وحينئذ تكون العاطفة عوناً على إقناعه ووسيلة إلى استمالته واجتذابه.

كما أن العاطفة وحدها قد لا تتماسك بل تلين وترق حتى تتأثر بكل ما يعرض لها دون روية أو موازنة بين ضار ونافع، وقد تتحجر العاطفة التي لم يسعفها تهذيب أو لم يصادفها توجيه فيكون للعقل موقفه من الرشد والترجيح والاختيار واجتذاب العاطفة ونحوه.. فالعقل والعاطفة نافذتان يدخل منهما نور

---

(١) ما تحت الأقنعة للدكتور محمد بن عبد الله الصغير ص٣٠٠.

الهداية ويستقر في الوعي، وينقاد المرء لما يتجهان إليه ويبصرانه به، وفي تكافلهما، لا شك حفاظ من الزلل، وفي مناجاتهما توفير لأسباب الرشد، وحيطة في التوجيه وفي حسن التربية" (١).

وليس بغريب أن يكون بين العقل والعاطفة مد وجزر وبخاصة إذا علمنا أن بين العواطف صراعاً بل العاطفة الواحدة في داخلها صراع، فكل عاطفة مهما كانت سامية تحمل في ثناياها بذور العاطفة المناقضة لها، فالشفقة تكون دائماً ممزوجة بشيء من القسوة والتعذيب وبشيء من العطف والحب وبشيء من البغضاء، وعناصر تظهر حيناً وتختفي حيناً آخر (٢).

إن الإنسان ليجد هذا أثناء تأديبه لولده باستخدام وسيلة الضرب فمع ضربه له فهو لا يكرهه بل أن عاطفة الحب تنازعه في هذا النوع من التأديب.. وكذا قد يجده الإنسان في علاقته بزوجته فقد لا يحب فيها كل شيء ولكنه يحب منها أشياء تكون هي سبب دوام العلاقة الزوجية بينهما. يؤكد هذا ما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر " أو قال "غيره"(٣).

---

(١) مجلة الأزهر المجلة ٢٧ ١ المحرم سنة ١٣٧٥ ص٦، ٧ نقلا عن العاطفة الإيمانية، د. محمد موسى الشريف ص١٠٣، ١٠٤.

(٢) انظر: مبادئ علم النفس العام للدكتور يوسف مراد ص١٦٩ نقلا عن الجانب العاطفي في شخصية عمر بن الخطاب للدكتور إبراهيم عبدالفتاح المتناوي ص١٢، ١٣.

(٣) رواه مسلم كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء ٢/١٠٩١ حديث رقم ١٤٦٩ والفرك البغض.

المبحث الثالث: العلاقة بين الشرع والعاطفة

جاء الشرع من عند الله بما فيه صلاح العباد فكان متوافقاً مع أهل الفطر السوية والعقول السليمة لأن الخالق سبحانه هو المشرع لعباده فكان التوافق التام بين الشرع والعواطف المؤمنة الراضية ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١) ولأن العواطف قد تجنح بصاحبها بخلاف أمر الله وأمر رسوله ﷺ جاء التوجيه الرباني بإعمال الشرع ولو على حساب العواطف التي قد يقصر نظر أصحابها عن المصالح العامة والخاصة التي يرمي إليها شرع الله سبحانه كما في آيات عدة ومنها قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيًا أو فقيرًا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإنّ الله كان بما تعملون خبيرًا﴾(٢).

وقال سبحانه في آية أخرى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إنّ الله خبيرٌ بما تعملون﴾(٣) ومن ضمن الوصايا قال سبحانه: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلّكم تذكّرون﴾ (٤) هنا نجد أن الشرع قيد العاطفة لكيلا تجنح بصاحبها في مواطن يحتمل أن يكون لها الأثر الواضح فيها، فالوالدان والأقربون والأولاد مما جبلت النفس على حبهم. فأمر سبحانه بالعدل مع هؤلاء ومن دونهم من باب أولى. وأن تضبط العواطف بضابط الشرع، وكذا فقه السياسة الشرعية مما يحفظ من الزلل بإذن الله، يتضح ذلك في الحديث عنهما فيما يلي:

---

(١) سورة الملك آية ١٤.

(٢) سورة النساء آية ١٣٥.

(٣) سورة المائدة آية ٨.

(٤) سورة الأنعام آية ١٥٢.

المطلب الأول: ضبط العواطف بضابط الشرع

إن الاستجابة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ أمر لازم ولو خالف العواطف، وحارت به العقول، فلابد من مرجعية شرعية فيما يأخذ الإنسان ويذر، ففي إغفال هذا الأمر اتباع للشيطان كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١) وكم هي المواقف التي تتفاعل فيها العواطف عند الصحابة بما يخالف أمر الله وأمر رسوله ﷺ، ولكنهم يلجمونها بلجام الاستسلام التام لأمر الشارع الكريم المحكوم بالكتاب والسنة.

١ – رسول الله ﷺ وأمّه:

وتأتي قمة الامتثال لأمر الله من خير الأنام ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال "استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت" (٢).

ولك أن تستذكر ذاك المشهد المؤثر ورسول الله ﷺ لا يملك في هذا الموقف إلا البكاء. إنها حقيقة ضبط العواطف بشرع الله سبحانه.

٢ – عن رافع بن خديجٍ قال: كنا نحاقل (٣) الأرض على عهد رسول الله ﷺ فنكريها بالثلث والربع والطعام المسمى فجاءنا ذات يوم رجلٌ من عمومتي

---

(١) سورة النساء آية ٨٣.

(٢) رواه مسلم كتاب الجنائز – باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه ٦٧١/٢ حديث رقم ٩٧٦ / ١٠٥.

(٣) المراد به كراء الأرض. ينظر شرح صحيح مسلم النووي ١٩٦/١٠، ١٩٧، ويقال: المحاقلة هي بيع الزرع في سنبله بحنطة، ينظر: المصباح المنير. مادة الحقل ١٤٤/١.

فقال: نهانا رسول الله ﷺ عن أمر كان لنا نافعاً. وطواعية الله ورسوله أنفع لنا... الحديث [1]. فهذا الصحابي رضي الله عنه يقرر الانتفاع بالإكراء ولكنه لقوة إيمانه بأن الخير بأمر الله وأمر رسوله ﷺ قرر أن طواعية الله ورسوله أنفع لهم من كراء الأرض فقدم الغائب على الحاضر. وغلّب القطع بأن الغائب أنفع لهم من الحاضر المشاهد.

٣ – عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصلح الحديبية: جرى في صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ والمشركين اتفاق تذمر منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولكنه لم يؤلب الآخرين ويجمع الأنصار على ما رآه من أجل المعارضة لهذا الاتفاق مع أن عاطفته كانت تجيش بالغضب الشديد من جراء ما يرى أنه إجحاف في حق المسلمين، ولكنه ضبط هذه العاطفة بضابط الشرع فراجع رسول الله ﷺ ثم انتقل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليرى ما لديه من موقف تجاه هذا الاتفاق فلما رأى موقفه متفقاً مع ما عمله رسول الله ﷺ انكفأ على نفسه ولم يذهب لأحد سواهما بل أعقب موقفه الندم الشديد من جراء إبداء معارضته؛ فعمل أعمالا صالحة لعلها تكفّر ما بدر منه. فمما جاء في خبر هذا الصلح:

(.. ويذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الموقف قائلا: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقاً قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه. وهو ناصري. قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام. قال قلت: لا، قال فإنك آتية ومطوف به. قال فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً قال:

(١) رواه مسلم كتاب البيوع باب كراء الأرض بالطعام ١١٨١/٣ حديث رقم ١٥٤٨.

بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال أيها الرجل إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به. قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالا [(١)] قال ابن حجر رحمه الله قال بعض الشراح "... ولم يكن ذلك شكاً من عمر بل طلباً لكشف ما خفي عليه وحثاً على إذلال الكفار، لما عرف من قوته في نصرة الدين.. وقال: جميع ما صدر منه معذور فيه بل هو مأجور لأنه مجتهد فيه [(٢)].

ومما يؤكد هذا ما فعله رضي الله عنه بعدما رأى خطأ ما ذهب إليه حيث قال رضي الله عنه " ما زلت أصوم وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيراً.." [(٣)].

ولا شك أن ندم عمر رضي الله عنه من كره الصلح إنما هو لإبداء رأي مخالف لما ارتضاه الرسول ﷺ مع أن ما يقره الرسول ﷺ أمر لا مجال لأي رأي معه، لذلك لما علموا أنه أمر الله لم يكن منهم إلا التسليم: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[(٤)(٥)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد ٥/٣٣١ حديث رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٢) فتح الباري ٥/٣٤٦، ٣٤٧.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند٤/٣٢٥ قال العمري إسناده حسن، السيرة النبوية الصحيحة هامش ٢/٤٤٤.

(٤) سورة الأحزاب آية ٣٦.

(٥) الدكتور أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة ٢/٤٤٥.

٤ – حذيفة بن اليمان وأبو سفيان رضي الله عنهما: في غزوة الأحزاب كان أبو سفيان قائد الأحزاب وصاحب الأمر فيها، القضاء عليه آنذاك يعد عامل نصر قوياً للمسلمين، وقد تحقق لحذيفة رضي الله عنه إمكان ذلك ولكن أمر رسول الله ﷺ منعه مما أراد، فمما جاء في أخبار هذه الغزوة:

إن حذيفة رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقرٌّ فقال رسول الله ﷺ " ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيمة فسكتنا فلم يجبه منا أحد. ثم قال ألا رجل يأتينا بخبر القوم. جعله الله معي يوم القيامة. فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد. ثم قال قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم"، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليّ، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمّام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يَصْلي ظهره بالنار، فوضعت سهماً في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله ﷺ "ولا تذعرهم عليّ" ولو رميته لأصبته.." الحديث[1].

لم يُعْمل حذيفة رأيه أو يقرر المصلحة العامة من عند نفسه مع أنه رأى مناسبتها في البداية ولكنه حجز سهمه حتى لا يخالف بأعماله أمر رسول الله ﷺ.

المطلب الثاني: العاطفة والسياسة الشرعية

قد تكون ثمة تصرفات تجعل العاطفة يشتد غضبها ولا ترى في هذا التصرف ما يتوافق مع ما يجب أن تكون عليه الحال، ولكن السياسة الشرعية

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب ١٤١٤/٣، ١٤١٥ حديث رقم ١٧٨٨.

بمداها الواسع. ونظرة الفقيه الذي يؤمل بتحقيق الآجل العظيم مقابل التنازل عن الآني الذي لا يؤثر في الحقائق ولا يطمسها من واقع الحال تجعل العاطفة المتوهجة عند الإنسان تتمالك بصاحبها وتجعله يتخذ القرار المناسب في وقته ولو لم يكن هو القرار المطلوب لو كانت الظروف مواتية لأفضل منه. وإليك هذا الشاهد: من صلح الحديبية، الذي جاء في خبره:

.. أن سهيل بن عمرو مندوب قريش قال: للنبي ﷺ هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ " بسم الله الرحمن الرحيم" فقال سهيل "أما الرحمن" فوالله ما أدري ماهي، ولكن اكتب "باسمك اللهم" كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا "بسم الله الرحمن الرحيم" فقال النبي ﷺ: أكتب "باسمك اللهم" ثم قال " هذا ما قضى عليه محمد رسول الله" فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب.. محمد بن عبد الله " فقال النبي ﷺ: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب " محمد بن عبد الله " قال الزهري وذلك لقوله "لا يسألوني خطة يعظمون فيه حرمات الله إلا أعطيتهم إياها" (١) الحديث.

وهنا يلاحظ تسويغ الزهري لفعل الرسول ﷺ مع أن الصحابة قد غضبوا ورفض علي أن يمحو كتابة رسول الله فمحاها رسول الله ﷺ.

وكذا تجاوز رسول الله ﷺ هذا الإشكال للوصول لأمر مهم، وهو تعظيم حرمات الله، مع ما في الصلح من اعتراف قريش بالمسلمين وغير ذلك من المصالح...

---

(١) البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ٥/٣٣١ وحديث رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

المبحث الرابع: كبح جماح العواطف لدفع المفاسد وتحقيق المصالح

هناك عواطف إيمانية صادقة لا يشك في إخلاص أصحابها تأبى المنكر ولا ترضى وجوده وتسعى جاهدة لإزالته وإحلال المعروف محله لتوافر شروط الوجوب في إزالته إلا أن شروط الصحة لم تتوافر حينئذ مما يعني أن المترتب على الإنكار من المفاسد أكثر منه من المصالح المتوخاة من الإنكار، وهذا فقه يؤكد أن ترك هذا المنكر على حاله أظهر للمصلحة من السعي في إزالته والأمثلة على ما ذكر كثيرة متنوعة وهذا شيء منها:

١ – قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (١).

قال ابن كثير رحمه الله:

" يقول الله تعالى ناهياً لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين وهو (الله لا إله إلا هو) (٢).

٢ – موقف الرسول ﷺ من أصنام قريش في عمرة القضاء (٣):

جاء في خبر هذه العمرة "وفي ذي القعدة في السنة السابعة من الهجرة خرج الرسول ﷺ إلى مكة قاصداً العمرة كما اتفق مع قريش في صلح الحديبية.. وطاف المسلمون بالكعبة وأمرهم الرسول ﷺ أن يظهروا القوة والجلد في طوافهم، لأن قريشاً أشاعت أنهم ضعفاء "قد وهنتهم حمى يثرب" فأرملوا

---

(١) سورة الأنعام، آية ١٠٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٦٩/٢.

(٣) تسمى عمر القضاء والقضية والقصاص، والصلح ينظر: فتح الباري كتاب المغازي ٥٠٠/٧.

وسارعوا بالعدو في الأشواط الثلاثة الأولى، وكانت قريش قد تركت مكة إلى جبل قعيقعان تنظر إليهم يطوفون، ويتعجبون من قوتهم وقعيقعان يواجه ما بين الركنين من الكعبة، ولما انتهت الأيام الثلاثة جاء المشركون إلى علي رضي الله عنه فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج النبي ﷺ [(١)].

طاف الرسول ﷺ في هذه العمرة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً من أكره ما يرى ومن أبغضها إلى قلبه ويتمنى زوالها ليكون الدين كله لله، لكنه صلى الله عليه وسلم لم يتعرض لها ولم يشر إليها بسوء في تلك العمرة بل لم يشتمها ولم يبصق عليها وهل يُشك في غيرة رسول الله ﷺ من أن يعبد مع الله غيره؟ لكن المصلحة في عدم التعرض لها بشيء وذلك لبيان حسن وفائه بعهده وصدقه فيما بقي فيه من شروط، وأنه هو أولى من يفي بالوعد ويلتزم بالعهد، ثم ما المصلحة التي تفوق المفسدة لو بصق عليها أو شتمها؟ مع بقائها بمكانها وبقاء تمسك أهلها بها فإن هذا ربما يزيدهم عناداً وتصلباً مع ما كان عندهم سابقاً ويجعلهم يتفقون على المناوأة والمعاداة، ولكن رسول الله ﷺ بحسن خلقه وتقديره للأمور لم يجعل لهم طريقاً.

ولما جاءت المصلحة التي لا تدانيها مفسدة بعد هذه العمرة بسنة واحدة في فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة ودخلها رسول الله ﷺ فاتحاً، أمر الرسول ﷺ بتحطيم الأصنام وتطهير البيت الحرام منها، وشارك في ذلك بيده فكان يهوي بقوسه إليها فتساقط وهو يقرأ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [(٢)] وكان ستين وثلاثمائة من الأصنام [(٣)].

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري ٢/٤٦٤، ٤٦٥، وينظر: البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء ٧/٤٩٩ حديث رقم ٤٢٥١، ٤٢٥٢.

(٢) سورة الإسراء آية ٨١.

(٣) السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري ٢/٤٨٣. وينظر: صحيح مسلم =

٣ – عبد الله بن عمر ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم: (عن ابن عمر قال: " دخلت على حفصة ونسواتها تنطف[١]، قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين، فلم يُجعل لي من الأمر شيء، قالت: الحق فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة فهل أجبته قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عني غير ذلك فذكرت ما أعد الله في الجنان [٢]، قال حبيب حفظت وعصمت) [٣].

لم يمنع ابن عمر رضي الله عنهما من قول ما يريد إلا خشية الفتنة وأن يترتب على كلامه دماء تسفك، حيث خشي أن يُفهم كلامه على غير ما يريد فيطير به من يريد الوقوع في الفتنة ويعده حجة له في منازلة معاوية رضي الله عنه وتفريق المسلمين وسفك دمائهم، حيث إن بعضهم يريد ولو كلمة عابرة لتحقيق ما تهواه نفسه. فكان في كبح ابن عمر رضي الله عنه لجماح عاطفته وأسرها دفع لمفاسد أشار لبعضها وتحقيق لمصالح لا تناله هو وحده، بل تنعم بها

= كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة ١٤٠٨/٣ حديث رقم ١٧٨١، والبخاري كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ١٥/٨ حديث رقم ٤٢٨٧.

(١) نسواتها أي ذوائبها، ومعنى تنطف أي تقطر كأنها قد اغتسلت ابن حجر في الفتح ٤٠٣/٧.

(٢) أي لمن صبر وآثر الأخرة على الدنيا ابن حجر الفتح ٤٠٤/٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق ٤٠٢/٧، حديث رقم ٤١٠٨ وينظر سير أعلام النبلاء ٢٢٥/٣.

الأمة جمعا وهذا ما كان؛ فرضي الله عنهم أجمعين.

٤ - شيخ الإسلام ابن تيمية والتتار:

قال ابن القيم: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه، ونور ضريحه يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر، لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية، وأخذ الأموال، فدعهم " [(١)]. وهل كان التتار في تلك المرحلة إلا كفاراً لا يعد الخمر عندهم وبالنسبة لما هم فيه من كفر إلا أمراً ثانوياً لا يستوجب إنكاراً حازماً، هذا إذا كان عملا مستقلا فكيف إذا صاحبه انشغالهم وكفٌّ لأذاهم عن المسلمين، فكانت مفسدة شربهم لا تقاس بمصلحة بقائهم على ماهم عليه.

وعلى هذا فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى فقه توازن فيه المصالح والمفاسد قال شيخ الإسلام ابن تيمية " فإن الأمر والنهي - وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة - فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح، أو يحصل من المفاسد. أكثر لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً، إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته [(٢)].

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٣/٧، ٨.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص٣٣.

المبحث الخامس: إثارة عواطف الآخرين

إن تحريك عواطف الآخرين من خلال إظهار جانب المحبة لهم والشفقة عليهم والتودد إليهم بما تطيب به خواطرهم مما جاء الإسلام بأهميته والدعوة إليه وجعله واقعاً عملياً فيما بين المسلمين، وكذا منهم تجاه مخالفيهم من أجل إظهار روح الإسلام الحية وجعلهم يميلون إليه فإما أن يسلموا وإلا يكونوا من المحايدين الذين يريحون المسلمين من شرهم وهذه أدلة وشواهد تؤكد هذه المعاني:

أولا: تعاطف المسلمين فيما بينهم:

أ – العطف على أمهات المؤمنين رضي الله عنهن في حياتهن:

أمهات المؤمنين زوجات رسول الله ﷺ ورضي الله عنهن لهن قدر عظيم موجبٌ للتأدب معهن ومعرفة حقهن في حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام، وكذا في حياتهن وبعد وفاتهن رضي الله عنهن، لذا كانت رعاية هذا الحق واجب يجب القيام به مع زيادة فضل لمن قام به (فعن عائشة رضي الله عنها قالت أن رسول الله ﷺ أحنى عليّ فقال إنكن لأهم ما أترك إلى ما وراء ظهري والله لا يعطف عليكن إلا الصابرون أو الصادقون)[1].

أي لا يعطف ويشفق عليكن إلا المتصفون بالصبر أو الصادقون في إيمانهم، وأو للشك من الراوي يشك هل قال إلا الصابرون أو قال إلا الصادقون والله أعلم[2]، وهكذا وبهذا الوصف الجميل (الصبر أو الصدق) يصف رسول الله ﷺ من يعطف على أمهات المؤمنين بعده، ليشحذ الهمم، ويحرك عواطف من وراءه

(١) رواه الإمام أحمد المسند ٦/١٢٠، ١٢١، قال البناء سنده صحيح ورجاله رجال الصحيحين الفتح الرباني ٢٢/١٥٢.

(٢) أحمد عبد الرحمن البناء – الفتح الرباني – باب ما جاء في رفقه بهن واهتمامه صلى الله عليه وسلم بأمرهن ٢٢/١٥٢.

من الصحابة بهذا الوصف الجميل الذي يتسابق عليه المتسابقون.

ب – تعاطف المؤمنين فيما بينهم:

إن المتأمل للخطاب القرآني يجد أن النداء في غالبه يكون لعامة المؤمنين فكم هي الآيات التي تبدأ بـــ " يا أيها الذين آمنوا... ".

وكم هي الشعائر الإسلامية التي يكون الاجتماع فيها أساساً تتحقق من خلاله وحدة المسلمين وتعاطفهم وتكافلهم، وجاءت النصوص النبوية لتؤكد هذه المعاني المهمة: فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" [1].

قال ابن أبي جمرة: " وأما التعاطف فهو تقوية بعضهم لبعض كما يعطف طرف الثوب عليه ليقويه، وهو من باب قوله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [2] فإن أصل الإيمان هو الذي عطف قلوب بعضهم على بعض[3].

وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ " المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله " [4] (والتعاطف في مجتمع الإيمان ميل محكم متزن، لا يعرف الشطط أو السرف وهو يمد يده شفقة

---

(١) متفق عليه رواه البخاري واللفظ له، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ٤٣٨/١٠، حديث رقم ٦٠١١، ومسلم كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ١٩٩٩/٤، حديث رقم ٢٥٨٦.

(٢) سورة المائدة آية ٢.

(٣) بهجة النفوس ١٥٧/٤، شرح حديث رقم ٢٤٠.

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب باب تراحم المؤمنين ٢٠٠٠/٤ حديث رقم ٢٥٨٦.

وحنوا ورقة وإحسانا في ميادين البر والخير)[(١)].

وليس لمعتذر مجالٌ إذا علم تعدد أنواع المواساة التي يواسى بها المسلم أخاه ويعطف من خلالها عليه: يقول ابن القيم رحمه الله " المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم، وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان، ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت "[(٢)].

ج – دور العاطفة في احتواء الآخرين واستجلاب محبتهم:

هذه قدرة عظيمة وخصلة حميدة من أعطيها فقد أوتي حظاً عظيماً، ومن وسائلها التلطف إلى المخالفين والإحسان إليهم بقضاء ما يمكن فيه قضاؤه من حوائجهم، والبشاشة عند لقائهم وتتابع إرسال ما يمكن فيه تحريك عواطفهم وزوال ما يجدونه في نفوسهم شيئاً فشيئاً حتى لا يأتي يوم من الأيام إلا وإذا هم من الأصدقاء وذلك بالاتفاق معهم على ما يجب أن يكون، أو علمهم أن الخلاف لا يفسد للود قضية، وهذا أمر يحكمه نوع الخلاف ودرجته فبحسب السعي لتحقيق النتيجة الأفضل يكون استخدام الأسلوب الأفضل وهكذا، ويلاحظ هذا جلياً في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ {٣٤} وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[(٣)].

قال سيد قطب عند قوله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ قال وليس له

(١) عطفنا الحازم لمحمود فؤاد الطباخ ص٣٣.

(٢) الفوائد فصل ١٢٣.

(٣) سورة فصلت آيتا ٣٤، ٣٥.

أن يرد بالسيئة، فإن الحسنة لا يستوي أثرها – كما لا تستوي قيمتها مع السيئة والصبر والتسامح، والاستعلاء على رغبة النفس في مقابلة الشر بالشر، يرد النفس الجامحة إلى الهدوء والثقة، فتنقلب من الخصومة إلى الولاء ومن الجماح إلى اللين، وعند قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، قال "وتصدق هذه القاعدة في الغالبية من الحالات، وينقلب الهياج إلى وداعة، والغضب إلى سكينة، والتبجح إلى حياء، على كلمة طيبة ونبرة هادئة، وبسمة حانية في وجه هائج غاضب متبجح مفلوت الزمان ولو قوبل بمثل فعله ازداد هياجاً وغضباً وتبجحاً ومروداً، وخلع حياءه نهائيا، وأفلت زمامه، وأخذته العزة بالإثم. غير أن تلك المساحة تحتاج إلى كبير يعطف ويسمح وهو قادر على الإساءة والرد.. وهذه السماحة كذلك قاصرة على حالات الإساءة الشخصية[1].

ثانياً: التوجيه السليم لعواطف أعداء الإسلام والمسلمين:

تتطلب هذه المهمة فهم نفسيات العدو المقابل أفراداً كانوا أم جماعات، من أجل البحث عن الطريقة المثلى التي تكون سبباً في تحريك عواطفهم – التحريك الإيجابي – بما يكون من عوامل دخولهم في الإسلام أو على الأقل تحييدهم وإراحة المسلمين من شرورهم، وكم هي الشواهد التي توضح أن الرسول ﷺ استطاع توجيه عواطف أعدائه فكانوا على إحدى الحالتين التي سبقت ومن ذلك:

أ – عتبة بن ربيعة:

وقريش تسعى جاهدة لثني رسول الله ﷺ عن دعوته من خلال وسائل عدة من بينها وسيلة المفاوضات الجماعية والفردية ومن بين تلك المفاوضات ما كان بين رسول الله ﷺ وعتبة بن ربيعة الذي كان سيداً في قومه فقد جلس عتبة

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٥/٣١٢١، ٣١٢٢.

إلى رسول الله ﷺ فقال " يابن أخي: إنك منا حيث قد علمت من السطة [1] في العشيرة والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها قال: فقال له رسول الله ﷺ " قل يا أبا الوليد، أسمع ".

قال: يابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له. حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: " أقد فرغت يا أبا الوليد" قال نعم، قال: فاسمع مني. قال: أفعل.

فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم {١} تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {٢} كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ {٣} بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ {٤} وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾[2]، ثم مضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد، فأنت وذاك " فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا

---

(١) الشرف.

(٢) سورة فصلت من آية ١ إلى آية ٥.

معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم [١].

في هذا درس عظيم لنتعلم أدب الإصغاء حتى وإن كان ما يقوله المتحدث مراً وقاسياً دون سخرية أو استهزاء بالأصدقاء أو الخصوم، علينا أن نوسع صدرنا للاستماع للرأي الآخر مهما كانت الأفكار والآراء مرفوضة ورخيصة فهذا عتبة لم يُسلم بل إن الرسول ﷺ هزمه من الداخل، واستطاع أن يحيده ويجعله ينسحب من بين تجمع الكافرين وكيدهم للإسلام، وهذه سياسة راشدة ونظرة ثاقبة، فإن افتقدنا هذه الميزة فلن نتمكن من التأثير أو إيجاد القبول والاحترام عند الشخص الآخر"[٢]، بعدما استمع عتبة إلى آيات القرآن توقظ ما كان نائماً من فكره، استمع إلى الوعيد يهدر فيحرك ما كان هاجعاً من عاطفته[٣].

ب - الحليس بن علقمة الكناني:

هذا أحد رسل قريش للتفاوض مع رسول الله ﷺ من أجل صده عن البيت وعدم دخول مكة فمما جاء في خبر صلح الحديبية (... ثم أرسلت قريش الحليس ابن علقمة الكناني سيد الأحابيش [٤]، فلما رآه الرسول ﷺ مقبلا طلب من

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣٢٢/١، ٣٢٣، ٣٢٤، وينظر: تهذيب سيرة ابن هشام لعبدالسلام هارون ص٦٢، ٦٣، وقال الألباني إسنادها حسن فقه السيرة للغزالي ص١٠٨.

(٢) الأسرار العجيبة للاستماع والإنصات لأكرم مصباح عثمان ص٤٠.

(٣) فقه السيرة للغزالي ص١٠٩.

(٤) وهم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وبنو المصطلق بن خزاعة (قاله ابن حجر، فتح =

أصحابه أن يظهروا أمامه الإبل المشعرة، وأن يلبوا أمامه لأنه من قوم يعظمون ذلك، فلما رأى ذلك رجع إلى قريش فقال: " رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت " فقالوا اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك"[1].

فثارت ثائرته وقال: والله ما على هذا حالفناكم... والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد[2].

ج – أبو سفيان.. صخر بن حرب بن أمية.. رضي الله عنه:

وفي السنة الثامنة من الهجرة والرسول ﷺ متجه إلى مكة فاتحاً ومعه الجيش الإسلامي يلقى العباسُ أبا سفيان ويأتي به إلى الجيش ويعلم رسول الله ﷺ بالخبر، ومما جاء في خبر هذه الغزوة (... وليرى أبو سفيان ما عليه المسلمون من قوة أمر الرسول ﷺ العباس أن يحبس أبا سفيان عند مضيق الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها، ففعل حيث أوقفه على عدة وعدد المسلمين عندما كانت تمر بهما كتائب المسلمين بمر الظهران[3]، حتى إذا مرت به كتيبة المهاجرين والأنصار وفيهم رسول الله ﷺ، قال أبو سفيان: والله لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً، فقال العباس ويحك يا أبا سفيان، إنها النبوة قال: "فنعم إذا" وعندما رأى أبو سفيان ما رأى جاء إلى قومه وصرخ فيهم محذراً لهم بأن لا قبل لهم بما جاء به محمد، وقال لهم ما قاله الرسول ﷺ من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق

= الباري ٣٤٢/٥.

(١) البخاري كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد ج ٣٣١/٥، حديث رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢، ومسند الإمام أحمد ٣٢٤/٤، والسيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري ٤٤١/٢.

(٢) فقه السيرة لمنير الغضبان ص٥١٧.

(٣) وادي فاطمة.

الناس إلى دورهم وإلى المسجد) [١].

وفي هاتين الحادثتين نلحظ فهم رسول الله ﷺ لنفسيات قومه ومعرفته بما يحرك عواطفهم فتحركت عاطفة الحليس بن علقمة للهدي وإشعاره، وعاطفة أبي سفيان رضي الله عنه لعظمة الجيش وقوته فكان كلا الرجلين وفي موقفين مختلفين من وسائل المسلمين في مواجهة عدوهم.

د – أبو محذورة رضي الله عنه:

أسلم أبو محذورة رضي الله عنه بسبب موقف له مع رسول الله ﷺ يتجلى فيه التوجيه السليم لعاطفته رضي الله عنه، وندع الحديث لأبي محذورة حيث قال: خرجت في نفر عشرة، فكنا في بعض الطريق حتى قفل رسول الله ﷺ من حنين فأذن مؤذن رسول الله ﷺ بالصلاة عنده، فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون، فصرخنا نحكيه ونستهزئ به، فسمع رسول الله ﷺ الصوت، فأرسل إلينا إلى أن وقفنا بين يديه فقال: أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع فأشار القوم كلهم إلي وصدقوا– فأرسلهم وحبسني ثم قال: قم فأذن بالصلاة، فقمت ولا شيء أكره إلي من رسول الله ﷺ ولا مما يأمرني به، فقمت بين يديه فألقى عليّ رسول الله ﷺ التأذين هو بنفسه فقال: "قل الله أكبر، الله أكبر.. فذكر الأذان ثم دعاني حين قضيت التأذين فأعطاني صرة فيها شيء من فضة، ثم وضع يده على ناصيتي، ثم من بين ثديي، ثم على كبدي، حتى بلغت يد رسول الله ﷺ سرتي، ثم قال رسول الله ﷺ: "بارك الله فيك، وبارك الله عليك" فقلت: يا رسول الله، مرني بالتأذين بمكة قال: "قد أمرتك به " وذهب كل شيء كان في نفسي لرسول الله ﷺ من كراهة، وعاد ذلك كله محبة لرسول الله ﷺ فقدمت على عتاب بن أسيد عامل رسول الله ﷺ بمكة فأذنت معه بالصلاة عن أمر رسول الله ﷺ.. وذكر تمام الخبر [٢].

---

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدي رزق الله أحمد ص٥٦٣، ٥٦٤.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ٣١٩٤/٣١٥/٤، وينظر: سير أعلام =

وهكذا نجد أن الرسول ﷺ لم يعنف على أبي محذورة فعله – مع جرم ما فعل هو وأصحابه من استهزاء وسخرية – مما كان سبباً في إسلامه رضي الله عنه وهذا يعني أن على الدعاة والمربين عدم الاستعجال في تعنيف المخالف حتى يعرفوا سبب مخالفته فلعل الجهل أو المعاندة هي السبب في تقصد المخالفة ولا يلزم أن يكون هناك سوء نية وخبث طوية سواء كان ذلك في داخل دائرة الإسلام أو خارجه..

وهناك عواطف أعم من ذلك، لا تقتصر على بني الإنسان فحسب بل تشمل عموم ذوات الأرواح. فبين خلق الله سبحانه من ذوات الأرواح تعاطف أنزله الله في قلوبها بما أنزله الله سبحانه من رحمته على هؤلاء جميعاً برهم، وفاجرهم، وعاقلهم ومن لا يعد من ذوي العقول فيهم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة " (١).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " إن الله خلق، يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة (٢).

= النبلاء للإمام الذهبي ١٢٧/٣ /٢٤، وأذان أبي محذورة في صحيح مسلم كتاب الصلاة، باب صفة الأذان ٢٧٨/١ حديث رقم ٣٧٩.

(١) رواه مسلم كتاب التوبة باب في سعة رحمه الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٢١٠٨/٤ حديث رقم ١٩/٢٧٥٢.

(٢) رواه مسلم، كتاب الرحمة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٢١٠٩/٤ حديث رقم ٢١/٢٧٥٣.

المبحث السادس: أبرز ملامح أثر العواطف بالمواقف

لا يمكن تجاهل ما للعواطف من أثر واضح في تصرفات الإنسان أو في التأثير عليه سلباً أو إيجاباً، فعاطفة الحب المعتدلة تجعل تصرفات المحب تتفق مع الحال الصحيحة التي يجب أن يكون عليها فلا إفراط ولا تفريط ومثال ذلك من ما سبق في هذا البحث حب الوالد لولده فإن هذه العاطفة انتجت رغبة في الإنفاق واجتهاداً في حسن الرعاية والتربية.

أما إن كانت عاطفة الحب قد جاوزت الحد فإن الولد في هذه الحالة يصبح فتنة امتحن فيها الوالد فأخفق في ذلك الامتحان فتحول الولد إلى مقام العدو المقابل الذي صرف والده عما يجب أن يكون عليه من تقديم محاب الله ومحاب رسوله ﷺ على محاب الولد الذي بسببه أصبح الوالد مقدماً لمحبوبات ابنه على محاب الله ومحاب رسول الله ﷺ.

وعاطفة الغضب لها ذاك الأثر إذ الغضب المعتدل يعد أمراً طبيعياً عند وجود أسبابه ولكن الغضب المجاوز لحدود الاعتدال آثاره السلبية تفوق الأسباب المثيرة له، لذا كان امتلاك الإنسان لنفسه عند شدة غضبه من أظهر دلالات قوته وشجاعته، فكم أثر سلباً ذلك الغضب الشديد، كما أثر إيجاباً ذاك الغضب المعتدل الذي تجاوز فيه الإنسان وبخاصة الداعية حظَّ النفس، فكان غضبه لله، فألجمه بلجام الشرع وسار به على هدي خير البشر ﷺ.

والحزن من علامة ضعف الإنسان ولا ملامة إذا كان طبيعياً، ولكن عاطفة الحزن متى جاوزت الحد المعقول وعطلت صاحبها - عما يجب أن يقوم به من مصالح دينية ودنيوية - فإنها والحالة هذه دخلت في دائرة المذموم ولن يصاب الإنسان بمقتل بمثل إصابته باسترجاع ما مضى من أسباب مؤلمة ثم يقعد أسيراً لها فأثرت عليه.

والدعاة إلى الله وهم بشر يخالطون بني جنسهم مطالبون بتقدير ذلك ما

دام في حدوده الطبيعية، وعليهم معالجته إذا كان بخلاف ذلك وظهرت آثاره السلبية عليهم أو على من يقومون بدعوتهم.

ولهذا فإن الأثر الإيجابي لضبط العواطف المنفعلة يظهر جليا لصاحبه عند انجلاء الأزمة المسببة لذلك الانفعال، مما يؤكد على أهمية دور الدعاة إلى الله في ربط المدعوين بكتاب الله سبحانه مع فهمهم له، وكذا سيرة الرسول ﷺ وما ورد فيها من مواقف يُترلها الناس على واقع حياتهم كما كانت سيرة الصحابة رضي الله عنهم وسلف هذه الأمة، فمواقف ابن عمر رضي الله عنه، وابن تيمية رحمه الله كانت نتيجة حسن فهم لما في كتاب الله سبحانه وسيرة رسول الله ﷺ.

كما أن الدعاة إلى الله تتطلب منهم مهمتهم فهم عواطف من يدعونهم حيث يظهر أثر ذلك الفهم على مواقف المدعوين والتعامل معهم على ضوئها فمع تنوع عواطفهم إلا أن توظيفها لهدف واحد يسعى إليه الدعاة، إما لدعوة هؤلاء إلى عبادة الله وحده وإخراجهم من الظلمات إلى النور إن كانوا خارج دائرة الإسلام، أو على الأقل تحييدهم وكف شرورهم عن المسلمين، وما عتبة ابن ربيعة والحليس وأبو سفيان رضي الله عنه وكذا حال أبي محذور رضي الله عنه إلا شواهد تقتفى في ذلك. أو السعي لتكميلهم بالفضائل والبعد بهم عن الرذائل – وهي المعاصي – إن كانوا داخل دائرة الإسلام.

وإن المتأمل لحال الناس يجد أن العواطف قد بنت مواقف عامتهم وبخاصة تجاه الأحداث والأشخاص، ولو كان الموقف سليماً فلا إشكال إذ هذا هو الأصل في عامة الأحوال، ولكن أن تُبنى مواقف سلبية نتاج عواطف غير منضبطة أياً كان نوعها فهذا مما يسبب خللا في جسد الأمة والمجتمع مؤدياً بعد ذلك إلى نزع الثقة في النفس وبين أبناء المجتمع الواحد، الذي هو بحاجة إلى كل فرد من أبنائه كما هي حاجته إلى الترابط والتعاون على البر والتقوى، وإن الدور المهم في تبصير الناس وحسن تربيتهم على المنهج السليم يقع على القادرين في المجتمع ومن هؤلاء الدعاة إلى الله سبحانه.

الخاتمة

بعد حمد الله وتوفيقه خلصت في هذا البحث إلى النتائج التالية:

- أهمية الحديث والكتابة في هذا الموضوع نظراً لارتباطه العميق بفطرة الإنسان وارتباطه بكثير من مظاهر سلوكه.
- تبين ما بين العقل والعاطفة من ترابط، وضرورة تقييد كل واحد منهما في الآخر وأنه ليس بينهما تضاد كما صور ذلك البعض.
- أن الشرع كما هو قيد للعقل مع توافقه معه– إذا النقل الصحيح لا يعارض العقل الصريح– فهو كذلك قيد للعاطفة مع توافقه مع العواطف المعتدلة.
- ضرورة ضبط العواطف بضابط الشرع وعدم جعلها مع العقل في معزل عن الشرع.
- السياسة الشرعية قد تعارض العاطفة، ولكنها السياسة التي تتطلب المداراة، والسعي لتحقيق الكمالات التي قد لا توجد إذا أُعملت العاطفة بدون هذا الفقه.
- كما أن العواطف قد تنأى بصاحبها عن الصواب فلابد من كبح جماحها لتحقيق مكاسب قد لا يراها من يوظف العاطفة وحدها.
- الإنسان بحاجة إلى كسب الآخر ولذا لابد من توظيف عواطفه لضمه لدائرة الحق أو على الأقل تحييده وكف المسلمين من شره وبخاصة إذا كان في سبيل مصلحة عامة للأمة الإسلامية.
- مع تنوع العواطف إلا أن العاطفة الواحدة قد تتنوع أيضاً مما يعني أن الاعتدال يجب أن يكون هو السمة البارزة في توظيف عواطفنا تجاه الآخرين أو تجاه مواقف معينة.

المصادر والمراجع

١- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، للدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الخامسة، دار ابن الجوزي، الدمام١٤٢١هـ.

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر، تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ.

٣- الأسرار العجيبة للاستماع والإنصات لأكرم مصباح عثمان، الطبعة الأولى، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين، للعلامة أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأبي العباس أحمد بن تيمية: تحقيق الدكتور محمد السيد الجليند، الطبعة الثالثة، دار المجتمع، جدة ١٤٠٧هـ.

٦- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية يسري السيد محمد، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الدمام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٧- بهجة النفوس وتحليتها بمعرفة مالها وما عليها للإمام المحدث أبي محمد عبد الله ابن أبي جمرة الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٧هـ.

٩- التفسير الميسر، لنخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، ١٤١٨هـ.

١٠- تهذيب سيرة ابن هشام، لعبدالسلام هارون، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

١١- الجانب العاطفي في شخصية عمر بن الخطاب قبل الخلافة للأستاذ الدكتور إبراهيم عبدالفتاح المتناوي، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

١٢- حاشية كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ.

١٣- حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة لمحمد بن صالح العثيمين، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

١٤– ديوان البوصيري شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

١٥– الرسالة التبوكية لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، الطبعة الأولى مكتبة الخراز، جدة ١٤١٩هـ.

١٦– سنن ابن ماجه أبي عبد الله يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٧– سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، توزيع دار الباز، عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.

١٨– سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، إشراف شعيب الأرنؤوط، الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٠هـ.

١٩– السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، للدكتور مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢٠– السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري، الطبعة السادسة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٢١– السيرة النبوية لابن هشام، تعليق وتخريج عمر عبدالسلام التدمري، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٢٢– سيكولوجية العاطفة ليوسف مخائيل أسعد، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع القاهرة، ١٩٩٦م.

٢٣– شرح صحيح مسلم، للنووي أبي زكريا يحيى بن شرف، دار الفكر، ١٤٠١هـ.

٢٤– صحيح سنن ابن ماجه لمحمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، الرياض ١٤١٧هـ.

٢٥– صحيح سنن الترمذي لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٦– صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية القاهرة.

٢٧– العاطفة الإيمانية وأهميتها في الأعمال الإسلامية للدكتور محمد موسى الشريف، الطبعة الأولى، دار الأندلس الخضراء، جدة ١٤٢٢هـ/١٠٠١م.

٢٨– عطفنا الحازم لمحمد فؤاد الطباخ، الطبعة الأولى، دار الفنون للطباعة والنشر والتغليف، جدة ١٤١٢هـ.

٢٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، دار المعرفة، بيروت.
٣٠- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني لأحمد عبدالرحمن البنا، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣١- فقه السيرة لمحمد الغزالي، خرج أحاديث الكتاب محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة السابعة، دار القلم، دمشق ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٣٢- فقه السيرة النبوية، لمنير محمد غضبان، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٣٣- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبدالخالق، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية، الكويت.
٣٤- الفوائد لأبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية تحقيق بشير محمد عيون، الطبعة الثانية، مكتبة المؤيد، الرياض، ١٤٠٨هـ.
٣٥- في ظلال القرآن لسيد قطب، الطبعة الحادية عشرة، دار الشروق بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٣٦- كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة.
٣٧- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، الطبعة الأولى، دار الفكر، دار صادر، بيروت، ١٤١٠هـ.
٣٨- ما تحت الأقنعة للدكتور محمد بن عبد الله الصغير، الطبعة الأولى مطبعة سفير، الرياض ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
٣٩- المسند للإمام أحمد بن حنبل، دار الفكر.
٤٠- المصباح المنير، في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ.
٤١- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٩هـ.

فهرس الموضوعات



دَوْرُ الْمَسْجِدِ في تَرْسِيخِ مَبَادِئِ التَّرْبِيَةِ وَتَحْقِيقِ الأَمْنِ فِي الْمُجْتَمَعِ

إِعْدادُ :

د. عَبْدِ اللّهِ مُحَمَّد حَرِيرِيّ

الأُسْتَاذِ المُشَارِكِ فِي كُلِّيَّةِ التَّرْبِيَةِ فِي جَامعَةِ أُمِّ الْقُرَىٰ

مقدّمـــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئآت أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

يقول الله تعالى في محكم تنـــزيله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب الآية: ٧٠، ٧١). " وإن تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته وتوقى سخطه وإن تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة " (تفسير القرطبي، ٩٩/١٨).

فمن هاتين الآيتين لتبين أن تقوى الله، باتباع أوامره واجتناب نواهيه، والقول السديد يكون سبباً للتوفيق والنجاح وغفران الذنوب. ثم بين لنا المولى عزّ وجلّ أن طاعته وطاعة رسوله عليه أفضل الصلاة والتسليم تكون سبباً للفوز العظيم والخير العميم الذي ينعكس على المجتمع المسلم نعمة وأمناً وخيراً وبركة.

وآي القرآن تشير بوضوح إلى الارتباط الوثيق بين تقوى الله عزّ وجلّ وامتثال أوامره واتباع رسله وتحقيق الأمن والطمأنينة وسعادة الدارين ومن تلك الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (سبأ الآية: ٣٧). " أي في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى ومن كل شر يحذر منه " (تفسير ابن كثير، ٥٤٢/٣). و فى الحديث «إن في الجنة لغرفا ترى ظهورها من

بطونها وبطونها من ظهورها» فقال أعرابي: لمن هي قال صلى الله عليه وسلم «لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام» (صحيح ابن حبان، ٢/٢٦٢).

وقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام الآية: ٨٢). ولما كان تحقيق الأمن والطمأنينة غاية ما يطمح إليه الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة، فقد كان لزاماً على الباحثين والعلماء السعي لتحديد الوسائل والوسائط التي يمكن أن تحقق للأمة أمنها وسلامتها وترسخ طمأنينتها.

فالأمن الاجتماعي يحتل مكاناً متقدماً بين اهتمامات المواطنين والمسئولين في المجتمعات المعاصرة، وذلك لكونه ذا اتصال مباشر بالحياة اليومية بما يوفره من طمأنينة في النفوس وضمان لسلامة التصرفات والمعاملات. (العوجي، ١٩٨٣م).

إن توفير الأمن يعتبر عاملاً أساسياً في حفظ الكليات الشرعية الخمس، ولا يمكن أن يبقى مجتمع قوي البنية مزدهر النمو مستقر الأحوال إذا لم تتحقق له سبل الطمأنينة والأمن. ولتحقيق هذه الغاية فقد أقام الإسلام مؤسسات متميزة وأناط بها دور تربية المجتمع وتوجيه أفراده وإعدادهم إعداداً متكاملاً يتحقق به أمن المجتمع ورفاهيته وسعادته في الدارين. (البيانوني، ١٤١٠هـ).

وقد كان المسجد في مقدمة تلك المؤسسات الإسلامية التي أسندت إليها الكثير من المهام العظيمة، والتي ترمي في مجملها إلى خلق المجتمع الإسلامي المتضامن المتآلف، المتكافل والآمن المطمئن بإذن ربه.(محمود، ١٩٩٥م).

فما هو دور المسجد إذن في ترسيخ أواصر الأمن الاجتماعي وما هي

الوسائل والآليات التي يستخدمها المسجد لتحقيق هذه الغاية النبيلة ؟

في هذا الإطار العام يأتي هذا البحث ليسلط الضوء على دور المسجد في تقويم المجتمع وتوطيد أمنه وسلامته، و إبراز التصور التربوي و أسسه، وليقدم بعض المقترحات العلمية لتطوير هذا الدور، والسمو به لمقابلة حاجة المجتمعات الإسلامية الحديثة والتي أضحت في أمس الحاجة لما يكفل أمنها وطمأنينتها.

والله نسأل أن يلهمنا الصواب وأن يفتح بصائرنا، ويُرينا بنوره الحق حقاً، ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه. وأن يوفقنا وأولياء أمرنا إلى ما يحفظ أمن مجتمعنا وسلامة أفراده ويقينا بفضله وكرمه مزالق الانحراف والزلل ويحفظ بلادنا من سائر الكروب والعلل.

أهداف البحث:

يسعى البحث لتحقيق هدف رئيسي وهو التعرف على الأدوار التي يمكن أن يقوم بها المسجد في ترسيخ مبادئ التربية الإسلامية وتوطيد الأمن في المجتمع المسلم المعاصر.

كما يسعى لتحقيق عدد من الأهداف الفرعية وتلك نجملها فيما يلي:-

أولاً: التعرف على مكانة المسجد في القرآن الكريم.

ثانياً: التعرف على مكانة المسجد في السنة المطهرة.

ثالثاً: التعرف على وظائف المسجد في الحقب الإسلامية المختلفة.

رابعاً: التعرف على الأساليب التي كانت تتبع في تحقيق مهام المسجد.

خامساً: تحديد الأدوار التي يمكن أن يقوم بها المسجد في الحياة الإسلامية المعاصرة.

سادساً: التعرف على مفهوم الأمن الاجتماعي بمعناه الشامل وتحديد دور المسجد في تحقيق المجتمع المسلم المعاصر.

سابعاً: تقديم التوصيات والمقترحات الهادفة إلى تفعيل دور المسجد وتمكينه من أداء دوره كاملاً في المجتمع الإسلامي الحديث.

أهمية البحث:

كان ومازال يمثل المسجد أهم دعامات الكيان الإسلامي منذ نشأته الأولى في عهد النبوة والخلافة الراشدة وحتى يومنا هذا. فهو مكان إقامة الصلاة الركن الركين لدين الإسلام ومكان الاعتكاف وتلاوة القرآن المجيد، بل هو المدرسة الأولى التي تعلم فيها السلف الصالح العلم النافع وتخرج فيها أجيال من العلماء على مر حقب التاريخ حملوا رايات الدين ومشاعل العلم. وقد كانت المساجد على عصر النبوة والخلافة الراشدة دوراً اجتماعية لرعاية أولي الحاجات والمساكين. ثم إنها كانت دوراً للقضاء وفض النزاعات، بل وكانت تمثل مقر القيادة العامة لقوى المجاهدين. وكانت بمثابة دور اجتماعية لرعاية الشباب والأحداث تدربهم وتعدهم إعداداً متكاملاً للقيام بأعباء الأمة ومهام القيادة والريادة. كما كان للمساجد دورها في تطبيب المرضى والجرحى والمعاقين. فما من شأن من شؤون الحياة الهامة، إلا وللمسجد دور في ترقيته أو تنفيذه. بهذه الصفة يصبح المسجد مركزاً تربوياً هاماً له دوره العظيم في كافة شؤون الحياة الدنيوية والآخروية.

تتجلى أهمية البحث، في كونه محاولة لتبيان دور المسجد في حياة الأمة الإسلامية وإبراز ذلك الدور في ترسيخ مبادئ التربية الإسلامية وتحقيق الأمن الاجتماعي للكيانات الإسلامية المعاصرة.

فإحياء دور المسجد وإفساح المجال أمامه ليؤدي مهامه و دوره كاملاً في حياة الأمة الإسلامية يعوّلُ عليه كثيراً في إعادة بناء نسيجها وإخراجها من وهدتها ووضعها في مكانها الطبيعي في مقدمة الأمم المعاصرة بإذن الله.

منهج البحث:

منهج البحث هو المنهج الوصفي التحليلي غير أن الباحث استعان بالمنهج التاريخي في استقصاء دور المساجد في الحقب التاريخية السابقة. وقد ساق الباحث عدداً من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي استدل بها على دور المسجد في الحياة الإسلامية. كما اعتمد الباحث على مجموعة من المصادر الأولية والمصادر الثانوية في تبيان بعض المفاهيم المهمة في هذا البحث.

حدود البحث:

يقتصر البحث على مناقشة دور المسجد في ترسيخ قيم التربية الإسلامية وانعكاس ذلك على تحقيق وتثبيت دعائم الأمن في المجتمع المسلم. وتحقيق الانضباط السلوكي ودعم قيم التواصل والتكافل الاجتماعي. كل ذلك من خلال مناقشة وظائف المسجد وأنشطته التعبدية والتعليمية والصحية والاجتماعية.

الدراسات السابقة:

على الرغم من أهمية هذا الموضوع دور المسجد في ترسيخ وغرس مبادئ التربية الإسلامية وتدعيم الأمن الاجتماعي، إلا أنه لم يحظ بالدراسة الكافية. فلم يجد الباحث من الدراسات ما يكفي أو ما يغطي كافة جوانب هذا الموضوع المهم وكان ضمن هذا النذر اليسير:

أولاً: دراسة (الراشد، ١٤٠٢هـ) وهي بعنوان رسالة المسجد التربوية بجامعة أم القرى بكلية التربية. وكان من أهداف هذه الدراسة تشخيص الدور الذي يقوم به المسجد في المجتمع المسلم في عصر صدر الإسلام وإظهار أثر رسالة المسجد في بناء المجتمع المسلم، والأسباب التي ساعدت على نجاح دور المسجد في تلك الحقب الإسلامية. وقد تناولت الدراسة بالبحث والتحليل بعض العوامل التي أدت إلى انحسار رسالة المسجد في المجتمعات الإسلامية المعاصر.

وقد اتخذ الباحث مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجاً أدى رسالته التربوية على الوجه الأتم. وقد تطرق الباحث إلى المهام التي يقوم بها المسجد في المجتمع المعاصر والعوامل المؤثرة في أداء هذه المهام. ثم خلص الباحث إلى مجموعة من التوصيات والمقترحات حول إعادة رسالة المسجد التربوية في مجتمعنا المعاصر.

ثانياً: دراسة قدمها (الحسين، ١٩٩٢م) بجامعة أم درمان الإسلامية وهي عن دور المسجد العلمي والتربوي والاجتماعي في العصر العباسي. وقد اقتصرت الدراسة على بيان هذا الدور وشرحه وتحليله في تلك الحقبة الإسلامية الزاهية. وقد أشار الباحث إلى دور المساجد في إعداد العلماء والمفكرين والأدباء وقيادات المجتمع المدني. وكيف أن المساجد كانت أشبه بمؤسسات البحث العلمي في عالمنا المعاصر.

ثالثاً: دراسة (عبد الكريم، ١٤١٥هـ) وهي دراسة عن وظيفة المسجد في المجتمع وقد هدفت تلك الدراسة إلى إبراز الوظائف التي يقدمها المسجد للمجتمع المسلم في كل أموره الدينية والدنيوية. وهو يرى أن المسجد هو الميدان الذي يتعلم فيه الفرد المسلم كيفية ممارسة الحياة الإسلامية كما رسمتها الشريعة السمحاء. وقد أشار الباحث إلى أن رسالة المسجد لم تتأثر بما استحدث من مؤسسات متخصصة كالمدارس والجامعات والمعاهد والتي تؤدي بعضاً من وظائف المسجد التعليمية. وقد أكد الباحث ضرورة تعاون هذه المؤسسات مع المسجد لتدعيم دور المسجد في الحياة المعاصرة. وقد حدد الباحث وظائف المسجد في وظائفه التعبدية والتوجيهية والوقائية والاجتماعية ثم خلص الباحث إلى مجموعة من التوصيات الهامة لربط أفراد المجتمع بالمسجد وتحبيب الشباب فيه وجذبهم إليه. كما أوصى بفتح أبواب المساجد أمام العباد والرواد لأطول وقت ممكن.

العلاقة بين الأمن بمفهومه الشامل والمسجد

تقتضي دراسة المفهوم الشامل للأمن تعريف الأمن وتحديد أهميته ووسائل تحقيقه ثم التطرق لمفهوم الأمن الشامل.

تعريف الأمن:

إن لفظ (الأمن) هو من الألفاظ ذات الدلالات الواضحة البينة إذ تعرف حقيقته عند النطق به، ولكن كثرة استخدامه وتفرعاته، واشتقاقاته قد أضفت عليه شيئاً من الغموض. وسوف نورد هنا تعاريفه الواردة في المعاجم اللغوية وفي كتابات بعض الباحثين.

جاء في لسان العرب (الأمن) ضدّ الخوف (٢١/١٣). وفي مختار الصحاح أمن الأمان والأمنة بمعنى وقد أمن وأماناً وأمنةً فهو آمن وآمنه غيره من الأمن والأمان. (١/ ١١). وعليه فالأمن هو الطمأنينة والسهر على العرض والمال.

وعند المحدثين أن الأمن هو عدم توقع مكروه في الزمن الآتي. وهو طمأنينة النفس وزوال الخوف (ولدبيه، ١٩٩٩م). فالأمن طمأنينة قلبية تُسلم إلى السكون النفسي، والرضا القلبي ؛ لأن الآمن هادئ البال مستقر النفس لا يخشى الغوائل، ولا يخاف المخاطر، إما لعدم وجودها أصلاً أو لقدرته على مواجهتها (السنحاني، ١٩٨٨م).

والإيمان وهو أحد مشتقات الأمن، ويعني الطمأنينة والتصديق والتسليم عن يقين ورضا. فالمؤمن سُمي مؤمناً لكونه مطمئناً لسلامة عقيدته وصواب منهجه. ولذا فقد قيل إن الإيمان هو سبيل الأمن الروحي ؛ لأنه يمنح الإنسان يقيناً يؤدي إلى الشعور بالطمأنينة والسكينة والهدوء النفسي (الهلالي، ١٩٨٥م).

أهمية الأمن:

الأمن قيمة عظيمة، تمثل الفيء الذي لا يمكن للإنسان أن يعيش إلا في

ظلاله، وهو قرين وجوده ومحور حياته، وهو المفترض الأول بعد الحياة ذاتها. فلا يمكن أبداً أن تقوم حياة إنسانية تنهض بوظيفة الخلافة في الأرض إلا إذا اقترنت تلك الحياة بأمنٍ وارف، يستطيع الإنسان في ظله توظيف ملكاته، وإطلاق قدراته، واستخدام معطيات الكون من حوله لعمارة الأرض (الشرفي، ١٩٩٩م).

فكم أهدر الخوف من طاقات وكم عطل من ملكات، وأوقف مواهب وإمكانات. وكم أعاد الأمن إلى حياة راكدةٍ ومعتمةٍ حركتَها وبريقَها. فالإحساس بالأمن يسمح للإنسان بأن يقوم بوظيفته الأساسية في عمارة الأرض. (كامل، ١٩٨٥م).

فالأمن أساس التنمية وأحد لوازمها. فلا تنمية ولا ازدهار بلا أمن. والأمن غاية الشرائع وهدفها الأسمى. وقد كانت غاية الرسالات والبعثات السماوية هي إصلاح المجتمعات من خلال تثبيت أمنها وترسيخ طمأنينتها وقد أرسلت الرسل والأنبياء للأمم لتبيان الحلال والحرام والحق والباطل فإذا عرف الناس ذلك والتزموا به ساد بينهم الأمن وعم الأمان ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ (قريش الآية: ٤).

وتأكيداً على هذه الأهمية القصوى لدور الأمن في حياة الإنسان، فقد جاءت تعاليم الإسلام في مجملها، وتشريعاته كلها، مبنية على نصب ميزان العدل المطلق بين الناس حتى يأمن كل فرد على نفسه وماله وعرضه. فعن عدي ابن حاتم قال (بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا قطع السبيل فقال يا عدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيّئ الذين قد سعروا البلاد ؟ ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى). (صحيح البخاري، ٣/ ١٣١٦). وقد أكد الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة

وأتم التسليم على هذا المعنى في أحاديث عديدة منها «ا المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» (سنن النسائي (المجتبى)، ٨/ ١٠٤). (والإيمان مراتب بعضها فوق بعض فليس الناقص فيها كالكامل) (التمهيد لابن عبد البر، ٩/ ٢٤٤).

وتحقيقاً لأمن المجتمع واستقراره، فقد أقام الإسلام مؤسسته الأولى وجعلها محوراً لأنشطته المتشعبة، والتي ترمي في نهاية المطاف إلى بناء المجتمع المسلم المطمئن. هذه المؤسسة هي المسجد الذي يسهم إسهاماً مقدراً في كافة مناحي حياة المسلم، فهو بيت الله في الأرض، ومهبط الأملاك والسكينة، ودار العبادة، ومركز الريادة والقيادة، وأكاديمية للتعليم والتدريب وإعداد أفراد المجتمع المسلم باختلاف أعمارهم وقدراتهم فهو مأوى من لا مأوى له، فيه يتم التكافل والتعارف والتفاهم وتناسي الأحقاد بين طبقات المجتمع المؤمن.

بناء على ما تقدم يأتي هذا البحث كمحاولة للتعرف على دور المسجد في تحقيق الأمن بكافة محاوره في المجتمع المسلم. ولكننا قبل ذلك نقدم طرحاً نظرياً نعرض فيه لمكانة المسجد في الإسلام على ضوء الكتاب والسنة ثم نتعرض لأدواره المنوطة به في المجتمع المسلم قديماً وحديثاً.

مكانة المسجد في الإسلام

مكانة المسجد في القرآن الكريم:

ذكر (عبد الحميد، ١٩٩٤م) في كتابه منهاج المسجد في تكوين المجتمع المسلم أن ذكر المسجد في القرآن قد جاء في ستة وأربعين موضعاً موزعة بين سور القرآن الكريم. وقد جاء ذكره بمسميات مختلفة ولكنها ذات مدلول واحد.

فقد ورد ذكره منسوباً إلى المسجد الحرام كما هو الحال في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ

فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ (البقرة الآية: ١٤٤) " المعنى أينما كنتم من شرق وغرب فثم وجه الله الذي أمرنا باستقباله وهو الكعبة " (تفسير القرطبي، ٢/٨٣). وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة الآية: ١٤٩).

وجاء ذكر المسجد منسوباً إلى المسجد الحرام أيضاً في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ﴾ (المائدة الآية: ٢). " أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم بل استعملوا العدل في كل أحد صديقا كان أو عدوا " (تفسير ابن كثير، ٢/٣١).

وورد ذكره كذلك في سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال الآية: ٣٤).

وقد يأتي ذكر المسجد مضافاً إلى المسجد الأقصى وذلك في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ (الإسراء الآية: ١). " وأن الأرض دحيت له جنوبا وشمالا حتى رأى نعش النجاشي كما دحيت له شمالا وجنوبا حتى رأى المسجد الأقصى " (تفسير القرطبي، ٢/٨٢).

وقد ورد ذكر المسجد مجرداً كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ (الأعراف الآية: ٢٩).

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن

تَقُومَ فِيهِ﴾ (التوبة الآية: ١٠٨). " عن ابن عباس: مسجد قباء كان أسس بالمدينة أول يوم، فإنه بني قبل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم " (تفسير القرطبي، ٢٥٩/٨).

ووردت كلمة المسجد مجردة في قوله تبارك و تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدًا ﴾ (الكهف الآية: ٢١).

وقد ورد في القرآن الكريم لفظ المسجد مفرداً كما ورد بصيغة الجمع كما عُبر عنه بكلمة (بيت) والمقصود بها المسجد، والمساجد بيوت الله. وبهذا المعنى جاء ذكره في آيات عديدة نذكر منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمۡنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (البقرة الآية: ١٢٥).

وجاء في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران الآية:٩٦).

وبهذا المعنى أيضاً جاء ذكره في قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (ابراهيم الآية: ٣٧).

وهكذا تبين أن ذكر المسجد قد ورد في القرآن الكريم بصيغ عديدة مفرداً و جمعاً بألفاظ متنوعة ولكنها تحمل مدلولاً واحداً مفاده المسجد. كما حمل الخطاب القرآني الدعوة لمزيد من العناية بالمسجد وإعماره بالتشييد الحسي وبالذكر والإعمار المعنوي، كما حذر ورهب من إعمارها على النفاق والضرار، وقصرها على التقوى.

مكانة المسجد في السنة:

لقد ورد في السنة المطهرة الكثير من الأحاديث الشريفة التي تتنــاول

المسجد سواء كان ذلك فيما يخص مقامها أو مهامها أو منهاجها، أو العناية بها وتشييدها، وفي هذا البحث سنكتفي بالإشارة إلى بعض من تلك الأحاديث الدالة على مكانة المسجد في الإسلام وأدواره الدينية والاجتماعية.

فقد جاء في حديث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قوله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ بنى مسْجِداً لله تعالى يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة» (صحيح البخاري، باب من بنى مسجدا، ١/ ١٧٢، رقم ٤٣٩، و صحيح مسلم، باب فضل بناء المساجد والحث عليها، ١/ ٣٧٨، رقم ٥٣٣).

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان» (موارد الظمآن، باب الجلوس في المسجد للخير، ١/ ٩٩، رقم ٣١٠).

وفي شأن العناية بالمسجد وتنظيفه فقد جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أخرج أذى من المسجد بنى الله له بيتاً في الجنة» (سنن ابن ماجه، باب تطهير المساجد وتطييبها، ١/ ٢٥٠، رقم ٧٥٧).

وجاء في الترغيب في تعليم العلم في المساجد ما ذكره أبو أمامة في قوله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه كان له كأجر حاج تاماً حجته» (المعجم الكبير، ٨/ ٩٤، رقم ٧٤٧٣).

وكان للمسجد دور عظيم في المسائل التربوية والتكافل الاجتماعي والتراحم بين أفراد المجتمع المسلم. فقد ورد في صحيح البخاري عن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء يقيمون في المسجد وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال مرة: «من كان

عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس وسادس» (صحيح البخاري، ٣/ ١٣١٢، رقم ٣٣٨٨، وصحيح مسلم، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، ٣/ ١٦٢٧، رقم ٢٠٥٧). ويتضح بجلاء دور المسجد في ترسيخ منهج الإسلام التربوي، وحرص الشارع وتطلعه وتلمسه للمواقف التربوية والأخلاقية وبثها في المجتمع وتطبيقها، ومحو الفوارق الطبقية لما لها من تأثيرات تربوية غير محمودة، فكان أهل الصفة بما يعانون من العوذ والفقر، سعداء راضين، مقتنعين بما يؤديه المسجد تجاه قضيتهم الشائكة، ويقص علينا زعيمهم حالهم التعس، وكيف حوله دور المسجد إلى سعادة وهناء، فعن أبي هريرة قال (كنت في أصحاب الصفة فبعث إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر عجوة فكُبَّتْ بيننا فجعلنا نأكل الثنتين من الجوع وجعل أصحابنا إذا قرن أحدهم قال لصاحبه إني قد قرنت فاقرنوا) (موارد الظمآن، ١/ ٣٢٨). فاعتراف أحدهم بأنه قرن تمرتين في الكل دليل على الصدق الذي أكسبه إياه ذلك المناخ التربوي وتلك البيئة الصالحة من مسجده صلى الله عليه وقد تخرج هؤلاء وأعدوا أخلاقياً وتربوياً، فكانوا بعدُ سادة للعالم وأمراء للأمصار، فكان سيد أهل الصفة بعدُ أميراً على البحرين، وكان ابن مسعود على العراق وغيرهم و غيرهم.

وهكذا جاءت السنة المطهرة لتحدد بوضوح وجلاء رسالة المساجد، ودورها في حياة الأمة، وضرورة العناية بها، وضرورة إعمارها وبنائها، والاعتناء بها بل وجعلها مركزاً اجتماعيا تُقضى فيه حوائج المسلمين وترتب فيه شؤون حياقم الخاصة والعامة.

مكانة المسجد ورسالته في المجتمع المسلم:

يستشف القارئ من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المكانة الهامة التي يتبوؤها المسجد في المجتمع الإسلامي. فحسبُ المسجد من الأهمية، أنه كان

أول عمل قام به رسول العزة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بعد أن قدم المدينة المنورة مهاجراً فقد بنى مسجد قباء ؛ وهو أول مسجد بني قبل وصول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة، وأول مسجد بني لعموم الناس كما ذكر ابن كثير رحمه الله.

وكذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم عندما واصل سيره إلى قلب المدينة (المسماة آنذاك بيثرب) فقد كان أول ما قام به تخصيص أرض لبناء مسجده ثم الشروع في بنائه. (سيرة ابن هشام، ١/ ٢٩٥).

ومما يدل على عظمة المساجد وعلو منـــزلتها عند الله سبحانه وتعالى أنه هو سبحانه وتعالى الذي رغب في بنائها وعمارها، وجعلها مقراً لذكره وإقامة الصلاة له، والصلاة هي أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين. فالمساجد بيوت الله في الأرض التي أمرَ برفعتها وتطهيرها، ومدحَ عمَّارها ووعدهم بالفوز والنجاة والأمـــن في يوم عصيب تتقلب فيـــه القلـــوب والأبصار ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ (النور الآيتان: ٣٦، ٣٧).

وقد وضع الله سبحانه وتعالى أول بيت من بيوته في الأرض وهو المسجد الحرام يقام فيه دينه ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران الآية: ٩٦).

ومما يدل على عظمة المسجد في الإسلام أن الله تعالى مالك كل شئ قد نسبه لنفسه فهو ليس لأحـــد سواه ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن الآية: ١٨).

ثم إن الله جلّ وعلا قد أوكل أمرَ عمارها وبنائها إلى صفوة خلقه من

الرسل والأنبياء والصالحين من عباده. فقد أوكل أمرَ بناء الكعبة قبلة المسلمين إلى أبي الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (البقرة الآية: ١٢٧).

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (البيت المعمور الذي في السماء يقال له الضراح وهو على البيت الحرام لو سقط سقط عليه يعمره كل يوم سبعون ألف ملك لم يروه قط وإن في السماء السابعة لحرما على قدر حرمه) (مصنف عبد الرزاق، ٥/ ٢٨) قال الحافظ: (البيت المعمور وهو في السابعة بلا خلاف.. و هو أول بيت يحاذي الكعبة من بيوت السماوات ويقال إن اسم البيت المعمور الضراح بضم المعجمة وتخفيف الراء) (فتح الباري، ١/ ٤٦٢).

مع هذه المكانة السامية للمسجد الحرام فقد جعله الله سبحانه وتعالى مثابة ومقراً آمناً، وعهد إلى أصفيائه بأن يقوموا بأمر تطهيره والعناية به بجعله مكاناً صالحاً للعبادة بكافة أشكالها. وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (البقرة الآية: ١٢٥).

ثم يقدّم الله سبحانه وتعالى أغلى وأعلى وأسمى شهادة تمنح لإنسان، شهادة بالإيمان به وباليوم الآخر لعمار المساجد ومرتاديها وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ (التوبة الآية: ١٨). ثم يحذر رب العزة والجبروت أولئك الذين يسعون في خرابها ودمارها ويمنعون مرتاديها من العبادة فيها والقيام بواجباتها فيصفهم بأنهم أظلم الناس، ووعدهم بعذاب شديد في الآخرة وخزي وخوف في الدنيا ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن

يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة الآية: ١١٤).

فالمسجد مؤسسة الإسلام الأولى، ووسيلته الفاعلة في بناء المجتمع المسلم، وله أدوار عظيمة في إعداد الأفراد والجماعة المسلمة حتى يقوم أمرهم على هدى من كتاب الله الكريم وسنة رسوله المطهرة.

فالمسجد بساحته وصحنه وأروقته المختلفة يمثل مؤسسة شمولية لكثير من الأنشطة والأدوار التي ظلت على مرّ الزمان مفخرة للمسلمين (فالمسجد ساحة اجتماعية، ودار علمية، ومستشفى علاجية، وصيدلية دوائية وساحة شعبية، فيها تلقى المواعظ والعبر، وفيها تمارس الرياضة البدنية، وفي الحديث «المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف وكل على خير احرص على ما ينفعك ولا تعجز فإن غلبك شيء فقل قدر الله وما شاء وإياك واللو فإن اللو تفتح عمل الشيطان» (صحيح ابن حبان، ٢٨/١٣)، فيه بيت الضيافة، ومنازل الغرباء، به تقام الأفراح، وفيه تعقد وثائق النكاح، فيه تفض المنازعات ويسود العدل. الفقير يجد فيه حاجته، والغني يجد بداخله مطلبه. فيه يتربى الجندي الشجاع، وإليه يأوي الضعيف من الضياع. فالمسجد مجتمع متكامل مترابط متآخي متآلف). (عبد الحميد، ١٩٩٤م، ص ٣١). وتأسيساً على ما ذكر إجمالاً، فإننا نتطرق بشيء من التفصيل إلى دور المسجد في مناحي الحياة الاجتماعية الإسلامية، كل ذلك تمهيداً للتعرف على دور المسجد في تعضيد الأمن وتوطيد أركانه وتعزيز شأنه وبسط مظلته الوارفة على ربوع الكيان الإسلامي المترابط المتعاضد المتكافل الناهض المشرئب لأفق أرحب وحياة أكرم وعاقبة أسلم بإذن ربه الأعظم.

أدوار المسجد في الحياة الإسلامية

المسجد دار للعبادة:

قامت الدعوة الإسلامية في جوهرها ومضمونها على توحيد الخالق عزّ وجلّ، وإفراده بالعبادة، وجعلت غاية خلق الإنسان، عبادة الله الواحد الدّيان ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات الآية: ٥٦). ولهذه الغاية بعث الأنبياء لإرشاد الخلق لمعرفة خالقهم وانتشالهم من وهدة الضلالات وظلمات الجهالة والانحرافات وتحقيقاً لهذه الغايات فقد سارت الدعوة الإسلامية على نسق الرسالات السابقة من لدُنّ سيدنا إبراهيم عليه السلام، الذي كلفه الله بإعداد البيت ورفع قواعده وتطهيره وجعله مكاناً صالحاً ومناسباً للعبّاد والزهّــاد الرُّكع السجود ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (البقرة الآية: ١٢٧). ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (البقرة الآية: ١٢٥). وفي الحديث ((لما بنيت الكعبة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم وعباس ينقلان حجارة فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء)) (صحيح مسلم، ١/٢٦٧).

وعلى ذات المنوال جاء هدى الإسلام وأقام الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام مسجده مركزاً للعبادة، وداراً للذكر والتسبيح، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يلوذ إليه الأصفياء طمعاً في رضاء الله وخوفاً من وعيده وعذابه. ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ (النور الآيتان: ٣٦، ٣٧). " الأمر بتطهيرها وتطييبها وغير ذلك من صيانتها من الأذى والنجاسات وما أشبه ذلك " (تفسير ابن كثير، ١٧٣/١). ولهذا قال عليه السلام «إنما بنيت المساجد لما بنيت له» (صحيح مسلم، ٣٩٧/١). ونهى أن تكون مكاناً للبيع والشراء ونشد الضالة ونحو ما يشغل المصلي عن صلاته وفي الحديث «من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ردها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا» (صحيح مسلم، ٣٩٧/١).

ففي هذه الآيات والأحاديث شهادة من الخالق عزّ وجلّ، لعمار المساجد بالتقوى والصلاح والفوز والإيمان الصادق بالله وباليوم الآخر. فحسب عمّار المساجد هذه الشهادة العظيمة من رب عظيم.

وقد ذُكر في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران الآية: ٩٦). إن أول بيت وضع للناس، أي لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم، يطوفون به ويصلون إليه، ويعتكفون عنده ((للذي ببكة)) يعني الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام. (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٨٣/١).

والحقيقة أن أداء العبادة يمثل الدور الرئيسي والأساسي للمساجد ولذا فقد أوكلَ اللهُ إلى الأصفياء من عباده، أمر تهيئتها لأداء هذه الوظيفة الأساسية التي أقيمت من أجلها.

المسجد مؤسسة تعليمية:

سبقت الإشارة إلى أهمية المسجد في حياة المجتمع الإسلامي فقد كان أول عمل أنجزه الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام بعد قدومه مهاجراً إلى طيبة

الطيبة. وإذا كانت رسالة المسجد الأولى هي أداء العبادة والشعائر الأخرى وهي غاية الخالق القدير من خلق الجن والإنس، فإن هناك مهام أخرى تأتي في الأهمية بعد العبادة مباشرة ومن تلك المهام رسالة المسجد التعليمية.

فقد كان مسجد الرسول ﷺ مدرسة تولى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم تعليم أصحابه أمور دينهم بنفسه. و كان أصحابه رضوان الله عليهم يتحلقون حوله ليسمعوا حديثه ويتعلموا منه ما يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة الآية: ٢).

وقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً قام في المسجد فقال: يا رسول الله ! من أين تأمرنا أن نهلّ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يهل أهل المدينة من ذي الحليفة، ويهل أهل الشام من الجحفة، ويهل أهل نجد من قــرن... ويهل أهل اليمن من يلملم» (صحيح البخاري، باب ذكر العلم والفتيا في المسجد، ١/ ٦١، رقم ١٣٣، وصحيح مسلم، باب مواقيت الحج والعمرة، ٢/ ٨٣٩، رقم ١١٨١).

وكان أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام يفدون إليه ليتعلموا منه فينـــزلون في مسجده، فيأخذون منه الفقه في الدين ثم يعودون إلى ديارهم ليعلموا قومهم. وقد روى مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً رقيقا، فظن أنا قد اشتقنا إلى أهلنا... فسألنا عمــن تركنا مــن أهلنا فأخبرناه فقال: «ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم، وعلموهم ومروهم، فإذا حضــرت الصلاة فليــؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم» (صحيح البخاري، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة

والإقامة وكذلك بعرفة وجمع وقول المؤذن الصلاة في الرحال في الليلة الباردة أو المطيرة، ١/ ٢٢٦، رقم ٦٠٥، وصحيح مسلم، ١/ ٤٦٥، رقم ٦٧٤).

وعلى ذات المنوال سار السلف الصالح من خلفاء الدولة الإسلامية الراشدة وأتباعهم، فحقق المسجد دوراً مرموقاً في العصور الإسلامية المشرقة في تعليم الناس أمور دينهم وأمور دنياهم وقد اشتهرت في تاريخ الإسلام مساجد كان لها دورها الريادي في نشر العلم وبث المعرفة حتى كان بعضها بمنزلة جامعات مرموقة فيها تخرج نفر من العلماء رفدوا الحضارة الإنسانية بعلوم ومعارف لا تزال موضع اعتزاز وتقدير. ويجدر القول أن بعض هذه المساجد ومساجد أُخرى نشأت لاحقاً لا تزال تقوم بدورها المتقدم في نشر العلوم الدينية والدنيوية ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، الحرم المكي الشريف، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة والجامع الأزهر ومسجد الزيتونة اللذين تحولا لجامعتين حديثتين تعلمان أرقى علوم الدين والدنيا وصارتا مراكز بحثية تشارك في إعداد البحوث وترقية المعارف الإنسانية.

المسجد دار للفتوى والقضاء:

ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس إلى أصحابه في المسجد فيسألونه ويجيبهم، وسبق أن رجلاً سأله عن الميقات بالنسبة للمحرم فأجابه وكان ذلك في المسجد. (الهيثمي ١/ ١٣٧).

قال البخاري (ولاعن عمر عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وقضى شريح والشعبي ويحيى بن يعمر في المسجد وقضى مروان على زيد بن ثابت باليمين عند المنبر وكان الحسن وزرارة بن أوفى يقضيان في الرحبة خارجا من المسجد) (صحيح البخاري، باب من قضى ولاعن في المسجد، ٦/٢٦٢١).

وكما كان المسجد مكاناً للقضاء فقد كان أيضاً مكاناً للصلح بين

المتخاصمين. وقد روى كعب بن مالك رضي الله عنه أنه تقاضى ابن أبي حدر ديناً كان له عليه في المسجد فطلب منه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضع جزءاً من هذا الدين فقال لقد فعلت يا رسول الله، قال: «قم فأقضه» (صحيح البخاري، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، ١١٢/٨، رقم ٢٢٨٦).

دور المسجد كوحدة للرعاية الصحية:

بالإضافة لدور المسجد كدارٍ للفتوى والقضاء فإنه يمكن أن يطلع بدور متقدم في تقديم الرعاية الصحية الأولية للمرضى من فقراء المسلمين وللمجاهدين. فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (أصيب سعد يوم الخندق في الأكحل فضرب النبي صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد ليعوده من قريب فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار إلا الدم يسيل إليهم فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم فإذا سعد يغذو جرحه دما فمات فيها) (صحيح البخاري، باب الخيمة في المسجد للمرضى وغيرهم، ١/ ١٧٧، رقم ٤٥١). وذكر الحافظ بن كثير: أنه كانت توجد بالمسجد خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رُفَيدة وكانت تداوي الجرحى. (تفسير ابن كثير، ٢/ ٥٧٦). وفي المسجد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الأدوية.. (مصنف ابن أبي شيبة، ٥/ ٦٠). ولأي أمراض تكون وشخص فيه بعض الأمراض.. ونصح بما يؤخذ لها من علاج.

ومع تطور الدولة الإسلامية وازدهار حضارتها فقد تطور الدور الصحي للمسجد بصورة ملحوظة إذ ألحقت بالمساجد المصحات التي كان يشرف فيها على المرضى نفر من الأطباء المسلمين الذين أسهموا في تطور علم الطب تطويراً كان الأساس لعلوم الطب الحديثة وكانت مصحة المسجد هي الأنموذج الذي

بنيت عليه المستشفيات المعاصرة (ابن خلدون، ١/ ٥٤٨، ١٤١٣هـ).

مما سبق ذكره ندرك الدور الذي يمكن أن يؤديه المسجد في تقديم الخدمات الصحية لجماعة المسلمين الذين يؤمونه صباح مساء، فينالون فيه كل ما يحقق لهم سعادة الدارين وصحة النفوس والأجساد. كما يمكن أن يلحق بالمسجد الصيدليات الدوائية التي يمكن أن تقدم العلاج مجاناً لفقراء المسلمين أو بأسعار رمزية في زمان اشتدت فيه حاجة المجتمعات الإسلامية لمثل هذه الخدمات.

المسجد دار للرعاية الاجتماعية:

إن أهم الأمور التي حققها المسجد في حياة المسلمين منذ بداية الدعوة، أنه كان مأوى للمحتاجين والفقراء وأهل الحاجة. فقد كان من فقراء المسلمين قوم عرفوا بأهل الصفة، كانوا يقيمون في مكان في طرف المسجد. وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم شديد الرأفة بهم وكان يقسم لهم من طعامه وشرابه ويأمر أصحابه بذلك وكان يسميهم أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا إلى مال ولا أحد. (تفسير ابن كثير، ١/ ٣٢١). وقد روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه (أن نفراً من فقراء الأنصار كانوا يحتطبون ويبيعون الحطب ويشترون به الطعام لأهل الصفة). (صحيح مسلم، باب ثبوت الجنة للشهيد، ٣/ ١٥١١).

وعلى هذا المنوال سارت المساجد في عصور الإسلام الزاهية وكانت تلحق بها الأربطة التي ينفق عليها أهل الخير واليسر لإيواء الفقراء والمساكين والعجزة وطلبة العلم. وقد تخرج من هذه الأربطة الملحقة بالمساجد نفر كريم من علماء المسلمين وفقهائهم الذين أسهموا في بناء الحضارة الإسلامية والعلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية. (المقريزي، ٣/ ١٤٥). ومما يمكن ذكره هنا أن

بعض الأئمة الذين طبقت شهرهم الآفاق كانوا قد التحقوا بهذه الأربطة الملحقة بالمساجد.

بالإضافة لهذا الدور في رعاية المساكين والعجزة وذوي الحاجات، فإن المسجد يمكن أن يطلع بدور مقدر في إعداد الشباب بدنياً وتدريبهم على أنواع الرياضة المفيدة للجسم والتي تمهد لإعداد المسلم القوي جسمياً والذي هو (خير عند الله من المؤمن الضعيف). وذلك من خلال الساحات الملحقة بالمسجد حيث يمكن أن تكون ميادين يمارس فيها الشباب الرياضة البدنية النافعة وذلك تحت إشراف المسجد. وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد جعل أمداً لسباق الخيل في ساحة مسجده الطاهرة، كما روي عن ابن عمر رضي الله عنه. (صحيح مسلم بشرح النووي، ١٣/ ١٦). وفي مجال الرعاية الاجتماعية أيضاً يمكن للمساجد أن تكون بها لجان تقوم بالإشراف وتفقد أحوال الفقراء والمساكين وتطلع بتوفير احتياجاتهم. (تذكرة الحفاظ، ٢/ ٥٣٩).

المسجد مركز للإرشاد والتوجيه:

إذا كان للمسجد كل هذه الأدوار المهمة في حياة المجتمع المسلم، فإن دوره الإرشادي والتوجيهي يأتي في مقدمة تلك الأدوار. وهكذا كان المسجد منبر الدعوة الأول، ومقراً للإرشاد والتوجيه والدعوة.

فمن المسجد ينطلق صوت المؤذن معظماً الخالق جلّ وعلا، مكبراً إياه، مقراً بشهادة التوحيد ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم، يتلو ذلك دعوة للفلاح والنجاح والفوز في الدارين. هكذا ينطلق صوت المؤذن خمس مرات في اليوم والليلة مدوياً عالياً، فيستجيب الأبرار الميامين ميممين شطر المسجد. والأذان يمثل الدرس التوجيهي الأول ثم تؤدى الصلاة في خشوع وانضباط واعتدال صفوف.

ثم يعقب الصلوات دروس إسلامية في السيرة والحديث وتفسير القرآن الكريم وعلوم الدين الأخرى ثم يكون الدرس الأساسي يوم الجمعة حيث الخطبة الشاملة التي يقدمها الإمام زاداً أسبوعياً يتناول فيها شأن المسلمين الحاضر ويناقش، بتجرد ولباقة، المشكلات التي تواجه المجتمع المسلم ويقدم المقترحات المنطقية والواقعية لحلها والتعامل معها.

وقد يقدم المسجد دروساً دورية يقوم بإعدادها نفر من علماء المسلمين وخيارهم يكون هدفها إرشاد الأمة وتوجيهها لما فيه خير دينها ودنياها.

ومما لاشك فيه أن هناك أموراً عديدة تحدث في المجتمع تحتاج إلى بيان وتوضيح، سواء من قبل القيادة، أو من يمثلها، حتى وإن كانت أموراً حياتية بحتة. وقد كان المسلمون ولا يزالون يتأثرون بشدة بما يلقى عليهم من ترغيب وترهيب من على منابر المساجد، لثقتهم في أئمة المساجد ورجال الدين وأن أول من وجه الأمة من على المنبر هو الرسول القائد عليه أفضل السلام وأتم التسليم. ووضح الرسول الكريم علامة الفرق بين الحكم الملزم وبين ما يحسن اتباعه استكمالاً للفضائل ووصولاً إلى مكارم الأخلاق.

وقد استمرت المساجد منارة للتوجيه طوال حياة الأمة وقامت بهذا الدور خير قيام. فقد ثبت أن عمر رضي الله عنه صعد المنبر ونهى عن المغالاة في المهور، حيث روي أن عمر رضي الله عنه خطب من على منبر مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: ((لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ولو كانت بنت ذي القصبة يعني يزيد بن الحصين الحارثي فمن زاد ألقيت زيادته في بيت المال فقامت امرأة من صوب النساء طويلة فيها فطس فقالت ما ذلك لك)) (مصنف عبد الرزاق، ٦/١٨٠).

وفي عهد معاوية رضي الله عنه كان يحذر الناس من على المنبر من كثرة

التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا ينشغل الناس بالحديث عن تعلم القرآن الكريم. ((المكثر لا يأمن أن يدخل شيء ليس منه فليحفظ)) (شرح سنن ابن ماجه، ١/٥).

ويمكن أن يستغل منبر المسجد بصورة فعالة في زماننا هذا لتوجيه الأمة وإرشادها وإعدادها فكرياً ومعنوياً لمواجهة الغزو الفكري ومخاطر العولمة والتحذير من البدع وتقليد الكفار. كما يمكن أن تستغل المنابر لإظهار محاسن الدين وفوائد التمسك به. ومن على المنبر يمكن توجيه المجتمع للتمسك بأهداف الفضائل والتكافل الاجتماعي وتدعيم وشائج الأخوة الإسلامية.

مما سبق ذكره يلمح القارئ أن المسجد يمثل المؤسسة الإسلامية الأولى بل المؤسسة الرئيسية في إعداد المجتمع المسلم إعداداً متكاملاً في كافة أوجه حياته: فهو مقر العبادة وسكن الروح، وتكافل الأفراد، وعيادة المريض، وشفاء الأبدان، وتقويم السلوك، وترويض النفوس، ورياضة الأجسام، وتوجيه الأفراد والجماعات لسلوك طريق الهدى والرشاد.

هكذا كان المسجد منذ فجر الدعوة، ففي مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم يلتف المسلمون حول رسول العزة صلى الله عليه وسلم يتلقون منه القرآن الكريم غضاً طرياً، يستمعون إلى أحاديثه الشريفة ويتعلمون أمور دينهم، وفيه شاهدوا قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم، وتجييشه الجيوش، وموادعته للخصوم، وقسمته الغنائم، ومداواته الجرحى والمرضى. فما من شأن من شئون المسلمين إلا وكان المسجد مستقره ومستودعه، منه مبتدأ كل خير، وإليه منتهى مسيرة الإسلام القاصدة إلى وجه ربها الكريم.

إذا كان للمسجد هذا الدور العظيم في حياة الأمة بكافة مناحيها، فإن دور المسجد في تعضيد أمن المجتمع هو أخص أدوار المسجد وأعلاها منـــزلة. إذ

لا يستقيم أمر مجتمع انفرط عقد الأمن فيه واختل فيه ميزان الطمأنينة. فالأمن حاجة المجتمع الأساسية التي لا حياة له بدونها. فهو المرتكز الذي بدونه تعم الفوضى، وتنتشر الجريمة، وتتزلزل أركان الحياة كلها. وكما يقول: (ولد بيه، ١٩٩٩م) إن الأمن من أهم المطالب الدنيوية وأجل النعم الأخروية وأعظم المنن، وأخص الضرورات. وهو ذو معنى شامل ومفهوم واسع. يشمل في طياته الأمن العقدي، والأمن النفسي، والأمن الفكري، والأمن الاقتصادي، والأمن الاجتماعي. بل يتجاوز كل شئون الحياة الدنيا ليكون جزاءً أخروياً يتحقق لمن يتصف بسلامة الاعتقاد والبعد عن مزالق الفساد، يناله المؤمنون الصابرون ويظفر به المتقون. يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام الآية: ٨٢). وقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ (النمل الآية: ٨٩). وقوله سبحانه وتعالى ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ (فصلت الآية: ٤٠). وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ﴾ (سبأ الآية: ٣٧). وقد جاءت شريعة الإسلام كاملة تامة ورسالة خاتمة، ودعوة شاملة، تهدف في جوهرها ومضمونها إلى تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. وهذا بالطبع لا يتم إلا بصحة الاعتقاد والإيمان، والعمل بالأركان، ومراقبة الله الواحد الديان في السر والإعلان. ثم أحاطت عقيدة الإسلام هذا كله بمجموعة من التشريعات والقوانين التي تضمن تحقيق الأمن في هذه الحياة الدنيا: فرعت الحرمات، وكفلت حفظ الضرورات، وردعت بحزم من ينـــزع إلى انتهاكها والنيل من حرماتها والتعدي على حدودها.

وقد بلغت أهمية الأمن مكانة عظيمة في العقيدة الإسلامية فقد امتَّن الله به وجعله موجباً من موجبات شكره وتوحيده وجعله من خصائص حَرَمه وبيته. يتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (القصص الآية: ٥٧) وقوله تعالى: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ (قريش الآيتان: ٣، ٤). وقوله سبحانه وتعالى ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗا﴾ (آل عمران الآية: ٩٧).

هذه الآيات الكريمات وغيرها من آي الذكر الحكيم تبين بجلاء منـــزلة الأمن، وشدة الحاجة إليه، والمخاطر التي قد يتعرض لها المجتمع إذا اختل فيه ميزان الأمن وسادته الفوضى والاضطرابات والانحرافات.

ولما كان المسجد هو مؤسسة المجتمع الإسلامي الأولى والرئيسة فإننا لا نستغرب أن يكون لهذه المؤسسة دورٌ رائدٌ ومتقدمٌ في حفظ أمن المجتمع وتدعيم طمأنينته، وتأصيل ذلك في نفوس أفراد المجتمع الإسلامي وذلك من خلال آلياته المختلفة، ووسائله المتعددة في غرس المفاهيم الصحيحة وأداء الشعائر التعبدية التي تعضد نوازع الأمن في النفس البشرية على مستوى الأفراد والجماعات.

وآن للباحث أن يؤكد مُفصّلاً دور المسجد في تثبيت دعائم أمن المجتمع.

دور المسجد في تعضيد الأمن:

سبق الحديث عن أهمية المسجد ومكانته في المجتمع المسلم كما أشرنا إلى الأدوار الحيوية التي تتطلع بها هذه المؤسسة في حياة المسلمين فهو مقر عبادة، ومنار دعوة، ومدرسة وجامعة، ومضمار رياضة روحية وبدنية، ودار للرعاية الاجتماعية، وهو مستشفى علاجية، وصيدلية دوائية. منه انطلقت دعوة الحق،

وفيه جيشت الجيوش، ففتحت الأمصار، ومنه انداحت دوحة الإسلام الوارفة الظلال، القيمة الثمار. هكذا كان المسجد في عهد النبوة، وهكذا كان في عهود صحبه وخلفائه الأخيار، وهكذا سوف يكون في حاضر الأمة ومستقبلها طالما سارت الأمة على نهج المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فحاجة الأمة الآن ماسة، وأكثر من أي وقت مضى، إلى إحياء دور المسجد ليتطلع بمهامه العظام في حفظ هوية الأمة وتدعيم أمنها وسلامتها، ووقاية أجيالها من الزيغ والانحراف. فدور المسجد في إرساء هذه القيم والمعاني هو تحويل قيم الإسلام العليا وتعاليمه إلى واقع معاش وتطبيق ملموس.

ويذكر اللميم (١٤١٣هـ) أن رسالة المسجد تستمد جوهرها من رسالة النبي صلى الله عليه وسلم. ورسالته، كما هو معلوم، كانت رسالة شاملة تهدف لإصلاح العبد فيما بينه وبين ربه وبينه وبين نفسه وبينه وبين أفراد مجتمعه ليصبح المجتمع الإسلامي مجتمعاً مثالياً مسالماً. ففي المسجد يشعر الفرد بكرامته التي كرمه الله بها، وأنه متساوٍ في الحقوق والواجبات مع جميع من يرتادون المسجد معه مصلين أو متعلمين أو معتكفين. فهو يدرب الأفراد على الأعمال الجماعية والتعاون والتكافل والانضباط. وقد ارتبط المسجد منذ نشأته الأولى في حياة المسلمين بتاريخ التربية الإسلامية والإصلاح الاجتماعي. فإن كل أنشطة المسجد تتجه إلى تدعيم أمن المجتمع، وصلاح حاله، وتأسيس أركانه على هدى من كتاب الله وسنة رسوله.

ومن الأنشطة التي يكون لها انعكاس مباشر على أمن المجتمع أنشطة المسجد التعبدية كالصلاة وقيام الليل وحلقات التلاوة وغير ذلك، وأنشطته الثقافية والتوجيهية كالدروس العامة والخطب والعبر والمواعظ، وأنشطته الاجتماعية من كفالة الفقراء وإيواء المحتاجين. وأنشطته التدريبية المتمثلة في

إعداد الشباب وتدريبهم بالرياضات الجسدية النافعة وملء أوقات فراغهم بالعمل النافع والسّمر الهادف، واللهو المباح. وكذلك تدريبهم على بعض المهن التي يمكن أن تجلب لهم الرزق الحلال وتطور قدراتهم المهنية والعقلية. كل هذه الأنشطة يمكن أن تمثل رسالة المسجد المباشرة في دعم الأمن في المجتمع وترسيخ عراه. وسوف نتناول كل منشط على حدته حتى نتبين أبعاد كل دور في تحقيق أهداف المسجد الأمنية.

أولاً: الأنشطة التعبدية ودورها في تحقيق الأمن في المجتمع:

المسجد مركز لأنشطة تعبدية هامة ذات أثر مباشر في ترسيخ الأمن النفسي والاجتماعي، وعلى رأس هذه الأنشطة تأتي الصلاة التي تمثل الركن الثاني من أركان الرسالة الإسلامية. وهي عمود الدين وعماده كما ورد في الأحاديث الصحيحة «الصلاة عماد الدين» (نوادر الأصول في أحاديث الرسول، ٣/ ١٣٦).

وجاءت آيات القرآن الكريمة آمرة بإقامتها صراحة والمحافظة عليها ومرغبة فيها ومادحة الذين يقيموها ويؤدوها على أصولها ووصفتهم بالفلاح وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون الآيتان: ١، ٢). وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (لقمان الآيتان: ٤، ٥).

وقد تأكدت أهمية هذا الركن في القرآن الكريم في أكثر من ستين موضعاً متفرقاً بين السور القرآنية تشمل أوامر جازمة حازمة بإقامتها والمحافظة عليها والترغيب فيها والثناء على القائمين بها، وذم تاركيها والمتهاونين في أدائها. ومما يدل على أهمية هذا الركن من السنة أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام: «بين

الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» (صحيح مسلم، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، ١/ ٨٨، رقم ٨٢، وسنن أبي داود، باب في رد الإرجاء، ٤/ ٢١٩، وسنن ابن ماجه، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، ١/ ٣٤٢، رقم ١٠٧٨).

والصلاة مقرها المسجد، فهو مكان أدائها جماعة ومقر انطلاق الأذان بحلول وقتها. وقد حذر الرسول الكريم من التقاعس عن أدائها في المسجد وغضب أيما غضب على أقوام كانوا لا يأتون المسجد لشهود صلاة الجماعة، والمعلوم أن هناك صلوات لا تجوز إلا في المسجد ولا تؤدى إلا فيه كصلاة الجمعة، وصلاة العيدين وصلاة الجماعة، لما فيهما من الجوانب التربوية الكثيرة من اجتماع المسلمين وتلاقيهم هاشين باشين متصافحين متناسين لما يقع بينهم من شحناء وبغضاء في أسواقهم وأعمالهم، متبادلين لتهاني العيد، في المسجد وأفنيته وبعد الصلاة، وتظهر تلك المنهجية التربوية بجلاء أكثر في دعوته صلى الله عليه وسلم في خروج المرأة وإن كانت من ذوات الخدور أو الحيض لشهود صلاة العيد ودعوة الإمام والفرح والسرور بمظاهر العيد، وأن تلتقي بأخواتها المسلمات، في ساحات وأفنية المسجد، و تحترز الحائض من دخول المسجد، عن أم عطية قالت (أمرنا أن نخرج الحيض يوم العيدين وذوات الخدور فيشهدن جماعة المسلمين ودعوتهم ويعتزل الحيض عن مصلاهن قالت امرأة: يا رسول الله إحدانا ليس لها جلباب قال: «لتلبسها صاحبتها من جلبابها») (صحيح البخاري، ١/١٣٩).

وللصلاة في المسجد أثر مباشر على سلوك الأفراد، وأن هناك علاقة كبرى بين الصلاة ومنع الانحراف والجرائم التي تهدد أمن المجتمع. فالصلاة وسيلة نهي عن كل منكر وقبيح ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ

وَٱلْمُنكَرِ﴾ (العنكبـوت الآية: ٤٥). " فالصلاة بما تتضمنه من ضروب العبادة، من تكبير وتسبيح وتحميد، وقراءة قرآن، وركوع وسجود كأنها تقول لصاحبها: كيف يليق بك أن تعصي الله عزّ وجلّ وقد أتيت بما يدل على عظمته وكبريائه، فلا تأت بالفواحش والمنكرات وتعصى رباً هو أهل لما أتيت به " (ياسين، ١٤١٣هـ، ص ٥٠).

ففرض الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة يعزز صلة الفرد بربه، ويقوي وازعه الديني، والوازع الديني يمثل أقوى عوامل الابتعاد عن الانحراف والبعد عن الجرائم التي تهدد أمن المجتمع. وهو أي الوازع الديني، عامل من عوامل التوازن النفسي الذي يحقق أمن النفس وطمأنينتها وإخماد نوازع الشر فيها، وجعل الفرد مخلوقاً خيراً يرجى خيره ويأمن المجتمع بوائقه. فبذلك تتدعم أواصر الأمن في المجتمع ويسود فيه السلام والاطمئنان. وفي هذا الصدد يقول ابن القيم رحمه الله في طريق الهجرتين (من كانت قرة عينه في الصلاة فلا يخشى فقراً أصابه، ولا غنى فاته، وبذلك تطمئن النفس). (ابن القيم، ص ٤٧).

والصلاة والذكر والتقوى تضيق منافذ الشيطان وتصرف غوايته كلما أراد أن يوقـع المسـلم في مهـاوي الانحراف. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ (الأعراف الآية: ٢٠١).

نضيف لهذا أن أداء الصلاة في جماعة في المسجد له فوائد جمة، وانعكاسات موجبة في ترسيخ أمن المجتمع. فهي تعزز روح الإخاء والمحبة بين أفراد المجتمع. ففي المسجد تلتقي جماعة المسلمين لأداء شعيرة من أعظم الشعائر، فهناك يحدث التعارف والاندماج بين قطاعات المجتمع وتحدث الألفة. ولما كان هذا اللقاء يتكرر خمس مرات في اليوم والليلة، فإن هذا أدعى لتوثيق الصلة بين

المصلين، فيتعرفون على أحوال بعض، وتنهض الجماعة لمؤازرة الفرد إن ألّم به مكروه، وتتعزز روح التضامن ويحس الفرد بانتمائه للجماعة وهناك يحس بالمساواة التامة مع غيره فتسقط الحواجز الطبقية والتي كثيراً ما تكون ذات مردود سلبي يؤدي في أحيان كثيرة إلى إثارة الحقد الطبقي الذي يؤدي إلى القلاقل والضغائن التي تؤدي إلى انفراط عقد الأمن وتمزق أواصر المودة والأمان.

ومن الشعائر التعبدية الأخرى التي تؤدى في المسجد ولها انعكاس مباشر على المستوى الأمني والتربوي في المجتمع، كما هو ترسيخ لمباديء التربية المتقدمة فيبذل المتعلم ما عنده من معرفة وعلم لأخيه دون التلفت للجانب المادي، مما يجعل المجتمع بين عالم و متعلم في عفة وطهر فكري، فتلاوة القرآن الكريم، والذي كثيراً ما شهدت ساحات المساجد وصحوها نماذجَ من تلك الحلقات التي يتلى فيها كتاب الله الكريم. وفي الحديث «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» (صحيح مسلم، ٢٠٧٤/٤). فتلاوة كتاب الله وقراءته في جماعة أو على انفراد في بيت من بيوت الله، يكون سبباً في طمأنينة النفس وسكونها. فكتاب الله كما وصفه رسول العزة صلى الله عليه وسلم بأنه الكتاب الذي جمع فأوعى «فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرّد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ من قال به

صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم» (سنن الترمذي، باب ما جاء في فضل القرآن، ٥/ ١٧٢، رقم ٢٩٠٦، وسنن الدارمي، ٢/ ٥٢٦، رقم ٣٣٣١، ومسند أحمد، ١/ ٩١، رقم ٧٠٤).

ومما لا شك فيه أن في القرآن طاقة روحية ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان، فهو يهزُّ وجدانه، ويرهف أحاسيسه ومشاعره ويصقل روحه ويوقظ إدراكه وتفكيره ويجلي بصيرته. فالإنسان بعد أن يتعرض للقرآن الكريم يصبح إنساناً جديداً (نجاتي، ١٩٨٢م). ففي القرآن من عطاء الله ما تحبه النفوس البشرية ويستميلها، فهو يخاطب ملكات خفية في النفس، فالذي يسمع القرآن يجد له تأثيراً عجيباً وحلاوة غير عادية (الشعراوي، ١٩٨٨م).

ولقد حقق القرآن الكريم الأمن النفسي من خلال غرس قيم التوحيد، وقيم الحق والفضيلة وقيم التوكل على الله والرضاء بالقضاء والقدر خيره وشره. فهو الذكر الحكيم الذي به تطمئن القلوب وتهدأ النفوس ويتعمق الإيمان ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ (الرعد الآية: ٢٨).

وفي دراسة تطبيقية عن أثر سماع القرآن الكريم على الأمن النفسي قام بها الدكتور عدنان العتوم ونشرت في مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية عام ١٤١٨هـ فقد وجد الباحث أن هناك أثراً مقدراً لسماع القرآن الكريم على النفس البشرية مصحوب بتحولات فسيولوجية وآثار نفسية إيجابية على العينة التي استمعت لقراءة القرآن الكريم، وتوصل إلى نتيجة محددة مفادها أن الاستماع للقرآن الكريم يؤدي إلى التوازن النفسي والاستقرار الوجداني والطمأنينة القلبية.

فالقرآن الكريم بهذه الصفة كنشاط تعبدي يتم في ساحة المسجد يمكن أن

يساعد على ترسيخ الأمن النفسي واجتثاث نوازع الشر من النفس البشرية.

ومن الأنشطة التعبدية الأخرى التي تتم في المسجد نشاط الاعتكاف في بيوت الله في مواسم رمضان. فالاعتكاف فيه يظهر الجانب التربوي، فحبس اللسان عن الغيبة والنميمة والنفس عن التأمل إلا في خلق الله، سلوك الصبر على واجبات الاعتكاف وسننه ومندوباته كل ذلك من التربية وتطبيق قواعدها، وهو نوع من الرياضة النفسية التي يمارسها الصالحون. فهو فرصة للاختلاء بالنفس والتجرد من عرض الدنيا الزائف، والتعلق بقيم رحمانية، تعمق في الإنسان معاني التفكر والتدبر في ملكوت الله. فالاعتكاف في المسجد يمثل قمة السمو الروحي والتجرد من قيم المادة والتمسك بأحبال الصبر وترويض النفس.

ومن هنا يتضح الدور الهام للمسجد في تحقق الأمن بإعداد الأفراد الصالحين المتسامين بأرواحهم الطاهرة عن عرض الدنيا المباح، ناهيك عن الجنوح لمزالق الانحراف والجريمة وزعزعة الأمن.

ثانياً: أنشطة المسجد الثقافية والتوجيهية ودورها في ترسيخ الأمن:

إن رسالة المسجد رسالة ضخمة شامخة متشعبة لا تقف عند حد الأنشطة التعبدية فحسب، بل تتعدى ذلك في تكامل وتنسيق لتشمل أنشطة أخرى متممة ومصاحبة وداعمة للأنشطة التعبدية، وهي كذلك تعمل على ترسيخ الأمن وحفظ كيان المجتمع من الجهل والفوضى. نقصد بذلك الأنشطة الثقافية والتوجيهية والإرشادية والتي تعتبر من أهم مناشط المسجد اليومية والدورية.

وعلى عهد النبوة والخلافة الراشدة كانت رسالة المسجد الثقافية والإرشادية هي التي نقلت الأمة من ظلمات الجهالة إلى مرافئ النور والرشاد. وقد كانت رسالة المسجد الثقافية والإرشادية هي التي بُنِيت عليها حضارة الإسلام التالدة.

ونشير هنا إلى الدور العظيم الذي قام به المسجد في تلك العهود الزاهية في تثقيف الرجال وإعدادهم حتى تخرج من بين صفوفهم الأكفاء الأخيار الذين بنوا حضارة شامخة، ومدنية راقية، ودولة آمنة، كانت وما زالت الأنموذج الفريد الذي تقاصرت دونه الحضارات والثقافات السابقة واللاحقة. وهنا نذكر كلمات مضيئة في تلخيص هذه الحال على لسان السيد أبي الحسن الندوي (١٩٩٩م) حيث قال " عمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الذخائر البشرية وهي أكداس من المواد الخام، لا يعرف أحد غناءها، ولا يعرف محلها وقد أضاعتها الجاهلية.. عمد إلى الأمة الضائعة وإلى أناس من غيرها. فما لبث العالم أن رأى منهم نوابغ كانوا من عجائب الدهر وسوانح التأريخ، ثم ما لبث العالم أن رأى من هذه المواد الخام المبعثرة التي استهانت بقيمتها الأمم المعاصرة، وسخرت منها البلاد المجاورة، لا يلبث أن يرى منها كتلة لم يشاهد التاريخ البشري أحسن منها اتزاناً.. كتلة فيها الكفاية التامة من كل ناحية من نواحي الإنسانية، كتلة هي في غنى عن العالم، وليس العالم في غنى عنها. وضعت مدنيتها وأسست حكمها وامتدت على رقعة من قارتين عظيمتين وملأت كل ثغر، وسدت كل عوز برجال جمعوا بين الكفاية والديانة، والقوة، وكانت أمان الخائفين وملجأ الضعفاء. فيها القائد العابد، والوالي الورع والجندي التقي الذي تثقف بثقافة الإسلام، تلقاها نظـــرياً في ساحات المساجد وتدرب عليها عملياً في رواق بيوت الله " (الندوي، ١٩٩٩م، ص ١٣٢). وللمسجد وسائل عديدة وآليات شتى في تثقيف وتوجيه الأمة. من تلك الوسائل خطب الجمعة والتي تعتبر زاداً أسبوعياً يمس بصورة مباشرة شئون الجماعة وهمومها. ويتناولها بأسلوب سهل وعبارات مبسطة ثم يذكّر المصلين بضرورة الاهتمام بشأن دينهم الذي هو عصمة أمرهم وشأن دنياهم التي فيها معاشهم وشأن آخرقم التي إليها معادهم. وصلاة الجمعة وخطبتها تمثل مشهداً اجتماعياً وتعبيراً صادقاً عن

تضامن المسلمين وتعاضدهم وتجعلهم يحسون بالفخر والاعتزاز بدينهم الذي جمعهم ووحد بين قلوبهم وأفئدتهم. وخطبة الجمعة إذا ما أُحسن تقديمها فإنها تمثل درساً توجيهياً راقياً هادفاً عن طريق الوعظ والتذكير بالله تعالى وبحسابه وجزائه في الآخرة وتفقيه المسلمين وتعليمهم حقائق دينهم وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، وتثبيت معاني الأخوة الإسلامية ونبذ العصبيات العنصرية والمذاهب الهدامة المفرقة للأمة وحث المسلمين على التكافل والتضامن.

خطبة بهذا المستوى تتكرر على مسامع المسلمين بصورة دورية أسبوعية لكفيلة بأن تدعم دور المساجد في إعداد المؤمن الصادق العالم العامل، البعيد عن الانحراف، التقي النقي، المسلم الذي سلم المجتمع من بطش يده وأذى لسانه.

وقد دلت السنة النبوية المطهرة أن أساس الاستقامة عند الله الإيمان وأساس الانحراف والإجرام هو ضعف الإيمان. فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن» (صحيح البخاري، باب النهبى بغير إذن صاحبه وقال عبادة بايعنا النبي صلى الله عليه وسلم أن لا ننتهب، ٢/ ٨٧٥، رقم ٢٣٤٣، وصحيح مسلم، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية، ١/ ٧٦، رقم ٥٧).

وفي التنـزيل أن الإيمان الحق يمنع صاحبه من الاعتداء والإجرام وإذا حدث أن وقع من المسلم المؤمن اعتداء فالأصل ألا يكون متعمداً وإنما يكون خطأً، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ (النساء الآية: ٩٢).

ومما سبق ذكره ندرك أن خطبة المسجد يمكن أن تؤدي دوراً أساسياً في توجيه المجتمع وتذكيره بمعاني الدين وترسخ عند أفراده عقيدة الإيمان الصادقة التي تحول بينه وبين الموبقات والجرائم والانحراف، وبذلك يؤدي ويحقق المسجد

دوره وواجبه المنوط به في ترسيخ أصول التربية المنشودة وتعضيد أمن المجتمع وسلامته.

ثالثاً: الأنشطة الاجتماعية ودورها في ترسيخ الأمن الاجتماعي:

نقصد بالأنشطة الاجتماعية مجموعة الأعمال المتعلقة بشئون المجتمع بصورة عامة فإليه يأوي المحتاج الضعيف ويجد من يرحمه ويعطف عليه وقد يتسع المسجد لكي يقيم فيه من لا دار له والذي تقطعت به السبل إلا إلى بيت الله وإليه يأوي طلاب العلم المهاجرون فيجدون فيه الكفالة والرعاية والاهتمام، والمرضى الضعفاء فيجدون الدواء والغذاء والكساء والأمن والطمأنينة.

ففي المسجد يمكن أن تتكون لجان لدراسة أحوال أفراد المجتمع والتصدي لحل مشاكلهم بتقديم الخدمات اللازمة لهم، ومجتمع المسجد المترابط المحصن بمبادئه والمعتصم بأخلاقه والمزود دائماً بمدد من الله وتوفيقه يكون صلب الجدران قوياً بإذن ربه محافظاً على سلامة أبنائه. ففي المساجد تعقد الأنكحة وتزوج الأيامى الصالحات ويقضى على العنوسة والعزوبية التي كثيراً ما تكون سبباً لانحراف المجتمعات وارتكاب الجرائم اللاأخلاقية.

ومن الأنشطة الاجتماعية التي يمكن أن يقوم بها المسجد إقامة صندوق خيري لتأكيد معاني التكافل الاجتماعي. فيه تجمع تبرعات وزكوات الموسرين الأخيار، ومنه يتم الإنفاق على المعسرين والضعفاء، فيتم التكافل الاجتماعي في أبهى صورةُ وفي أجمل حلله ويتحقق قول نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (صحيح مسلم، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ٤/ ١٩٩٩، رقم ٢٥٨٦، صحيح البخاري، باب رحمة الناس والبهائم، ٥/ ٢٢٣٨، رقم ٥٦٦٢).

من هنا يتبين لنا الدور الاجتماعي المتقدم الذي يمكن أن يرتقي به المسجد

في ترسيخ الأخوة والتضامن وروح التكافل بين أفراد المجتمع المسلم. مجتمع متكافل وأفراده متحابون في الله يكون في مأمن من أن ينحرف أفراده أو أن ينـــزلقوا إلى مهاوي الجريمة التي تقض مضاجع المجتمعات التي انعدمت فيها هذه المعاني وتمكنت منها نزوات الحقد الطبقي مثلما نرى الآن في مجتمعات الغرب الكافرة والعياذ بالله. فرسالة المسجد الاجتماعية رسالة هامة للغاية في توطيد عرى الترابط والتضامن والتكافل وهي تمثل قاعدة تبني عليها دواعي الأمن الاجتماعي والطمأنينة والاستقرار.

رابعاً: الأنشطة التدريبية ودورها في تدعيم الأمن:

إن القول بأن المسجد مؤسسة إسلامية متعددة الأغراض هو قول في محله. فالمسجد مكان عبادة، ومركز إرشاد، ومأوى محتاج، ومصحة مريض، وهو أيضاً مركز تدريب وإعداد علمي ومهني لشباب الأمة حتى يضطلعوا بأدوارهم المنوطة بهم في بناء الأمة وسد ثغراها. فقد كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم أصحابه لحثهم على الجهاد في سبيل الله. ففيه كانوا يرتبون ويتدربون على السلاح والرسول صلى الله عليه وسلم ينظر إليهم ويقرهم على فعلهم هذا. وقد أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة وهم يتصدقون بالسلاح في المسجد. وقد روى جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه أمر رجلاً كان يتصدق بالنبل في المسجد أن لا يمر بها إلا وهو آخذ بنصولها» (صحيح مسلم، باب أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع الجامعة للناس أن يمسك بنصالها، ٤/ ٢٠١٩، رقم ٢٦١٤).

ومن الثابت عنه عليه أفضل الصلاة والسلام أنه اتخذ مضماراً لسباق الخيل قرب المسجد، وكان أحد المتسابقين من صغار الصحابة قد ذكر كيف قفز به فرسه حتى كاد يساوي سقف المسجد وفي حديث ابن عمر رضي الله

عنهما قال: «أجرى النبي صلى الله عليه وسلم ما ضمر من الخيل من الحفياء إلى ثنية الوداع، وأجرى ما لم يضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق» (صحيح البخاري، باب السبق بين الخيل، ٣/ ١٠٥٢، رقم ٢٧١٣، وسنن الترمذي، باب ما جاء في الرهان والسبق، ٤/ ٢٠٥، رقم ١٦٩٩).

فيما ذكر إشارة واضحة إلى جواز اتخاذ المسجد ساحة لتدريب الشباب وغيرهم على كل عمل نافع يعود خيره على المجتمع والفرد، فإن ذلك إضافة لما يكسبه للشباب من مهارات طيبة يمكن أن تعينهم على مقابلة متطلبات حياتهم وأسرهم، فإنه سبيل لملء أوقات فراغهم بالصالح من العمل. فبالإمكان إقامة ورش لتدريب أبناء المسلمين على المهن الفنية الراقية لإمداد المجتمع بالفنيين المهرة في المجالات الهندسية والتقنية وخدمات الحاسب الآلي. كما يمكن أن تقام أماكن ملحقة بالمسجد لتدريب الفتيات على الحياكة والطباعة والأشغال الفنية التي تناسب قدراتهن فيتعلمن ويتدربن في هذه الدور على ما ينفعهن في الدارين. وبذلك يقضي المسجد على مظاهر العطالة والفاقة والبطالة والتي كثيراً ما تكون سبباً في الانحراف وارتكاب الجرائم واللجوء للمخدرات التي تنعكس سلباً على أمن المجتمع وطمأنينته. ومن الممكن أيضاً تدريب بعض أفراد المجتمع على القيام ببعض المهام الأمنية لتأمين المجتمع وذلك في مجال الدفاع المدني وإطفاء الحرائق وإنقاذ الغرقى وإغاثة المنكوبين. وللمسجد أيضاً أن يدرب الشباب على تسيير بعض الدوريات الأمنية أثناء الليل لحراسة أحيائهم والقيام بأدوارهم في حفظ أمن حيهم وتأكيد سلامته. وبذلك يشارك المسجد مشاركة مباشرة في حفظ الأمن وتدعيم أواصره في المجتمع المسلم.

خامساً: دور المسجد في فض المنازعات وإصلاح ذات البين:

كان المسجد في أول عهده داراً للقضاء تصدر فيه الأحكام. وتنفذ خارجه إذا كانت حدوداً أو قصاصاً. وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم (كان إذا عرض له القضاء في المسجد يجريه فيه). (صحيح البخاري، باب القضاء واللعان في المسجد، ١/ ١٦٣، رقم ٤١٣). وكذلك كان خلفاؤه الراشدون وكذلك من تبعهم بإحسان. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي فيه الدين، فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قد أمر الفضل ابن العباس رضي الله عنهما أن يقضي ديناً عنه وقدره ثلاثة دراهم لرجل ادعى ذلك عليه وهو في المسجد). (المعجم الأوسط، ٣/ ١٠٥).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلح بين المتخاصمين في المسجد. عن عبد الله بن كعب بن مالك عن كعب (أنه تقاضى ابن أبي حدرد ديناً كان له عليه في المسجد فارتفعت أصواهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج إليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى «يا كعب» قال لبيك يا رسول الله قال«ضع من دينك هذا» وأومأ إليه أي الشطر قال لقد فعلت يا رسول الله قال «قم فاقضه») (صحيح البخاري، باب التقاضي والملازمة في المسجد، ١/ ١٧٤، رقم ٤٤٥).

وجاء في صحيح البخاري أن المسجد كان مكاناً لاستماع شكاوى الرعية من ولاقم، وأمرائهم منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم. (صحيح البخاري، ١/ ٢٤٩). وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل فوافق معاذا يصلي فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ فقرأ بسورة البقرة أو النساء فانطلق الرجل وبلغه أن معاذا نال منه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه معاذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم «يا معاذ أفتان أنت أو فاتن ثلاث مرار فلولا صليت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة»(صحيح البخاري، باب من شكا إمامه إذا طول، ١/ ٢٤٩، رقم ٦٧٣). وجاء أن عمر ابن الخطاب (عزل سعداً بعد أن شكاه أهل الكوفة وعين عمار بن ياسر مكانه

عملاً بشهادة رجل من المسجد). (صحيح البخاري، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت، ١/ ٢٦٢، رقم ٧٢٢). وروي أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (كان يخرج كرسيه إلى المسجد، فيتقدم إليه الأعرابي والضعيف، والصبي والمرأة، ومن لا أحد له). (المسعودي٣/ ٩٣).

كان هذا شأن المسجد في عصور الإسلام الذهبية، ولا شك أن المسجد يمكن أن يضطلع بهذا الدور الآن في فض المنازعات والإصلاح بين المتخاصمين وإصلاح ذات البين. وفي هذه الأنشطة إخماد لنيران الفتن قبل استفحالها، وقبل أن تتطور تلك المنازعات فتصبح سبباً للشحناء والبغضاء والتدابر بين أفراد المجتمع المسلم. فإذا قام المسجد بهذا الدور فإن أثر ذلك على الأمن الاجتماعي واستقرار الأحوال يكون واضحاً وملموساً.

فالمسجد مستقر الأمن ومنبعه، به عُرف وبه وُصف. فهو الحرم الآمن الذي يجبى إليه ثمرات كل شيء، وهـــو الحرم الآمن الذي يتخطف الناس من حوله.

انظر إلى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ (القصص الآية: ٥٧). وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ (العنكبوت الآية: ٦٧). ولو أن المقصود بهذه الآيات هو الحرم الشريف وبيت الله الحرام إلا أنه من المعلوم بالضرورة إن المساجد كلها بيوت الله عليها تتنزل السكينة ومنها تنبعث الطمأنينة ومنها يستمد المسلمون معاني الإيمان، وفيها يعملون الصالحات، وبذلك يستحقون وعد الله بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين وأن يُبدلوا مـــن بعد خوفهم أمناً ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور الآية: ٥٥).

نتائج البحث

نخلص من هذا البحث إلى نتائج هامة جداً نلخصها إجمالاً فيما يلي:

أولاً: أن الأمن ضرورة حياتية، ومطلب هام لا يمكن أن تستقيم حياة الأفراد والمجتمعات بدونه، وهو من سنن الله العظمى، وأفضاله الكبرى التي تستوجب حمده وإفراده بالعبادة. ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ (قريش الآيتان: ٣، ٤).

ثانياً: هناك رباط وثيق، وتلازم ملحوظ بين التزام المجتمعات بطاعة الله واحترام أوامره واجتناب نواهيه وتوطد الأمن وترسيخ دعائمه في المجتمع المعني. بعبارة أخرى فإننا نجد بقدر ما تعمقت قيم الدين وتجلت معاني الإيمان والعقيدة الصحيحة، بقدر ما يترسخ أمن المجتمع وتزداد طمأنينته ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور الآية: ٥٥). وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام الآية: ٨٢).

ثالثاً: هناك ارتباط وثيق بين البعد عن الإيمان والكفر واضطراب الأحوال الأمنية وتفشي الجرائم والانحرافات وانعدام الأمن والطمأنينة وانتشار الفوضى والخوف ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل الآية: ١١٢).

رابعاً: إن الدين الإسلامي بحسبانه الرسالة الخاتمة والديانة الشاملة فقد عُني بأمن المجتمع وسلامته ووضع التعاليم الراسخة والقيم الإيمانية المتينة الكفيلة

بترسيخ عراه وتوطيد أركانه.

خامساً: إن المسجد هو المؤسسة الإسلامية الرئيسية التي يناط بها أمر إصلاح المجتمع وترتيب أموره الدينية والدنيوية. فقد كان أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة المنورة هو بناء مسجده. وفي هذا إشارة إلى الأهمية القصوى للمسجد في حياة المسلمين.

سادساً: لقد كان المسجد بالإضافة إلى كونه بيت عبادة، معهداً للعلم والأدب، ومركزاً للقيادة والتوجيه، وملجأً للمسلمين لحل مشاكلهم، ومكاناً للألفة والمحبة والتكافل والتعاضد بين أفراد المجتمع المسلم.

سابعاً: إن المسجد من خلال أنشطته المتنوعة وأدواره المختلفة في الإرشاد والتعليم والتوجيه والتدريب، يمكن أن يساهم بصورة مباشرة في ترسيخ أمن المجتمع وبسط الطمأنينة في أرجائه.

ثامناً: كانت للمسجد الريادة في ترسيخ أصول التربية المرتبطة بالتعليم لا تنفك عنه في تناسق طردي، فحيث نشطت المساجد في أداء دورها وجدت التربية وحيث تقاعست، ضعف عامل التربية في المجتمع.

توصيات البحث:

لما كان للمسجد دور هام ووظائف عديدة في بناء المجتمع المسلم بصورة عامة، وفي ترسيخ أمنه بصورة خاصة، فإننا نتقدم بالتوصيات التالية لتدعيم هذه الوظائف حتى يؤدي المسجد واجبه كاملاً غير منقوص وحتى يضطلع بالمهام الجسام المنوطة به:

أولاً: المساجد بيوت الله في الأرض فهي مهبط الأملاك، وملتقى الأرواح الطاهرة، وهي دور تغشاها السكينة وتحفها الرحمة، فلذا وجب الاهتمام بها وتشييدها على أجمل طراز، وتطييبها بأجمل العطور فهي بيوت الله التي أذن بأن ترفع ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ (النور الآية: ٣٦)

وأمر أنبياءه بتطهيرها ونظافتها ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (الحج الآية: ٢٦). فإن كان الأمر بتطهيرها والاهتمام بمظهرها أمر للأنبياء فهو أمر ينسحب بصورة تلقائية على ولاة الأمر من المسلمين وعلى عامتهم. ونستصحب في هذا المعنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أخرج أذى من المسجد بنى الله له بيتاً في الجنة» (سنن ابن ماجه، باب تطهير المساجد وتطييبها، ١/ ٢٥٠، رقم ٧٥٧)، وكذلك حديثه صلى الله عليه وسلم «مَنْ بنى مسْجِداً لله تعالى يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة» (صحيح البخاري، باب من بنى مسجدا، ١/ ١٧٢، رقم ٤٣٩، وصحيح مسلم، باب فضل بناء المساجد والحث عليها، ١/ ٣٧٨، رقم ٥٣٣).

ثانياً: فيما يتعلق برسالة المسجد التعليمية فإنه يتعين وضع مناهج تعليمية دينية تتلاءم مع كافة رواد المسجد من الصغار والكبار، وتزويد المساجد بالعلماء والمعلمين الأكفاء الذين يمكن أن يقوموا بأدوارهم في تعليم المصلين أمور دينهم ودنياهم. وتقديم برامج تعليمية خاصة للصغار والمرأة والشباب تتناسب وقدراتهم ورسالة كل منهم في الحياة. ويجب أن يكون هدف هذه البرامج غرس العقيدة الصحيحة وتعاليم الدين الحنيف وتأكيد قيم الإيمان الحق التي تمنع وتعصم الدارسين من الانحراف والزيغ وارتكاب الجرائم المخلة بالأمن والأخلاق.

ثالثاً: الاهتمام بإعداد خطباء المساجد وأئمتها حتى يتمكنوا من الاضطلاع بأدوارهم في قيادة المجتمع قيادة رشيدة، وتوجيه أفراده إلى ما فيه خير دينهم ودنياهم. فيجب اختيارهم من ذوي القدرة والكفاءة والعلم والخُلق الرفيع ومن أهل الاستقامة والصلاح والصدق. كما يجب أن يكونوا من أهل الحكمة وسعة الأفق والتجرد بحيث يمكنهم حل المشكلات الاجتماعية التي تقع

في كل مجتمع. وبذلك تقوى عرى الاستقرار الاجتماعي، وتتحقق معاني الأمن ومقتضياته.

رابعاً: الاهتمام بموضوع خطبة الجمعة والأعياد بحيث تكون زاداً موسمياً يعمل على تثقيف جماعة المسلمين وترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوسهم بما يؤدي إلى استقامتهم على جادة الطريق ويبعدهم من الوقوع في غلواء الشطط والتطرف والانحراف الذي يؤدي إلى زعزعة أمن المجتمعات ويعصف باستقرارها.

خامساً: الاهتمام بدور المساجد في مجال الرعاية الاجتماعية بحيث تحتضن الجمعيات التي تعنى بشأن الفقراء وذوي الحاجات وتتكفل برعاية الأيتام والمشردين وذلك بهدف تدعيم روح التكافل بين جماعات المسلمين وترسيخ روح التعاون فيما بينهم. والهدف من هذا كله القضاء على نزعة الحقد الطبقي الذي ينشأ عن إهمال الطبقات الضعيفة بحيث تسود البغضاء والشحناء والتدابر بين طبقات المجتمع الإسلامي فيتعرض أمنه وسلامته للخطر.

سادساً: إقامة الأربطة وإلحاقها بالمساجد حتى تكون مأوى لمن لا مأوى له خصوصاً النساء والأرامل. ففي مثل تلك الأربطة تصان حرماتهن وعفافهن ولا يكُنَّ عرضة للفتنة الناتجة عن الحاجة والعوز. وبذلك يتدعم أمن المجتمع الأخلاقي وتسود فيه الفضيلة ويقفل باب للرذيلة.

سابعاً: أن يكون للمسجد برامج لتدريب الشباب والشابات على الحرف النافعة والمهن المفيدة. فلا بأس من أن تلحق بالمسجد ورش لتدريب الشباب على الهندسة الميكانيكية لتدريب الشباب وإكسابهم القدرات المعينة لهم على كسب العيش النظيف وخدمة مجتمعهم. كذلك يمكن إقامة ملحقات بالمسجد تدرب فيها الفتيات على أعمال الحياكة والتطريز وما يناسب قدراتهن. ولا بأس من تدريب الشباب والشابات على التعامل مع برنامج الحاسب الآلي وتعميمها

بحسب أن الحاسب قد أصبح ضرورة عصرية. فتزويد أفراد المجتمع بالحرف والمهارات سبب لاستقرار أمن المجتمع وتدعيم أمنه الاجتماعي والاقتصادي.

ثامناً: اهتمام المسجد بقطاع الشباب والأطفال والعمل على جذبهم للمسجد وربطهم به. ولتحقيق هذه الغاية فإنه يجب إقامة المسابقات الدينية بين المتنافسين من الشباب والصبيان خصوصاً في مجال حفظ القرآن وتجويده وتحفيزهم بالجوائز القيمة. ولا بأس من إقامة ليالي السمر والأمسيات الترفيهية. كل هذا يعزز روح الانتماء للمسجد والترغيب في الارتباط به منذ سن مبكرة. كما يجب إقامة الساحات الرياضية بالقرب من مسجد الحي أو القرية ومضامير سباق الخيل لتدريب الناشئة على ركوب الخيل والرمي بالنبال وغيرها. كل ذلك بغرض إعداد الجيل القوي في بدنه المتمسك بدينه القادر على حفظ أمن مجتمعه من كل من تحدثه نفسه بالعبث بمقدرات الأمة واستقرارها. ثم إن مثل هذه الأنشطة يمكن أن تستخدم لملء فراغ الشباب بالأعمال النافعة التي تباعد بينهم وبين مزالق الانحراف والجريمة الناشئة عن الفراغ والخمول الذهني.

تاسعاً: يمكن للمسجد أن يقوم بدور مباشر في إعداد الكوادر الأمنية وتوسيع دائرة مسئولية الاضطلاع بالمهام الأمنية خصوصاً في مجال الدفاع المدني ومنع الجريمة وذلك من خلال عقد دورات تدريبية لجماعات المصلين للتصدي للحرائق وإنقاذ منكوبي الحوادث المرورية والغرقى وغير ذلك من الطوارئ كما يمكن أن تتم دورات ودروس في مجال التوعية الأمنية ورفع الحس الأمني لدى المواطنين. كما يمكن أن ينظم المسجد دوريات ليلية في بعض المناطق النائية لحراسة الحي ليلاً منعاً للجرائم والمنكرات التي يديرها أعوان الشياطين.

وأخيراً: فإن المسجد يجب أن يهتم بأمر لجان الصلح بين المتخاصمين وإصلاح ذات البين بين الفرقاء تعضيداً لروح التسامح وترسيخاً لأواصر الأمن الاجتماعي.

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، الطبعة الثانية.

٣- أبو داود، سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الفكر، (ب. ت)، المحقق: محمد محيي الدين.

٤- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، مكتبة الرشد، الرياض، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

٥- ابن الأثير، البداية والنهاية، مجد الدين أبو السعادات، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، تحقيق: عبد القادر الأرنؤط.

٦- ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات، دار الفكر، لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الطبعة الثانية، تحقيق: عبد القادر الأرنؤط.

٧- ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ٣٥٤ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، الطبعة الثانية، المحقق: شعيب الأرنؤوط.

٨- ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ، محمد فؤاد عبدالباقي.

٩- ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، ١٦٤هـ- ٢٤١هـ، مؤسسة قرطبة، مصر.

١٠- ابن خلدون، التاريخ مع المقدمة، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ، الطبعة الأولى.

١١- ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبدالله بن عبد البر، ٣٦٨ هـ - ٤٦٣هـ، وزارة الأوقاف، المغرب، ١٣٨٧هـ.

١٢- ابن القيم، طريق الهجرتين، دار الثقافة، ١٣٩١هـ، الطبعة الثانية.

١٣- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٤- ابن ماجه، سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٥- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، الطبعة الأولى، مطبعة البابي الحلبي، مصر.

١٦- ابن هشام، سيرة ابن هشام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ب. ت).

١٧- البخاري، الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ١٩٤هـ- ٢٥٦هـ، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ، الطبعة الثالثة، المحقق: د.مصطفى ديب البغا.

١٨- البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن البيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ، المحقق: محمد عبد القادر.

١٩- الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، المحقق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

٢٠- الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، محمد بن علي بن الحسن أبو عبدالله الحكيم، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، المحقق: عبدالرحمن عميره.

٢١- الرازي، مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، دار المعارف، (ب. ت)، تحقيق: محمد محمود فاطر.

٢٢- الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف، ١١٢٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ط ١.

٢٣- الطبراني، المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ٢٦٠هـ-٣٦٠هـ، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ، المحقق: طارق بن عوض الله.

٢٤- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، ٢٢٤هـ-٣١٠هـ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٥- القرطبي، جامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ٦٧١هـ، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ، ط الثانية، المحقق: أحمد البردوني.

٢٦- القيسراني، تذكرة الحفاظ، محمد بن طاهر، دار الصميعي، الرياض، ١٤١٥هـ، الطبعة الأولى، المحقق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي.

٢٧- كاندهلوي، حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، دار القلم، دمشق، ١٤٠٥هـ، الطبعة الثانية.

٢٨- مالك، موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس الأصبحي، ٩٣هـ- ١٧٩هـ، دار إحياء

التراث العربي، مصر، (ب. ت)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٩- المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ١٢٨٣هـ- ١٣٥٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٠- المسعودي، مروج الذهب، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٣١- مسلم، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ٢٠٦هـ-٢٦١هـ، دار إحياء التراث العربي، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٢- المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تقي الدين أحمد بن علي، دار الفرقان، جدة، (ب.ت).

٣٣- المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ، الطبعة الأولى.

٣٤- النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ٦٣١هـ-٦٧٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

ثانياً: المراجع:

٣٥- الأهدل، أحمد قادوي، دور المسجد في التربية، دار المجتمع للنشر، جدة، ١٤١١هـ.

٣٦- البيانوني، محمد أبو الفتوح، تنمية الحس الأمني لدى المسلم، مجلة الأمن، العدد الأول، وزارة الداخلية السعودية، الرياض، ١٤١٠هـ.

٣٧- الحرازي، حامد، ملامح المجتمع الإسلامي المعاصر، دار النهضة، بيروت، ١٩٩٢م.

٣٨- الحسين، عبد الله، دور المسجد التربوي والإجتماعي في العصر العباسي، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، ١٤١٢هـ.

٣٩- الرشيد، عبد العزيز، رسالة المسجد التربوية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.

٤٠- السنحاني، عبد الله، الشرطة اليمنية، وزارة الداخلية اليمنية، صنعاء، ١٩٨٨م - ١٣٩٠هـ.

٤١- الشرفي، علي، الأمن بمفهومه الشامل، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، ١٩٩٩م.

٤٢- الشعراوي، محمد متولي، معجزة القرآن الكريم، دار التراث، القاهرة، ١٩٨٨م.

٤٣- عبد الحميد، محي الدين، منهاج المسجد في تكوين المجتمع المسلم، مكتبة الخدمات الحديثة، جدة، ١٩٩٤م.

٤٤- عبدالكريم، أحمد، وظيفة المسجد في المجتمع، دار الشروق، بيروت، ١٤١٥هـ.

٤٥- العتوم، عدنان، أثر سماع القرآن الكريم على الأمن النفسي، مجلة جامعة أم القرى، العدد

السادس عشر، ١٤١٨هـ.

٤٦- العوجي، مصطفى، الأمن الاجتماعي، مقوماته وتقنياته، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٣م.

٤٧- كامل، مصطفى، الأمن القومي والأمن الجماعي الدولي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥م.

٤٨- كراره، عباس، تاريخ الحرم المكي، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، ١٣٩٠هـ.

٤٩- اللميم، عبد العزيز، رسالة المسجد في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ.

٥٠- محمود، صالح عبد الله، دور المسجد في حياة المسلم، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٥م.

٥١- المعلمي، يحيى، الأمن والمجتمع، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ.

٥٢- نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٢م.

٥٣- الندوي، أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، طبعة دار ابن كثير الأولى، دمشق، ١٩٩٩م.

٥٤- الهلالي، نشأت، الأمن الجماعي الدولي، القاهرة، ١٩٨٥م.

٥٥- ولد بيه، عبد الله الشيخ، خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام، الرياض، ١٩٩٩م.

٥٦- ياسين، روضة، منهج القرآن في حماية المجتمع من الجريمة، المركز العربي للدراسات الأمنية، الرياض، ١٤١٣هـ.

فهرس الموضوعات

